

صورة المرأة في روايات بدرية البشر وشهلا العجيلي

(دراسة تحليلية موازنة)

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

كلية اللغات



إعداد الباحث

قياش بهادر

تحت إشراف

الدكتور زين العابدين

الأستاذ المحاضر بقسم اللغة العربية

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد باكستان

العام الدراسي، ٢٠٢٠ - ٢٠٢٤ م

صورة المرأة في روايات بدرية البشر وشهلا العجيلي

دراسة تحليلية موازنة

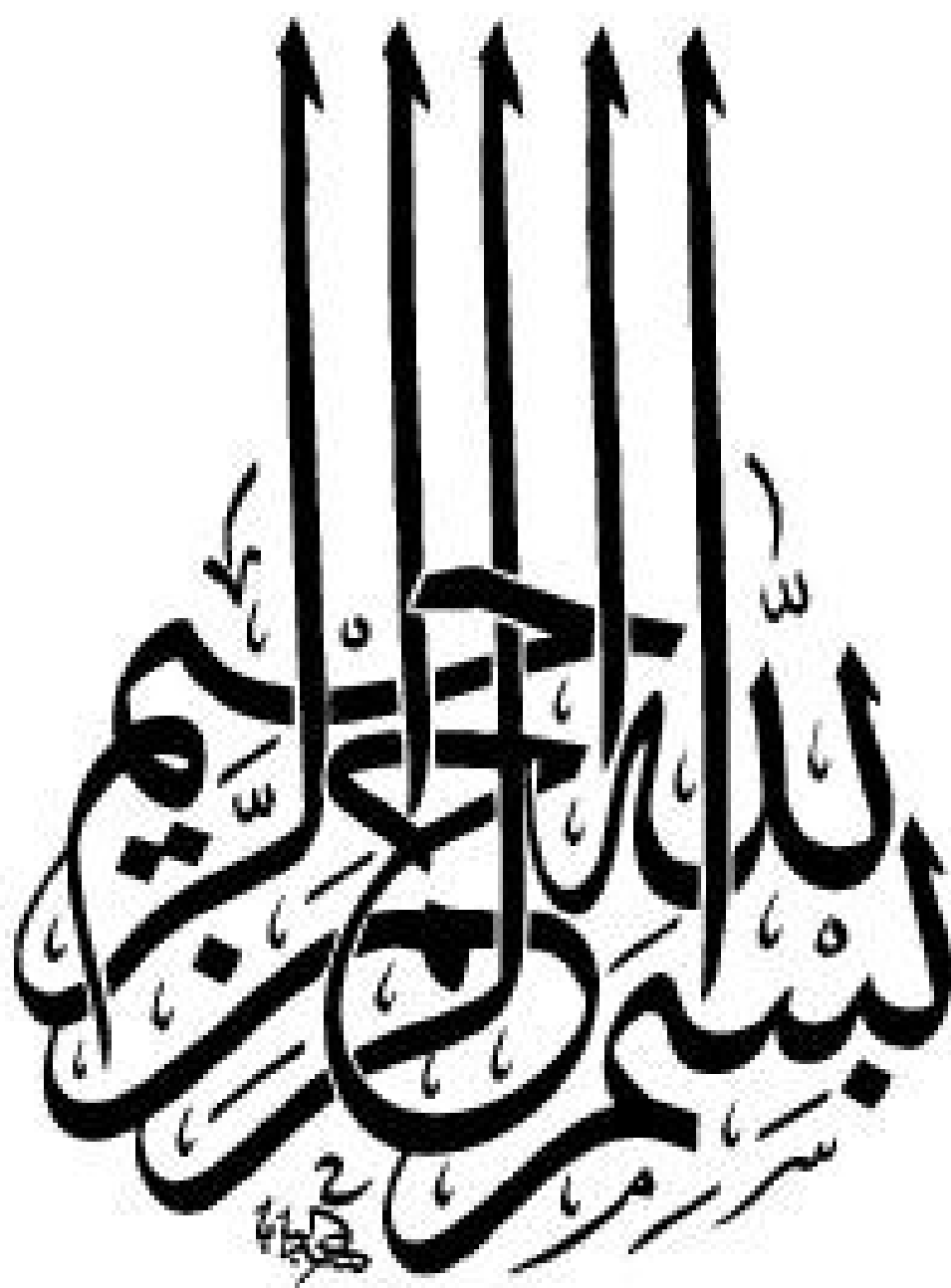
أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
كلية اللغات



قسم اللغة العربية
الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد - باكستان

العام الدراسي، ٢٠٢٠ - ٢٠٢٤ م

© قياس بهادر





استمارة الموافقة على الأطروحة والمناقشة

قام الموقعون أدناها بدراسة الأطروحة ومداولتها وقد أخرجوا نتائج جيدة ومفيدة منها،
ونلتمس من هيئة الدراسات العليا الموافقة على هذه الأطروحة كأطروحة جيدة.

عنوان الأطروحة:

صورة المرأة في روايات بدرية البشر وشهلا العجيلي دراسة تحليلية موازنة

الإعداد: قياس بهادر رقم التسجيل: 13 PhD/Ara/F20

شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

الدكتور زين العابدين

المشرف

التوقيع

الدكتور جميل أصغر

عميد كلية اللغات

التوقيع

اللواء (المتقاعد) شاهد محمود كياني

رئيس الجامعة

التوقيع

التاريخ: / /

يمين الباحث

أُعلم الجميع بأن أطروحتي بعنوان: "صورة المرأة في روايات بدرية البشر وشَهلا العُجيلي دراسة تحليلية موازنة"، التي أعدتها تحت إشراف الدكتور زين العابدين، والتي قدمتها إلى الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد؛ لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها حصيلة جهدي دون غيري، ولم أتقدم بها إلى أي جهة، ولا أي جامعة أخرى لنيل أي شهادة من قبل.

الباحث قياس بهادر

الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

يوليو ٢٠٢٤م

محرم ١٤٤٦هـ

فهرس المحتويات

أ	استمارة الموافقة على الأطروحة والمناقشة
ب	يمين الباحث
ج	فهرس المحتويات
هـ	Abstract
و	الإهداء
ز	كلمة الشكر
١	المقدمة
٦	التمهيد
٦	أولا: أهمية الموضوع
١٠	ثانيا: التعارف على الروائيات
	الباب الأول : عرض الروايات المختارة
١٧	الفصل الأول : عرض روايات بدرية البشر
١٧	المبحث الأول: عرض رواية هند والعسكر
٢٥	المبحث الثاني: عرض رواية الأرجوحة
٣٤	المبحث الثالث: عرض رواية غراميات شارع الأعشى
٤٣	المبحث الرابع: عرض رواية زائرات الخميس
٥٣	الفصل الثاني : عرض روايات شهلا العجيلي

٥٣	المبحث الأول: عرض رواية عين الهر
٦٢	المبحث الثاني: عرض رواية سجاد عجمي
٦٨	المبحث الثالث: عرض رواية سماء قريبة من بيتنا
٧٨	المبحث الرابع: عرض رواية صيف مع العدو
الباب الثاني: قضايا المرأة في روايات الكاتبتين	
٨٦	الفصل الأول : قضايا المرأة عند بدرية البشر
١٢٢	الفصل الثاني : قضايا المرأة عند شهلا العجيلي
الباب الثالث: دراسة فنية لروايات الكاتبتين	
١٦٢	الفصل الأول: دراسة الشخصية في روايات الكاتبتين
٢٠٤	الفصل الثاني: دراسة الزمان والمكان في روايات الكاتبتين
٢٧٢	الفصل الثالث: دراسة الحدث في روايات الكاتبتين
٣٠١	الفصل الرابع: دراسة اللغة والأسلوب في روايات الكاتبتين
الباب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في روايات الكاتبتين	
٣٤٢	الفصل الأول: أوجه الاتفاق والاختلاف في أفكار المرأة وقضاياها في روايات الكاتبتين
٣٥٦	الفصل الثاني: أوجه الاتفاق والاختلاف في العناصر الفنية بين روايات الكاتبتين
٣٦٩	الخاتمة
٣٧٤	الفهارس الفنية

Abstract

Title of the PhD Dissertation:

The Woman's Portrait in the Fictions of Badriah Al-Bishr and Shahla Al-Ujaili: An Analytical Comparative Study

This study examines analytical exploration of the woman's portrait in 21st-century Arabic fiction through the works of two renowned Arab female writers: Badriah Al-Bishr, a Saudi writer and journalist, and Shahla Al-Ujaili, a Syrian-Jordanian academic and novelist. The objective was to analyze how both authors portray the image, role, and concerns of women in contemporary Arab society through literary expression. The selected novels reveal diverse representations of women shaped by the distinct social, political, economic, and religious contexts of their respective regions. The method used for the research was qualitative, focusing on thematic and technical analysis of selected novels. Badriah Al-Bishr's selected novels are: *Hind and the Soldiers* (2006), *The Pendulum* (2010), *Love Birds on Al-Asha Street* (2013), and *The Thursday Visitors* (2017). Shahla Al-Ujaili's selected novels are: *The Eye of the Cat* (2009), *The Persian Carpet* (2013), *A Sky Close to Our House* (2015), and *A Summer with the Enemy* (2018). The research examined four major areas: 1) the thoughts of women and their central issues; 2) the circumstances that shape the Arab woman's identity; 3) the presentation of narrative and technical elements in fiction; and 4) a comparative analysis of female portrayal by both writers. Primary sources, i.e., the original Arabic texts of the selected novels, were consulted to understand the authors' literary approaches and their depiction of women's experiences. These texts were critically analyzed to identify key themes, narrative strategies, and the influence of sociocultural context on the portrayal of women. The research found that both writers utilize modern literary techniques to articulate the internal and external struggles of Arab women. Their works reflect varying perspectives shaped by regional realities but converge in advocating for self-awareness, identity, and social roles of women. It also concluded that contemporary Arab female fiction significantly contributes to the discourse on gender, identity, and societal transformation. The study recommends further critical and comparative research across Arab women's writings to broaden the understanding of evolving female narratives in modern Arabic literature.

Keywords: Woman in Arabic fiction, Badriah Al-Bishr, Shahla Al-Ujaili, gender discourse, Arab novel, comparative literary study

Qayash Bahadar

PhD Scholar

Arabic Department

National University of Modern Languages (NUML), Islamabad

الإهداء

إلى كل من يحب اللغة العربية ويخدمها

كلمة الشكر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبتوفيقه ومّته أكملت هذا البحث، وقد مررت في هذا المسار من الضيق والصعوبات. لكن ربي أخرجني من التيه والظلمات. وصار البحث بحمده بين دفتي الكتاب.

أقدم خالص شكري وامتناني لأستاذي ومشرفي الدكتور زين العابدين الذي نور دربي خلال هذا البحث بالنصح والإرشادات. وشجعني على أن لا أتوقف أمام الأزمات. أنعم الله عليه بالخير والبركات.

كما أقدم شكري لرئيس قسم اللغة العربية، وأساتذتي وزملائي وأسرتي، الذين مدوا لي يد العون لأكمل بحثي. فجزاهم الله عني أحسن الجزاء. وصلى الله على النبي وعلى آله وصحبه وبارك وسلّم.

الباحث

قياش بهادر

المقدمة

الأدب الذي يمثل البلاد العربية يمت بصلة وثيقة بالتحويلات الاجتماعية والسياسية والحروب المدمرة والمشاكل الاجتماعية والاحتكاك مع الغرب والثقافات الأجنبية. وفي ظلها ينمو الفرد العربي رجالاً ونساءً، ويتطور تفكير الفرد بمعايشة الأوضاع الجديدة والقضايا الهامة في مسير الحياة. ومن ثم يشهد العالم العربي بُروز حركات إنسانية متنوعة، من ضمنها الحركات النسائية، في مختلف أنحاء البلاد العربية، منها: الحركة النسائية اللبنانية على سبيل المثال^(١). وتتجلى هذه النهضة بكل إيجابياتها وسلبياتها في الأدب النسوي العربي. فتُبرز الكاتبات الأوضاع التي تحيط بشخصية المرأة، وأفكارها، وقضاياها وما تحمله بعض البلاد من معاناة من الاحتلال والحروب الأهلية وتتمتع بعضها بالرفاهية والترّف. وكل هذه السياقات تتجلى في صورة المرأة وقضاياها لدى الكاتبتين: بدرية البشر السعودية، وشهلا العجيلي السورية خلال هذا البحث. أبرزت كلتا الكاتبتين صورة المرأة وقضاياها خلال رواياتهما بأشكال متنوعة.

حدود البحث:

تناول هذا البحث أربع روايات لكل من الكاتبتين على النحو التالي:

١. **بدرية البشر:** هند والعسكر ٢٠٠٦م، والأرجوحة ٢٠١٠م، وغراميات شارع الأعشى ٢٠١٣م، وزائرات الخميس ٢٠١٧م
٢. **شهلا العجيلي:** عين الهر ٢٠٠٩م، وسجاد عجمي ٢٠١٣م، وسماء قريبة من بيتنا ٢٠١٥م، وصيف مع العدو ٢٠١٨م.

(١) ينظر: لتفاصيل جمعيات الحركة النسائية: الحركة النسائية اللبنانية، إميلي فارس إبراهيم، دار الثقافة، بيروت.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد تمّ اختيار هذا الموضوع بناءً على جملة من الأسباب العلمية والمنهجية، من أبرزها :

١. أن موضوع "صورة المرأة في الرواية العربية الحديثة وقضاياها" يُعد من المواضيع الحيوية في النقد الأدبي النسوي، لما يعكسه من تحولات فكرية واجتماعية أثّرت في تكوين شخصية المرأة العربية في القرن الحادي والعشرين.
٢. تمثل الروايات النسائية مرآة تعكس الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي في المجتمعات العربية، وفهم قضايا المرأة من خلالها يُسهم في تحليل أعمق للبيئة والسياقات المحيطة بالمرأة في بلدان عربية مختلفة كالسعودية وسوريا.
٣. إن الروايات المختارة لكلٍّ من بدرية البشر وشهلا العجيلي تتضمن تمثيلات متعددة لصورة المرأة، وتجسّد مواقف متنوعة من المعاناة والتمكين والتهميش، وهي نصوص لم تُدرس بشكل مقارن وتحليلي شامل من قبل، ممّا يُبرز الحاجة إلى هذا البحث لسدّ هذه الفجوة الأكاديمية.

الدراسات السابقة:

- وجدت بعض الدراسات السابقة التي تؤيد أهمية هذا المجال، وهي كالتالي:
١. صورة المرأة في الرواية النسائية في بلاد الشام: ١٩٥١م – ٢٠٠٠م: رسالة في درجة الدكتوراه، للباحثة غادة محمود عبد الله خليل، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤م.
 ٢. صورة المرأة في رواية "قليل من العيب يكفي!" رسالة لنيل شهادة الماجستير في أدب حديث ومعاصر للباحثة هناء رزيق، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر. ٢٠١٤م – ٢٠١٥م.

٣. صورة المرأة وقضاياها في الرواية النسوية الجزائرية: روايات ربيعة جلطي نموذجاً، رسالة لنيل درجة ماجستير في أدب حديث ومعاصر، للباحثة بشيرة كانش، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، الجزائر. ٢٠١٥م-٢٠١٦م.
٤. صورة المرأة في رواية "اليتني امرأة عادية" ل- هنوف جاسر رسالة لنيل درجة ماجستير في الادب العربي، للباحثة سارة عليوات، كلية الآداب واللغات، جامعة أكلي محند أولحاج البويرة. ٢٠١٧م-٢٠١٨م
٥. صورة المرأة في "قصص نجيب كيلاي" رسالة لنيل درجة ماجستير في الأدب العربي، للباحثة حنان بنت جابر عبد الرحمن الحارثي، كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي جامعة أمّ القرى. ٢٠٠٠م

أهداف البحث:

- إن الرسالة حاولت أن تصل إلى الأهداف التالية خلال دراسة الروايات:
١. دراسة أفكار المرأة وقضاياها في الروايات المختارة
 ٢. فهم عناصر الرواية وهي الشخصية الزمان، المكان، والحدث ، والأسلوب
 ٣. تقديم موازنة أفكار المرأة وقضاياها بين روايات بدرية البشر وشهلا العجيلي
 ٤. تقديم الموازنة بين عناصر الرواية بين روايات بدرية البشر وشهلا العجيلي

أسئلة البحث:

- الأسئلة التي تولّد منها هذا البحث هي كالتالي:
١. ما هي الظروف والقضايا التي تؤثر في حياة المرأة؟
 ٢. ما هي ملامح المرأة الفنية في الروايات المختارة؟
 ٣. كيف تم تقديم عناصر الرواية في الروايات المختارة؟

٤. وكيف تناولت كل كاتبة صورة المرأة خلال عناصر الرواية؟
٥. ما هي مواطن الاتفاق والاختلاف في تقديم العناصر الفنية والقضايا المتعلقة بالمرأة في الروايات المختارة للكاتبتين.

منهج البحث:

إن هذا البحث قد سار على منهج التحليل والموازنة خلال مباحث شتى. ومنهجي في كتابة الهوامش هو أنني أذكر اسم الكتاب والمؤلف ودار النشر والطباعة وعام الطبع، ثم رقم الصفحة. وعندما أذكر نفس المرجع أو المصدر مرة أخرى أذكر فقط اسم الكتاب ورقم الصفحة. وعندما أشير إلى المصدر الذي تم ذكره دون فاصل أذكره بـ "المصدر نفسه" أو "المرجع نفسه"، وإذا تم ذكره بفاصل مصدر/مرجع آخر أشير إليه بـ "المصدر السابق" أو "المرجع السابق"، وعندما أنقل كلاماً حرفياً من المصدر أو المرجع، أكتبها بين علامتي التنصيص. وعند نقل محتوى الكلام دون التحريف، لا أكتب داخل علامتي التنصيص، وأكتب الهامش المصاحب بـ (ينظر).

خطة البحث:

لقد سار البحث على خطة تالية:

التمهيد: وهو يحتوي على أساسين:

١. أهمية الموضوع
 ٢. التعريف على الروايات
- الباب الأول: عرض الروايات المختارة
- الفصل الأول: عرض روايات بدرية البشر
- المبحث الأول: عرض رواية هند والعسكر
- المبحث الثاني: عرض رواية الأرجوحة

المبحث الثالث: عرض رواية غراميات شارع الأعشى

المبحث الرابع: عرض رواية زائرات الخميس

الفصل الثاني: عرض روايات شهلا العجيلي

المبحث الأول: عرض رواية عين الهر

المبحث الثاني: عرض رواية سجاد عجمي

المبحث الثالث: عرض رواية سماء قريبة من بيتنا

المبحث الرابع: عرض رواية صيف مع العدو

الباب الثاني: قضايا المرأة في روايات الكاتبتين

الفصل الأول: قضايا المرأة عند بدرية البشر

الفصل الثاني: قضايا المرأة عند شهلا العجيلي

الباب الثالث: دراسة فنية لروايات الكاتبتين

الفصل الأول: دراسة الشخصية في روايات الكاتبتين

الفصل الثاني: دراسة الزمان والمكان في روايات الكاتبتين

الفصل الثالث: دراسة الحدث في روايات الكاتبتين

الفصل الرابع: دراسة اللغة والأسلوب في روايات الكاتبتين

الباب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف في روايات الكاتبتين

الفصل الأول: أوجه الاتفاق والاختلاف في أفكار المرأة وقضاياها في روايات الكاتبتين

الفصل الثاني: أوجه الاتفاق والاختلاف في العناصر الفنية بين روايات الكاتبتين

الخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات

الفهارس: فيها فهرس الآيات، والأحاديث، والأبيات، والمصادر والمراجع

وصلى الله على النبي الأمي الكريم وعلى اله وصحبه أجمعين .

تمهيد

أولاً: أهمية الموضوع

إن صورة المرأة وقضاياها موضوع مهم، فالمرأة تشكل نصف المجتمع ومنها ينشأ جيل جديد فقضيتها وتربيتها أولويات الأمم الحكيمة، كما قال حافظ إبراهيم:

الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَّدَتْهَا أَعَدَّدَتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ^(١)

فالقرآن الكريم يقدم صور المرأة كالأم: وهي السيدة مريم عليها السلام، وأم موسى عليها السلام؛ وصورة الأخت: كأخت سيدنا موسى عليه السلام؛ وصورة الزوجة: كالأزواج المطهرات، وزوجة فرعون، وزوجة سيدنا نوح وزوجة سيدنا لوط، وزوجة سيدنا إبراهيم عليهم السلام، وزوجة عزيز مصر؛ وصورة البنت: كبنتي سيدنا شعيب عليه السلام،^(٢) ولكل منهن أدوار فعالة في الحياة سواء أكانت هذه الأدوار والصور سلبية، أم كانت هذه الصور والأدوار إيجابية.

وهذه هي الصور النسائية التي تترسخ عند الطفل والطفلة منذ نعومة أظفاره من خلال الأسرة والمجتمع والمناهج المدرسية أيضاً، حيث يجد الصغير نماذج الأم والأخت والبنت والجدة والجارة، وربة البيت والمعلمة والطبيبة والممرضة والمهندسة، والمرأة المحافضة والمرأة المعاصرة. المرأة التي تربي الأولاد والبيت، وتشغل في الوظائف للحياة الكريمة، كما تقرر الأبحاث الميدانية في المناهج.^(٣)

كما نجد صور المرأة الفعالة بأدوار مختلفة طوال تاريخ العالم الإسلامي والعربي. يقول الملك سلمان بن عبد العزيز عن دور المرأة الفعالة لبناء المجتمع: "المرأة مصدر

(١) (الكامل) ديوان حافظ إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م، ص: ٢٨٢.

(٢) تقرير المرأة السعودية لعام ٢٠٢٢، الهيئة العامة للإحصاء، المملكة العربية السعودية، ص: ١١.

(٣) ينظر: صورة المرأة في كتب اللغة العربية والمواد الاجتماعية في مرحلتي التعليم الابتدائي والمتوسط في المملكة العربية السعودية، حسن علي الناجي وطلال سليمان الرفاعي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٧، العدد ١ و ٢، ٢٠١١، ص: ٤٢٥ وما يليه. وصورة المرأة في كتب اللغة العربية للمرحلة الثانوية في الأردن، محمد فياض وسامي هزاعمة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد ٣٢ العدد ١، ٢٠١٨. ص: ٤٢ وما يليه.

مهم لتطور أي مجتمع، ومن غير نساء ممكّنات يصعب إصلاح المجتمعات، وقد أثبتت المرأة عبر التاريخ دورها البارز والفعال في قيادة التغيير وصنع القرار.^(١) فبعض المصطلحات والشعارات المتعلقة بالمرأة شاعت كثيرا في عصرنا مثل تمكين المرأة، وحرية المرأة، ومساواة المرأة، وتعليم المرأة، والعنف. وهي الموضوعات الساخنة التي تكون ضمن خطط إصلاحية في المجتمعات وبالتحديد المجتمع السعودي والسوري والأردني والسوري. وهذا الاهتمام بصورة المرأة وقضاياها يتجلى في الأدبين السعودي والسوري.

تختلف الأوضاع الاجتماعية والسياسية بشكل عام بين البلدين: بين الأمن والحرب، والسّلم والعراك، والرغد والبؤس وغيرها. ومن ثم تكون صورة المرأة مستخلصة من المجتمع نفسه في الأوضاع نفسها، ففي جانب نجد تأثير هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢) على المرأة في السعودية، فنجد تأثير داعش على المرأة في سوريا على سبيل المثال.

فالأدب الذي يهتم بقضايا المرأة وصورها المختلفة، والقيم والمعتقدات المتعلقة بها، ومقارنتها بأحوال الرجل، يسمى الأدب النسوي، والنقد الخاص المتعلق بمسائل جنوستها ودور المرأة في الرواية والمعتقدات حولها مباشرة يسمى النقد النسوي.^(٣)

(١) تقرير المرأة السعودية لعام ٢٠٢٢، ص: ٣.

(٢) هيئة رسمية سعودية أسست عام ١٩٤٠م، هي مسؤولة عن تطبيق نظام الحسبة المستوحاة من الشريعة الإسلامية. يحرس أعضاء الهيئة بشكل الدوريات في الشوارع والأسواق والأماكن العامة للتأكد من تطبيق القواعد الإسلامية. ينظر:

<https://www.pv.gov.sa/>

(٣) ينظر: الرواية النسوية العربية في ضوء النقد النسوي، إيمان حميد هدرس، مجلة الباحث، المجلد ٤١، العدد ١،

٢٠٢١م، ص: ٦. والروايات النسوية في السعودية: ورقة تتناول تجارب منذ الستينات، ميرزا خويلد، الشرق

الأوسط، ٢٠١٤/٤/٤م.

<https://aawsat.com/home/article/70631>

فظهرت الروايات في السعودية التي تناولت موضوع المرأة وصورتها وقضاياها منذ ستينيات القرن الماضي على يد "سميرة خاشقجي" برواية ذكريات دامعة (١٩٦١م)، وزاد عدد الروايات في الثمانينيات مثل: رواية غدا أنسى (١٩٨٠م) لـ "أمل شطا" ورواية ٤ صفر (١٩٨٧) لـ "رجاء عالم" ورواية درة من الأحساء (١٩٨٧) لـ "بهيّة بوسبيت" وغيرها، ونجد في التسعينات رواية الفردوس الباب (١٩٩٨) لـ "ليلي الجهني"، ثم ظهرت في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين روايات النساء مثل وجهة البوصلة (٢٠٠٢) لـ "نورة الغامدي"، وبنات الرياض (٢٠٠٥) لـ "رجاء الصانع، وهند والعسكر (٢٠٠٦م) لـ بدرية البشر، تتناول هذه الروايات قضايا المرأة في السياق الاجتماعي والثقافي.^(١)

أما الرواية النسائية في سوريا فظهرت في ١٩٥٠م على يد الكاتبة "وداد سكاكيني" بعنوان: أروى بنت الخطوب، ثم تلتها رواية يوميات هالة لـ "سلمى الحفار الكزبري". بلغت عدد روايات نسائية إلى خمس في الخمسينيات، ثم بدأ هذا العدد ينمو إلى أن وصل عدد الرواية النسائية في العقد الأخير من القرن الماضي إلى ٤٠ رواية. وهكذا في القرن الحادي والعشرين ظهرت أسماء كثيرة من الروائيات اللاتي كتبن الروايات النسائية، مثل شهلا العجيلي، ونجاة حسين عبد الصمد، ومها حسن، ولينا هويان حسن، وروزا ياسين حسن، وديمة ونوس وغيرهن.^(٢)

وتعتبر فترة الخمسينيات والستينيات فترة الجيل الأول الذي قام بتأسيس الرواية النسائية وتأصيلها، أما العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي فهي تعتبر الجيل الثاني ظهر بعد تعميم التعليم على البنات من كل الطبقات، أما الجيل الثالث فهو مجموعة من الكاتبات اللاتي أبدعن الرواية النسائية في القرن الحادي والعشرين. كل هذه

(١) ينظر: الروايات النسوية في السعودية.

(٢) ينظر: الرواية النسوية السورية في سبعة عقود: جدلية الخاص والعام، إيمان القاضي، مجلة الكلمة، العدد ١٥٦

أبريل ٢٠٢٠

المجموعات تتسم بواقع المرأة السورية الخاص، وواقع المجتمع السوري، وما يلاحقها من المتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع مرور الوقت.^(١)

فالتحولات حول بصرية البشر والنماذج النسائية في السعودية، ونظرة الناس حول المرأة من مكونات صورة المرأة في رواياتها وهذه المكونات الواقعية ترسم أفكار هذه الشخصيات المتنوعة. والتحولات التي أحاطت شهلا العجيلي في سوريا حيث ترعرعت ونحلت من منابعها الثقافية والجغرافية والسياسية والتاريخية ثم هجرتها إلى الأردن هذه تكون شخصية المرأة عندها وتحدد قضاياها.

فالكاتبتان كونهما امرأتين تستطيعان تصوير المرأة في الرواية بشكل أفضل حيث كل كاتب يكتب بعضا من ذاته، رغم ذلك تلك الشخصيات تكون مستقلة ومختلفة عن الكاتبة، كما تقول بصرية البشر عن هذا الصراع بين الإبداع والتجربة: "المبدع لا يكتب إلا من ذاته من بئر عميق من لا وعيه لكنه هو نفسه يفاجأ كلما خرجت الكلمات ويسأل من أين جاء كل هذا."^(٢)

(١) ينظر: الرواية النسوية السورية في سبعة عقود: جدلية الخاص والعام، إيمان القاضي، مجلة الكلمة، العدد ١٥٦ أبريل

٢٠٢٠

<http://www.alkalimah.net/Articles/Read/21147>

(٢) الرواية السعودية: حوارات وأسئلة وإشكالات، طامي بن محمد السميوي، دار الكفاح للنشر والتوزيع، الدمام، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، ص: ٢٣٦-٢٣٧.

ثانياً: التعريف على الروائيتين

١. بدرية البشر

نشأتها:

اسمها بدرية بنت عبد الله مسفر البشر، ولدت عام ١٩٦٥م في مدينة الرياض.^(١) وهي كاتبة وروائية وصحفية، كانت مولعة منذ نعومة أظفارها بالحكايات والقصص.^(٢) حصلت على شهادة بكالوريوس في علم الاجتماع من كلية الآداب، بجامعة الملك سعود عام ١٩٨٩م. ثم نالت على شهادة الماجستير في علم الاجتماع من جامعة الملك سعود عام ١٩٩٤م بإنجاز الرسالة بعنوان: "الملاحم الاجتماعية في نجد قبل النفط كما تعكس الحكايات الاجتماعية". بينما تم مناقشة أطروحتها لنيل شهادة الدكتوراه في نفس التخصص بعنوان: "وقعت العولمة في مجتمعات الخليج العربي: دبي والرياض أنموذجان" عام ٢٠٠٥م من الجامعة اللبنانية.^(٣) زوجها ممثل كوميدي "ناصر القصبي"، ولديها ثلاثة أولاد.

مهنتها :

قضت بدرية البشر وقتاً طويلاً في الصحافة، حيث شغلت وظيفة محررة صحيفة في جريدة الرياض وكتبت عموداً بعنوان: "ربما" من عام ١٩٨٣م إلى ١٩٨٧م.^(٤) ثم كتبت عموداً في مجلة الإمامة بعنوان: "في ظلها"، وفي صحيفة "اليوم" بعنوان: "نصف الضجيج"، ثم أيضاً كتبت في صحيفة "الشرق الأوسط"، وفي صحيفة "الحياة".^(٥) بينما

(١) ينظر: معجم أسبار للنساء السعوديات، الجزء الأول، تحت إشراف: فهد العرابي الحارثي، أسبار للدراسات والبحوث والإعلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٧، ص: ١٠٨. قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، الجزء الأول، دار الملك عبد العزيز، الرياض، الطبعة الأولى ٢٠١٨م، ص: ١١٦.

(٢) الرواية السعودية: حوارات وأسئلة وإشكالات، ص: ٣٣٥.

(٣) ينظر: قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، ص: ١١٦.

(٤) معجم أسبار للنساء السعوديات، ص: ١٠٩.

(٥) ينظر: المرجع نفسه، ص: ١١٦-١١٧.

شغلت وظيفة أخصائية اجتماعية بمستشفى الملك فهد بالرياض من ١٩٨٩م. كما
حاضرت بجامعة الملك سعود من عام ١٩٩٦م إلى عام ١٩٩٩م.^(١)

أعمالها الأدبية

أعمالها الأدبية تشمل روايات وقصص، وهي دائماً تحاول أن تتعلم من تجاربها
السردية، وتعترف بها، فمثلاً تتحدث عن شخصية "عموشة" في أولى رواياتها
"هند والعسكر" وتأثيرها القوي على القراء، وتتمنى لو كتبت صفحات أكثر عن
هذه الشخصية، وتعتبرها من أخطاء العمل الأول حيث تقول: "لو كنت أعرف
أن عموشة لديها كل هؤلاء المعجبين لكتبت لها صفحات أكثر لكن هذه اعتبرها
من أخطاء التجربة الأولى." ^(٢) أما مجموعاتها القصصية فهي كالتالي: ^(٣)

١. نهاية اللعبة (١٩٩٢م)

٢. مساء الأربعاء (١٩٩٤م)

٣. حبة الهال (١٩٩٩م)

تم جمعها ونشرها في أعمال قصصية كاملة عام ٢٠١٧م.

وفهرس أعمالها الروائية كالتالي: ^(٤)

١. هند والعسكر (٢٠٠٦م)

٢. الأرجوحة (٢٠١٠م)

٣. غراميات شارع الأعشى (٢٠١٣م)

٤. زائرات الخميس (٢٠١٧م)

٥. سر الزعفرانة (٢٠٢٣م)

(١) قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، ص: ١١٦.

(٢) الرواية السعودية: حوارات وأسئلة وإشكالات، طامي بن محمد السميري، ص: ٣٣٦.

(٣) ينظر: <https://www.goodreads.com/author/show/1061323>.

(٤) ينظر: المرجع نفسه.

أما أعمالها الغير قصصية تشمل مجموعة مقالات اجتماعية ودراسات اجتماعية وهي كالتالي حسب تواريخ النشر:^(١)

١. معارك "طاش ما طاش": قراءة في ذهنية التحريم في المجتمع السعودي (٢٠٠٧م)

وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي: دبي والرياض أنموذجان (٢٠٠٨م)

٢. تزوّج سعوديّة (٢٠١٠م) وهي مقالات حول المجتمع السعودي.

٣. نجد قبل النفط: دراسة سوسيولوجية تحليلية للحكايات الشعبية (٢٠١٣م)

اتجاهاتها الأدبية

إن كل كاتب وكاتبة يميل إلى بعض الاتجاهات الأدبية ويتأثر بها في كتاباته، قد تتكون من مجموعة من المعتقدات الدينية والثقافية والاجتماعية، وتخصص خاص والميول الشخصية. كما نجد عند بدرية البشر وهي متخصصة في علم الاجتماع وما يتعلق بمجتمعها السعودي والتأثيرات العالمية والعولمة، وأحوال المرأة في المجتمع السعودي من واقع الحال، وهذه الميول تأخذ كتاباتها إلى الواقعية. كما قيل عن موضوعاتها ومنهجها: "تعد بدرية البشر من خلال كتاباتها من الناقدات والكاتبات المهتمات بقضايا الإنماء والتطوير الاجتماعي، فأغلب ما تطرحه وتعالجه من أفكار وقضايا هي قضايا خاصة بخدمة المجتمع، ونقد الظواهر السلبية، سواء أكان الطرح أدبيا إبداعيا، ككتاباتها القصصية والروائية أم كان دراسة نقدية أكاديمية، كدراساتها عن واقع العولمة في مجتمع الرياض."^(٢)

تقول بدرية عن كتابة واقعية في الرواية: إن الكتابة يجب أن تكون عن ما هو عليه الواقع وليس ما نحب أن يكون عليه الواقع وبين هذين الأمرين وإد شاسع

(١) ينظر: <https://www.goodreads.com/author/show/1061323>

(٢) قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، ص: ١١٧.

تعلو فيه الصرخات والأسئلة المرة ليس سهلا على الكاتب المتردد الخائف عبوره أنه واقع أدبي جديد واقع شديد الحساسية والصدق اسمه (لا أكذب لا أجمّل).^(١) ومن ثم يتسم أسلوبها بالخصائص الواقعية، اللغة النقدية الواضحة التي تخاطب العقل، وتعتمد على التركيز والإيجاز.^(٢)

٢. شهلا العجيلي

نشأتها :

اسمها شهلا عبد العظيم العجيلي من مواليد ١ من كانون الثاني (يناير) ١٩٧٦م في مدينة الرقة. هي أديبة وكاتبة وأكاديمية، تنتمي إلى أسرة أدبية وأكاديمية "العجيلي" من سوريا حاليا لكن أصل هذه الأسرة من العراق ثم هاجرت إلى تركيا ثم استقرّوا في مدينة الرقة في منتصف القرن التاسع عشر^(٣)، عمها هو الأديب الموقور الدكتور عبد السلام العجيلي (١٩١٨ - ٢٠٠٦م) وتأثرت من رواياته كثيرا منذ طفولتها وقرأتها عدة مرات في مكتبة والدها، بينما تعلمت الشعر من والدتها، أما والدها عبد العظيم العجيلي فكان مهندسا معماريا للبنى الأثرية، كان يملك مكتبة كبيرة والذي أثرت في شخصية شهلا حيث نخلت من مناهل الأدب والتاريخ والجغرافيا والمعمارية، والعلوم، والسياسة وسير الكبار والمشاهير.^(٤)

تأثيرها بالآداب والروايات جعلها تختار دراسة الأدبيات في الجامعة، فحصلت على بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة حلب عام ١٩٩٨م، ثم نالت على الدبلوم في الدراسات العليا الأدبية في اللغة العربية وآدابها بتخصص الأدب الحديث

(١) الرواية السعودية: حوارات وأسئلة وإشكالات، ص: ٣٣٨.

(٢) ينظر: قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية، ص: ١١٧.

(٣) ينظر: صفحة عائلة العجيلي في الوطن والشتات، النشرة بتاريخ: ٢٠١٧/٠٩/٧م.

<https://www.facebook.com/p/-عائلة-العجيلي-في-الوطن-والشتات/>

[100061482998109/](https://www.facebook.com/p/-عائلة-العجيلي-في-الوطن-والشتات/)

(٤) ينظر: دراسة ملامح الواقعية في رواية "صيف مع العدو" لشهلا العجيلي، مريم أكبري موسى آبادي، مجلة

إضاءات نقدية، المجلد ١١، العدد ٤٢، حزيران (يونيو) ٢٠٢١م، ص: ١٤ و

<https://hawwasyria.org/?p=1342>

من جامعة حلب عام ١٩٩٩م، ثم نالت على شهادة الماجستير برسالة بعنوان: "التجربة والمقولات النظرية في الرواية السورية: النصف الثاني من القرن العشرين نموذجاً"، ثم حازت على درجة الدكتوراه عام ٢٠٠٧م، من جامعة حلب برسالة بعنوان: "الخصوصية الثقافية في النص الروائي العربي".^(١)

بدأت برحلتها المهنية بتدريس الأدب العربي في جامعة حلب إلى أن هاجرت إلى الأردن، وهنا بدأت بتدريس الأدب العربي الحديث في الجامعة الأمريكية في مدينة مادبا القريبة من العاصمة عمان.^(٢)

أعمالها الأدبية

تشمل أعمالها الأدبية روايات ومجموعة قصصية ودراسات نقدية كالتالي:

مجموعات قصصية :

١. المشريّة (٢٠٠٥م)
٢. سرير بنت الملك (٢٠١٦م)

رواياتها:

١. عين الهر (٢٠٠٩م)
٢. سجاد عجمي (٢٠١٣م)
٣. سماء قريبة من بيتنا (٢٠١٥م)
٤. صيف مع العدو (٢٠١٨م)

(١) ينظر:

<https://kataranovels.com/novelist/شها-العجيلي/>

(٢) ينظر:

<https://kataranovels.com/novelist/شها-العجيلي/>

<https://www.arabicfiction.org/ar/Shahla-Ujayli>

(٢) ينظر:

<https://www.goodreads.com/book/show/58663441>

دراسات نقدية^(١) :

١. الرواية السورية: التجربة والمقولات النظرية (٢٠٠٩م)
٢. مرآة الغريبة: مقالات في نقد الثقافة (٢٠٠٩م)
٣. الخصوصية الثقافية في الرواية العربية (٢٠١١م)
٤. الهوية الجمالية للرواية العربية: رؤية ما بعد استعمارية (٢٠٢٠م)

اتجاهاتها الأدبية

روايات شهلا العجيلي تتسم بالواقعية سواء أكان ذلك من خلال أحداثها، أم شخصياتها، ومعاناتها، والعلاقات الإنسانية^(٢) فشخصياتها تكون خيالية لكنها في نهاية المطاف نماذج بشرية حقيقية بنوع ما^(٣)، وشخصيات رواياتها لا تكون مثالية بل تأخذ أشكال مهزومة أحيانا، وأحيانا تكون قوية، ولها منظور خاص في وضع المزايا لشخصيات نسائية ولشخصيات رجالية كما تصرح في ذلك: "أنا أحب الشخصيات المهزومة، التي تبذل جهدها لكن العالم يخذلها. أتعاطف معها وأشعر تجاهها بالتقصير. أحب الهشاشة المضمرة الحقيقية، والأبطال التراجيديين، وأميل إلى النساء المقهورات والقويات بقدرهنّ على الصفع. وأفضل الرجال الذين لم تقف الهزيمة في وجه كرمهم، أولئك القادرون على العطاء، ولا يخشون من البوح الصادق بالحب."^(٤)

(٢) ينظر: دراسة ملامح الواقعية في رواية "صيف مع العدو" لشهلا العجيلي، ص: ٣٠. و
<https://arabicfiction.org/ar/Shahla-Ujayli-Interview>

(٣) ينظر:

<https://arabicfiction.org/ar/Shahla-Ujayli-Interview>

(٤) ينظر: دراسة ملامح الواقعية في رواية "صيف مع العدو" لشهلا العجيلي، ص: ٣٠
<https://arabicfiction.org/ar/Shahla-Ujayli-Interview>

الجوائز

- حازت شهلا العجيلي على الجوائز والتقدير على أعمالها الأدبية كالتالي:
١. حازت على جائزة الدولة التشجيعية في حقل الآداب ومجال الرواية من وزارة الثقافة الأردنية عام ٢٠٠٩م عن روايتها عين الهر.^(١)
 ٢. حصلت على جائزة الملتقى من الجامعة الأمريكية في الكويت عام ٢٠١٧م، عن مجموعة قصصية "سرير بنت الملك".^(٢)
 ٣. تم ترشيح روايتها سماء قريبة من بيتنا في القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية عام ٢٠١٦م.^(٣)
 ٤. تم ترشيح روايتها صيف مع العدو في القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية عام ٢٠١٩م.^(٤)
 ٥. تم ترجمة روايتها سماء قريبة من بيتنا إلى الإنجليزية عام ٢٠١٨م من قبل ريدر الأمريكية من قلم ميشيل هارتمان.^(٥)

(١) ينظر:

<https://culture.gov.jo/AR/ListDetails/92/16> جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية

(٢) ينظر:

<https://www.arabicfiction.org/ar/Shahla-Ujayli>

(٣) ينظر: المرجع نفسه.

(٤) ينظر: المرجع نفسه.

(٥) ينظر:

<https://www.alqabas.com/article/610162> ترجمة-سماء-قريبة-من-بيتنا-بترجمة-إنك

الباب الأول

عرض الروايات المختارة

يشمل:

الفصل الأول: عرض روايات بدرية البشر

الفصل الثاني: عرض روايات شهلا العجيلي

الفصل الأول:

عرض روايات بدرية البشر

المبحث الأول: عرض رواية هند والعسكر

هي أولى روايات الكاتبة بدرية البشر، والتي نشرت لأول مرة سنة ٢٠٠٦، وهند تحكي الرواية بضمير المتكلم. هي شخصية رئيسة في دور أكبر جزء من الرواية حول معاناتها على يد أمها وأخيها ثم على يد زوجها وترمز إليهم بـ "العسكر". وتشير داخل قصتها إلى حياة بعض نساء عانت من ظلم الرجال مثل أمها، وعموشة، ونؤير. فالرواية من بدايتها إلى نهايتها تلقي ضوءاً على تمهيش المرأة وتقليل شأنها من قبل الرجال كما لو أنها ليست جزءاً هاماً من المجتمع الإنساني، بل تقدمها بصورة سلعة بيد رجل.

تبدأ الرواية وهند تقدم مشهداً صباحياً حيث يذهب الأولاد إلى المدرسة، وتمر حافلة مدرسة البنات، ثم تمر حافلة الأطفال. أم هند أيضاً تبحث ابنة هند "مي" على الإسراع للمدرسة. وعندما تخرج هند من غرفتها تجد رائحة القهوة اللذيذة تصل إليها، تعدها الخادمة شبه صديقة أمها "عموشة". قهوة أهل نجد تكون باللون البني. وتخبر عن أهمية القهوة لأهل هذا البيت. وتاريخ نساء بيتها أيضاً تبدأ بحكاية فناجين القهوة. كما تحب هند كتابة القصص والروايات وأيضاً تكتب في الصحف بـ "اسم مستعار".

تقدم قصة زواج جدها بجدها بسبب القهوة، إذ جده عبد المحسن تزوج بسلمى بعد أن طلب يدها في جولة يبحث فيها عن ناقته الشاردة، ولم يكن ينوي طلب يد البنت ولا الزواج بإحداهن، إذ ألقى نظرة صدفة على سلمى التي قدمت له القهوة في بيت أحد جيرانه فأعجب بها وطلب يدها بدون تفكير. رضي أبوها "ابن ضلعان" بتزويجه ابنته بدون أن يفكر لحظة أو يسأل رأي ابنته، عندما يوافق والد سلمى أيضاً في نفس المجلس، يفيق عبد المحسن مما قام به، فله ثلاث زوجات

في أماكن مختلفة، فتمنى أن لا يصل فتمنى أن لا يصل الشيخ للقران كي يهرب من هذا المكان دون الزواج لكن الشيخ قد حضر وتم عقد القران.

صار هذا الزواج منذ أول ليلة زواج الحب وعندما ماتت سلمى في عام وباء الطاعون افتقدها عبد المحسن كثيرا وكتب في فراقها قصائد عشق. وبقي وشمة الحب على قلب عبد المحسن وأنجبت "هيلة" أم ساردة، و"عبد الله" خالها.

"عموشة" تعيش في بيت هند منذ وفاة والد هند وفي البداية لا يفارق النقاب وجهها. ثم بدأت تخفف منه أمام البنات والنساء، وما إن تسمع دقة الباب يعود إلى وجهها، هي تحب المزاح عكس أم هند التي ترى أن المرأة يجب أن لا يعلو صوتها لا بالكلام ولا بالضحك. أم عموشة تسمى "الجددة نوير" السوداء، يعيش هؤلاء في قرية نجدية حيث ولدا عبد المحسن وسلمى لكن تنتمي نوير من مكان بعيد لا تعرفها عموشة بالضبط. اختطفها الرجال من الساحل العماني مع أطفال آخرين، وهي في السابعة من عمرها. وهنا تم بيعها على يد عبد المحسن. زوجها جد هند عبد الحسن بعيد آخر "جوهري" لينجبوا عبيدا وإماء. فأنجبت نوير من جوهري ستة أبناء وبنتا واحدة هي عموشة.

وعندما أعلن الملك فيصل قانون تحرير العبيد، بدأت الكارثة في أسرة نوير فليس لديهم أي مكان يلجؤون إليه، ولذا ينظرون إلى هذا القانون بالتشاؤم. بقوا مع أسرة عبد الرحمن مقابل طعام ومأوى وخدمتهم كالعبيد تماما. بدأ أولاد نوير يدرسون في الأزياء في المدارس، أما عموشة فعملت كالخادمة في البيت. ثم عندما بدأ ولدها عبد الرحمن يعمل في الشركة، طلب من أمها عموشة أن تأتي إلى الرياض لأن الطبيب القروي نصحتها بالفحوص والعلاج من الرياض. أثناء ذلك توفي والد هند فقضت عموشة أياما كثيرة عند أمها، طلبت الأم أن تعيش عموشة معها، ومنذ ذلك الوقت بدأت تعيش عموشة مع أمها. تذهبان معا لصلاة التراويح ومواعيد الأطباء والأعراس.

عموشة تخوف هندا من الرجال. فتطمئننها هند بأنها تعمل في المستشفى مع الرجال ولا ترى مثل هذا التصرف الوقح منهم. فتقول عموشة بأن الرجال

أنواع: بعضهم وقح وبعضهم جيد كريم. تتحدث عموشة كثيرا بينما لا تحب أم هند الأحاديث.

تذكر هند بأن أمها امرأة ملتزمة ومتشددة في إدارة البيت لاسيما في أمور البنت ولو كانت صغيرة، فهي لا تدعها تلهو وتلعب مع الأولاد في المساء، وتهتم بواجباتها المنزلية، وتفهم كلما يحاول الأولاد أن تخفي عنها أمرا أو سرا فتعرف كل شيء عن أسرار أولادها وبناتها. وكانت تخوف بناتها من خلال قصص العبر والمواعظ لأجل التربية كقولها مثلا بأن لبس التنورة حرام والبنت التي لبست التنورة اشتعلت النيران في قبرها. فجعلت الرب أمام هند بأنه غاضب عليها على الدوام. ورعب قصص أمها لا يفارقها طوال طفولتها. وفي المدرسة تحب قصصا أخرى من الأدب الإنجليزي، مثل قصة سندريلا بالنهاية السعيدة.

أمها تضربها وتعاملها بشدة لأنها تلعب مع الأولاد، في جانب آخر لا تنتبه إلى أن الرجال الكبار يتحرشون بابنتها لكنها لا تستطيع الإخبار بسبب الخوف من أمها. رغم كل هذه القسوة من قبل الأم صارت هند بنتا رومانسية تكتب عن أمها أغاني في جمالها وحبها وعندما تُسمعها هذه الأغاني والأناشيد تغضب الأم عليها أكثر بسبب ضغوط أعمال أخرى. ومن كثرة حوادث التحرشات بدأت هند الطفلة ترى عملاقا في الكوايبس الذي لا يغادر الكوايبس مهما قرأت آية الكرسي والمعوذتين.

ثم مضى وقت آخر وكبر جسدها وامتنعت عن اللعب في الحارة. بدأت تلجأ إلى الموسيقى ثم وجدت حلا في الكتابة عما في نفسها دون أن تخاف من أمها لأن والديها لا يجيدان القراءة والكتابة. لكن أمها فقط تستطيع قراءة جمل بسيطة. ولأجل تدارك ما يقرأ أولادها ويكتبون، تسجل الأم في مدرسة محو الأمية في الفترة المسائية وتتعلم القراءة والكتابة بالجدية والسعادة.

تحكي الساردة بأنها تزوجت بمنصور، هو كان وفيها معها في الأشهر الأولى إلى أن عرف عن الحمل وانتهى علاقتهما وفرّ إلى علاقات أخرى مع النساء. وكان يستخف دوما من شأن زوجته كونها امرأة وليس رجلا، ويقول بأنكن النساء

عقولكن صغيرة. وعندما تسأل سؤالاً يقول هذا الأمر لا يخص النساء، وعندما تتحدث عن حلمها يقول طلباتكن سخيصة. وبسببه بدأت هند تنزعج من كونها امرأة.

ثم تحكي هند موقف حملها، عندما عرف زوجها منصور أخذها إلى المستشفى للفحص وسأل الطبيبة عن تحديد الجنس، فقالت بأنه يتم في الشهر الرابع. في الشهر الرابع يعرف منصور أن الجنين أنثى فظل وجهه مسوداً وهو كظيم. شعرت الطبيبة بالتحرج، وغضبت هند من ردة فعل منصور أمام الطبيبة، قالت الطبيبة لها بأن نتيجة الأشعة في هذه المرحلة لا تكون واضحة. فبقي منصور يحلم بالصبي وبأنه سيسميه سعدا على اسم والده.

أنجبت هند بنتا فقال الحمد لله على كل حال وخرج من غرفتها وفي المساء اتصل بها منصور بأنه ذهب إلى البحرين لتغيير الجو مع أصدقائه لنهاية الأسبوع، لكنه عاد بعد أسبوع كامل. تشعر هند بالحزن على هذه الأحوال وعموشة تحكي لها حماية حنان البنت "مي" والشفقة على والدها، هند أيضا تسمي ابنتها مي.

وعندما عرف منصور أن هند تكتب بالصحف باسمها فوجد الأمر كأنها وشمة عار على الأسرة. وافقه أخوها إبراهيم أيضا. فبدأت تكتب باسم مستعار خفية "زرقاء اليمامة". رغم كل هذا راح منصور يشك بها إلى أن ذهبت إلى بيت أمها ولكن قال لها منصور أنه لن يطلقها أبدا.

ثم تحكي هند قصة أمها، حيث كانت تستمع أمها "هيلة" إلى دروس أخويها وهما يدرسان من والدهما. ثم كانت تتباهى أمام الأولاد بأنها تستطيع العد إلى الألف وكان الأولاد يمتحنونها، أثناء ذلك رآها عثمان فانبهر بها وخطبها، وافق والدها على أن يأتي في العام القادم فهي صغيرة السن. وبعد ثلاث سنوات تزوجها وهي لم تبلغ بعد. دخل بها عثمان رغما عنها وهذا ما جعلها تكرهه دوما، فرت من بيتها مرتين وقبل أن تفعل ذلك مرة ثالثة أخذها معه إلى الرياض حيث لا تعرف دروب الهروب.

بدأت هند تعمل بعد الطلاق في مستشفى الوطن كمتخصصة اجتماعية، كي تعيل نفسها وابنتها، ولا تكون بحاجة إلى أموال أمها التي تخنقها دوماً بالمراقبة وتخاف عليها من اختلاطها بالرجال. وتخوفها من أن منصور سيزعجها بسبب هذا العمل، لكن منصور في الحقيقة لا يبالي بها منذ ما تزوج مرة ثانية. تنتقب هند عندما تخرج من البيت لكي لا تجعل أمها لها المشاكل أكثر، وتخلعه عندما تصل إلى المستشفى. يدخل في غرفتها رجل يسأل عن زميلتها شذا فتقول بأنها قد خرجت لتوها، فتستذكر حبيبها الذي قبلها في السيارة ذات ليلة وهو جاء إلى باب بيتها.

والد هند كان عسكرياً وترك الجيش وهو رقيب أول. كان أحب جارتها البعيدة المسماة بـ "هند" لذا سمى ابنتها بهذه التسمية عشقاً بتلك المرأة. عندما ظهر النفط في السعودية فتح والدها مكتب العقارات مثل كثير من الناس وصار عمله ناجحاً، صار لديه بيتاً كبيراً، وخلال سنوات صار من أصحاب الملايين.

كان والدها يحب البنات عكس أمها وعندما يتشاجر الأب والأم، تساند البنات الثلاث هند وعواطف ومشاعل الأب فهن يذهبن معه للتسوق، لكن ما إن يجلسن بالسيارة إلا تصل الأم بالعباءة والنقاب وتذهب مع هؤلاء. ثم تقول لإحدى بناتها بأن تطلب من الوالد مالا لها أيضاً.

ذات يوم عرفت أم هند عن طريق صديقتها أن هند لديها حبيب. وتنوي أن تتأكد من الأمر بنفسها، وذات يوم تخرج من دار الملاهي مبكرة والبنات لم تزل هناك، وفي وقت المساء تخرج هند مع صديقتها موزي إلى المطعم أمام دار الملاهي وهنا ينتظر حبيبها وحبيب موزي. عندما يمر وقت كثير تهرب هند إلى بوابة دار الملاهي وهنا تجد أمها تفور غضباً. تضربها أمام الناس ثم تقفلها في مجلس النساء لثلاثة أيام. في هذه الأيام تتمتع هند بالكتابة كثيراً.

تفهم هند الفروق بينها وبين صديقتها موزي، أما هند فهي تخاف من كل شيء وأمها أيضاً تدرك كلما تحاول أن تتحدث إلى رجل. أما موزي فهي ذات جرأة كثيرة لا تخاف من أحد. وذات مرة قالت لها موزي بأن حبيبها نام حتى

الصباح في غرفتها فأغلقت باب غرفتها وجاءت إلى المدرسة. ثم ذات مرة في العطلة الصيفية لا يتمكن الحبيب من التسلل إلى غرفتها فهو يلبس العباءة ويأتي من باب رئيس. تذهب موزي للقهوة إلى المطبخ، وعندما تعود إلى غرفتها، تجد الباب مفتوحا، تطلب منها أمها عبر هاتف غرفتها أن ترسل هذا الولد من غرفتها حالا. ثم تستلقي أمها في سريرها ولا تتحدث مع موزي أبدا، هي تبكي وتطلب عفو أمها لكنها تعاقبها بصمتها، فهي تعرف لو عرف إخوته عن القضية سيقتلونهم وأيضا يقتلون ذلك الشاب.

في جانب آخر تلتقي هند بأخ زميلتها، وترى أنه يبدي إعجابه بما تقرأ من الروايات ويعرف الروائيين العالميين. ثم في اليوم التالي تلتقي بشذا ووليد في بيتهم ويناقشان موضوعات مختلفة ثم يذهبون إلى المطعم بسبعة نجوم والذي لا ينطبق عليه قوانين هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتجلس هند هنا مرتاحة. وهنا وليد أيضا يعبر عن إعجابه بهند.

ثم تحكي هند عن إخوتها. البكر هو فهد. أمها كانت تحلم أنها ستحكم على البيت من خلال فهد لكنه لم يرغب في تحقيق هذه الأحلام، وغادر إلى كندا لأجل الدراسة ثم استقر هناك. ثم تحكي بأن الموظفة جهير المطلقة هربت إلى أمريكا لتتزوج بطبيب باكستاني كان يعمل في المستشفى، وأسرته تتهم زملاءها من المستشفى بمساعدتها في الهروب.

ثم يحدث الحادث مع العواطف ومي عندما تلتقي العواطف بصديقها ماجد في المكتبة العامة وهو يعطيها شريطا به أغان، وفجأة يضبطهم موظفوا هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويبقى في السجن في الليل. في اليوم التالي يغضب إبراهيم على عواطف كثيرا، بينما يذهب ماجد إلى عامل مصري بالمكتبة الذي وشى بهما عند الهيئة، وبسوء الحظ لماجد وعواطف كانت سيارة الهيئة في المنطقة المجاورة فوصلوا مبكرا وضبطوهم.

إن أخاها إبراهيم فكان رقيقا وعاطفيا، ولم يكن يهتم له أحد في البيت كونه متوسطا في رقبته بين الإخوة والأخوات، وكان يقوم بأعمال والده الإضافية حتى

في أيام الامتحانات وكان يحزن ويبكي، بينما يتمتع فهد بالراحة أو لعبة كرة القدم بعد انتهاء الواجب المنزلي. أما إبراهيم فيذهب مع والده إلى كل مكان حتى لصلاة الفجر أيضا. أحب الإمام المسجد هذا الولد المثابر على المحسنات وهو لا زال يدرس في المتوسطة. فأعطاه الإمام كتابا كي يقرأ منه قليلا كل يوم.

ألقى إبراهيم درسا في المسجد وفرح الناس كثيرا وفرح والده أيضا، في ذلك اليوم شعر إبراهيم بأهميته والناس يحبونه. بدأ يتحمس للدروس يؤدّن كل يوم للعصر. كان يحب جارتهم "جوزاء" كثيرا. كانت تكبره خمس سنوات. ذات مرة كان أمام بيتها فأعطته ريالاً ليشتري لها مشروباً. منذ ذلك اليوم وقع في غرامها. تكرر وجودها عند الباب كلما مرّ من أمام بيتها فيراها من وراء بابها. وذات مساء جرت جوزاء يده داخل بيتها وأخذته إلى سطح البيت وقبلته. عندما عاد هرب إلى الحمام ولم يخرج إلا عند الفجر.

ازداد مكوثه خارج البيت طويلاً لأجل المعسكرات أو الدروس، وذات مرة في الصيف ذهب للعمرة لعشرة أيام، بدأ يحضر الأشرطة الدينية لأُمها. أمها أيضا شاركت معه في إعادة تأهيل أسرتها للصراف المستقيم. ثم عرف ذات يوم أن جوزاء تم زواجها. حزن كثيراً، كان يظن أنها هي الأولى التي أحبتة، لا أمه ولا أخواته. كان يعطي أمه أشرطة كثيرة وأيضاً كتيبات كثيرة تحرض على الجهاد ونصرة المسلمين في أفغانستان ضد الروس.

اختفى إبراهيم في أيام امتحانات السنة الجامعية الأولى، أخبرهم منصور بأنه ذهب إلى أفغانستان عن طريق باكستان. عاد بعد ستة أشهر وصار أكثر غموضاً وتهجماً. كانت البنات يخفين المسجلات بدخوله إلى البيت ويختفين في غرفهن. لم يعد يجلس مع أمه أو مع عموشة. كان يجري مكالمات غامضة ويضع كراتين وعلب كبيرة في مخزن الطعام.

في جانب آخر ذهبت هند مع شذا ووليد إلى البر وقضت وقتاً جميلاً مع وليد. عندما عادوا سافر وليد إلى كندا. مشاعل أخت هند الصغرى جاءت للزيارة وأخبرتها عن الخطيب لها لكنها لم تخبر أهل الخطيب بأنها تعمل في

المستشفى لأن مشاعل ترى بأنها ستنجب الأولاد وتعتني بهم في البيت. بعد أيام عرفوا أن مبنى الأمن العام تفجر بما فيه منصور، أصيب بالحادث. طلب منصور من أمها أن تسافر مع مي إلى قريته إلى أن تتحسن الأوضاع الأمنية. عموشة أيضا ذهبت إلى قريتها. أما هند فتحدثت إلى فهد بأنها تريد أن تقضي وقتا مع وليد في كندا للتعرف إليه أكثر. فساعدتها فهد لأول مرة وتحمل مسؤولية أخته. وبعد الإجراءات كانت هند على المطار، وهنا في الصحيفة عرفت أن إبراهيم كان من الإرهابيين الذين فجّروا المبنى. وقد قتل في ذلك الحادث. وركبت هند الطائرة إلى كندا لبدء جديد في حياتها.

المبحث الثاني: عرض رواية "الأرجوحة"

رواية الأرجوحة لبدرية البشر رواية متوسطة الحجم متكونة من مائة وتسع وخمسين صفحة. تتناول الرواية قضايا الحب والزواج والطلاق وحرية المرأة وقيود المجتمع للمرأة في السعودية على وجه الخصوص. وهذا ما يستنتج الباحث من خلال تعليقات الروائية حول كلمة الأرجوحة على لسان الساردة والشخصيات المختلفة. كما تحكي الساردة عن شخصية سلوى بأنها "ورثت طرفة والدتها ونظرة والدها المتكبرة إلى الحياة، وقدر الهبوط من الأرجوحة التي سُرقت منها وهي تحلم." (١)

هذه حكاية ثلاث صديقات الجامعة يجتمعن بالقدر بعد عشر سنوات من التخرج. مريم وسلوى وعنّاب. تبدأ الرواية بقصة مريم أولاً، بأنها تسافر من الرياض إلى مدينة جنيف في سويسرا لأن زوجها "مشاري" ذهب إلى جنيف قبل سفرها بشهر مع بعض الشعراء وقال لها بأنه سيطلبها بعد شهر إلى جنيف لقضاء أسبوع كامل بعدما يسافر الشعراء إلى باريس. لكنها تجد جوال زوجها مغلقاً ولا تتمكن من الوصول إلى أرقام أصدقائه. ولذا تترك ولديها عند أمها وتخبرها بأن زوجها طلبها وهي ستعود على الأكثر في عشرة أيام.

مريم تنتمي إلى أسرة كريمة "آل الحمائل". وهي مدرسة مبعوثة من قبل الحكومة، أمها متدينة جداً وتدعو بناتها وأولادها وأحفادها إلى الصلاة والصوم وتلاوة القرآن، وتعزل عن الناس لأنها لا تريد أن تورط نفسها في النسيئة والغيبة ولذا تخاف على ابنتها من هذا السفر والمخالطة مع الرجال.

مريم تزوجت بمشاري، كان صديقاً لخطيب سوسن، صديقتها في الجامعة، كانت تلتقي بمشاري في شقة سوسن. سوسن تسكن في الشقة مع بعض البنات الأخريات من الجامعة. تبقى صداقة بين مشاري ومريم لسنوات وفي هذه الفترة كل منهما يلتقي ببعض يفرح مشاري بسهرات وفي أوقات الفراغ مع أصدقائه

(١) الأرجوحة. ص: ٧٠.

مريم وسوسن وثامر في حديث الشعر والأدب وغيرها. وفي أوقاته مع مريم يقرأ عليها الشعر والحكايات ويمرحان. ولكن لا يقترب مشاري من فكرة الزواج وكلما تتحدث مريم عن الزواج يمازح مشاري بأنه لا يعرف هذه الكلمة، تقول له مريم بأنهم في مجتمع محافظ وأن هذه اللقاءات قد تجعل لهما وسوسن مشاكل.

تريد أم مشاري أن يتزوج ابنها كي لا يتسكع هنا وهناك هكذا تريد أم مريم أن تتزوج كي ترتاح من مسؤولية الحفاظ عليها وتترك هذه المسؤولية على عاتق زوجها. ويتزوجان بسرور، تظن مريم بأنها الآن لا تقع تحت مراقبة أسرتها ولا تقع تحت مراقبة المجتمع لأنها الآن دخلت في سن الرشد مع مشاري.

وفي الأسبوع الأول بعد زواج مشاري بمريم يحدث "حادث بيتزا" كما كانوا يذكرونه بهذه التسمية، إذا دعتهما سوسن ذات مساء ليأكلوا البيتزا معا، ولما يصلون إلى المطعم يجلسون في حجرة محجبة في القاعة ويطلبون الطعام. أثناء ذلك فُتح الستار ووجدوا أمامهم الرجال من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضبطوهم ظانين عشاقا، يأخذونهم إلى المخفر. يجري الترتيبات الطويلة والتحقيق المضني فردا فردا مع كل واحد، وتعرف الشركة من خلال ذلك عن أسرة مريم. ويتزكونهم بعد ما يؤكدون للشرطة أنهم لن يكرروا هذه الجلسة مرة أخرى.

عندما يعود مشاري ومريم إلى البيت، تغضب مريم كثيرا على هذا التصرف ويشعر مشاري بالخذلان وبأنه لا يملك أي شيء في هذا العالم الكبير، بجانب آخر كانت مريم تظن بأنها نالت من الحرية فتتساءل من الحرية التي تحطمت قبل أن تتذوقها، وفيرد مشاري بأن فلسطين لم تصل إلى حريتها وأنت تتحدثين عن كرامتنا، وينهي الحوار بمرارتها التي لم ينته مذاقها أبدا.

يصل هذا الخبر إلى أسرة مريم، وفي اليوم التالي أمها تطلبها إلى بيتها وتغضب عليها كثيرا كما يغضب عليها أبوها كثيرا. تعيرها أمها بأنها كيف نسيت أنها بنت آل الحمائل. وتطلب منها أن تترك علاقتها مع صديقتها التي أدت إلى هذا الحزني وأن تترك هذه الحفلات.

بعد الزواج تتغير الأوضاع كثيرا ولا تبقى الصميمة بينهما كثيرا كالسابق لأنّ مريم وجدت عمل التدريس في كلية تبعد عن بيتها بمائتي كيلومتر وكانت تخرج من البيت بعد الفجر ولذا كانت تنام مبكرة بينما كان مشاري يسهر ويدخن ويقرض شعرا وينام عندما تستيقظ مريم وتقول له صباح الخير ويقول لها تصبحين على خير. ثم يستيقظ عند العاشرة ويذهب إلى شركته آرامكو المشهورة حيث يعمل مهندسا جيولوجيا للبحث عن النفط تحت الأرض. هذه الحياة اليومية تجرّ علاقتهما إلى الأسوأ، ثم يسقط جنيها وهذا الأمر أيضا يجعلهم بعيدين. وعندما يلتقيان في نهاية الأسبوع بسوسن وثمر ويتناقش مع ثامر قضايا كثيرة يشعر به مشاري بالروح في نفسه. والكارثة الأخرى حصلت لهما عندما سافر ثامر وسوسن إلى أمريكا للدراسات العليا. فلم يبق لهم هذا الترويح الوحيد الذي كان يخرجهم من رتابة حياتهم اليومية.

تدحرجت علاقتهما رغم أنّها كانت في الظاهر قائمة كما كانت لكن مريم عرفت أن زواجها على وشك النهاية. بدأ مشاري يكتب القصائد للشعراء الآخرين وهم كانوا يكسبون الشهرة من تلك القصائد. مضى زمان وتجاوز مشاري ومريم منتصف الثلاثينيات من عمرها، وصار لديهم ولدان. وينوي مشاري السفر إلى جنيف مع مجموعة من الشعراء وكان يكتب لواحد منهم بالكثرة ومن هناك غاب وليس له أية أخبار ولا عن أصدقائه، رغم أنه أخبرها بأنه سيطلبها أيضا بعد شهر والآن تنزل مريم إلى جنيف، تتفاجأ على المطار عندما ترحب بها صديقتها من الجامعة سلوى وعناب. مريم عرفت سلوى دون أي استذكار ولكن استغرق ثوان في الإمعان في وجه عناب فتذكرت أنّها أيضا كانت من زميلاتهما زمن الجامعة.

أما قصة سلوى فهي مختلفة عن قصة مريم، فسلوى هي من أسرة كبيرة جدا وثرية جدا ووالدها علي بن عبهر، له أربع زوجات إحداهن نورة بنت فهد أم سلوى. ولديهم بيت كبير مثل القصر وفيه نساء كثيرات وبنات كثيرات وأولاد كثيرون، وهم إخوتها وأخواتها من ضرائر أمها. هي تحب هذا البيت وتشعر بها

أمانا كثيرا وعندما تدخل في المدرسة في السادس من عمرها تتحير من أن الناس يملكون ألقابا أسرية غير "عبر"، لما سمعت هذا اللقب بالكثرة في بيتها الذي كان بمثابة العالم كله بالنسبة لها.

ومن ثم وجدت نفسها في مكان غريب كأنها اختطففت بين الغرباء. تكبر سلوى وسط ضجيج البنات وخرافاتهن مثل الحديث إلى البنين عبر الهاتف المنزلي، وغيرها من القيل والقال والغيبة والنميمة بين بنات الضرائر. ونتيجةً لهذه الاتصالات تزوج أختها بأولاد الجيران، كما تزوجت واحدة بحبيب واحدة أخرى.

هكذا وجدت سلوى رقم يوسف وهو جارهم في الحي، يتحدثان عبر الهاتف عندما يأتي دورها بعد طابور أخواتها في منتصف الليل، وأحيانا يكتبان الرسائل لبعضهما البعض عن طريق إحدى خادמות سلوى. يكبر الحب بينهما زمنا، ثم يسافر يوسف إلى أمريكا للدراسات العليا.

يتواصلان عبر الهاتف كل يوم سبت لما فيه عطلة لدى يوسف، ومع مرور الزمان يفوت المواعيد من يوسف ولا يتواصلان إلا مرة أو مرتين في شهر بسبب الفاصل الزمني بين الليل والنهار والفاصل المكاني. ثم يتصل ذات يوم ويخبرها بأنه قادم إلى الرياض بعد أسبوع لكن يمضي الأسابيع ولا يعود يوسف. تتصل به سلوى كثيرا لكنه لا يرد.

وذات يوم طلبها والدها علي بن عبر في غرفته - وكلما كان يطلب إحدى بناته إلى غرفته كان يريد إخبارها واستشارتها لأجل الخطبة والزواج. قال لها بأن جارهم "عيسى" طلب يدها لابنها، أي والد يوسف. وعندما سمعت أن الخطيب ليس إلا حبيبها وهما يجبان بعضهما البعض فلم تظهر بمجتها أمام الوالد، لكن أمها كانت تعرف عن هذه القضية ففرحت كثيرا بهذا الخبر ووزعت هدايا ثمينة بين الناس كي يضطر الحاسدين أيضا على أن يبارك لها ولزوجها ولا بنتها، وتتجنب من شر حسدهم.

في جانب آخر، عندما تعرف سلوى هذا الخبر عن طريق أبيها، تنتظر لاتصال يوسف في تلك الليلة لكنه لا يتصل بها يوسف، فتعلل سلوى مرة أخرى بالخير وبأنه قد يكون مشغولا باستعداد زواجهما.

عندما يحين يوم عقد القران ويصل الضيوف، يسمعون تردد اسم "عبد الرحمن بن عيسى" في كل مكان، لا تفهم سلوى ما يجري لكن أمها تنتبه قليلا ويرن في قلبها أجراس الخطر. أثناء ذلك يمر علي بن عبهر من أمام ديوان النساء فتسأله زوجته عن العريس إن كان "يوسف بن عمر" أم "عبد الرحمن بن عمر" فيغضب من تفاهة هذا السؤال ويقول طبعا العريس هو عبد الرحمن، من أين تأتين بيوسف وهو في أمريكا!

تدور الأرض والسماء لأم سلوى باستماع هذا الخبر لكنها تتماسك ولا تظهر عما يجري لها ولا بنتها كي لا تصبح الفضيحة أكثر بين ضرائرها. وعندما تسمع سلوى عن هذه الكارثة التي تقلب حياتها رأسا على عقب، تنهار تماما. يعرف عبد الرحمن بأن سلوى لا تحبه بل تحب أخاه. ويغضب عليها في كل كبير وصغير ويضربها في كل صغير وكبير إلى أن تصل إلى المستشفى. تتجنب أن تسافر معه إلى الخارج لأنها تجد البقاء في المستشفى وتحمل الألم أمرين في غاية الصعوبة في بلد أجنبيّ مقارنا بتحمل الضرب والكسر والألم بين أهلها. وكان يهديها هدايا باهظة الثمن إثر كل هذه الحوادث شفاعا له.

أمها تقول لها كثيرا لماذا لا تأخذين الطلاق منه فهذا الأمر سيحصل آجلا أم عاجلا فلماذا لا تنجو من هذا العذاب. سلوى تروي قصص الضرب والألم أمام صديقاتها في الجامعة. عندما تلتقي الصديقات الثلاث في جنيف تستذكر مريم إحدى قصص سلوى عندما جاءت إلى الجامعة بعدما شفيت في المستشفى من كسر ضلوعها، ويدها ملفوفة بالضماد وهي غطت كدمات وجهها بمكياج كثيف لكنها حكّت الحكاية وراء هذه التكسرات بشكل أنها أصابت صديقاتها بالضحك وخرجت دموعهن كأنها تحكي لهن نُكثًا وطرائف.

وهذا كان حادث "يا سلام"، إذ طلب منها عبد الرحمن ذات يوم أن تضع يدها على خصرها فقالت يا سلام فتغيّر لونه وتغيّر نبرة صوته كما كان يحدث دوما عندما يريد ضربها، وقال لها لماذا تقولين يا سلام وقد منعك مائة مرة عن قول يا سلام، وبدأ يضربها. فردت ما المانع في قول يا سلام عندما سمع والد عبد الرحمن فجاء إليهما وعبر عن غضبه وسأل عن سبب هذه الضجة التي تصل إلى الشارع، فقالت له سلوى، يا عمي هو لا يسمح لي أن أقول يا سلام، ما العيب في أن أقول يا سلام؟ فيوافق والده ويقول نعم لا العيب في أن تقول يا سلام دعها تقل يا سلام. وينتهي بهما هذا الحوار على حصولها على الطلاق مروراً بالمستشفى والمحكمة.

ثم يأتي رجل آخر ثري اسمه "سلطان العاجي" يتجول حول جامعة البنات ويمشي في سيارته وراء سيارات البنات. يقترب كل من سلوى وسلطان العاجي، وبعد أيام يأتي سلطان العاجي إلى والد سلوى بالمهر الكثير والذي تراها سلوى إهانة لها لا تكريماً لها، كما كان يهديها عبد الرحمن هدايا باهظة. يخبرهم سلطان بأن والده المتوفى كان من معارف والدها وكان يكرمه والدها كثيراً ولذا طلب يدها هو تكريم لوالدها. ويتم عقد قرانهما بالمسيار وليس علناً، يعد سلطان والدها وإخوتها بأنه سيعلن عن الزواج قريباً. يعلل سلطان في ذلك بأنه يخاف من أمه، وأمّه تخاف من زوجته الأولى لأنها ابنة أخيها.

يسافر سلطان كثيراً إلى الخارج لأجل الأعمال والسياحة أيضاً وأثناء ذلك لا يتركها وحيدة في بيتهما بل يرسلها عند أهلها. وعندما يعود يذهب إلى بيت أمه ثم يأتي إلى بيته الخاص لسلوى ويطلب منها أن تأتي إليه أحياناً قبيل الفجر. وذات يوم عندما يدعوها سلطان عند الفجر يعرف أخوها عن هذه القضية فيغضب. وفي المرة المقبلة عندما يعود سلطان يرسل لها ورقة الطلاق تحت ضغط أمه لأنها عرفت عن الموضوع عن طريق أخي سلوى وانتشر الخبر كالنار في الهشيم.

أثر الطلاق المفاجئ على سلوى كثيراً ومرضت مرضاً شديداً، كان إمام المسجد يتلو عليها القرآن كل يوم وأمها تعطيها الماء الذي قرأ عليه إمام الكعبة

آيات من القرآن الكريم. وبصعوبة تحسنت سلوى، كأن سلطان على علم بكل هذه الأحوال بواسطة أخ سلوى. بعد فترة يذهب سلطان إلى جنيف وأيضاً تذهب سلوى وراءه إلى جنيف ويلتقيان هناك. بعيداً عن أسرتهما، فأسرته في باريس للعطلة الصيفية. وهنا تجد مريم صديقتها سلوى على مطار جنيف.

أما حكاية عناب فهي تختلف تماماً عن حكاية مريم وسلوى. فتنتمي عناب إلى أسرة العبيد والخدم السود منذ أجدادها. أمها "زيتونة" تخدم في بيت "العمة شريفة" وعناب وأسرتها كلها تعيش في قصر العمة شريفة. منذ طفولتها عرفت عناب أنها مختلفة عن البنات الأخريات، فهي سمراء إلى حد السواد فلا تهتم أمها بخروجها في الشمس كما تهتم أمهات البنات الأخريات البيضاء، حيث تجلسهن أمهاتهن في البيت أمام التلفاز أو الألعاب ولا تسمح لهن بالخروج في الشمس اللهيبة ولا أن يذهبن إلى الأماكن البعيدة كما تحبرهن أن لا يلعبن في الفناء أو زوايا البيت الكبير حيث كثير من الخدم.

وهكذا تجد عناب نفسها تختلف عن الأخريات فأمرها لا تبالي بلونها لأنها سمراء في الأصل ولا تؤثر فيها الشمس أكثر. هي تحب أن تذهب إلى المدرسة غير أن أمها ترى أن تترك الدراسة التي لا تجد بها نفعاً. وتشجعها أن تتعلم حرقاً مختلفة. تتابع عناب دراستها لأن العمة شريفة تشجعها على ذلك.

وذات ظهيرة شديدة الحرّ وهي ابنة العاشرة من عمرها تلعب بالأشياء القديمة التي أعطت العمة شريفة الزيتونة ومنها طلاء الأظافر باللون الأحمر، أخذت كيس هذه الأشياء إلى الفناء البعيد عن أمها وعن الناس وجلست عند جدار الديوان الخارجي للرجال وبدأت تلون أظافر قدميها وفجأة فُتح باب الديوان وجرت يد إلى الداخل، سقط اللون الأحمر على قدميها وعلى ملابس هذا الرجل.

وجدت عناب ظلاماً شديداً في الديوان لأن الستائر كانت منسدلة على النوافذ بإحكام وفوق ذلك دخلت عناب من ضوء شديد إلى الغرفة وهي في حالة الخوف والحيرة. حاولت كثيراً أن تستنجد وأن تصرخ لكنها وجدت نفسها في غاية الضعف، وهذا الرجل اعتدى عليها دون شفقة. خرجت عناب من الديوان

باكية ووجدت بين رجلها دما. ذهبت إلى الحمام ودون أن تغلق الباب بدأت تغسل لأنها بدأت تخاف من الأماكن المغلقة. وهكذا عرفت عنب أنها ليست لها أي أهمية ولا قيمة بسبب لونها.

عندما عرفت الزيتونة عن حالة ابنتها حزنت كثيرا لأنها لم تستطع أن تحافظ على ابنتها. بعد أيام ذهبت الزيتونة إلى الفناء الخارجي للخدام والسائقين ووجدت السائقين وقالت للسائق اسمه "عبد" أن يتزوج بابنته يقول السائق بأنه فقير ليس لديه مهر لها، فتقول بأنهم كلهم فقراء فلا بأس بفقره، وهي ستعطيه ابنتها هدية. يفرح عبد كثيرا ويتزوج بها. يحبها كثيرا لأجل لذته رغم أنه يدرك حملها وقصة وراء ذلك، لكنه يعرف أن أحدا لن يزوج ابنته به بهذا الجمال، فيغمض عينيه عن حمل عنب. تستكرهه عنب بسبب تبغه وخمره ولا تميل إليه، وهو يعاني من الضعف الجنسي .

لا يمضي وقت طويل إلا ويسقط حملها، وهكذا يخرج كل منهم من هذا المأزق وتنسى عنب حادث الديوان دون أن يعرف عنه أحد. بعد فترة وجيزة يسافر عبده بعدما يئس من ضعفه ولا يعود أبدا، إلى ذلك تنتهي عنب بالمدرسة وتبدأ بالعمل مع فرقة إعدادات الأعراس مع أم سليم. في هذا العمل تعزف الفرقة في الأعراس وتغني وتقدم إعدادات الولائم والمأكولات والمشروبات.

تجد عنب بنتا في هذه الفرقة التي تقترب من عنب جنسيا وتدرك عنب لأول مرة جمالها الأسمر. ثم تجد بعض الشباب في حفلات خاصة وهم أغنياء جدا لكن كلهم لا يريدون منها الزواج فترفض أرقام هواتفهم، ومنهم سلطان العاجي الذي رمى إليها رقم هاتفه. وبسبب هؤلاء الرجال تترك عنب العمل في فرقة أم سليم، وأيضا تخاف أن تراها إحدى زميلات الجامعة وهي تخدمهن وتعزف وترقص. لكن تنتهي طريقها على هذه العادات السيئة لأن لونها وطبقها الاجتماعية أعطاهما إحساسا بعدم قيمتها. وهي آمنت بهذه الفكرة ولجأت إلى الملذات والمال وهكذا وصلت إلى جنيف لتكسب الأموال والملذات.

والآن تجتمع هذه الصديقات الثلاث في جنيف: أما مريم فجاءت بهدف واحد وهو البحث عن زوجها مشاري. وهي لا تزال تحافظ المزاج رغم أنها تؤمن بحرية المرأة وحقوقها لكنها تتجنب الخمر والعلاقات مع الرجال. أما سلوى فهي أيضا تتجه إلى السوء عنادا عن زوجها السابق. تحاول مريم أن تميلها إلى الرشيد والصواب والتجنب عن تصرف سيء، لكنها لا تصغي إليها أبدا.

بعدما تتأكد من عدم وجود مشاري في سويسرا تعود مريم إلى الرياض. تلح عليها سلوى وعناب بأن تبقى معهما بضعة أيام أخرى في جنيف وتستمتع بهذه الملاهي والمناظر لكنها لا تقبل فكرتهما أبدا وتقول بأن أولادها بانتظارها ويجب أن تعود إلى الرياض في أقرب وقت.

وفي الطائفة تلحظ رجلا يبدو من بعيد كأنه مشاري، لكنه يغيب وهذه المرة لا تبحث عنه مريم. ثم تُخرج من حقيبتها روايتها المفضلة "مادام بوفاري" وتقارن بين شخصية الرواية وبين أحوال هؤلاء الصديقات الثلاث: نفسها وسلوى وعناب. كما تفكر مرة أخرى في الفروق بين الرجل والمرأة وعن حقوق المرأة، وفي أوضاع المجتمع المحافظة، وضعف المرأة وقوتها. ثم تبدأ بقراءة الرواية.

المبحث الثالث: عرض رواية غراميات شارع الأعشى

هذه الرواية تتكون من أكثر من مائتين وثمانين صفحة على لسان البطلة "عزيزة" التي تعيش في إحدى أحياء الرياض باسم "حي السكيرية" على الشارع سمي بشاعر جاهلي "الأعشى"، الأزقة هنا كثيرة والبيوت متلاصقة وكلها تبنى بالطين والجبس.

عزيزة لديها ثلاث أخوات عواطف وعفاف وعلياء، وأخوان فوز وإبراهيم. عواطف تحب سعد وهو ابن الجيران، وهما يلتقيان على سطحيهما عبر الجدار، وعزيزة تراقب الأجواء كي لا يراها أحد من الكبار والصغار. عزيزة تحب المسلسلات والأفلام المصرية وتعجب بالنجوم المصريين. يأتي والدها بتلفازا ملون فكل واحد يفرح بذلك ويتحمس لمشاهدة المسلسلات والأفلام بالألوان. علاوة على ذلك، يسمع والدها إلى الراديو كثيرا.

تنام الأسرة على السطح في الصيف. وفي الصباح، الكل يعمل واجباته بعد صلاة الفجر، عزيزة تكنس، وعواطف تجهز الفطور. وتعلو صوت أغاني فيروز من راديو والدهم. وهو يحب بناته كثيرا عكس كثير من الرجال في مجتمعه، ويُسيي بناته بأسماء جميلة عكس التقاليد في أسماء البنات المستوحاة من اسم الجدة أو أمهات المؤمنين.

بعد الفطور تذهب عزيزة وأخواتها وبنات الجيران مثل موزي وأخواتها معا إلى موقف حافلة المدرسة عند زاوية شارع الأعشى. تلبس البنات المراهقات مثل عزيزة وعواطف وموزي عباءات قصيرة تظهر من تحتها مرايلهن. يتبعهن سعد إلى انعطاف "ثانوية اليمامة" ثم يتجه يمينا.

ذات يوم، عندما عاد الوالد كان معه امرأة بدوية في الأربعينات من عمرها وأربعة أولاد، أخبرهم بأنها جاءت بعد الصلاة إلى إمام المسجد، وأخبرته بأنها جاءت من البر مع أولادها الصغار لأن زوجها ذهب مع الأغنام إلى المدن لبيعها ولم يعد، ولم يبق لديها أي غنم للحم والحليب وبدأ الأولاد يجوعون، فاضطرت إلى أن تهجر إلى أرض الله، فليس لديها أقرباء، فهي وصلت إلى هنا لكي تجد

مأوى. فكان لوالد عزيزة بيت إضافي "بيت السد" فقرر أن يقدمها للسيدة وأولادها إلى أن يكتب الله لها المخرج من الضيق. ودعا الشيخ أهل الحارة أن يتصدقوا على عيالها. أخذتها أم عزيزة مع عزيزة وحملوا للسيدة الأرز والدقيق والسمن، وسمحوا لهم أن يأكلوا من بيض الدجاج ويشربوا الحليب ويأكلوا من لحمها. أخبرت البدوية بأن اسمها وضحي، تزوجت في صغر السن بالبدوي مثلها وكان يرعى الأغنام. وهي كانت ترتحل معه للتجارة في الأغنام إلى أن غاب ولم يعد.

وضحي امرأة لا تتحدث كثيرا مع النساء فكلامهن عن الموضوعات والملابس والأسواق لكنها تتحدث مع شيوخ الحارة في موضوعات جادة من التاريخ والحروب والمجاعات مثلا، وعندما تتعامل مع الرجال لا يدرك الرجال أن أماتهم امرأة بل كأنهم يتعاملون مع الرجل مثلهم وهكذا كانوا لا يجدون صعوبة في التعامل. في اليوم التالي ذهبت وضحي "أم متعب" إلى والد عزيزة وطلبت منها شراء ديك بالدين وأن يريها سوق الحرير.

في جانب آخر، تذهب أم عزيزة مع عواطف وعزيزة إلى السوق مع سعد في سيارته، أم سعد أيضا ترافقهن. عندما تصل السيارة إلى سوق الدير، تذهب الأمان إلى سوق الذهب، وتترك البنات لكي يتسوقن إلى المغرب، تأخذ البنات من والدهما خمسين روبية لكل واحدة. دخلت البنات في محل الملابس النسائية كانت عزيزة تحاول أن تتغازل صاحب المحل الشاب "عيسى"، لكنها لم يعرها اهتماما ظانا بأنها طفلة. عندما تخرج عزيزة مع عواطف من المحل يلاحقهما الشباب التافهون لأجل المغازلة، عواطف تشتمهم لكنهم لا يتوقفون عن المغازلة وحينها يصل سعد ويضرب الشاب السخيف ويحدث المشاجرة بينهما. سعد أيضا يصاب بالضربات ويُشَقَّ ثيابه، ورحلة العودة ينقضي في الصمت.

تذهب وضحي كل يوم إلى السوق لتعرف أحوال السوق والتجارة والبضائع لكي تجد عملا مناسباً لها وتلتقي بالتاجرات. وأثناء هذه الجولات تتعرف على التاجرة أم جزاع. هي خبيرة هذا السوق منذ سنين. أم جزاع جاءت من منطقة "وادي الدواسير". عندما تزوجت بأبي جزاع وهي في الثالثة عشر كانت تعمل مع

زوجها في بيع الخردة والأثاث المستعمل. لاحقا استقلت بمحلها في سوق الحرير وفاقته مهارة. ثم طلقها وأخذ منها طفلها وعاد إلى وادي الدواسير.

أم جزاع مشهورة في أسر كبيرة وتبيع عطورا وبخورا للنساء الثريات. وتقوم بعمل الخطابة لكل نوع من النساء والرجال ومن كل مزاج وسن. بدأت تعمل معها بنتا اسمها عطوى قيل عنها بأنها ابنة أختها جاءت عندها من وادي الدواسير. وفي الحقيقة هربت عطوى من ظلم زوج أمها بعد وفاة أمها. وتصل إلى الرياض في الشاحنات، وتصل بالقدر إلى سوق الحرير وتبدأ أم جزاع برعايتها. أما وضحي فبمساعدة أم جزاع وجهدها وإخلاصها صارت سيدة سوق الحرير بعد عشر سنوات. فهي لم تتعامل في الدواجن والبيض طويلا بل انتقلت إلى تجارة البهارات والأعشاب الخاصة بالنساء والثياب، وصولا إلى خواتم من الذهب والفضة. ذات يوم جاءت رسالة من أقرباء أم جزاع من الطائف بأنها تحتاج إلى أم جزاع، تطلب أم جزاع من وضحي أن ترافقها للجولة في السوق، تترك عطوى في المحل وتذهبان إلى أبي محيسن وتنصحه أم جزاع بأن وضحي كفيلة كل شيء في غياب أم جزاع إلى الطائف ستعتني وضحي بكل الأمور المالية والإدارية والبيع والشراء في تلك الفترة. متعب أيضا فتح محلا لبيع أشرطة الكاسيت أمام السوق القديم حيث محل وضحي وأم جزاع. وأيضا ينسخ متعب الأغاني للنساء اللاتي يعملن في مجال الغناء في الأعراس والمناسبات. ويعود قبل صلاة الفجر وينام حتى الظهر. تفرح وضحي كثيرا عندما ترى ابنها متعب يجتهد ويكسب ويقاسمها الأرباح فتفهم أنه صار رجلا. وعندما يستشيرها في أمور التجارة تنصحه بالنصائح الراجحة. ذات ليلة ذهبت أسرة عزيزة إلى زواج جارهم، وبعد الحفل يشاهد الشباب فيلما على شاشة كبيرة على سطح العروس، تتحير عزيزة من مشاهد قليلة الأدب، حينها تعرف بأن الأفلام التي تعرض على التلفاز تختلف عما تعرض في السينما. فتدرك ذلك اليوم بأن للحياة جانبان مثل العملة ومثل الأفلام المصرية مرة تكون محتشمة ومرة تكون عارية. من ذلك اليوم بدأت عزيزة تفتش عن الجانب العاري من الحياة.

ذات يوم خرج والد عزيزة بعد صلاة الفجر فانتبه إلى سرقة الراديو من السيارة، ذهب إلى الشرطة وبعد ساعات كانت هناك ضجة شديدة، مسكت الشرطة ولدان معهما ذلك الراديو، وكان واحد منهم "ضاري". عندما رأت أخته "مزنة" هذا المشهد هربت إلى البيت وأخبرت أختها الكبرى "الجازي" عن إمساك ضاري في تهمة السرقة. لبست مزنة عباءة وهربت إلى السوق كي تخبر أمها عن الأوضاع. خرج ضاري من السجن بعد خمسة أيام وهو يكرة أمه وأخاه الأكبر لأخما تركاه في المخفر وليس له ذنب بل سرقه الشاب الآخر مع ضاري. قال له متعب بأن صحبته مع الشباب الفاسدين فهذا ما أداه إلى العقوبة. بدأ يدخن، وعندما أمسكه متعب متلبسا، ضربه. في نفس اليوم عرف متعب بأن ضاري لا يذهب إلى المدرسة منذ أيام. عندما عاد مساء ضرب ضاري، وهذه المرة ضاري أيضا دافع عن نفسه. ثم ترك ضاري المدرسة إلى الأبد لأنه رأى المدرسة غير مناسب لنفسه.

في الصيف بدأ متعب يأخذ ضاري معه إلى المحل، تعلم بسرعة، وذات مساء سرق بعض المال من صندوق المحل وخرج، في اليوم التالي وجده متعب في المطعم يأكل طبق فول. حاول متعب أن يشرح أوضاع الحياة لكنه أدرك الفروق بينه وبين أخيه الذي ترعرع في المدينة ولا يعرف صعوبات الحياة الريفية. تمر المغنية "وردة" على ضاري كل يوم لأجل الأشرطة ومعرفة الأحوال، ويميل كل منهما إلى الآخر.

عادت أم جزاع وعطوى من رحلة الطائف ووجدتا مزنة تعمل في الحانوت هي تكبر عطوى بضعة أشهر لكنها أنضج منها بكثير. لذا تتعجب بمزنة كثيرا، تذهبان إلى السوق وهنا تحاول مزنة أن تلفت انتباه الشاب إلى نفسها. ذهبت مزنة مع عطوى إلى محل ضاري، اهتم ضاري بعطوى كثيرا.

ذات يوم وصل إبراهيم فجأة بعد مدة طويلة من مصر، قدم لهم الهدايا، طار عقل عزيزة عندما وجدت لها حذاء كعب من مصر. بعد أيام جاء في بيتهم هاتفا منزليا، وصار بعد سنة جزءا من أسرهم. طلب إبراهيم من الأم أنه يريد أن يتزوج

من امرأة مصرية يحبها وتحبه. أمه استكرهت هذه الفكرة وقالت بأنه سيتزوج بشابة من البلد، فيقول إن وجدتم جمالا كالمصرية فسأتزوج هنا. ثم تنتهي العطلة ويعود إلى مصر.

يأتي الشتاء ويستحيل لقاءات عواطف وسعد عبر جوار السطح بسبب البرد القارس. طلب منها سعد ذات ليلة أن تغطي وجهها منه لأنه حرام. وطلب منها أن لا تسمع الموسيقى والأغاني ولا تضع الصور في البيت. بعد يومين جاءت أم سعد، طلبت يد عواطف لأجل سعد. في الليل عندما أخبرت الأم الوالد عن الخطيب لم يرض الوالد لسعد لأنه لا يكسب، بل يدرس. لا تلح الأم عندما يرفض الأب سعدا كونه خطيبا. تحزن عواطف عندما تسمع هذا الخبر.

يمضي الوقت، والآن تستعد عواطف لامتحانات الثانوية لإعداد الملاحظات. زارت زوجة العم أم راشد مع ابنتها وابنها وزوجها إلى هناك وقيت ليومين. خطب راشد عواطف يأخذها إلى قريته بعد الزواج، ويتم زواجها بعد فترة.

بينما تم زواج الجازي بسعد، حملت الجازي، وبعد فترة جاءت إلى بيت أمها لأن سعد ضربها. أصيبت عزيزة بالحساسية في عينيها فأخذها والدها إلى الطبيب، سمعت عزيزة صوت الطبيب المصري "أحمد" وهو ناداها بـ "سفيرة عزيزة". لم تتمكن عزيزة من رؤية وجهه بسبب المرض. لكنها وقعت في حبه. بعد أيام تحسنت وفتح الضماد من عينيها فرأته.

في جانب آخر، مزنة ابنة وضحي الصغرى وجدت شابا في السوق اسمه رياض. كان يلاحقها في السوق وكان يريد الزواج منها. عندما تقدم لخطبتها، رفضه متعب ومنع أمه أن توافق على هذا الزواج لأن رياض ليس من أصل سعودي بل هو نازح فلسطيني في البلاد، فلا يستطيع متعب أن يحقق في أصله. ضاري أيضا وقف مع أخيه هذه المرة. بكّت مزنة كثيرا بأن رياض يريد لها على سنة الله ورسوله، ثم قررت أن تهرب في الليل إلى رياض، ولكن تدركها وضحي ثم تزوجها به. لكن ضاري لا يقبلها ولا أولادها أبدا، فصارت ميتة بالنسبة له.

أبو فهد صديق والد عزيزة وجارهم في مثل سنه، يرغب في البنات الصغار للزواج. تزوج بنت شابة في سن ابنته اسمها "فلوة" في البداية صارت قريبة من عزيزة، أخبرتها عزيزة عن عيسى وذات مرة أخذتها معها إلى محل عيسى. بعد فترة لم تعد فلوة تتحدث إلى عزيزة وكانت تجدها مشغولا. ذات يوم ذهبت عزيزة إلى بيت فلوة لتقدم لها الرمان أرسلت لها أم عزيزة. ما إن تصل إلى بابها يهرب شاب من السلم إلى خارج الباب ويدفع قدر الرمان فيتبعثر على الأرض، ثم يأتي صوت أحد آخر يجري من السلم فتري فلوة ووراءها أبو فهد يضربها ويقول بغضب هل تدخلين الرجال في بيتي! تعود عزيزة بسرعة إلى البيت وتبكي لما رأت عيسى، هو الذي كان يخرج من بيت فلوة.

مرضت أم جزاع مرضا لا علاج لها وبقيت على هذه الحالة لشهر، خدمتها عطوى ووضحى ومتعب. أم جزاع أخبرت وضحى عن كل من عليه دينه ومن عليه دينها. وطلبت رجلا من العدل كي تكتب بيئها لعطوى. ثم قامت بالوصايا عن حليها وغيرها من الأمور.

ضاري يميل إلى مغنية محلية "وردة" التي تأتي إلى محلها لشراء الأشرطة وتغني في أعراس الناس. ثم بدأ يميل إلى عطوى ابنة أخت أم جزاع. مضى زمان وتزوجت الجازي ومزنة ومتعب، وذهبت وضحى لزيارة مكة. قال متعب لأخيه ضاري بأن يتزوج ويصبح صاحب عائلة ويقول ضاري بأنه يريد الزواج بعطوى. فيذكره متعب بما فعل ضاري بمزنة عندما أرادت أن تتزوج برجل فلسطيني، والآن هو يريد أن يتزوج بنت لا يعرف أحد من أين جاءت وما أصلها، فيقرر ضاري بأنه رجل فلا يعيبه أي شيء.

بقي شهران على موسم الامتحانات وعزيزة بحاجة إلى دروس إضافية في مادة اللغة الإنجليزية فاتفقت مع معلمتها سميحة أن تدرس دروسا إضافية في شقتها. كانت تعيش في آخر شارع الأعشى. ذهبت مع والدها وصارت عودتها مسؤولية فواز. عرفت عزيزة بأن الدكتور أحمد أخو المعلمة سميحة. كانت تطلبها في أوقات مختلفة أحيانا بعد المغرب وأحيانا بعد العشاء وأحيانا يوم الجمعة بعد الفطور. كان

والدها يوافق ولا تعترض الأم لأن امتحانات الثانوية قريبة. ذات يوم أعطاه الدكتور أحمد شريط فيلم سفيرة عزيزة. عندما نام الجميع شاهدت عزيزة هذا الفيلم. المعلمة ساعدت عزيزة في يوم الاختبار أيضا وعندما ظهرت النتيجة ذهبت إلى بيت المعلمة فدعى الطبيب بأن نتناول الوجبة في المطعم بمناسبة نجاحها. بدأت عزيزة تتحدث إلى أحمد عبر الهاتف، ذات يوم طلب منها أحمد أن تأتي لزيارته لعيادتها يوم الأربعاء، فخرجت من الجامعة على الموعد وذهبت إلى العيادة. سألها إن كان لديها حبيب.

الجازي أنجبت بنتا عائشة. سعد لا يهتم بأي شيء لا بالعمل ولا بالأسرة إلا بالذهاب إلى المسجد مع إخوته الجدد، وكان يقضي معهم وقتا كثيرا. سافر مع الجماعة ذات مرة لعشرة أيام ثم عاد وبشر الناس بأن الإمام المهدي سيظهر قريبا. ثم ذهب سعد للحج وهنا حدث اغتيال الناس في المسجد الحرام من قبل جماعة وبعد أسابيع عرفوا أن جماعة المسجد بما فيهم سعد قاموا بهذا العمل، وقتل سعد هناك. جنت أم سعد إلى أن أرسلتها الأسرة إلى مستشفى المجانين.

بالجانب الآخر تغيرت أحوال أختها مزنة كثيرا تزينها وملابسها وتسريحة شعرها كل شيء صار حديثا. ولا يوجد حجاب المرأة في أصهارها، وتدخن النساء أيضا. ويصافح الرجال النساء. وانتقلت أسرة عزيزة إلى بيت جديد، زوجت الأم إبراهيم من صديق عواطف، ولم يعد والد عزيزة يسمع الراديو كثيرا فلم تعد إذاعات مصر أو البريطانية متوفرة وحلت محلها الإذاعة السعودية تبث نوعا آخر من البرامج. صار إبراهيم مصدر معلومات عزيزة عن عالم الموسيقى والأفلام والنجوم.

الطبيب أحمد يُهدي عزيزة قنينة طيب، اسمه "الهروب"، تفكر كثيرا ثم تذهب إلى أحمد وتقول له تحت تأثير قصص الأفلام أن يهربا إلى مصر. يضحك أحمد منها ويتحدث طويلا يحاول إقناعها أن تتراجع عن هذه الفكرة، وينتهي الحديث بأن عزيزة لا تملك جواز السفر. عادت إلى البيت وبقيت محبوبة لثلاثة أيام. ثم ذهبت إلى مزنة وناقشت معها خطة هروبها كما جاءت إليها مزنة قبل سنين.

مزنة لا تشجعها على هذه الفكرة، وتخبرها أنها تشعر بالذنب. عزيزة أيضا تلاحظ بأنها منذ فكرة الهروب تشعر بالذنب.

عندما تعود عزيزة من بيت مزنة، تقول لها أمها متى تتزوجين فتستفسر في وجود العريس. يخبرها والدها بأن أبا فهد يريد بها الزواج. الأم يراه كبير السن ولكن الوالد يقول بأنه شاب في الخمسين. في اليوم التالي سألها الوالد مرة أخرى عن رأيها في الزواج بأبي فهد. وافقت على الزواج به.

بعد وفاة أم جزاع انتقلت عطوى إلى القصر مع فرقة أم سعود. هنا توجد النساء والبنات في كل مكان وبينهن علاقات جنسية، عطوى أيضا تتعرض للتحرش، وكلما تعاند هؤلاء يتحرشن أكثر فتستسلم لهن. يأتي ضاري مع وردة إلى هنا وتقبله وردة بقوة، يتجاوبها ضاري كي تشعر عطوى بالغيرة، رغم أنه يعرف بأن وردة لا تميل إلى الرجال. في جانب آخر صارت تجارة وضحي في أفضل حال، وصارت لا تتحمل أعباء أعمالها بسبب سنها وتركت الأعمال لأولادها وبناتها، وذهبت للحج.

عند الزواج تضع عزيزة شرطا وحيدا أمام أبي فهد بأنها تريد جواز السفر. أوفى أبو فهد بوعدها وكان يوم الزفاف في غرفة الفندق معها جواز سفرها. لكن عندما حاول أن يقترب منها شعرت بالتقيؤ، هربت إلى الحمام وأغلقت الباب وتقيأت ونامت على بلاط الحمام البارد. في اليوم التالي أفاقت مبكرة وغيرت الملابس وأخذت جواز سفرها معها في الحقيبة وخرجت إلى عيادة أحمد. عندما وصل أحمد وسمع حكايتها، قال بأنك زوجة رجل آخر وقال كلاما كثيرا عن شرف العرب.

عادت إلى بيت أبيها وبقيت في غرفتها تبكي على سذاجتها ويأتي أبو فهد ويتشاجر مع والديها، ثم جاءت الجازي أيضا لكن عزيزة ظلت صامتة.

في اليوم التالي اتصلت الجازي بأبي فهد، وفي اليوم الذي يليه أيضا اتصلت
وجاملت معه، وفي الليلة الثالثة كان أبو فهد عند الجازي بدلا من أن يكون
في بيت عزيزة. وعندما عاد إلى البيت عاد نشاطه وهو يسمع إلى الأغاني ويمرح.

المبحث الرابع: عرض رواية زائرات الخميس

رواية زائرات الخميس للكاتبة بدرية البشر رواية متوسطة الحجم وعدد صفحاتها هي مائتان وثمانين صفحات. هي قصة بنت مراهقة اسمها مشاعل التي قضت طفولتها بعيدا عن حنان الأسرة لأن أمها تركتها مع أخيها الصغير عبد الرحمن عند زوجة والد مشاعل حيث أولادها الكثر، وكان يعاقبهما الوالد كثيرا لأن أمها كانت تريد أن تتزوج والخطيب لا يقبل أن يكون لديها أولاد معها فتتخلى عن بنتها وولدها، فأرسلتها أمها إلى هناك وطلبت منها أن تضع على رأسها قدرا ليس ساخنا وتذهب إلى والدها. وعندما كبرت سألت أمها ماذا كان في القدر فقالت خبز يابس.

وهكذا صارت مشاعل وأخوها عبد الرحمن لعبة بين شجار الزوج والزوجة، وكلما كان يغضب عليها والدها أو كانت تشعر بالقلق والحالة النفسية السيئة، كانت تلف شعيرة رأسها حول إصبعها وتنتفها من رأسها ثم تشعر بهذا الألم، وهذه صارت عادتها. وصارت مع الوقت لا تعترض على أي شيء ولا ترفض أي شيء وصارت بنتا غير واثقة من نفسها. وزادت في انغلاق نفسها مع الوقت في ظروف في بيت زوجة والدها أولاد كثيرون وتعلمت مشاعل أن تختفي من بينهم بل تغيب من وجودها فلا يشعر بها أحد فتتسلل بين أخواتها والنساء الأخريات. وبهذا الشكل كانت تعرف كل الحكايات السخيفة عن حب المراهقات ورسائل غرامية وصور الشباب في الحقائق وغيرها، إلى أن أخبرها والدها ذات يوم بأن خطيبا ما جاء لأجلها وسيتم زواجها به قريبا.

وتبدأ الإعدادات والتسوق وكلما تشتري مشاعل أغراضها للزواج تجلس نساء بيتها وينظرن في الأغراض، أثناء ذلك تجد حربة في الذهاب إلى السوق مع أمها ولا أحد يمنعها من لقاءها. وأمها تشتري لها أغراض كثيرة. في المرة الأولى عندما أرت أخواتها من زوجة أبيها هذه الأغراض فحسدنها كثيرا، ولذا في المرات القادمة، كانت تترك معظم الأغراض عند أمها وتأتي معها إلى بيت أبيها بسجادة المصلى الجديدة أو العباءة وغير ذلك. هكذا تزوجت بفهد، لم يسمح والد مشاعل

للعريس أن يأتي إلى حفل النساء وبعد الحفل ركبت السيارة مع العريس في ثوب الزفاف وفوقه العباءة السوداء. في الليلة الأولى نام العريس فهد مبكرا وصباحا وجدته رجلا غريبا يتناول الفطور بجانبها. ثم في الليلة التالية نامت مشاعل مبكرة، هكذا وصلا إلى الليلة الخامسة وكان فهد مخمورا في المشروبات الكحولية وإثر تلك دخل في الزفاف مع زوجته. ولم يمض أسبوع إلا وقامت أسرة فهد بوليمة كبيرة بمناسبة الزواج، ودعوا أسرة مشاعل بما فيهم والده وزوجته وأولادهما، ووالدتها وعددا كبيرا من الناس.

وحينما بدأ الناس يخرجون بعد انتهاء الحفل وبدأت النساء يبحثن عن عباةاتهن، ولا تنتبه واحدة إلى أخرى، فتسللت مشاعل أيضا من بين أخواتها وبنات خالها وجلست في سيارة أمها في المقعد الخلفي مع بنات أخريات حيث لم ينتبه إليه أحد، وعندما وصلت السيارة إلى بيت أمها ونزلت البنات، حينها عرفت أمها وتحيّرت من أمرها. غضب والدها إثر هذا الحادث لأن ابنتها الآن صارت هاربة عاصية وفوق ذلك هربت إلى أمها بدلا من أن تعود إلى بيت أبيها، فيغلق أبواب بيته على ابنتها.

تشعر مشاعل بالراحة هنا في بيت أمها مع زوجها الثاني من ثمانين من عمره وهو يشعر في مشاعل بنتا ويسميها ميسو. تشارك أمها في أمسيات نسائية أسبوعيا. هذه الأمسية تعقد كل يوم الخميس في بيت إحدى صديقات أم مشاعل وأحيانا في بيت أم مشاعل. زوجها الثمانيني لا يمنعها من أن تعقد هذه الأمسيات في بيته أو أن تشارك فيها في بيوت صديقاتها. تحضر في هذا الحفل النساء مع بناتهن المراهقات فبدأت مشاعل تجلس في مجموعة هؤلاء المراهقات. مجلسهن يدور حول الشباب وأرقامهم وصورهم في حقائب البنات، يرميها الأولاد في حقائبهن أحيانا، وأحيانا يعطينهن إياها مباشرة. وكل واحدة منهن تتباهى أمام الأخريات بحبيبها وكم يجري وراءها، ولا يخرج كلامهن السطحي خارج هذا الإطار.

تصبح مشاعل حبيبة إلى جميع البنات لأنها لا تشارك في القيل والقال كثيرا ولا تُحزن أيّ واحدة منهن، بل تكون صامتة وتسمع كل شيء. ذات يوم الخميس

تتفق هيفاء مع حبيبها حسام أن يلتقي بها ويرى وجهها كي يصبح أكثر ولها لها، فتطلب من مشاعل أن تساعد في هذه المهمة وتراعي ظهرها وتخبرها فور ما تشعر بقدوم شخص ما، وهكذا تلتقي هيفاء عند البوابة بحسام في الظلام بعد العشاء ومشاعل تراقبها، يتعرف حسام على مشاعل أيضا. بعد هذا اللقاء تتجنب هيفاء حسام كي تعذبه في الحب لكن حسام لا يجري وراءها بل ينشغل عنها. في البداية حسام يسأل مشاعل عن سبب هيفاء في هذه التصرفات ثم يترك هيفاء، أثناء ذلك يتم خطبة هيفاء فتحل صورة خطيبها محل صورة حسام في حقيبتها. ولا يفيد هذا هجران حبيبها لكي يجري وراءها.

في جانب آخر تصل صورة حسام إلى مشاعل. ويتحدثان بين فينة وأخرى لكن لا يكون كلامهم عميقا ولا تخبره مشاعل عن زواجها الأول، أثناء ذلك يأتي الخاطبون إلى مشاعل عن طريق الخطابة موزي، تحبها أم مشاعل كثيرا لأنها دائما تحمل صور العريس والعروس معها. تستشير مشاعل حساما في كل هذه الأمور فهو يدلها على طريق النجاة من الخاطبين الغير المرغوب فيهم، لكن في المرة الأخيرة يتركها حسام وشأنها، ولا يساعد. وهكذا يتم خطبتها برجل مطلق مثلها فيكون كفاء لها، هكذا يتم زواجها بـ "تركي".

في اليوم التالي من الزواج تتفاجأ مشاعل بوجود ابن له، فتبكي كثيرا وترى نفسها مخادعة، بعد خمسة أيام هو أيضا يزف بها وكل يوم الخميس يشرب خمرًا ويقترب منها. وبعد فترة تتواصل مشاعل مع حسام من بيت أمها فيفهم أنها تحتاج إلى مساعدته، وتخبره بأن زوجها يشرب خمرًا فيسأله هل يضرها أيضا فتقول نعم. يشعر حسام في قلبه بإثم لأنه تركها في هذا المأزق من قبل بدون المساعدة. ويقرر أن يساعد هذه المرة فيجعل خطة معها بأن تذهب إلى بيت والده وتخبره بأن تركي يشرب الخمر، ما إن سمع والده هذا الحديث إلا منعها من العودة إلى بيت تركي.

ثم بعد فترة طويلة يطلب حسام من والديه أن يوافقا على زواجه بمشاعل، أمها لا تقبل كنة مطلقة، ثم يهجر بيته كي يوافق الجميع على هذا الزواج، ثم يخبر

مشاعل أخيرا بأن أهله وافق على زواجهما وبالتالي تتم خطبتهما، تبدأ استعدادات زواجهما الثالث، تقول لها أمها أن تلبس زفاف قديم فتقول كيف نلبس ملابس الزفاف للعريس القديم للعريس الجديد. فتشتري ملابس جديدة وتزف إلى حسام، وهناك تعرف أن زوج أمها الثماني توفى في ليلة الزواج فتبقى مشاعل عدة أيام عند أمها ولا تريد أن تتركه في حالة الحزن هذه.

تتحول أمسيات الخميس إلى العزاء في الأيام الأولى ومع الوقت يعود نشاط الثثرة والقبل والقال إلى هذه المجالس، تتعود مشاعل مرة أخرى إلى هذه الأمسيات مع المراهقات كما تقضي وقتها مع أمها ثم تعود إلى بيتها. تتسلل مشاعل إلى جلسات الثثرة والنميمة والغيبة عند زوجات إخوة حسام وأخواته، وهن يعرّفها بأنها مطلقة، وعندما تتفوق عليهن في الطبخ فيحسدها. بعد أربعة أشهر تصبح حاملا، وبعد الإنجاب تصبح متعودة على أمسيات الخميس مرة أخرى، وتقضي وقتا كثيرا مع أمها في بيتها، حسام في البداية يسمح لها بالذهاب في هذه المجالس. تذهب أحيانا إلى هذه الأمسيات مع ولدها "سيف" وأحيانا تتركه عند الخادمة. ولا تتخلى عن مرافقتها بل تكثر من تصرفاتها الطفولية، وأمها لا تساعدتها في إصلاحها بل تغمض عينيها وتدلّلها ولا تنصحها أن تبقى في بيتها مع زوجها وأن لا تشارك في هذه المجالس التافهة. وتذكر مشاعل ذلك بأن تصرفها الغير الناضج يزداد كل يوم، بدلا من أن تتحلى بالحكمة، لأن أمها ومن حولها لا تنصحها بالخير وهذا الأمر يسيء إلى شخصيتها. لأن أمها بنفسها مولعة بها فكيف تمنع ابنتها.

تتزوج أمها بعد إكمال عدتها برجل آخر. تحاول مشاعل أن تخفي أمر زواجها عن أصهارها، لكن الخبر يصل إلى حسام لأنه يوصلها إلى بيت أمها الجديد، فتضطر مشاعل إخباره بلزواج أمها. وهكذا ينتشر الخبر في الأصهار كلها، وتسألها حياتها بين فينة وأخرى أحوال أمها مع زوج ثالث جديد. تخجل مشاعل بسبب أمها.

زوج أمها الجديد لا يسمح لها بالخروج إلى هذه المجالس أبدا ولا يسمح لها أبدا بالخروج وحيدة إلى أي مكان، فكلما أرادت أن تذهب إلى أي مكان تأخذ معها مشاعل وهكذا كانت تجد المفرد من البيت. أما مشاعل فبدأ لها هذه الجولات رائعة لكن حسام بات يمنعها من هذه التصرفات، ثم ذات يوم في مجلس الخميس تلقتي مشاعل بهيفاء التي كانت تحب حسام في يوم من الأيام واليوم هي صارت متزوجة وذات أولاد، وتحسدها هيفاء كثيرا، ولذا تحاول أن تفسد بينهما، وفي هذا اليوم تقول هيفاء لمشاعل أن توصلها في الطريق إلى بيت أمها فرفضت مشاعل بعذر البرامج الأخرى لديهم، لكن أم مشاعل تصر أن تقوم ابنتها بعمل عمل الخير مع ضيوف أمسية الخميس.

في الطريق تنباهي مشاعل أمام هيفاء بالطبخات اللذيذة التي تصنعها، فقبل أن تنزل هيفاء تقول لها بأنها صاحبة ثلاثة زيجات ومن الطبيعي أن تصبح ماهرة جدا في هذه الأعمال. هكذا يفهم حسام أنها طلقت مرتين من قبل. ويغضب عليها دون أن يظهر ذلك كثيرا. وفي اليوم التالي تخبره مشاعل أن هذا الزواج كان زواجا ورقيا لخمس سنوات ولم يحصل بينهما علاقة جسدية. تخبر مشاعل أمها عن هذا الحادث، رغم هذا الأمر لا تتوقف مشاعل عن جولاتها مع أمها. عندما يمنعها حسام من الذهاب إلى هذه البرامج فتقول بأن أمها بحاجة إليها وزوجها لا يسمحها بالخروج وحيدة. فيتفق حسام بأنه سيوصلها وهو الذي سيصطحبها عند العودة من مكتبه.

مع الوقت تزداد البرودة بين الزوجين ويلاحظ حسام أنها دائما تكون في مزاج محايد ولا يجد في ملامحها حماس إلا عندما تذهب إلى أمسيات الخميس وعندما تعود منها. تشعر مشاعل بالضيق في البيت وتشعر بالسعادة في الأمسيات. وأحيانا تخرج مع أمها من الأمسية ثم تعود إلى بيت أمها قبل وصول حسام. في تلك الأيام تتصل هيفاء بضع مرات على رقم بيت مشاعل وعندما يرد حسام تسأله عن مشاعل فيقول هي في بيت أمها، هناك أيضا لا أحد يرد. وذات مرة عندما تسأل عن مشاعل فيقول حسام أليست هي معكم؟ فتجيب بأنها في بيتها

مع أولادها. يبدأ في تفتيش الأمر، وعندما يعرف حسام عن هذا الأمر يقول لها أن لا تخرج من بيت أمها إلا بالإذن منه.

ذات يوم تخبره مشاعل بحماس وسعادة بأن أمها ستطلب الطلاق، تحير حسام من أمر البنت وهي تتحدث عن طلاق أمها بهذا الشكل. وتخبره عند استفساره في سبب هذا القرار بأنها تنزعج من قيود زوجها في الذهاب والإياب، ولذا تريد أن تتطلق. يتحير حسام أكثر فأكثر قائلاً بأنه ليس سبباً منطقياً فترد بأن أمها لم تنزوج لكي تُسجن. يفهم حسام من منطق الأم والبنت السخيف بأن هناك بون شاسع بينه وبين مشاعل.

بعد أيام تلتقي هيفاء بمشاعل في إحدى أمسيات الخميس، تسمع هيفاء بأن بعض البنات يتحدثن مع الشباب فتلتقط منها الهاتف وتخرج صوت تلك البنت وتقول للشباب أن يأتي الساعة التاسعة والنصف إلى مطعم صيني فلاني وليأت مع صديق أيضاً لأنها أيضاً ستأتي مع صديقتها، يوافق الولد وتغلق هيفاء الهاتف. تتحير البنات المراهقات مما فعلت هيفاء مع حبيب بنت. فتقول هيفاء فلينتظر الولد سدى هناك ثم لا يزعجكن. تتحير البنات من قسوة هيفاء وأيضاً يتمتعن في هذه اللعب مع الشباب.

في جانب آخر، تذهب هيفاء حيث تجلس مشاعل وتصر عليها أن تأكل معها طعاماً صينياً في مطعم صيني فلاني، توافق مشاعل بعد إصرارها الشديد وعندما يحين الموعد تخرجان مع السائق. في نفس اليوم يقرر حسام أن يتبع قضية مشاعل أين تذهب وأين تكون. فعند العودة من مكتبه يمر من الحي حيث بيت أم مشاعل ويوقف سيارته في زاوية، ينتظر بعض الوقت سدى ثم يقرر أن يعود إلى البيت، وما إن يقرر هذا إذا بمشاعل وامرأة أخرى مثلها تخرجان في العباءة، وتجلسان في السيارة الواقفة خارج الباب. حسام يتبعهما فيجدهما تنزلان خارج مطعم صيني. هو أيضاً يدخل وراءهما بعد فترة وجيزة خفية حتى لا تدركانه.

يجد بضعة زبائن في المطعم من بينهم يجد امرأتان وأمامهما شابان. انهار برؤية هذا المشهد فطلب من النادل كأس ماء. وعندما تحسن قليلا جلس على طاولة أقرب من طاولة مشاعل. مشاعل لم تنتبه إليه لكن هيفاء أدركت به. وعندما فهم حسام أن هيفاء قد رآته، خرج بعد قليل بسرعة واتجه نحو بيت حماته وعندما رن الجرس طلب من الخادمة أن تحضر ولده "سيف"، يأخذ الخادمة والولد ويعود إلى البيت.

في جانب آخر عندما يجلس الشابان أمام هيفاء ومشاعل فتتحيرون وتغضب لكنها لا تتمكن كالعادة من أن تبوح بغضبها ولا تتمكن من الرفض، وتبقى جالسة مستسلمة. وفي الطريق عند العودة تخبرها هيفاء بأنها رأت حسام في المطعم كان يتبعهما، غضبت مشاعل على تصرفات هيفاء ورأت على وجهها الملامح كأنها تفرغت الآن من ثقل ثأر قديم. لكن موعد الآن هو أن تفكر في حل هذه الكارثة.

عندما تصلان إلى بيت أم مشاعل، تتحير أمها من رؤية مشاعل. تسأل مشاعل أين ولده؟ فتقول أمه ألم تكوني مع حسام عندما جاء ليأخذ الخادمة والولد. تنهار مشاعل وتفر هيفاء من المشهد. لا تخبر مشاعل أمها عما جرى، غير أن حسام يشك فيها في كل شيء. وهناك مشكلة بينه وبينها.

تبقى مشاعل حزينة ولا تترك المصلى أبدا، أمها تدرك همها وتحاول أن تخفف من وطئها. لا ترغب مشاعل في أن تجلس مع البنات والنساء في مجالس الخميس وتصبح مع الوقت منعزلة جدا. وتفهم ضرر هذه المجالس التافهة التي وضعتها في قهقريه، ولم تأت بخير في حياتها. وبعد أيام تستلم مشاعل ورقة الطلاق من حسام فتشكر الله أنه لم يخبر أمها عن فضيحة المطعم. لكنها أحيانا تفتقد ولدها ويعود إليها حزن طفولتها وحرمانها من حب الأم.

ذات يوم تجلس معها أمها فتشكو مشاعل مرة أخرى لأنها تركتها مع أخيها عند والدها وزوجته، وتخلت عنهما. تحكي لها أمها حكاية طفولتها بأنها كانت من أسرة قروية كثيرة الأطفال وكانت في وسط كل هؤلاء ودائما كانت تقف في

الوسط منهم. والدها لم يكن يهتم بالأولاد سوى للضرب. وهي كانت تخاف من كل شيء صغير. إخوتها وأخواتها يضحكون عليها دوماً، ولم تكد تصل سنّها إلى الثالث عشر إلا وقد يتم تزويجها. في البداية تظن أنّها تعيش حلماً كابوسياً. تحلب الأبقار وتنظف البيت وتعمل في الحقول وتكون مفتشتها هي حماها. كل واحد يخاف من زوجها حتى أمه تخاف منه أكثر من زوجها. الكل ينتظر لمواعيد غدائه وعشاءه، والده لا يجد طعاماً إلا عندما يصل الابن إلى المائدة. تنجب ولدان، أولاً مشاعل ثم عبد الرحمن. ينتقل زوجه مع الأسرة من القرية إلى الرياض ويزداد عنده الثروة. في هذه الفترة يتوفى والدها وتبقى أمها العجوز وحيدة بحاجة إلى من يعتني بها.

تتأخر أم مشاعل عن الإنجاب بعد مشاعل وعبد الرحمن فيتزوج زوجه بامرأة أخرى. إثر هذا ترحل سرا مع ولديها إلى أمها في القرية وتخدم أمها كثيراً. أمها تصر على أن تتزوج مرة أخرى، لكنها لا تجد خطيباً لها في القرية وخاصة ومعها ولدان. تنصحها خطابة أن ترسل ولديها عند والدها وهكذا سيوافق الخطيب الثري. ومن ثم ترسلهما إلى والدهما وتضع على رأس مشاعل قدراً لكي تعطي والدها إياه. وتتصل بزوجها بأنها تريد الزواج والخطيب لا يريد معها الأولاد. يغضب كثيراً ويخرج غضبه على أولادها.

وما إن تتزوج برجل ثري وتنتقل إلى الرياض معه، يتوفى في حادث سيارته وترث منه أم مشاعل أموال طائلة. ثم بعد فترة ترشدّها الخطابة موزي إلى خطيب آخر عجوز من ثمانينات من عمره. ذلك الذي اعتنى بمشاعل عندما هربت من بيت زوجها الأول. فتتزوجها أمها بأن الأولاد عندما يكبرون يعودون عند الأم كما عادت مشاعل.

بعدما تسمع مشاعل حكاية أمها تتابع حالتها النفسية عند طبيب نفسي كي تعود إلى الحياة بعض الشيء. ينصحها الطبيب أن تبدأ بحياة جديدة، فتقرر مشاعل أن تلتحق بالجامعة. هكذا سجلت في جامعة البنات، اشترت الملابس المناسبة للجامعة وبعض الأحذية والحقائب والكراسات. في الفصل كانت تجلس

في زاوية في الخلف كي لا يراها أحد هناك. ذات يوم ذهبت إلى قاعة المصلى والتقت بنات شجعنها على أن تسمع درسا دينيا، تلقيها الأخت مها بعد قليل هنا في المصلى. فجلست مشاعل لاستماع هذا الدرس. شعرت جيدا بهذه التجربة وتعجبت من شخصية الأخت مها. بدأت تتأثر من هذه الجلسات الدينية وتركت الزينة والمكياج ومزقت الصور وكسرت شرائط الأغاني ورمت الملابس الفاضحة. مع الوقت بدأت الأخت مها تكلفها ببعض المهام السرية لإعلاء الدين والجهاد. فذات مرة تطلب الأستاذة مها من إحدى بنات المصلى بأن تغوي رجلا دينيا فلانيا يأتي في الأعلام لأنه منافق ويجب أن يفضح أمرها، فمع الوقت تقع البنت في حبه لكنها تفضح من أمرها لأجل "الدين".

تتساءل مشاعل من هذه الأمور لا تعجبها ولا تجدها الفرق بين بنات الخميس وبنات المصلى في الحب والغرام. ثم تكلفها الأخت مها بأن تذهب إلى أخ فلاني لتقديم الأموال التي جمعت لأجل الجهاد في سبيل الله، فتسألها مشاعل لماذا لا تذهب بنفسها فتد بأن أسرتها لا تسمح لها بالخروج من الجامعة إلى أي مكان، ومشاعل تستطيع أن تقوم بهذه المهمة في سبيل الله. تذهب مشاعل إلى أخ فلاني وعندما يعرف أنها جاءت من قبل الأخت مها يكرمها، لا تشعر بالراحة في هذه البيئة هناك وتغادر فور تسليم النقود. في اليوم التالي تخبرها الأخت مها بأن ذلك الرجل طلب يدها لكن مشاعل لا ترغب في هذه القضية.

بسبب انشغالها في هذه الأمور ترسب مشاعل في مادتين، بينما لا تجلس في الثالث أصلا. وينتهي الفصل الدراسي بهذا الشكل وترجع البنات إلى بيوتهن لعطلة رمضان وكذلك تعود الأخت مها إلى قريتها. في رمضان تتصدق مشاعل كل يوم من المأكولات والصدقات، وتصلي التراويح في المسجد القريب من بيت أمها حيث تأتي نساء الخميس فلا يعجبها هذا المشهد، وتختار مسجدا آخر بعيدا عن حيها. تأخذ معها قهوة وقمر وبخورا وفي الاستراحة تقدم هذه الأشياء للنساء ويفرحن كثيرا. هنا توجد عجور أم حمود وحفيدتها لينا تتعرفان على مشاعل بأنها

تأتي من بعيد لأجل تلاوة راقية. وذات يوم توصلها مشاعل إلى بيتها لأن ابنها تأخر في العمل. مشاعل تحب لنا كثيرا وأحيانا تقدم لها هدايا.

تمدحها أم حمود كثيرا أمام ابنها حمود وتخبره بأنها زوجة مناسبة له، فقد طلق أم لنا منذ زمان ولا توجد زوجة له. هكذا يتم زواجهما بعد الفترة. الآن تخفت من عدم مسؤوليتها، بل تصبح صورة زوج مثالية تعمل وتطبخ وتخدم زوجها ولا تتركه للحظة. الكل يمدحها، ومع الوقت يبدو لمشاعل أن حمود وأمه وابنته لا يهتمون بها، ثم تظهر عليها آثار الحمل فتظن لعلها تشعر بالحساسية تجاه كل شيء بهذا السبب، ثم تنجب ابنا اسمه "مشاري". الكل يحب الولد الجديد.

مع الوقت تعود إلى مشاعل حالة الولادة وذات يوم تقول لحمود أن تنتقل إلى بيت مستقل لكن حمود يرفض بسبب بنته وأمه. في كثير من الأيام تترك مشاعل ابنها عند حماها أو زوجها وترحل إلى بيت أمها وعندما تعود قد نام عند حمود أو أمه. وذات يوم تجد أن الكنبه التي كانت موجودة بجانب الجدار قد حركها أحد ووضع أمام الجدار. غضبت مشاعل من هذا الأمر كثيرا واتصلت بزوجة أخيها وطلبت منها السائق وما إن وصل السائق ذهبت مشاعل تحت وركبت السيارة مع ولدها وكيس الملابس دون أن تنتبه حماها.

في المساء انتبه حمود أن مشاعل لا توجد، يذهب إلى بيت أمها فلا يجدها هناك، تتصل أمها ببيت ابنها فتوجد مشاعل هناك. يذهب حمود هناك فتخبره مشاعل أنها زعلانة بسبب الكنبه، وتقول بأنها لا تريد العودة إلا عندما يكون لها بيت خاص. فقال حمود بأنني سأخذ معي مشاري فقالت له مشاعل بالبرودة بأنه ليس لديه ملابس كافية فليأخذه. تجلس مشاعل مرة أخرى في حزن وذات يوم تأتي نساء الخميس لأجل الحمام الدافئ والتمسيد والتدليك، تفتح مشاعل عينيها وبعد السباحة تشعر كأنها الآن لأول مرة أصبحت امرأة ولم تعد بنتا مراهقة. ويخبرها قلبها بأنه حان وقت العودة إلى ما أهملته منذ زمان: أولادها.

الفصل الثاني:

عرض روايات شهلا العجيلي

المبحث الأول: عرض رواية عين الهر

إن رواية عين الهر مستوحاة من اسم الحجرة الكريمة بشكل بيضوي أو مستدير غامق اللون مع اللمعة الحليبية على السطح، وتتحول إلى ضوء فضي ناعم كعين الهر. أيضا تشير اسم الرواية على زيف العلاقات حيث طلعت حجرة عين الهر مزيفة في نهاية المطاف. ويلحظ القارئ هذا الخيط طوال الرواية.

إذ تدور قصة الرواية أن الساردة (مجهولة الاسم والملاح) تريد أن تكتب رواية ودائما تجعل بطل الرواية بتسمية "أيوبة" وتحاول أن تتجنب قصة الحب. الساردة تنتمي إلى سلك الإعلام والأدب والفن وتساfer أسبوعيا بين حلب وعمان لتقديم برنامج ثقافي في عمان مرة كل أسبوع، لأنها على عقد مع قناة فضائي مقرها هناك. الساردة تنوي أن تترك حلب وتستقر نهائيا في عمان.

حبيبها لا يفهم السبب وراء كل هذه التنقلات الأسبوعية، وعندما تلتقي به ذات مرة في دار الياسمين على العشاء الذي أقامه المركز الثقافي الفرنسي في حلب. يخمن أن السبب قد يكون جني المال رغم أنها لا تحتاج إلى ذلك بهذا الشكل ثم يخمن أنها تفعل هذا لأجل موقع كبير في عالم الإعلام، لكن الأمر يتم بقناة فضائية صغيرة. ثم يخمن لعلها تريد الفرار بهذا الشكل. كلما يلتقيان تشعر الساردة كأنه لقاء لمعرفة الوجه والصوت بدون الروح.

تعاني الساردة من المشاكل كلما تعبر الحدود الأردنية السورية رغم أنها تسافر عبرها كل أسبوع. هي سلّطت على نفسها هذا المنفى. فهي ترى بأن كلهم منفيون في الحقيقة. هي مولعة بالأحجار والمجوهرات والسجادات والعمود. فعندما ترى الإعلان لمعرض المجوهرات ببرج دبي تسافر إلى هناك وتلبس مجوهرات مناسبة للمكان الفاخر، تنبهر بالمكان أكثر من المجوهرات. تجد هنا فحص المجوهرات والأحجار بالليزر لأول مرة. لكنها تخاف أن تكون مجوهراتها مزورة وأنها دفعت

أكثر مما يستحق الأمر أو قد تكون أغراضها رخيصة أمام هذه المجوهرات بآلاف من الدولارات، لذا تكتفي بالملاحظة وفهم الأشياء.

في هذه القاعة تجد عند محل واحد امرأة سحرية كأنها من الجوّاري المحظوظات من العصر العباسي. هي في الحقيقة ماهرة المجوهرات في أواخر العشرينيات. تعجب الساردة من شخصية هذه المرأة وملابسها التقليدية ومجوهراتها ولونها وقامتها، فتنوي أن تجعل منها "أيوبة" أي بطة روايتها. تأخذ من أيوبة بطاقة المحل في حلب في نهاية اللقاء.

قبل اللقاء بأيوبة بفترة اشترت الساردة عقدا من المرجان من الجزائر. ووضعتها في درجها لأنها تريد أن تصنع منها عقدا بالصياغة مع الذهب. فبعد زيارة برج دبي بأشهر تنوي زيارتها لصياغة الحلي من المرجان الأحمر الناري. تذهب إلى سوق الصياغة القديم في الحي الجديد، عندما تصل إلى المحل وتسال عن أيوبة يقال بأنها تركت العمل هنا. سألوا عما تريد من المجوهرات، فتقول لدي أمانة أيوبة ولا تقول أكثر. وعندما تخرج من المحل يقول أحد من المستخدمين بأن أيوبة توجد في جامعة العادلية.

الآن تجد الساردة تشويقاً أكثر لمعرفة أحوال أيوبة كأنها جاءت لأجلها وليس لأجل المرجانة. عندما تصل إلى جامعة العادلية تجد في باحتها مجموعة من الأطفال والأولاد يخبرونها عن بيت أيوبة في الزاوية. تتحير أيوبة من القادمة الغريبة، كما تتعجب الساردة من الأحوال المغايرة واللون الشاحب والملابس المتغيرة، كأنها ليست تلك المرأة السحرية بل هي خادمة الجامعة فقط.

ذكرتها الساردة عن لقاءهما في برج دبي، وأخبرتها عن عقد المرجان، وتخبرها بأنها تقلق على أحوالها المتغيرة. تنصحها بأن لا تصوغه بالذهب، بل تبقيه كما هو، واسم هذا المرجان الأحمر القانع سألتها أيوبة عن أحوالها، فأخبرتها عن أعمالها وأحوالها. ثم تخبرها أيوبة بأنها تخدم قسم النساء في المسجد وتنظفه وتطبخ وجبات للنساء في مناسبات خاصة وترتب المصاحف، وأيضاً تصنع المسابح بالخرز الملونة الجميلة. تخاف الساردة من أن أيوبة قد تشعر بالملل والخوف من كثرة أسئلتها لذا

تصارحها بأنها تريد كتابة الرواية حول شخصيتها. تفرح أيوبة وترحب بهذه الفكرة، وتخبرها بأنها أيضا تحب الأدب وقد قرأت بعض روايات نجيب الكيلاني. حب أيوبة للأدب جعل الأمر أسهل للساردة. وهي تعد أيوبة بالقدوم مرة أخرى. في الليل تكون الساردة مسرورة بالكتابة حول أيوبة.

في اليوم التالي تقوم الساردة ببعض الأعمال الرسمية في المكاتب الحكومية في دمشق للسفر والتأشيرة وغيرها من الأمور وهي مضنية بسبب الموظفين الذين لا يرغبون في تسهيل الأمور الرسمية للنساء. فيؤجلون عملها للشهر القادم. فلا تتشاجر مع هؤلاء لأن أباهما أو عمها سيحل الأمر. بعد هذا اليوم المضني عندما فتحت بريدها الإلكتروني لم تجد أي رسالة من حبيبها فتساءل هل يئس منها؟ فتقرر أنها عند العودة إلى حلب ستلتقي به وقبل ذلك تلتقي بأيوبة.

عندما تلتقي الساردة بالحبيب تمضي ساعة واحدة دون الملل والتعب، لكن بعد ساعة يعاودها الملل لأنه لا يدهشها بشيء. فهي تكتب له السر في الرسالة بأن السر ليملك قلبها هو قدرته المستمرة على الإدهاش. ثم تعود إلى عمان سريعا لكي تنعزل للكتابة دون ضغوط مكانية في حلب. تنتظر مرة أخرى على الحدود لساعات طويلة.

ثم تحكي الساردة لقاءاتها بأيوبة حيث تتحدث الأخرى عن طفولتها والمشاكل بين أبيها وأُمها، وصديق طفولتها علي، تفرق بينهما. فتقول أيوبة بأنها تحفظ في ذاكرتها مشهدا بأن أمها كانت ترتب ملابس لزوجها، فدخل في البيت كالضبع وطلب من أمي قميصا أزرق فقالت بأنه في الغسيل، فغضب وضربها ورمى طاولة الكوي ثم خرج، فسقطت الأم أيضا وانهارت باكيا فهدأتها أيوبة الطفلة بأن لا تبكي فوالدها قد غادر. كلما كان والدها يأتي إلى البيت تجده غاضبا. كانت أمها جميلة ومطبعة لكن أباهما لا يحب زوجته أبدا.

بيت أيوبة دائما كان يقدم مشهد ساحة الحرب ولذا كانت تجد ملاذها في مدرستها. لكن قلبها معلق بأمها في البيت أيضا يقلق على حالتها مع زوجها. تلعب أيوبة في المدرسة مع الجميع. هنا كل واحد يتعامل معها بلطف وخاصة

الولد اسمه "علي". هي لا تجد فرقا بينها وبينه ولا تجد منه أي سوء. لكن صديقتها "هبة" تخبرها بأن الأولاد أشرار وهم يضربون البنات ويؤذونهن يصفونهن كالغبيات والسيئات.

كانت تخاف على أمها وتتساءل: إلى متى تتحمل أمي كل هذا العنف فتشرح لها الأم بأنها تتحمل هذا البيت لأجل بناتها، لأجل نفقاتهن تحتاج إلى الأب الشرير، فتنصحه بأن يدرسن ويجتهدن كي يصبحن سنداً للأم. منذ ذلك اليوم قررت أيوبة أن تدرس وتجتهد كثيراً لأجل أمها وتحلم دوماً أنها ستشتري لأمها وأخواتها هدايا وبأن أباه سيفتخر بها وستشتري له الهدايا أيضاً فسيندم ويكي، ثم سيصبح رجلاً عطوفاً مع الأسرة ثم تعيش الأسرة بالسعادة. هذه كانت أفكار أيوبة الطفلة كل ليلة قبل المنام.

أيوبة لديها أربع أخوات وليس لديهن أخ. الأب يريد أن يتزوج مرة أخرى لأجل الولد. تفكر أيوبة في جدوى الأخ. فكل زميلاتها تخبرها بأن الأخ يضرب ويزعج وما إلى ذلك. وتفكر أيوبة في الفرق بين الولد والبنت فتجد الجمال الأكثر في البنت فتشكر الله بأنها بنت. وأيضاً كانت تشعر جيداً عندما كانت تسمع صوت فيروز في الطريق إلى مدرستها وتحلم أن تعيش حياة مثل أغانيها.

هي كانت تعيش قصة حب بريء في وقت مبكر مع علي وهو زميلها في المدرسة وجارها في الحي، فكانت تشعر بشعور جميل تجاهه وهو أيضاً يشعر بنفس الشعور، يقضيان الوقت معاً ويمشيان معاً إلى البيت. صديقتها هبة لا يعجبها هذا الأمر فلا تمش معهما. تعتقد أيوبة بأن هبة على صواب بما تفكر حول الأولاد بما فيهم علي لكنها لا تتعد عن علي. ذات يوم كانت تلعب مع علي وترن أجراس الجيران وتفر، إلى أن أمسكتها إحدى جارقاتها وأخذتها إلى والدها وقالت له ما قالت. غضب والدها كثيراً وجرها أمام علي وأمام جميع الناس وأخذها إلى البيت. أخرج غضبه على أمها وأصدر حكماً بترك المدرسة. في اليوم التالي لم تخرج من الفراش بل بقيت تفكر فيما يفعل زملاؤها وزميلاتها الآن. وعندما تلتقي بهبة في المساء تسأل عن أحوال المدرسة فتخبر بأن الأستاذات كن

يستفسرن عنها فقال علي لمن بأنك كنت تلعبين في الشارع ولذا غضب أبوك. تحيرت من أن علي قال في شأنها هذا الكلام. تأكدت هبة مرة أخرى بأن علي من قال فيها هذا الكلام. تحطم قلبها بسبب هبة ولمدرستها ولعلي أيضا. صار التلفاز صديقها الأوحده، ونسيت جميع الزميلات والزملاء وخاصة علي الذي قال عنها ما قال حسب مقولة هبة. وذات يوم أذن لها بالخروج مع أمها لأجل التسوق بمناسبة العيد. وتخرج بالعباءة السوداء لأول مرة، فتمشي بصعوبة ممسكة يد أمها. في السوق تجد الأولاد والبنات يضحكون ويمرحون لأول مرة تلاحظ الفروق بينهم وبين نفسها، فلا ابتسامة في حياتها.

ذات يوم زارت أقاربها مع أمها، الأقارب الذين يحسدونهم من وفرة مال أبيها. وسمعت هناك بأن والدها تترك أمها ويذهب إلى بيت دعارة، حزنت مما سمعت وقررت بأنها اليوم ستتحدث إلى أبيها في هذا الشأن وخرجت من بيت الأقارب دون أن تغطي شعرها. وعندما تصل البيت تقول لأمها بأنها اليوم ستتحدث إلى أبيها ثم يحدث ما يحدث. ولكن عندما تقف أمامه تبدأ بالبكاء. وتحبره على استفساره بأنها سمعت عنه كذا وكذا، سمعها الوالد بهدوء ثم قال بأن هؤلاء الناس يحسدونه لأنه يملك مالا ثم أتى لها أن تسمع مثل هذا الكلام. ثم ينظر إلى أمها بغضب كأن الوزير وزرها فتحاول أيوبة أن توقفه لكنه يرميها وتسقط أمها أيضا ويخرج الوالد، تبكي البنت والأم. تشعر بالذلة والهوان. وتحاول أن تتجنب الوالد أكثر من قبل. وبعد أيام يأتي إليها قائلاً مهدداً بأن الناس يأتون غدا لرؤيتها لأجل الخطبة.

عندما تحكي أيوبة هذه القصص تكتبها الساردة بمشاعر كليهما، وتشير إلى أسلوب أيوبة في قصصها هو أسلوب "تيار الوعي"، ثم تتابع حكاياتها الأخرى. تلوم أمها لما يحدث لهما بسبب استسلامها وأمها لا تطلب الطلاق لتتزوج بآخر سعيدة. الآن أصبحت أيوبة أيضا مراقة فهي تشعر بهذه الأوضاع بالجدية أكثر. وتفكر بأنها ستتزوج بأمير أحلامها. لكن الحقيقة كانت بدون الأمير، مع زوج قبيح كريه. في الصباح كانت تقوم بالأعمال المنزلية وفي المساء عندما كان يخرج

مع أصدقائه، كانت تذهب إلى السقف وتشاهد النجوم والسماء وتجد فرحتها في ذلك.

وذات مساء الخميس وجدت نشاطا في البيت المهجور المجاور ذا باحة كبيرة يرش الرجال ماء على الأرض ويفرشون المجالس ثم بدأ الناس يجتمعون فيه، كلهم رجال، خمنت أن النساء قد تكون داخل البيت، ففرحت من قوم جيران جدد في هذا البيت المهجور.

في جانب آخر تعود زوجها على صمتها وكتابتها كما تعودت على وجوده غير سعيدة. كان يأخذها إلى بيت أهلها في العباءة السوداء ويعود بها دون حديث كثير. في الخميس التالي أيضا كانت هناك مجلس الذكر في الجيران، وهي تسمعها من سقفها وفي الصباح التالي تشعر براحة وسرور في قلبها وتراجع بعض الأبيات والأدكار من المساء. في الأسبوع التالي أيضا انهت الأعمال المنزلية بسرعة ولبست حجابا أسود ووصلت إلى السقف وسمعت درسا جميلا من سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -. يؤثر هذا الدرس على الجميع ويكون كما يؤثر في قلب أيوبة أيضا. في جانب آخر ترسل الساردة رسالة إلى حبيبها وتخبره بأنها اليوم استلمت إيميلًا منه، وهي تريد أن تعتذر منه لأنها وضعت حفل توقيع كتابها في مطعمه، فالمركز الثقافي ألغى البرنامج. وهذا المطعم الصغير يمتلئ بعامة الناس. وحالتها هذه ذكرتها بقصة قال لها أديب بأنه دعا شاعرا في مدينته فاشترط الشاعر بأنه يريد أمسية الشعر في صالة كبيرة ويريد حشدا من عامة الناس. ويوافق الأديب على هذا ورغم مخالفة الاتجاهات الحكومية وكرهها لهذه الأمسية، تُقام هذه الأمسية بإغلاقها ليس في صالح الحكومة. يحكي هذا الأديب في ترحيب صديقه الشاعر مثل هذه القصة بأن زوجة أحد الخلفاء رأت من شرفها بأن حشدا كبيرا من الناس كان يتجه إلى مكان واحد. فقبل لها بأنهم يذهبون إلى أمسية شاعر لسماع شعره فقالت الملكة: والله إنه العز، وليس ما نحن فيه، فالناس تساق إلينا بالسيّاط!

بالسيّاط، ثم تستأنف الساردة قصة أيوبة بأن زوجها تزوج بالثانية وهي وافقت كي لا يطلقها. الزوجة الثانية تهتم به بكل أشكال. ثم يمر وقت ويأتي خميس

الشتاء فتوقد النار على السطح وأهل مجلس الذكر أيضا يوقدون النار. سمعت قصيدة بردة لبوصيري فيأتي علي ومدرستها في ذكرياتها فجأة، بدأت تبكي لوحدها، ثم انتبهت بأن رجلا آخر بعيدا عن هؤلاء الرجل يبكي. دموعه كانت تبرق في الظلام ووجهه أيضا يلمع، لأول مرة رأت رجلا يبكي، ودت أن تعانقه وتلصقه بصدرها وتهدئه. تمت لو يراها ليعرف أنها معه. ثم رأت أن الرجال يرقصون رقصة صوفية مثل الفراشات.

في الأسبوع القادم ترى النساء في المجلس لأول مرة. معظم النساء في العباءات السوداء، والبعض الآخر في حجاب عادي كلهن جلسن في غرفة الدور الأول في ذلك البيت الذي يطل على الساحة. عرفت أيوبة أنها حفل خاص، قدم الطعام للناس ثم عزف الرجال الدفوف، ذهبت بعض النساء على السطح وصارت جاراتها. سألت أيوبة إحداهن عن المناسبة فأخبرتها بأنها جلسة خاصة للشيخ الراوي ومريديه، هذا الشيخ ضيف لشيخ هؤلاء وهو جاء من العراق.

عبرت أيوبة الجدار إلى النساء ثم عادت معهن إلى الغرفة وهن ينظرن تحت ولا أحد ينظر إليهن. بشدة الحالة الروحانية وعملية إدخال السيف في بطن رجل وإخراجه من ظهره، أغمي على أيوبة. عندما جاء الطبيب كان نفس الرجل الذي كان يبكي في الأسبوع الماضي. أعطاه عنوان عيادته لأجل الطوارئ ثم عاد إلى ساحة الرجال.

بعد فترة صارت الزوجة الثانية حاملا بينما طلق أيوبة وعادت مع أمها إلى بيتها. بدأت تجلس في دروس هؤلاء النساء من القرآن الكريم والسيرة النبوية والحديث النبوي والسير والأعلام، ثم سجلت في مدرستهم فنجحت في شهادة الإعدادية فالثانوية. ثم بدأت تقرأ الأدب والشعر والأخبار والرحلات، ثم دهاها الطبيب إلى عمل ضم السُّبح، كان يساهم في تكوين مجموعة الأعمال وتمويلها. فكانت تجلس في محلها الصغير، مضت سنوات وهي تضم السُّبح وبين فينة وأخرى يأتي شخص من الجماعة ويطمئن إلى عملها ويأخذ بضاعتها للبيع في

المحلات الكبرى. تزوجها مرشدها الطبيب بعد فترة ثم طلقها على أمر من شيخ كبير لأنه لم يشأ أن تصبح ضرة لابنته وزوجة أب لأحفاده.

في جانب آخر تعبر الساردة عن حيرتها عن إيميلات الحبيب رداً على إيميلاتها المفصلة حيث يرد: شكراً لك على الإخبار. فتعلل الساردة بأنه عدم الرغبة أو رغبة في التحقق، أو ربما الإكثار في حب الشيء. ولذا تضطر أن تتحدث في جميع الموضوعات في اللقاءات التي ظنتها قد انتهت.

عندما تعود الساردة إلى أيوبة تجدها في عجلة للذهاب إلى جنازة جارتها "أوديت" الستينية هي كانت مع أيوبة وأمها في كل سراء وضراء. أحبت رجلاً في صباها وقررا الزواج رغم كل الصعوبات. كان متزوجاً وطلق زوجته إثر خيانتها، لكنهن ينتظرن قرار فاتيا كان في ذلك. رغم ذلك هربت أوديت معه إلى بيت صديقه مؤقتاً قبل أن تنتقل إلى لبنان لكن أهلها وحجزوها بمساعدة الكنيسة لسنة كاملة، هرب الحبيب بعد مضايقته إلى السويد ثم انقطع أخباره. بعد فترة التأهيل انتقلت أوديت إلى حي أيوبة وعاشت طوال حياتها عازلة عن الزواج والأولاد عاملة في البريد.

بعد فترة في عمل السبح بالخرز إلى الأحجار الكريمة، وكانت عاملة للقراءة والتحقيق حول الأحجار وقصصها وهي كانت مسؤولة عن سرد الحكايات حول الأحجار للمشتريين كي يختار كل واحد حسب ميوله وميزات الأحجار. فذات يوم جاء زوج مع زوجته لشراء طاقم الأحجار لها باللون الأزرق فباعتها "الزفيرة الزرقاء" غير "دم الحمام". في المساء جاء نفس الرجل مع امرأة أخرى خبيثة كانت تصاحبهم صباحاً. هذه المرأة اشترت "دم الحمام". بعد بضع سنوات عادت الزوجة وباعت كل الحلي لأن زوجها كان في السجن. تحسرت أيوبة على حالتها لو عرفت ما فعل زوجها ذلك المساء لما ضحت لأجله.

ذات يوم جاء رجل وسيم إلى المحل ولديه حجر جميل جداً اسمه "عين الهر" من البرازيل. أخبره الرجل بأنه تاجر ومولع بالأحجار ويسافر إلى بلاد ويبيع ويشترى الأحجار. كانت أيوبة معجبة بأناقة شخصيته ولغته وأسلوبه، ووقعت في عشقه

ورغبت في الزوج والأولاد والبيت وهي على مشارف الثلاثين من عمرها. كان يسافر كثيرا في بلاد العرب والشرق. كانت تشعر بغيابه كثيرا. عندما عاد من البرازيل، أهداها عين الهر. كان يلتقي بها في ورشتها للأحجار ثم قلت زيارته للورشة وبدأ يلتقي في الخارج ثم ودعها لسفر طويل. بعد فترة منه عرفوا أن بعض الأحجار غائبة من الورشة تأكدت أنه هو من سرقها، إثر هذا الحادث ثم فحص جميع المجوهرات فكانت كلها أصلية غير عين الهر الذي أهداها إياه!

ذات يوم طلبت منها الشركة أن تأخذ مجوهرات كثيرة إلى قصر سيدة فلانية، كانت امرأة في أربعينات ولها بنات وكنات. كانت لطيفة جدا عكس السيدات الغنيات، كلهن رغبن في حكاياتها للمجوهرات وبصعوبة نجت من أسئلتهن وتعليقاتهن. ألحت النساء بأن تعود مرة أخرى بمجوهرات جديدة. بدأت تزورهن كثيرا، السيدة تدعوها للغداء والعشاء. وجدت عالمهن بدون الرجال. وكانت تدعوها على الحفلات الباذخة، كانت تشعر باشمئزاز وخوف بلمساتهن بينهن. ذات يوم ذهبت هناك دون موعد فوجدت السيدة مع صديقتها في حالة محرجة وبقيت على هذه الحالة بل دفعتها إلى صديقتها وحاولت أن تجردها من ثوبها وتلمسها وتقرصها فصرخت كثيرا وشتمتها وهددتها بالفضيحة. بصعوبة وصلت إلى البيت واستعادت نفسها للعمل وعندما وصلت إلى المحل وجدت أمامها تهمة بأنها سرت هذه السيدة وأغوت ابنها فأخرجوها عن العمل. أستاذها وكل الناس عرفوا هذه الحكاية المزورة لكن الزبون الكبير وراءهم زبائن آخرون سدّدوا طريق الحق. وهكذا وصلت إلى جامع العادلة لكنها تأمل خيرا من الله. في الجانب الآخر، تصل الساردة إلى عمان وتنشغل بالأعمال ويخرب حاسوبها بالفيروس فتترتب كل الأشياء في حاسوبها مرة أخرى. حينها انكشف عليها الأمر بأنها معظم الأحيان كانت ترسل الإيميلات إلى حبيبها على عنوان خاطئ ولذا كانت تستلم رسائل غريبة في معظم الأحيان. كان تغيير الهجاء في العنوان بين **o** و **u**. ضحكت الساردة على نفسها عدة أيام. ثم أدركت خطورة الأمر بأن هذا الشخص المجهول يعرف قصة هذه الرواية فيجب عليها أن تسرع في نشر الرواية قبل أن يسرقها ذلك الرجل. وهكذا تنتهي الرواية.

المبحث الثاني: عرض رواية سجاد عجمي

تدور هذه الرواية في العصر العباسي ويشير عنوان الرواية إلى مهنة صناعة سجادات أعجمية امتنها شخصية "سليمان بن زياد السلمي" في الرواية. تتكون الرواية من سبعة وثلاثين فصلاً قصيرة الحجم مشيرة إليها بالأرقام. تبدأ الرواية بمرور القادة الثلاثة الجدد إلى مشارف مدينة الرقة وهم "سعد"، و"وائل"، و"حارثة" لاستبطن المدينة قبل وصول الوالي الجديد. والخليفة قد أعزل الواليين من قبل، والناس لا يقبلون هذا الوضع غير المستقر في مدينتهم؛ لأنهم تعودوا على الأحوال الآمنة والمطمئنة والمواتية للتجارة من مدينتهم إلى الصين والهند، ولديهم مراكز العلم في الرقة والرها ودير زكا، ويحترفون الخزف والنسخ والترجمة وعلوم الطب واللغة. وعندما يصل الوالي الجديد إلى الرقة، يخطب الناس بالسمع والطاعة، والاعتناظ بالماضي، والتحلي بالعدل والإنصاف كما يخاف الناس في خلدتهم من أن يكون الوالي الجديد قد يضرهم. فيجتمع مالك بن علي الأشجعي وأخوه عاصم الأشجعي وابن عمه أحمد في مجلس حيهم ليناقشوا قضية الوالي الجديد كسائر الناس في المدينة.

وفي جانب آخر توجد شخصية "خود" التي تحب ابن عمها عمر بن مالك الأشجعي وتحزن كثيراً على فراق عمر وعدم اكتراثه لها لأجل امرأة أخرى، بينما تشرح لها ابنة عمها وأخت عمر "ريّا" أن تنس عمر لأنه لا يحبها، بل يحب امرأة أخرى. عمر في الحقيقة كان يحب قديماً "خود" لكنه في الفترة الأخيرة يأسر بحب امرأة اسمها "لبانة إِياد السلمي". هو لا يعرف عنها كثيراً؛ لأنه لم يلتق بها إلا مرة على الميناء عند قدومها من بغداد إلى الرقة. وهو كان عند الميناء لأجل بعض أعماله بالصدفة. فعندما تقع عينيه يقع في حبها رغم أنها أم ولد معها، وهي تكبر عمر بأعوام.

يتابع عمر أخبارها عن طريق الملاح الذي أخذها بعد يوم إلى "دير زكا" حيث يعيش والدها وإخوتها، وأيضاً يتابع أخبارها عند امرأة تسمى "محبوبة"، لأنه يسمع أن لَبانة نزلت عندها في الليلة. فعندما يصل إلى نزل محبوبة لمتابعة الأخبار يبدو مجنوناً

عاشقا فيجلس مع الندمان ويسمع أحوال لبانة ويسمع الموسيقى والغناء الشعر الرقيق، ويمنع ندمانه عن لومه على هذا الحب. كانت محبوبة جارية مالك الأشجعي ومربية أولاده، كان يحبها أخوه عاصم الأشجعي، فاضطر إلى أن يحررها. عند التحرير أعطاهها مالا كثيرا لتستقل وتستقر به في حياتها من جديد ففتحت نزلا من هذا المال. رغم تحررها لم تتزوج محبوبة بعاصم لأنها تحب مالك الأشجعي ولا تريد إحزانه، لكنها ترحب عاصم سرا في نزلها. خلال كل هذا المجون تنجب محبوبة "بهجة" وتنسبها إلى تاجر عراقي بقي في النزل، تجنبا للماكل بين الأخوين. إلا أن محبوبة بنفسها لا تعرف من والد ابنتها بين مالك وعاصم. ومن ثم تحمي ابنتها من أولاد مالك وعاصم ومشاعرهم تجاه ابنتها.

أما لبانة فهي تنتمي إلى بلدة دير زكا من أسرة إياد السلمي، تزوجت قبل أعوام في صباها إلى عالم من بغداد، ورحلت معه بعد الزواج تاركة أسرته وبلدها حبا به، إلا أنه بعد زمن سافر إلى خراسان وغاب هناك، وسمعت عنه لاحقا أنه تزوج هناك بامرأة خراسانية وهي ابنة الوالي. فبعد انتظار طويل يئست لبانة من عودته وعادت إلى الرقة مع ابنها قيس في سنه السادس، وهذا هو الموقع الذي جمع بينها وبين عمر على الميناء ويساعدها في النزول من السفينة.

تبنت لبانة في نزل "محبوبة". تصبحان صديقتان حميمتان وتحدثان طوال الليل، فتسمع لبانة منها أخبار الرقة في غيابها كما تسمعها أخبارها في بغداد وأنها لأول مرة تعود هنا بعد وفاة والدتها فلا تجد هنا رائحة والدتها. وفي اليوم التالي تسافر إلى دير زكا وتبقى عند أبيها وتشهد أولى أيام جني الزيتون مع آخر أيام قطف العنب. بيت أبيها تقترن بالدير، كما تشترك حدود أراضيها أوقاف الدير، وهنا تعلمت لبانة الخط والنسخ والترجمة من اللغة السريانية مع إخوتها فكلهم تثقفوا بهذه المهارات.

يلتقي والد لبانة في المجلس مع رجال الأسرة، خلال المجلس ينتبه سليمان وهو ابن عم والدها إلى شبح المرأة في كأسها اللامع فيتحير من ذلك الأمر كأنه من خياله. سليمان بن زياد السلمي ولا تعجب بشخصيته ومظهره الغريب الذي لا

يليق بثروته الكبيرة. عاش سليمان طويلا في تبريز من بلاد الفارس وأجاد هناك حرفة سجاد عجمي مع الذوق الشامى والرومى، صارت تجارتة وشهرة إنتاجه تصل إلى قمة السماء هناك إلا أن الشعوبيين ضيقوا عليه حياته هناك بينما حنّ والد سليمان إلى موطنه فعاد كلهم في قافلة مهيبية إلى الرقة. وهنا أيضا ساد صيت إنتاجه على كل سوق السجاد وبدأ التجار العجم يشترون منه كمّا كبيرا من السجادات لجودتها وسعرها المنخفض.

ثم عندما ينتهي المجلس ويغادر معظم الضيوف، يستبقيه والدها ويناقش معه بأن ابنتها لبانة تريد أن تبدأ بعمل النسخ في الرقة وتريد فتح الحانوت هناك حيث الزبائن كثر من أهل العلم والأدب. ويطلب من لبانة أن تسلم على ابن الأعمام لأنه غادر البلاد وهي ابنة مهد. حينها يفهم سليمان سر تلك الشبح. لبانة لم تعجب بشخصية سليمان كثيرا في بادئ الأمر لكنها بدأت تهتم به لاحقا وتحب بيته وغرفة عمله الذي سمّتها "عرش سليمان".

ريا ماهرة في الخزف وأواني الفخار ولديها حانوت في السوق، تجتمع البنات في حانوتها كل صباح ويثرثرن في أمور شخصية واجتماعية كما يصل حديثهن إلى أمور سياسية أيضا مثل قدوم الوالى الجديد وزواج الوالى القديم بإحدى بنات أهالي الرقة. يصل كل من سعد ووائل وحارثة إلى حانوت ريا ويسترق السمع إلى حديثهن، سعد يعجب بشخصية ريا بينما تجلب حُود فكر حارثة.

ريا امرأة شابة جميلة ومتقفة قليلة الكلام ناجحة في أعمالها. لها أربعة أطفال، البنت الكبرى في سنها العاشر ثم ثلاثة أولاد والخامس جنين. هي لا تحب زوجها سعد بن شجاع الأشجعي رغم أنه يحبها كثيرا لأنها كانت تحب رجلا آخر "حسن السعدي" لعشر سنوات رغم رضا أسرتها، وفي ليلة زواجها يطلقها حسن ويجنّ ويرسله ذووه إلى بيمارستان. هي ترفض الرجال بعد ذلك للزواج وتظل تزور حسن السعدي في مستشفى ولا تجد فيه أيّ أثر للجنون إلا عندما تسأله عن أحداث الليلة التي طلقها قسرا عنه فيجن دون أن يجيب. أسرة ريا لا تسمح لها لاحقا

بزيارته ولا بزيارة "الدير" حيث كانت تذهب سرا بل تُزوجها قسرا بابن عمها "حسن شجاع الأشجعي".

رغم كل هذه الأوضاع بدأ سعد يلاحق ريا ويلقي عليها نظرة إما صباحا وإما مساء، وكان يرسل بعض الجنود خاصا للحفاظ على ريا ولرفع الأحمال عنها في السوق. وأيضا كان يرسل لها أطعمة لذيذة في الغداء كالمشويات، أو يرسل عند العصر الحلويات. في بادئ الأمر لا تعجب ريا من تصرفات سعد إلا أنها تفرح في قلبها لاعتناء سعد لها. تقضي معظم أوقاتها الآن في بيتها كي تتجنب سعد. وعندما يصبح غيابها شاقا على سعد، يرسل بعض الجنود إلى بيت ريا لحضارها، تأخذ ريا تحفة بشكل كأس الخمر هدية لسعد وترافق الجنديين. يتحدث سعد إلى ريا حوارا طويلا ويعبر عن حبه لها. يتسرب هذا الخبر إلى الرقة كلها بأن الجنود سجنوا ريا بنت مالك الأشجعي. لكن ريا تعود لاحقا سالمة.

بعد هذا الحادث أيضا لا يتوقف سعد عن زيارته لحنوت ريا لكنه يجد هناك الشخص المجنون "خرز" الذي يجلس دوما خارج الحانوت ولا يدع سعدا يدخل أو يقترب من الحانوت بل يتخاصم مع سعد، وأيضا ينبهه على نفقات الوالي من خلال بيت مال المسلمين وعدم إنفاق ذلك المال على الفقراء والمحتاجين.

بجانب آخر "خود" تناقش بعض القضايا مع أمها وهي عازفة الموسيقى لكن أمها لا تسمح لها أن تعزف كما لا تسمح لها أن تدرس الصغار القرآن الكريم، تحتج خود على هذا الوضع وعلى أن الأسرة جعلتها تحب عمر منذ طفولتها والآن سار عمر في طريقه. تستأذن خود أمها لتقيم حفلا أخيرا للعزف قبل أن تتركه للأبد فتسمح لها أمها، ومن ثم تقيم خود مجلسا للبنات وتدعو فيها لبانة أيضا وهي تنبهر من مجلس خود وديار الأشجعي، بترفها وجمالها وملابسها وبأنها تنعم بحب الأسرة بالأب والأم. فلبانة تعيش في الريف وترفها ديار إياد السلمي لا تنافس ترف ديار بني الأشجعي، ولا تنعم بحب أمها لأن أمها ماتت، فلا تجد من تؤانسها في البيت والدها.

في جانب آخر تلتقي خود عمرَ لقاء الفراق ويحسم عمر الفراق، بعده يوم تجد خود رجلا كهولا حكيما في البراري وينصحها أن تبتعد عن عمر وأن تبحث عن رجل من بعيد كي تبتعد عن عمر نهائيا لأنه سيضرها.

في الصيف رحل كل أسرة الأشجعي إلى شاطئ الفرات ليقضوا يوما في الماء ويخففوا وطأ قيظ الرقة، تدعوا ريًا في هذا البرنامج لبانة فتلبّي دعوتها. لم تكن تعرف لبانة السباحة فساعدتها ريًا في السباحة فاستمتعت لبانة بالماء.

مع الوقت تصبح علاقة لبانة وسليمان قوية ولكنها لا تبوح له عن حبها له. وهما يرسلان سرا خلال كومة من الصوف دون أن يعرف أحد، إلى أن تدرك جاريته الصفراء عن سر الرسائل وتلتقط رسالة لبانة إلى سليمان قبل أن يجدها الآخر، في هذه الرسالة تخبره لبانة عن موعد لقاء بينهما مثل كل مرة. وعندما تصل في الليل إلى الموعد لا تجد سليمان فهو لا يعرف عن هذه الرسالة قط. تنتظر لبانة طويلا ثم تجد هناك ذئبا فتهرب إلى قرية قريبة وتلتجئ إلى أسرة وتعود إلى الرقة قبل طلوع الفجر التالي. تقرر لبانة أن لا تلتقي بسليمان مرة أخرى لما فعل في هذه الليلة ظانة أنه قرأ رسالتها ولم يف بالوعد.

وعندما يمضي عدة أيام ثم شهر، يقلق سليمان ويزور الرقة ويصل إلى حانوت لبانة فيجد عمر عند حانوتها. يسيئ الظن بهذا المشهد ظانا بأنها تبتعد عنه بسببه، وبالتالي يعود إلى دير زكا وهو يقرر أن يعود إلى بغداد للعمل بعيدا عن تلك. تحزن لبانة رغم قرارها وتشارك همها مع ريا، بينما تخبرها ريا قصتها مع سعد. وتخبرها أن عمر يحب لبانة كثيرا لكن لبانة تقول بأنها ترى إلى عمر كأخ، وتحبه حب الأخت لأخيها ولا تريد أن تكسر قلبها بسبب مشاكلها.

ثم يندلع الحرب والفساد بين جيش الوالي وأهل الرقة وما حولها إثر الحادث المروع وهو قتل أربع بنات بعد ما فعل بهن أحد فعلة سيئة ثم رمى بجثثهن عند شاطئ الفرات، أُنهم سعد في هذه القضية، وكان قد كسب علاقات سياسية جيدة مع الأشجعيين وغيرهم من الرؤساء والأكابر، إلا أن هذا الحادث جعله شخصية سلبية أمام الناس والذي أحزن سعد كثيرا وأغضبه، فوق ذلك عندما

جُئِلَ إليه أنه إثر الحرب صار السوق خاليا من المشترين، رغم ذلك تحمست ريا كثيرا للعودة إلى العمل وفتحت حانوتها رغم كل المخافة، وما لبست ترتب أغراضها إلا أنها رأت من بعيد كأنه سعد يتجه إليها على حصانه، وما إن يصل فيدمر حانوتها ويكسر كل منتجاتها بحثا عن مصحف فاطمة. ظانا أن المصحف قد يكون محتفيا عند المرأة في حانوتها من جنب أهل الرقة، فلا أحد يتخمن وجود المصحف عند امرأة. وخلال هذا التدمير كان قد كسر قلب ريا إلى الأبد.

لا تمكث لبانة في هذه الأوضاع في الرقة وتحمل كل أغراض النسخ والكتب وأيضا مصحف فاطمة وتعود إلى دير زكا. وذات يوم تذهب مع ابنه قيس إلى شاطئ البحر حيث تأخذه الأمواج وهو يصرخ للنجدة ولكن لم يمكن لأحد لأن ينجيه من الأمواج ولبانة رأت مشهد غرق ابنها لحظة بلحظة. بعد هذا الحادث بفترة تغادر خادمته ربحانة وتتزوج برجل، فتبقى لبانة وحيدة تماما. وحينذاك تجد شخصا يسمى عبد الرحمن فيتزوج بها ويحاول أن يرضي لبانة بهدية فيقدم لها سجادا عجميا من صناعة سليمان وعليه رسم العقرب تماما كما توجد وشمة على صدر لبانة، فكان سليمان يستوحي منه ويرسم العقرب على معظم سجاده. لكن لبانة تريد أن تتخلص من هذا السجاد وفي اليوم التالي تقدمه لأول متسول على الشارع لتتخلص من سجاد سليمان. في جانب آخر ينبت حب حارثة في قلب خود بعدما تعرف حسن نواياه تجاهها، كلاهما يحبان الفروسية ويقضيان الوقت في ركوب الخيل ويتقاعد حارثة عن الجيش ويقضي حياة سعيدة مع خود.

المبحث الثالث: عرض رواية سماء قريبة من بيتنا

رواية سماء قريبة من بيتنا رواية تطرح سؤال الهوية والمعاناة والانحياز على الحرب الأهلية التي أدت جيلا جديدا إلى الموت المجاني والتشرد، ولا تجبر التطور والازدهار في الوطن أن يكبح عند حدها فحسب، بل تسحب الوطن وتجره وراءها تحت الأنقاض، لا يكاد ضوء الأمل يصل إليه.

تغربل الروائية شهلا العجيلي جوانب الرقي والازدهار والبناء في سوريا منذ أزمنة قديمة وتوقفها في وعي الجيل الجديد الذي لم ير نفسها إلا تحت سقف الهزيمة أو ركود المخيم، أو التشرد من خلال تيار الوعي لدى الساردة الدكتور جمان بدران المتخصصة في الأنثروبولوجيا المقيمة في عمان إثر الحروب في بلادها.

هي الرواية ضخمة نسبية حيث تتجاوز مساحة الرواية عن ثلاث مائة وأربعين صفحة من خلال عشرة فصول. تسترسل فيها الساردة عن أحوال أجدادها من طرف الأم ومن طرف الأب، ذلك من جانب. ومن جانب آخر، تقدم أحوال أسرة آل الحفار وهي أسرة ناصر، رفيق جمان على متن الطائرة إلى عمان. الفصل الأول "ليالي الأنس" يستهل بتاريخ المحامي بهجت الحفار وأسرته يضطرون للهجرة من حلب حيث كانوا يعيشون في الفيلا بحيّ العزيزية، إلى دمشق إثر الأوضاع السياسية في سوريا عام ١٩٤٧. وهنا يشتري بهجت بيك بيتا كبيرا على شارع جديد بحيّ الرمانة. ويصبح ملتقى المهاجرين من حلب إلى دمشق، ويحيون فيها ذكريات حلب وموسيقاها، وموشحاتها خاصة بمعية صديقه الشيخ عمر البطش والشيخ علي الدرويش.

وفي نفس الوقت، تستمع ابنة بهجت بيك ذات السنوات الخمس مجالس الموشحات اسمها "شهيّة الحفّار". ومن هنا يبدأ لحظة السرد إذ تخبر الساردة: "تلك الفتاة الشقراء، ذات الشريط الورديّ في شعرها، والجوربين الأبيضين القصيرين، ستصبح فيما بعد السيدة شهير الحفّار، التي كانت جنازتها اليوم."

تلتقي الساردة على متن الطائرة برجل مطلق في متوسط عمره اسمه ناصر العامري، خبير دولي في المناخ والجفاف، يعمل حاليا في دبي، ابنته كانت تعيش مع جدتها- أي أم ناصر- وهو اليوم مسافر إلى عمان لجنازة أمه. تعزيه جمان طوال في الرحلة وتحاول أن تخفف عنه من وطأة الحزن. يتبادلان رقم الهاتف قبل أن يسير كل منهم إلى طريقه.

وبعد أيام يتواصل ناصر مع جمان ليلتقيا، ومن هنا تذكر جمان مطاعمها المفضلة في حلب وتحن لها وتذكر حبيبها السابق "سامي" وقصصه.

تنتقل الساردة في الفصل الثاني "محطة بغداد النوتوراكسي" إلى تاريخ جدها لأُمها الذي يعيش في العمارة الكبيرة أمام الحديقة العامة، كما تحكي عن خالتها دالية وصديقها باسل، ابن مدير السكك الحديدية، يعيش أمام عمارتها بجانب محطة القطار. وذات ليلة يعرف باسل أن أباه قد تزوج سرا بامرأة وله أخت كذلك. يبتز أباه بإخبار الأسرة بهذا الخبر. وبعد فترة تغادر الأسرة حلب إلى اللاذقية إلى الأبد.

تلتقي جمانة بناصر وتكتشف أن جده هو بهجت بيك والسيدة شهيرة هي أمه، وهو صاحب نفس الفيلا الذي يقع قريبا من بيت جدة جمان. ثم تسترسل في حكايات وذكريات أخت جدتها السيدة رقيقة المعروفة بـ نانا أم بشار، وهي جارة بيت جد ناصر ومن معارفهم كذلك. تسرد أحوال ابنها بشار الطبيب وفتح الكيمياوي والمأساة في حياتها بفقدان ولديها. كما تذكر الساردة هنا مأساة في حياة صديقتها نجوان عند الطفولة.

وبهذا الشكل تأخذ جمان جولة سريعة من طفولتها في مدينتها المفضلة حلب بعد مدة بفضل ناصر وتفهم أن "العالم صغير" فعلا. ثم تسترسل الساردة في وقائع أسرة أبيها وجدها لأبيها، الحاج علي بدران الذي كان إقطاعيا يمتلك الأراضي الواسعة واستأجر فيها عشرات المزارعين، ووسع أعماله من بيع المحاصيل الزراعية إلى بيع الأدوات الزراعية، ولم يكن إقطاعيا من حيث القواميس الاشتراكية؛ لأنه اكتسب هذه الأراضي من ادخار المال من كسب حلاله ولم يرث آباءه، فهو كان مترجما من الفارسية والتركية في الدولة العثمانية. غير ذلك ورثت جدتها أراضي أبيها وميراثه الذهبية، فاستثمر الحاج علي بدران كل هذه الأموال في إقامة المصانع.

أرسل الحاج علي بدران ابنه سهيل بدران-والد جمان- إلى ولاية بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية حيث حصل شهادتي ماجستير؛ إحداها في ترميم

المدن الأثرية من جامعة بوسطن والثانية في التخطيط العمراني من جامعة كاليفورنيا وعاد ناجحا إلى بلاده، نور بلاده بالكهرباء حتى أقاصي قراها ببناء سد على الفرات كما رمم بيته شبيها بالقصر إذ كان عمر البيت الذي ورثه عن أبيه عن جده مئة وخمسين عاما. ساعدته زوجته أي والدته جمان على تصميم القصر باختيار أفضل الأنتيكات الأثرية من السجادات والمزهريات البلورية واللوحات التشكيلية الأصلية، والخزائن من الخشب الثمين. كل هذه التصميمات أعادت إلى القصر جماله وأناقته الفاتنة.

وبعد سنوات، وبالتحديد سنة ١٩٦٣ م، جاء قانون تأميم الأملاك، والذي أثر في قلب جد جمان تأثيرا سلبيا حيث قاده إلى نوبة قلبية، فمات. وما تبقى من أملاك علي بدران كان قصرا وبضع أراض.

يلتقي ناصر بجمان بعد اللقاء الأول بشهر ويتحدثان خلال حوار طويل حول قضايا الحرب وأهل بلادها ومعاناة اللاجئين، وكل منهما بعيد عن بلده، لا يشعر ناصر بالانتماء إلى أي مدينة لسبب توزيع الأماكن قضى فيها فترات حياته فكل بلد يعيش فيه هو بلده، بينما تشعر جمان بالانتماء إلى مدينة الرقة.

ثم تسافر جمان إلى المخيم الزعتري للاجئين لأجل إكمال تقرير عن اللاجئين ومعاناتهم في استمرار الحياة فهي تعمل مع مؤسسة "تضامن" الهولندية. يعيش بعض اللاجئين لأنهم لا يجدون بيتا تم هدم بسبب القصف، أو تم الهجوم من قبل العصابات، ويتجه بعض الآخرون إلى الزعتري لأنهم يجدون الملاجئ أفضل من بيوتهم.

تلتقي جمان بامرأة لاجئة من أصول مصرية وزوجها المتوفى كان من سوريا، تتزوج به بالأحوال المختلفة حيث كانت متزوجة برجل آخر ولم تنجب منذ سنوات فيذهبان إلى ضريح للدعاء في هذا السبيل إذا يقال عن ذلك المكان أنه لا يذهب به أحد إلا ويستجاب له دعوته. هنا تجد المرأة أبا حسن ويضيع زوجها، ويرى أبو حسن أنها هي التي طلبها من ربه، فلا يتركها ثم تنجب المرأة حسنا ويليها أولاد آخرون.

تتعرف عليها جمان وعلى مشاكلهن بداية من هجوم الجماعة السياسية على بيتها والإسكان فيه إجباراً، فتضطر الأسرة إلى الخروج من هناك خوفاً على بناتها في البيت وخوفاً على أن يجعلوهم العبيد والخدم. لا تستطيع المرأة العودة إلى مصر عند أهلها لأنها لا تملك جواز السفر المجدد، لم تجدها منذ ورودها إلى سوريا منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وثانياً لا تعرف أين أقاربها في مصر.

تحاول الأسرة الهجرة إلى لبنان حيث يعمل ابنها حسن وحسين، وقبل وصولهم إلى الحدود اللبنانية السورية يتم إغلاقها، فيتجهون إلى عمان حيث الأمن متوفر للاجئين ومن ثم ينتظرون الآن إما لفتح الحدود اللبنانية السورية ليذهبوا إلى ابنهم، أو يتم استيراد بيتهم من أيدي المهاجرين.

تمكث جمان هذه الليلة في مخيم وتتأمل في السماء الشاسع في العراء وتحاول أن تنام خارج خيمتها التي لا تختلف عن خيام اللاجئين. تطلب "زينة" إحدى اللاجئات مساعدة جمان لإنجاب إحدى النساء اللاجئات اسمها "ضحى". تهرول جمان مع زينة إلى العيادة لأجل البحث عن المتخصص في الإنجاب والولادة، ثم تعودان إلى خيمة ضحى بانتظار الطبيب وأثناء ذلك تساعد جمان المرأة بما تعرفه من المعلومات البدائية لإسعاف الولادة. ويأتي الطبيب ويتم الأمور بالخير، تسمي الضحى ابنتها بـ "جمان" لأنها ساعدتها كثيراً عند الإنجاب رغم أن جمان لم تفعل شيئاً سوى الكلام على حد قولها.

عند العودة تشعر جمان بإرهاق شديد والذي لا يزول بالنوم ولا بالدش ولا بالاستراحة، ثم تمر الأيام وتشعر جمان بالسعال بالدم، السعال الذي كان يلزمها منذ فترة ولم تكثر له، إلا أنه عاد بالدم. تجري لها الفحوصات التي تفيد بأنها مصابة بالسرطان في الغدة الليمفاوية، تشعر بقرب الموت واليأس والوحدة، فلا أحد من أسرتها بجانبها، تخبر أباه وأختها سلمى وجود وكلهم في حلب تحت نيران الحرب.

تتصل جمان بناصر وهو يؤنبها على عدم إخباره من قبل، ويقول لها كلاماً أليفاً مشجعاً ويطمئنها للأحسن والأفضل. تشعر جمان بالتحسن النفسي

باستماع هذا الكلام. ثم يبدأ علاجها "الكيمو" لإزالة السرطان، يرهقها إلى أقصى مداها ويجعلها نخيلة يابسة.

يعتني ناصر بجمان في هذه الفترة ويهتم ومواعيدها عند الطبيب يعقوب. والطبيب يعقوب هو ذلك الشاب المجنون الذي وجدته جمان وأسرتها في رحلة صيفية إلى إحدى مدن إيطاليا، حينذاك كان يعقوب في العشرين من عمره وكان يأكل البوظة كل مساء، ومرة عضّه ولد على يده أمام جمان وأختها. تتحير أخت جمان سلمى من هذه الصدفة.

إنما يلعب ناصر دورا مهما في حياتها وظلّ يدا مساعدة في الأوقات الصعبة تحتاج إليها جمان. فيساعدنها ناصر في ترتيب أعمالها اليومية ويرتب الخادمة لها. يأتي إلى بيتها في يوم جلسات الكيماوي كل مرة ويبقى عندها إلى اليوم التالي إلى أن تشعر بالتحسن. تشعر جمان بإرهاق شديد وتعيش بين اليأس والأمل بينما يقوي ناصر معنوياتها والإيمان بالرب والقدر الخير، وأن تنتظر للشفاء القريب. وهذا الكلام يقويها أمام معاناتها الصحية والآلام، وتنام بهدوء، وترى نفسها خلال الحلم في بيتها بالرقّة وأنها تنومها في غرفة نومها.

في إحدى زياراتها إلى المستشفى تجد امرأة مصابة بالسرطان لكنها تكون في أفضل نشاط والجمال اسمها هانوي أو هانية، كل النساء بجناح السرطان يحببنها، يشرف الدكتور يعقوب على علاجها أيضا وتصبح حبيبته رغم مرضها.

أما الدكتور يعقوب فقصته تبدأ من هجرة الفلسطينيين إثر نكبة ١٩٤٨ حيث يذهب "يعقوب" جد الدكتور يعقوب، فهو يدخل في إحدى بيارات البرتقال لجلب الماء لأولاده، وعندما يعود بجرة الماء لا يجد ابنه يوسف بثلاث سنوات، بعد بحث مضمّن تمشي الأسرة إلى الحدود قبل أن تلحقهم الإنجليز وهكذا يضع يوسف إلى الأبد. من جانب آخر، تجد أسرة آل الشريف هذا الولد المنهك الذي لم يكن يعرف شيئا سوى اسمه يوسف واسم أبيه يعقوب. أخذته الأسرة معها وصار اسمه يوسف الشريف.

من ناحية أخرى، في أوضاع النكبة تهاجر عائلة الحاج أليف علم الدين أصحاب بيع الأسلحة، عبر البحر وتموت زوجته في الطريق وتترك الرضيعة اسمها نبيلة. بعد سنين حصل يوسف على المنحة من قبل الأونرا فيذهب إلى ألمانيا لدراسة الهندسة الميكانيكية. وتدرس نبيلة الفلسفة في الجامعة الأردنية. تزوج يوسف بنبيلة بعد العودة من ألمانيا وأنجبا يعقوب. مات يوسف بنوبة قلبية بعد فترة، وترك زوجته وابنه يعقوب. تحسن نبيلة في تربية يعقوب، مع أنها تشتغل في السفارة الألمانية بعمان ويكبر هذا يعقوب ويسافر إلى ألمانيا ويصبح طبيباً متخصصاً في أمراض الدم.

في الفترة التي يدرس فيها يعقوب خارج البلد، تلتقي نبيلة بالدكتور رشيد شهاب الطبيب العسكري المتقاعد في إحدى الحفلات. وتتعرف عليه وتعرف أنه يعيش في الحي الذي تقطنه نبيلة. وبعد تعارفهما بثلاثة أسابيع تتزوج بالدكتور رشيد. كل منهما يعتني بالآخر. ثم يكمل يعقوب دروسه ويعود، يجد رشيد في شكل يعقوب ابناً له، وكل منهما يحترم الآخر ويسمع إلى أفكار الآخر.

بعد ثلاث سنوات من الزواج أصيب رشيد بالسرطان، انهارت نبيلة من هذا الأمر لكن يعقوب خدمه كثيراً في البيت أكثر بكثير مما يمكن أن يكون في مركز طبي، وعندما يتدهور رشيد أكثر يطلب من يعقوب سرّاً ويتعاهده، أن يخضعه بالموت الرحيم كما يقال. يفي يعقوب بوعده ويسحب منه أجهزة الوظائف الحيوية، نتيجة لذلك خفف ضغط دمه وتوقف عمل قلبه.

تأثرت نبيلة بهذا الحادث كثيراً وخافت على جريمة ابنها من جانب. أصبحت صامتة، فاخفت نبيلة وراء عتمة اليأس بينما غاب يعقوب وراء جدار الصمت. وفي تلك الأيام تحسنت هانية من مرضها وعادت إليها الحياة. وصارت قريبة إلى جمان أيضاً، ودعتها إلى استوديو الرقص تابعا لها وشجعته على أن تأخذ دروس الرقص. وتشجعها هانية في الخروج من يأسها وتدلها على سبل العودة إلى الحياة. جمان تطرح سؤالها المفضل دوماً أمام الدكتور يعقوب وهانية وناصر والممرضة إن كانت ستشفى شفاء كاملاً أم لا، وهل سيعود المرض إليها أم لا؟ والكل يحاول

أن يساعدها في استعادة الأمل وشعورها إلى الأفضل. وخاصة هانية تساعدها أن تقبل وضعها الجديد من المظهر الخارجي لا سيما سقوط الشعر وغيرها.

وكلما تدخل جمان في غرفة الفحوصات الدورية تجد نفسها كأنها أمام مسدس "روليت روسي"، يوضع في إحدى حجراتها أطلقت رشاشا واحدا، ثم تدور هذه الأسطوانة، وتبقى جمان خائفة من أن يقتلها هذا الرصاص، لكن الطبيب يأتي بنتائج فحوصاتها السليمة، فتنجو مؤقتا من لعبة روليت روسي.

في تلك الظروف العويصة تتحدث جمان إلى والدها في حلب، بعد أيام من الحرب انقطعت فيها الشبكة والهواتف في حلب، وأيضا تتحدث إلى أختها سلمى. بعدها بأيام فقط تستلم جمان خبر اختطاف والدها عبر فيس بوك، فتتحدث إلى أختها، تحاول سلمى التفاوض مع المختطفين، ويتفقون على أن يأخذوا بعض أملاك أبيها عوضا عن حياته. وقبل أن تتم هذه المفاوضة بساعة، يعود المهندس سهيل بدران سالما إلى بيته بوساطة أحد معارف "جود" من المطبخ الإغاثي.

ثم تحكي جمان حكايات أختها سلمى أنها لا تحب قراءة الروايات، لأن أولى تجاربها مع الرواية كانت مع رواية خان الخليلي لنجيب محفوظ، وتأثرت كثيرا بموت بطلها رشدي بالسل، ومن ثم بقيت تبكي في غرفتها لثلاثة أيام. بعد إكمال دراستها في الاقتصاد بدأت عملها في شركة سياحية بريطانية في عمان، ومرة سافرت لأجل عملها إلى جزيرة الزبد في إقليم صحار.

خلال أوقات فراغها تذهب إلى الشاطئ وتنوي السباحة في الماء فتأخذ طوفا منفوخا باللون البرتقالي للسباحة، لم تنتبه سلمى بأنها قد وصلت إلى عرض البحر، تخاف سلمى من وجودها أمام قرشات وحيوانات بحرية أخرى، لكنها تجد البحر هادئا، إلى أن تجد حركة الدلافين تحت سطح الماء، ينقلب طوف سلمى وتسقط في البحر.

وفي تلك اللحظة تسمع صوت المحرك فإذا بسفينة تقليدية ذات أشرعة مثلثة أمامها. تستنجد سلمى بركاب السفينة، وتصل إلى متن السفينة بمساعدة "إبراهيمو" و"جعفر". تخاف سلمى في بداية الأمر من هؤلاء حاسبة أنهم قراصنة،

لكن تصرفهما يعيد إليها هدوءها وراحة قلبها، تسأل سلمى عن أحوالهما فيحكى إبراهيمو أنه ليس قرصانا أميا، بل أخذ شهادة صناعة السفن في معهد مهني، وجده كان برتغاليا ولد على سفينة من أسطول جاء غازيا لشواطئ زنجبار، وقعت السفينة في أيدي قراصنة عرب، من هنا وصل هذا الوليد إلى قبيلة عربية وترعرع هناك، وتزوج من أميرة أنجبت له أبا أبا إبراهيمو.

ترسو سفينة إبراهيمو في جزيرة أخرى، هنا يعود خوف سلمى مرة أخرى، لكن صوت يهدئ قلبها، يتجولون في هذه الجزيرة لشراء بعض الأغراض التجارية، وفي المساء تقضي سلمى وقتها في جمال هذا الشاطئ وتقع في غرام إبراهيمو لحسن سلوكه معها. تنتهي رحلة سلمى بعودتها السالمة إلى بيتها، وبعد فترة يزورهم إبراهيمو في حلب، تستضيفه الأسرة وتقدم له الأطعمة الحلبية، وتكرمه بأجمل الهدايا.

ثم تبدأ سلمى بعمل جديد في رقة بعد ممات والدتها، وتجد هناك زميلا اسمه "نسيب"، يتقربان مع مرور الوقت ويتحبان لبعضهما، ويقرران الزواج بعد مشورة من أبيها سهيل بدران الذي كان مترددا في بداية الأمر لكنه لبي رغبة ابنته الذكية سلمى. أنجبت منه بنتين خلال ثلاث سنوات هادئة وبعيدة عن الحروب. ثم تدخلت الدولة الإسلامية في العراق والشام إلى بلدهم، واتخذت من مدينتهم "الرقة" مقرا لها، واستولت على بيت سلمى ومزرعتها الكبيرة، فانتقلت مع أسرتها إلى بيت أبيها، يرغب نسيب في الهجرة إلى السويد حيث تضمن له الحكومة السويدية الاستقرار والعمل المرموق، وافقت سلمى فكرته بعد خلاف شديد بينهما بين قضية اللجوء إلى السويد والبقاء في الرقة، فخرج نسيب إلى السويد عبر السفينة، وبعد أربعة أيام تلقوا خبر غرق هذه السفينة، ووجدوا اسمه بين المسافرين الغرقى.

ثم تحكي الساردة جمان قصة أختها الصغرى جود، التي كانت مدللة عمتها ليلي منذ طفولتها، هذا الدلال أخرها في دراستها، لكنه جعلها تتعلم مهنة نسيج الكنزات من الصوف، تصل إلى سنة المراهقة بحبها للعزف والموسيقى، يطلب

والدها معلما لها لتعليم الموسيقى والعزف، تتعلم على يديه بكل جدية وتسترسل إليه عما تعرف عن الموسيقى، وبالتالي الأستاذ أيضا يقدم لها استرسالات غنية لمعرفة فن الموسيقى، هنا تخاف الأسرة من أن تقع البنت في غرام هذا المعلم، لكنه يغادر بنفسه قبل أن يقع المحذور، وتعرف جود عن قتله لزوجته أخيه لأسباب غير واضحة ويحكم عليه بالإعدام. تنهار جود من هذا الخبر المخيف فتعود إلى حضن عمتها. ولا يبقى حضن عمتها لها متفرغا طويلا؛ لأنها تهرب مع الرجل "صادق" كان يأتي لتدليكها عندما أصيبت بآلام في رقبته وظهرها. عندما تزوجت به خلصة تحير أخوها سهيل بدران من أمرها، ويتمنى لو طلبت موافقته لوافق على هذا الزواج، وقدم لها حقها من الميراث لتعيش بالرغد.

ثم يحدث حادث آخر في حياة "جود" هو أنها ترسل ولد الجيران إلى البقالة قريبا من بيتهم، وما إن يصل هناك حتى يتم انفجار قنبلة، ويجد الناس رجل هذا الولد من تحت الأنقاض. لا يفهم أهل الولد الفقيد فيما كان يفعل الولد عند البقالة أصلا فلا يملكون النقود ليشتروا شيئا. لا تتمكن جود بإخبار هذا الأمر، لكن الشعور بالذنب يغير حياتها.

فبدأت تستلزم الحجاب، فقررت العمل في المطبخ الإغاثي، كانت تشعر بتقديم مساعدة للاجئين والأسر الفقيرة بهذا العمل، خالفها أبوها وأختها سلمى ببدء هذا العمل، لعدم تميز الإرهابي واللاجئ الحقيقي والمدني والثوري والأجنبي والمحلي بين هؤلاء. رغم أنها كانت تسافر مع عدد من بنات أسرهما يعملن في المطبخ الإغاثي بالعباءة وغطاء الرأس والنقاب الذي يغطي وجهها، لكنها عاندت واستمرت في هذا العمل الخيري.

وخلال عمل جود في المطبخ الإغاثي تلتقي برجل اسمه روح الأمين من جذور أفغانية، عاد من أمريكا ليشارك في هذه الحرب الأهلية، اقتربا إلى درجة أن طلب يدها من أبيها سهيل، هو يخاف من مصير هذا الرجل المجاهد الذي سيكون غالبا ما موت في هذه الحرب، فيتردد من قبول هذا الزواج، لكنه يخاف من اختطاف

ابنته بيده، فيرضى مضطرا، ويزوجها به، وأنهار روحيا وجسديا من خوف ما سيحدث لابنته مع هذا المجاهد المغوار.

تشفى جمان من مرضها وتسجل في دروس الرقص، وتزور حفلات مع هانية وفي إحدى الحفلات تخطط هانية أن تزور أمها في كوالالمبور ومن هناك تزور الصين وأيضا تدعو جمانَ لمرافقتها. تريد إنجاز هذه الخطة قبل عرض الرقص في أول أسبوع من أيار. تسافر هانية إلى أمها ومن هنا تسافران معا إلى بكين، وفي الطريق تفقد طائرتهما وجودها على شاشة الرادار إلى الأبد.

تذهب جمان إلى عرض الرقص حيث دعته هانية. تجد هناك الدكتور يعقوب، هو يحاول أن يقدم لها اهتماما وفتح الصداقة لكن جمان تخرج من الحفل وتجلس أمام المستشفى في الليل وتشكر الله أن هانية ماتت بالحادث وليس بالسرطان، وتنتهي الرواية وهي تنظر إلى مبنى المستشفى وتنتظر لدورها بالدخول مرة أخرى، وتحملق في السماء وتجدها قريبة إلى نفسها!

المبحث الرابع: عرض رواية صيف مع العدو

إن رواية صيف مع العدو حكاية شخصية لميس هاجرت من مدينة الرقة في سوريا إلى مدينة "كولونيا" في ألمانيا بسبب الحروب بين عناصر داعش وقوات سوريا الدولية وقوات التحالف في القرن الحادي والعشرين. وهنا في مدينة كولونيا تسترجع أحوال أسرتها وأصدقائها خلال ثمانية فصول طويلة فتتكون الرواية من أكثر من ثلاثمائة وثلاثين صفحة بمتوسط الحجم.

إن لميس من مواليد السبعينيات وجدّها من كبار الإقطاعيين في الرقة، وجدّتها كانت راقصة لكن جدّها تزوج بها، لا يوافق والد الجد في البداية لكن يوافق لاحقاً على أنها ستترك الرقص، ومن ثم تركت هذا العمل بعد الزواج. أنجبت بنتاً اسمها نجوى وهي أم لميس، وابناً اسمه نجيب. عندما كبرت نجوى .

تحكي الساردة لميس أحداث طفولتها وهي في العاشرة من عمرها ولديها صديق طفولتها اسمه عبود وهو يكبرها بعامين. والد عبود اسمه أسعد وهو طبيب ييطري ذهب إلى تشيكوسلوفاكيا مع البعثة الحكومية، فالحكومة آنذاك كانت ترسل البعثات إلى البلاد الاشتراكية المتعاونة مع الحكومة السورية. ومعظم هؤلاء الطلاب كانوا يتزوجون بنات هذه البلدان، كما تزوج أسعد بـ "آنا" ثم جاء بها إلى الرقة في حيه القديم بدلاً من الأحياء المتطورة حيث يعيش معظم البعثيين لأنه يعيل أمّه وأخته كذلك ولا يكسب إلى ذلك الحد.

تلقي لميس ضوءاً على أسرة عبود وكيف يختلف عبود عن سائر الأولاد في الخلق واللغة وفي الملبس والملعب وفي الحياة اليومية وفي الطعام والشراب. فهو ولد ظريف نظيف يعمل واجباته في وقت ولا يلعب إلا في حينه. يلبس دوماً ملابس أنيقة وأنا تعمل له الكنزات الصوفية. كما يختلف طعامها من حيث النكهة والمذاق والإعداد، كما كانوا يكلبون بيرات وخمور خاصة من بدّلها عن طريق القادمين من هناك، ثم يستخدمونها في الحفلات والمناسبات. بالإضافة إلى ذلك تعجب لميس بالبيانو لدى آنا وكيفية عزفها، كما تعجب بالموسيقى الروسية.

كانت لميس تحب أن تلعب مع عبود وكانا يقضيان وقتا كثيرا معا وخاصة في عطلة صيفية. كانا يجتمعان قبل أن يستيقظ الناس ويفطران معا مرة في بيت عبود، ومرة في بيت لميس، وأحيانا كانوا يأحدون الوجبات من بيت جدة لميس عندما كانوا يتعبون خلال اللعب. أو كانت تطلب سندويشات خفيفة من صديقات جدتها في الحي نفسه.

بسبب المشاكل بين أم لميس وأبيها والشجارات بينهما وبين أنها وجدتها، كانت لميس تجد وقتا كثيرا للعب مع عبود وأولاد آخرين، وفي بعض الصيفات عندما كان عبود يسافر مع آنا إلى بلدها لزيارة جده لأمها، كان يثقل على لميس كثيرا فهي لا تجد صاحبها للعب والثرثرة. ففي تلك العطلة كانت تغامر بالذهاب إلى القرى المجاورة في حفلات الزواج مع سائق التاكسي يعيش في حيهم. كان يظن أن أهل بيتها على علم بمغامراتها ولكن في الحقيقة لم تكن تعرف أمها ولا جدتها عن تصرفاتها أبدا. كان يعود عبود بهدية لها.

عندما حدثت المشاكل بين والد عبود وأمه "آنا"، وتزوج بالمرضة وطلق أمه، اضطرت إلى أن تعود إلى بلدها وتركت عبود في الرقة لأنها لا تملك أوراق الكفالة ولا نفقات الكفالة. وتعرف أنه في نهاية المطاف سيعود إليها.

هكذا كانت هناك مشاكل كثيرة في أسرة لميس فأمها نجوى كانت تحب رجلا من أبناء عموماتها وتنويان الزواج لكنه يعاني من ضعف جنسي ولا يجد حلا لهذه المشكلة فيغادر البلاد إلى اليونان ويترك نجوى إلى الأبد. تتزوج بعد ذلك بأخيه، لا يحب بعضهما البعض. تكبر لميس في هذا الجو الكئيب في بيتها، وبعد عدة سنوات من العيش الجهنمي يذهب الزوج أيضا على اليونان عند أخيه ويطلقها ويترك عندها مالا كثيرا لها ولا بنتهما. بعد هجران الأخوين لها بقيت نجوى كئيبة لفترة ثم أصبح أوضاع البيت أفضل وبدأت نجوى تهتم بنفسها وبلميس وتقضي وقتا كثيرا مع أمها التي لا توافق أن تعيش في بيتهما.

عبود كان قريبا جدا ولذا تأثر بذهاب أمه تأثيرا سلبيا. صار ولدا مختلفا عما سبق، صار عنيدا جدا وبدأ يستخدم لغة سخيفة والشجارات مع الأولاد، وبدأ

يفكر في ألعاب خطيرة ومزعجة. ومن هنا حدث حادث إذ اشترى جوارب نائلون النسائية باللون الأسود وغطى بها وجهه فبدأ يخيف الناس. جدة لميس تصر على أن تعيش لوحدها رغم سنها الكبير فجاء فكرة إخافتها أيضا. أخبر لميس أنه سيخوف الجدة بهذه الهیئة، وعندما ذهبت لميس في الليل إلى بيتها، اتجه عبود إلى بيت جدتها حيث نافذة غرفتها. في صباح اليوم التالي عندما استيقظت لميس عرفت أن جدتها توفيت ليلة، لم تر لميس عبود في ذلك اليوم. وأنبها ضميرها على خطتهما السيئة. لم تكن تتخيل أن الجدة ستخاف إلى هذه الدرجة وتموت بسبب وجه عبود مع الجوارب. بقي هذا الحادث غصة في حياة لميس وعبود. صار سراً بينهما وصار سبب البعد بينهما. وكلما حدث سوء في حياتها كانت تلوم نفسها وتشعر بأنه عقاب من الله على ما فعلا بالجدة.

ثم تذكر الساردة أحداثا قديمة بزيارة عالم فلكي ألماني نيكولاس وأخته كارمن إلى الرقة لرصد السماء والنجوم هنا. تماما مثل ما كان عالم فلكي البستاني في القرن التاسع الميلادي وكتب مؤلفات عديدة حول رصد السماء في الرقة. كانت نجوى قد قرأت مؤلفات البستاني، التقى نيكولاس بجدة لميس أخبرته أن صديقتها تؤجر غرفة في قبو بيتها للأجانب، يعجب نيكولاس بتلك الغرفة ويجد في أولاد الحارة وخاصة في لميس مساعدة ومرشدة للمدينة القديمة والآثار القديمة. يطلب نيكولاس من نجوى أن تبحث لها المترجمة من اللغة الألمانية. بعد يومين تصبح نجوى تقوم عمل المترجمة والباحثة وقارئة الكتب. وأيضا تزورهم أخت نيكولاس اسمها "كارمن"، تمكث في دمشق وهناك أحبها رجل اسمها باسم وتزوجان ولم يدم هذا الزواج بسبب خياناته المستمرة لها.

قريبا من السكة الحديدية القديمة توجد قطار قديم حيث يلعب الأولاد وينام المتسكعون. يختار نيكولاس إحدى القاطرات ويجعلها مكتب رصد السماء أثناء قيامه هنا في بعثة علمية. يغير بابا قديما بالباب الجديد ويضع نوافذ جديدة، ويأتي بكرسي ومكتب ورف للكتب ثم وضع أضواء صغيرة خارج القاطورة وزين شرفة

القاطورة بأصص جديدة فيها أزهار ونبات رائعة، كل هذا المشهد عمّر القاطورة المهجورة.

تصبح علاقة نيكولاس ونجوى قوية فهي تقضي معظم أوقاتها هنا في القاطورة وناودر ما تعود إلى بيت أمها. تترجم النصوص وكتب حول الحال والمستقبل، والنصوص باللغة الإنجليزية كما تساعد في الترجمة من العربية إلى الإنجليزية فحسب رغم أنه يعرف بعضا منها. يساعد لميس وعبود نيكولاس كالمُرشدة وهذا العمل تفرح الجدة كثيرا لأنها مسؤولة ثقافية وتاريخية وفي المقابل لا تفرح بالأجرة، لكن نيكولاس يعطي الأولاد هوايا كالشوكولاتا وساعة اليد وغيرها من الأشياء.

أما الاهتمام الإضافي بين نيكولاس ونجوى لا يعجبا، تخاف من أن تذهب أمها مع نيكولاس وتتركها، في تلك الأيام عبود يصبح مشغولا مع بيطرة والده فتلتبس إلى نادي الفروسية فتأذن لها أمها، في النادي لأول مرة تقترب من الخيل وتحاول أن تمزق ستار الرهبة من الحيوانات. تتعلم الركوب والمشي عليها بسرعة منخفضة كما تتعلم غسل الخيل ومراعاة طعامها وشرابها، ثم تصل إلى مرحلة السباق. تخاف في البداية لكن تشجيع أستاذها يخرجها من شرنقة خوفها.

عندما تكتمل الشراكة بين بعثة نيكولاس والحكومة يللمم الأغراض من القاطورة، ولكن لا تقبل نجوى الذهاب معه إلى ألمانيا بعيدة عن أمها المسنة فبعد ذهابه تتلاشى أفكارها.

ثم تحكي لميس حبها لخالها نجيب، كان محبوبا لدى الجميع لكنه كان ينتمي إلى اليسارية الشيوعية ضد الحكومة والإقطاعية وذلك ما أدى إلى قتله في نهاية الأمر. في حلب يدرس نجيب القانون وهنا التقى بعروبة ووقع كل منهما في الحب. كان والدها صديقا لوالد نجيب في زمان بعيد وصار قاضيا في محكمة حلب. وعندما عرف والدها عن حبهما وبأنهما ينويان الزواج، لم تعجبه هذه الفكرة أولا لأن نجيب ينتمي إلى اليسارية المعارضة للحكومة وثانيا لأن أمه كانت راقصة في قديم من الزمان، فطلب من ابنته أن تنهي الأمر قبل أن يصل إلى الآباء. حزنّت عروبة بعد ذلك كثيرا والتحقّت بالسياسة وصارت نائبا في مجلس الشعب. وذات

يوم جميل رن جرس بيت جدة لميس واعتقله الشرطة، ذهب والده ووالد لميس وراءه إلى الشرطة لكن دون جدوى. وانهار أبوه بعدما عرف انتماء ابنه للسياسية. ساعدت عروبة من خلال وساطاتها في أن يطلق سراح نجيب لكنها فقط استطاعت أن تسلّم جثة نجيب إلى أهله. جاءت عروبة إلى بيت نجيب لأول مرة في جنازته رحبت بها أمه دون أن تعرف بأن عروبة من قبل الحكومة التي قتلت ابنها. بعد تدفين نجيب بدأت جدة لميس وأمها نجوى زيارتهما اليومية إلى المقبرة، زرعنا أزهارا ونباتات على القبر وما حوله، كما وضعوا سياجا حديديا حول القبر ولونوه بالأخضر، كانت الجدة تأخذ معها كرسيًا صغيرًا من القش ويحضرون معهم القهوة في الترمس والفطائر وبعد الوجبات الخفيفة، أيضا تشارك مع الجدة صديقاتها، وأيضا يجتمع معهم أساس آخرين جاؤوا إلى قبور أقاربهم. أما الأولاد بما فيهم لميس كانوا يلعبون بين القبور فصارت هذه الساعات بالنسبة الأولاد وقت اللعب. وأيضا يملؤون الدلاء بالماء لسقاية النباتات المزروعة حديثا، أما الكبار فيعتنون بقبر نجيب، والأزهار والنبات حولها، وصار هذا المكان بيتا ثانيا بالنسبة لهم، ولاحقا دُفن والد نجيب ووالدته أيضا داخل سياج. وبقيت أم لميس نجوى مع ابنتها بهذه الزيارات إلى أن تم منع زيارة القبور من قبل الداعشة، إلى أن تم قصفها من قبل طيران التحالف وبقي أطلال المقبرة على صفحة تضاريس المدينة.

في الأيام التالية تم منع الخروج عن البيت دون المحارم وفي هذا الصدد لقيت لميس ذات يوم بصديق طفولتها فواز في هيئته الداعشية، وأصر على أن لا تخرج لميس في الخارج إلا مع محارمها فصرخت عليه لميس بأنهما وحيدتان ولا توجد معهما أي حل ثان. لا تمضي فترة إلا ويسيطر الدمار على أرجاء مدينة الرقة. وتصبح الأرض ضيقة على أهلها، حينها ترسل لميس إيميلًا إلى نيكولاس وتخبره عن الأوضاع. في اليوم التالي يرد نيكولاس ويرحب بهما ويعد بأنه سوف يرسل لهما الفيذا، والأفضل أن تأتي كالمساعدة في الأبحاث وهذا سيسهل عملية التأشيرة والنزوح ولاحقا تتم تأشيرة أمها.

حينها يُعلن من قبل قوات سورية الدولية بأخلاء البيوت والأحياء إلى جانب آخر من جسر الرقة والذي يعتبر حدودا لها. لكن الأمر أكثر خطورة هو أن داعش وضعوا ألغاماً عند الجسر لكي يستخدم المدنيون كدرع إنساني. هذا ليس فحسب بل وضعوا أفخاخ القناص.

تأخذ لميس ونجوى النقود والذهب وتخرجان في طابور من الناس يبلغ عددهم إلى حوالي سبعين. يمشون إلى جانب الجسر حيث تنتظر لهم القوارب في الفرات. كانتا في النصف الأخير من الطابور، عندما نجوا من منطقة القناص دون أن يصيب أحد بالضرر. انفجر لغم واحد ثم لغم ثان والذي أدى إلى قتل الوالدة وبتر رجلها عن جسدها العلوي. تصيب لميس بذعر شديد وتطلب من مرشد "قسد" أن يسمح لها بتدفين أمها، فلا تجد لميس أمها إلا خياراً واحداً وهو أن تبقى هنا لوحدها، وتدفن أمها.

تحتاج لميس إلى مساعدة لإكمال هذه العملية، فتذكر أن سائق الخيل يقطن قريباً من الجسر، يصل هذا الرجل إلى شاطئ الفرات حيث جثة نجوى ويساعد في تدفينها، تبقى رجلاً الأم دون التدفين والذي يؤلم لميس طوال الفترة. تصل لميس بطريقة ما إلى ألمانيا في مدينة كولونيا عند كارمن أخت نيكولاس. هنا تتجول لميس في المدينة وتتسوق، وعندما تجد نفسها تحت الدش أو في المطعم تذكر معانتها في الرقة حيث لا ماء ولا طعام فلا يمكن للإنسان أن يكون بدون الاحتياجات اللازمة لكنها عاشت بدونها في زمن الحرب.

وفي المرة الثانية عندما تتواصل مع نيكولاس تكون وحيدة وأمها قد ماتت. انتقلت إلى دمشق حيث مكثت ستة أشهر بمساعدة أصدقائها وصديقاتها إلى أن تصل إلى ألمانيا تجمع نصف الفلوس في البنك لكي تدفع رسومها في الجامعة وتتسوق بالباقي احتياجاتها لأنها جاءت من أرض الحرب. والباقي دبرها نيكولاس مع الجامعة في شكل المنحة الدراسية.

تلقي بكارمن في هذه الأوضاع الجديدة بعد بضع من السنوات هي كاتبة ناجحة، تمكث عندها بضعة أيام قبل السفر إلى الميونخ عند نيكولاس، في هذه الفترة تتحدث

كارمن أنها أحبت باسم وتزوجت به ولكنه خانها، ثم تحكي عن رجال آخرين وهما "غونتر" و"دانييل"، قامت بإنشاء العلاقة بهم في فترة من فترات حياتها اللاحقة. لكنها تنسى الثقة بملاحمها، كما لا تشعر بالثقة حول جسدها الذي صار ينحدر إلى شاطئ الشيخوخة. تثرثر المرأتان طويلا أما كارمن فتتحدث عن قصصها مع الرجال الثلاثة وعن أصول والدتها البولندية اسمها ماريون التي عانت كثيرا مع والدتها وأسرتها بأحوال الحرب العالمية الثانية بين أطراف سياسية وقوى عالمية في مدينة "دانزيغ"، وصارت مدينتهم أنقاضا، وما بقي قليل من تاريخهم هو ساعة فلكية موجودة في الكنيسة وصارت هذه الساعة موضوع حكايات كثيرة ومن هنا كان نيكولاس أخو كارمن بدأ يهوي إلى رصد الأفلاك والعوالم البعيدة حول أرضنا وسمائنا، وبصعوبة وصلت ماريون مع أمها جاكلين إلى ألمانيا. بدأت جاكلين تعمل خياطة في دار الأزياء وصارت ماريون جنديّة.

في أحد المعارك تم قصف على الأسطول الجوي ووصل الجرحى من بينهم "هانز شاخ" استلم بعض شظايا الزجاج في جسده وكان أفضل حال مما وجدته حوله في قاعة المستشفى، فمعظمهم فقدوا بعض أعضائهم وصاروا ملفوفين في الضماد كمومية عصر الفراغة. وهنا وجد هانز ماريون جالسة على الكرسي ورجلاها ملفوفتان بالضمادات وضعت على حافة سرير هانز وكانت تقرأ من قريضة شعرها الجميل، بدأت قصة حبهما من هنا. تزوج هانز بماريون، وأنجبا الأولاد السبعة، كانت ماريون تميل إلى نزعة صد الحرب والنازية بينما كان هانز نازي النزعة. ورغم حبهما كان الصراع السياسي يأخذهما إلى شجارات شديدة لكنهما سيطرا على هذا الجانب لأجل استمرار العائلة.

بعد هذه الثروة تكون هناك مفاجأة للميس إذ تلتقي بعبود بعد سنوات طويلة في كولونيا حيث غادر البلاد قبلها بسنين بعدما توفي والده وجدته بينما تزوجت عمته برجل. وجاء إلى ألمانيا ودرس الفندقية من ميونيخ كما تتلمذ على يدي طباح مشهور في ميونيخ ثم فتح مطعما هنا في كولونيا وصار من الأثرياء. تحدث عن بعض ذكرياتهما وأسرارهما من الرقة كأخهما عادا إلى الرقة. ثم تسأل لميس عن

كيفية قتل الجدة. لا يفهم عبود هذا السؤال فتكرر ليس سؤالها، يقول عبود عن أي قتل تتحدث. فتقول ليس بأنها تتحدث عن تلك الليلة التي قفز فيها من نافذة جدتها وهو لابس جورب نائلون أسود على وجهه فماتت الجدة من الخوف إذ أصيبت بالجلطة القلبية.

يندهش عبود من كلام ليس ويخبرها بأنه ذهب من نافذتها لمنها لم تكن موجودة في غرفتها فعاد إلى بيته وفي اليوم التالي سمع بأنها توفيت من جلطة قلبية وسقطت على أرضية المطبخ وهناك وجدوها ميتة. هو سأل عن ليس فقيل له بأنها نائمة، ولم يرها ذلك اليوم. دارت الأرض والسماء حولها عدة مرات وهي لا تفهم من الأمر شيئاً وتصيب بجنون من الانهيار وتخبره بأنها تحمل وزر هذا الإثم منذ ذلك اليوم وكلما كان يحلّ بي سوء كنت أؤنب نفسي وكأن هذا السوء عقاباً على قتلنا للجدة.

هدأ عبود من روعتها وطلب منها أن تترك الآن هذه الأوزار التي لا وجود لها، فتسألها لماذا لم يخبرها كل هذا من قبل ولماذا بدأ يتعد عنها، فيقول بأنه لم يكن يتخيل أبداً ما كان يجري في مخها بل ظن بأنها هي التي بدأت تتعد عنه وتنشغل عنه. لكنها تغضب كثيراً وتضربه وتحاول أن تخرج عن شفتها، يمسك بها ويقول لها بأنه كان يفتقدها ولكنه لم يمسك بها في المرة الماضية ومن ثم لن يكرر ذلك الخطأ الآن ولن تسمح لها بالذهاب هذه المرة. وتخبرها بأنه سيساعدها أكثر من كل شخص في العالم ويساعدها في تعليم الألمانية ثم تستطيع أن تختار الدراسة هنا أو تذهب إلى نيكولاس، لكنها تختار أن تسافر إلى نيكولاس وهنا تنتهي الرواية وهي تصل إليه وكأنها أمها مقطوعي الساقين لتلتقي بعدوها القديم.

الباب الثاني

قضايا المرأة في روايات الكاتبتين

يشمل:

الفصل الأول: قضايا المرأة عند بدرية البشر

الفصل الثاني: قضايا المرأة عند شهلا العُجيلي

الفصل الأول:

قضايا المرأة عند بدرية البشر

تناولت بدرية البشر عدة قضايا متعلقة بالمرأة كأشكال التطرف الديني، وإذن البنت للزواج، وظاهرة هروب المرأة، وتأثير الأفلام وخطة الهروب، وقضية الزواج، والسلوك مع الإماء، قضية الاعتداء أو الاغتصاب، وقضية الفساد الجنسي، والتعامل مع البنات، وحقوق المرأة، وسوء خلق المرأة. ودون ذلك عدد من القضايا كالعنف الأسري سواء أكان ذلك من قبل الزوج على الزوجة أم من قبل الإخوة على الأخت أو من قبل الوالد أو الوالدة على البنت^(١).

١: قضية التطرف الديني

تشير الكاتبة في رواية الأرجوحة إلى قضية التطرف الديني وجانبه الاجتماعي والتربوي وهي العزلة عن الناس والأسرة، حيث تعزل أم مريم عن الناس ولا تتحدث إلى أي أحد من البنات والأحفاد والجيران مخافة من أن تقع في القيل والقال والنميمة والغيبة. وهكذا تغمض عينيها عن تربية أحفادها وأن تلتقي بالناس وتوزع الخير فيهم. بل اقتصر تعاملها مع أحفادها على الابتسامة والمسح على رؤوسهم والرقية. وصارت شخصية أم مريم وتعاملها وتصرفاتها لغزا بالنسبة لهم فلا تقدم معروفا للمجتمع بشكل إيجابي: "صارت أسئلتهم تزداد عما تفعل جدتهم، ويشيرون إليها أحيانا بالاستفهام، فتمسح على رؤوسهم وتصمت. وأصبحت لا تجيد أحاديث الدنيا، وأخذ عالمها يضيق، وصارت الرقية همزة الوصل مع أحفادها، لأنها الطريقة الوحيدة للمسهم بحنان." ^(٢)

(١) ينظر: تمثيلات العنف النسوي في روايات بدرية البشر (هند والعسكر) اختياراً، سهاد ساعد صاحب، مجلة سياقات اللغة والدراسات البيئية، مصر، المجلد ٣، العدد ١، أبريل ٢٠١٨، ص ٢١٣.

(٢) الأرجوحة. ص: ١٢.

أشارت الروائية بدرية البشر في رواية الأرجوحة إلى جانب آخر من التطرف حيث ينعزل الرجل عن زوجته لما أصيب بتطرف ديني إثر صدمة كبيرة ما، كما يحدث في حياة أخ سلوى "بندر" الذي اتُّهم زورا بالرشوة والغش وغيرها من الجرائم وحُكِم بالسجن لتسعة أشهر، ولما عاد من السجن تغير تماما، صار عنيفا وصامتا ولا يهتم بأي شيء من أسرته. بنى ديوانه الخاص في الجانب الخارجي وبابه يفتح في موقف سيارات البيت، ووضع في هذا الديوان كتباً قديمة وانعزل عن زوجته لأنها كانت تذهب إليه في هذا الديوان المفتوح إلى الخارج وعندما تعود صباحا داخل المنزل في غرفتهما، مرة تجد طريقها ومرة لا تجد إذ يوجد هناك خدم في الخارج.

في هذه الحالة تعاني زوجته بالمشاكل الكثيرة ولا تفهم أوضاع بندر وبدلاً من أن تبقى معه، تغضب وتذهب إلى بيت أمها ولا تتعامل مع القضية بالحكمة ولكن أم بندر تتعامل بالحكمة إذ لا تكبر القضية بينهما ولا تخبر النساء الأخريات عن سر ذهابها إلى بيت أهلها كي لا تجد النساء في التقولات ما تلقي الوقود على النيران الموجودة، كما تحكي الساردة: "وتعزّي الوالدة سبب غضب زوجة ابنها بندر وغياها المستمر في بيت أهلها، إلى خصامها حول تركها صوت الغسالة يعمل طوال الأسبوع، وليس لأن بندر صار يهجرها، ويتمسك بأي عذر لينام في مجلس صغير بناه في الفناء الخارجي للمنزل." (١)

وفي رواية غراميات شارع الأعشى تثير الكاتبة قضية هامة وهي عدم تحمل مسؤولية الأسرة بعد الزواج، كما نجد عند شخصية سعد الذي يعاني من تطرف ديني بتأثير شديد بجماعة دينية في المسجد، ولا يقبل أي نوع من الاختلاط بالنساء سواء كان لأجل العمل، فوالده تاجر ويجلس في محل الخضار، أما سعد فلا يتمكن من الحديث إلى النساء في موضوع الخضار ويفشل في هذا العمل.

(١) الأرجوحة. ص: ٧٨.

ولا يعمل في مكاتب الحكومة فهو حرام حسب تعليمات شيخ الجماعة، فيبقى عنده خيار أن يعمل كسائق سيارة الأجرة بسيارته.^(١)

في هذا العمل أيضا لا يكسب ما يسد الحاجات البسيطة لزوجته وابنته لأنه معظم الأحيان في اليوم يأخذ أهل الجماعة متطوعا، ثم كلما يريد أصحاب الجماعة أن يذهبوا إلى مكة للعمرة والحج يترك سيارته في تصرفهم. وهكذا يضطر سعد أن يستعير بعض الفلوس من أبيه. ووالده يحاول أن يعطي الجازي بعض الفلوس لأجل كسوة حفيدته، لكنها لا تقبل منه، بل تكتفي بما تعطيها أمها وضحي في العيدين.^(٢)

فالتطرف الديني لا يساعده في أداء واجباته تجاه أسرته، ولا يكون جزءا فعالا في بناء الأسرة. وهذا يدل على زيغ في نظام تربوي في جماعته التي لا تشرح للأفراد ما عليهم من المسؤوليات الواجبة. فتقوى الله يلزمه حقوق العباد وتحمل المسؤولية، وهذا ما انتبهت إليه وضحي أم الجازي عند قبول هذه الخطبة، نيسكما قالت وضحي ذات يوم: "متعب لا يحب أهل اللحي، لكن سعد يخاف الله واللي (والذي) يخاف الله ما يظلم (لا يظلم)".^(٣)

أشارت الكاتبة بدرية البشر في رواية زائرات الخميس إلى العزلة عن الناس في البيت لأجل الابتعاد عن المعاصي الموجودة في البيت أو الأهل بدلا من إصلاحها، وتتجلى هذه القضية في شخصية مشاعل عندما تأثرت من دروس الأخت مها ومن صداقة بنات المصلى في الجامعة. واقترب موعد زواج أخيها عبد الرحمن وانشغلت أمها في الإعدادات لكن مشاعل لم يعجبها ومن ثم، "جلست مشاعل في غرفتها التي رتبّتها وأغلقت بابها كي تحظى بعزلة تبعدها عن إسراف أمها في الحياة كعادتها وإشعاع إذن البنت عند زواجها.

(١) ينظر: غراميات شارع الأعشى، ص: ٢١٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٢٣٩.

في رواية زائرات الخميس، أثارت بدرية البشر قضية هامة في المجتمع السعودي عند بعض المتطرفين الذين يستخدمون المرأة لأجل فضيحة شخص ديني على اسم الدين كما نجد في حياة بنات المصلى اللاتي يتأثرن كثيرا بدروس الأخت مها الدينية ويمثلن لكل أوامرهما. فتختار الأخت مها بنتا من هؤلاء البنات اسمها "أروى" لمهمة إغواء رجل ديني يظهر في الإعلام كثيرا ويؤثر في الشباب كثيرا بتهمة النفاق، وتريد من أروى أن تأتي لتسجيله لإفصاح أمره. أثناء أداء المهمة تقع هذه البنت في حب هذا الرجل لكن بعد شهر تقدم شريط التسجيل إلى الأخت مها، وتأمرها أن تتوقف عن الحديث إليه.^(١)

هذه الظاهرة قد تضع البنت في خطر شديد ولا تكون في أمن، وفي حالة عكسية هذا الشخص أيضا يستطيع أن يفضح من أمرها. والمعلمة تستخدم مشار البنات المراهقات لا يعرفن الخير والشر، وتحرضهن على الأعمال الخطيرة غير عفيفة على اسم الدين والجهاد عن اليد واللسان ضد السيئات. ثم أيضا تطلب من مشاعل أن تذهب وحيدة إلى الأخ أبو المثني لتقدم لها الأموال لأجل الجهاد قائلة: "جمعت هذه الأموال من أجل الجهاد في سبيل الله؛ إن أخواتنا في كل مكان يمدون أيديهم بالخير. ستأخذين هذا المال إلى أخينا أبو المثني."^(٢)

وعندما ذهبت مشاعل هناك وحيدة لم تشعر بالراحة والأمان، بل "شعرت أن هناك أعينا تراقبها، تحاصرها، ومن بينها عينا أبي المثني."^(٣) ولم تلبث هناك وخرجت بسرعة. فإرسال البنت إلى مثل هذه المواقف ولا يصاحبها على اسم الدين هو ابتزاز مشاعر البنات الساذجات لأجل المصالح الشخصية الخطيرة دون رضا أولياء الأمور أو معرفتهم على الأقل بما يجري في حياة بناتهم.

(١) ينظر: زائرات الخميس. ص: ١٧٤.

(٢) المصدر نفسه. ص: ١٧٥.

(٣) المصدر نفسه. ص: ١٧٦.

في رواية هند والعسكر أشارت الكاتبة إلى انزعاج امرأة من قوانين هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تزجج النساء في المطاعم. فعندما تذهب هند وشذا مع الوليد إلى المطعم للعشاء، شذا تخبر هند بفائدة المطاعم الفاخرة بسبعة نجوم، فترتاح هند باستماع الكلام التالي: "المطاعم الفاخرة من فئة سبعة نجوم لا تنطبق عليها قوانين المطاعم الأخرى في الرياض، فلا قواطع خشبية ولا مداهمات من هيئة الأمر بالمعروف تفتش عن اللقاءات غير الشرعية بين حبيب وحببية أو صديق وصديقة، أو تمنع جلوس النساء لوحدهنّ من دون محرم." (١)

أشارت الكاتبة بدرية البشر إلى قضية أخرى حساسة عن المرأة والحياة الأسرية والاجتماعية في السعودية وهي تصرفات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تسيء الأمور في بعض الأحيان بدلا من إصلاحها كما نجد في حكاية مريم ومشاري حيث يذهبان مع أصدقائهم -سوسن وثامر- إلى المطعم، وهنا يهجم عليهم رجالان من الهيئة ظانين أنهم عشاق ويأخذونهم إلى المخفر ويكبرون الموضوع إلى أن يوصلون هذا الخبر إلى أسرة مريم ويدللون هؤلاء الشباب إلى حد أقصى، وهنا ينقد مشاري تصرفات هذه الهيئة بأنها لا تتابع الإسلام الحقيقي بل تلوث اسمها كالتالي:

"ما فعلوه معنا لا يمت للإسلام بصلة، الإسلام خسر اعتداله يوم تحالف السلطة مع الدين، عندما انضم الوالي إلى الإمام الغزالي ضد ابن رشد الذي كان آخر المنافذ الهوائية التي تنفس الإسلام منها الاعتدال بواسطة العقل، لكن مدرسة النقل هي التي انتصرت، وهي التي أدت إلى التشدد الذي يضطهد العقل، والإنسان، والمرأة، والذي أعلى كل ما هو ذكوري وعشائري ضد كل ما هو حضاري وإنساني." (٢) وبهذا الشكل تنقد الكاتبة تصرفات السلطة في بلدها في

(١) هند والعسكر. ص: ١٢٢.

(٢) الأرجوحة. ص: ٢٣-٢٤.

شؤون المجتمع والدين وهذه المواضيع حساسة في البلاد الإسلامية فأشارت إليها عن طريق هذه الشخصيات.

٣: قضية إذن البنت للزواج وموافقتها

تتناول بدرية البشر موضوع إذن البنت عند الزواج وموافقتها في هذا الشأن لما فيها أهمية ديننا الإسلام. كما ورد في الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تُنكحُ الأيمُ حتى تُستأْمَرَ، ولا تُنكحُ البكرُ حتى تُستأْذَنَ، قالوا يا رسولَ الله: وكيفَ إذْهَما؟ قالَ: أنَ تَسْكَتَ." ^(١) فالنبي صلى الله عليه وسلم إشار إلى أهمية هذا الموضوع لأنه حساس للغاية في كل العصور، ولكي لا يتم استخفاف ضعف البنت أو استغلالها في هذا الموقف. كما أصدرت الحكومة السعودية أوامر في موافقة المرأة لفظياً للزواج مفادها: "تسليم المرأة نسخة من عقد النكاح أسوة بالرجل وتوجيه مأذوني الأنكحة بسماع موافقة المرأة لفظياً." ^(٢) ومن ثم أشارت بدرية البشر إلى هذه القضية خلال رواية غراميات شارع الأعشى ورواية زائرات الخميس كالتالي:

أما رواية غراميات شارع الأعشى فأشارت الكاتبة فيها إلى قضية إذن البنت واستشارتها في قضية زواجها ثلاث مرات في تعامل والد عزيزة مع عواطف وعزيزة والجازي. أما عواطف فعندما يأتي لها الخطيب، تأخذ من أمها بعض الوقت لكي تستخير ثم يمضي أسبوع ولا تصل إلى قرار حينها يطلبها والدها ويشرح لها الأمور ويتحدث إليها بدلا من أن يفرض عليها القرار، كي تأخذ قرارا مناسبا عن مستقبلها، كما تعلق عزيزة: "حدثها بحديث طويل عن الأقدار والنصيب، وأن الفتاة ستجد نفسها مهما طال بها الأمد في بيت زوجها، والأبناء زينة الحياة

(١) صحيح البخاري، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة ، سنة ١٤٢٢هـ ج، ٧، ص، ١٧ كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها، رقم الحديث: ٥١٣٦.

(٢) دور المرأة السعودية: في المجتمع وفي قطاعات الأعمال المختلفة والقطاعات الحكومية، مجلس شؤون الأسرة، المملكة العربية السعودية. الإصدار الثاني ٢٠٢٠م. ص: ٢٣.

الدنيا." ^(١) وهكذا يساعدها الوالد في انشراح صدرها إلى هذا الزواج، رغم أنها كانت تحب جارها سعد. فحصلت على شعور جيد وطمأنينة بكلامه، كما تقول الساردة: "وجدت الأمان في حديثه الذي حثّها على القبول." ^(٢)

أما قضية الجازي، فهي أن وضحي تأتي لمشورة من والد عزيزة عندما تقدم أم سعد لتطلب يد الجازي لابنها سعد. عندما سمع كلامها قال لها مبتسما: "شاوري الجازي، لازم توافق" ^(٣) لإيضاح أهمية هذا الأمر رغم أنها ليست ابنتها لكنه يقدم لأجلها نصيحة طيبة. ثم عندما يأتي دور خطبة عزيزة يقدم أبوها الفكرة أمامها وأمّام أمها، تقول أمها بأنها لا تريد أن تزوج ابنتها بالعجوز، فيرد أبوها بأن الخطيب صغير لا زال في الخمسين. في ذلك الوقت لا تتحدث عزيزة في الموضوع. ففي اليوم التالي تقول لأمها بأنها تقبل أبا فهد زوجها. يظن الأب والأم بأنها ربما تنازع فيسألها الوالد بالجديّة عما إذا تقبله زوجها أم لا فتوافق عزيزة. ^(٤) كي لا يكون هناك سوء التفاهم ولا إجبار على البنت في قضية الزواج.

وفي رواية زائرات الخميس تشير الكاتبة إلى قضية إذن البنت ورغبتها عند الزواج خلال الحوار بين أم مشاعل وزوجها حول عودة مشاعل من بيت زوجها بعد أسبوع واحد من الزواج. وعندما توبخها أمها أمام زوجها يقول لها بأن كل أمر يمكن أن يحدث بالكراهة غير الزواج، وعندما تبرهن أمها بأن المرأة ليس لها أي قيمة بدون الرجل، فيقول ضاحكا على أفكارها: "المرأة إنسان، سواء أعرست أو طلقت أو ماتت. هي في النهاية إنسان." ^(٥) تتعجب أمها من هذا القول الذي

(١) غراميات شارع الأعشى. ص: ١١٦.

(٢) المصدر نفسه. ص: ١١٦.

(٣) المصدر نفسه. ص: ٢٢.

(٤) المصدر نفسه. ص: ٢٤٨ و ٢٥١.

(٥) زائرات الخميس، ص: ٣٢.

لا يقال حسب معتقداتها للبنت في أن تقرر مصير زواجها الأول. ويرحب بمشاعل قائلاً: "الله يحبيك يا ميشو، البيت بيتك وأنا عمك." (١)

فهذا الحوار في الحقيقة صورة مصغرة لحوار كبير بين الناس في المجتمع السعودي حيث يرى الناس أن المرأة لا تقرر مصيرها الاجتماعي من الزواج والطلاق ولا يؤذن منها بل يتم إخبارها، بينما يرى مجموعة من الناس إلى أن البنت لديها صلاحية القبول أو الرفض فيؤذن منها. وهذا الصراع بين الآراء لا يتوقف أبداً بل يبقى مشتعلًا، فلكل واحد من طرفين القضية لهما إيجابيات وسلبيات.

٣: قضية ظاهرة هروب المرأة

في رواية هند والعسكر تشير الكاتبة إلى قضية خطيرة هي هروب المرأة مع رجل للزواج دون إذن من الوالد والوالدة، لأن المرأة في هذه الحالة تعرف بأن الأسرة لا تأذن لها لهذا الزواج، حيث تهرب زميلة هند في العمل "جهير" مع الطبيب المسلم "أكبر"، يعمل في المستشفى لكنه ليس عرباً بل هو باكستاني. عندما يصل الخبر إلى أهلها يأتون إلى مكتبها ويتهمون القسم بأن أحداً من هنا قد ساعدها في الهروب إلى أمريكا وخروجها من المطار لأن الوالد لم يكتب له إذن خطي. وقاموا بضجة. قال أحد الزملاء بأن فعل جهير لا يخرج عن الإسلام فهي ثيب مطلقه وتستطيع أن تختار لها زوجاً. أما مديرة القسم فتغضب من القضية خوفاً على سمعة القسم بأن البنات هنا يهربن مع العشاق. بينما تحسد النساء من جهير لأنها نجت من سجن هذا المجتمع ونجحت بالزواج بمن تحبه ويحبها. (٢)

لكن الغريب الذي كان في شخصية جهير أنها كانت ضد هذه الحريات باسم الإسلام، وكانت ملتزمة شديدة بالالتزام على تعاليم الإسلام، ولو أن أحداً كان في مكانها للامته. بل عندما قرأت مقالا عن تحرير المرأة فأرسلت نسختها إلى شيخها كي يأخذ تدبيراً لمنعها. (٣) في هذه الأحوال ومع هذه الأفكار تهرب جهير

(١) زائرات الخميس. ص: ٣٢.

(٢) هند والعسكر. ص: ١٠٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه. ص: ١٥٤-١٥٥.

كأن الكاتبة تريد أن تشير إلى أن جهير تراجعت عن معتقداتها نظرية عندما جاء موقف عملي.

وفي رواية غراميات شارع الأعشى توجد قصة محاولة هروب من قبل مزنة مع شاب فلسطيني يطلب يدها من أسرتها لكن إخوته يرفضون بسبب أصله المجهول من بلد آخر لا يمكن معرفة أسرته وحسبه ونسبه. وعلى هذا الأساس يتم الرفض. عندما لا تجدي توسلات مزنة نفعا تقرر الهروب مع الشاب الفلسطيني.

كما تعبر الكاتبة عن حالة مزنة اليائسة: "ظلت مزنة تفكر بأن الحياة لم تعد تمنحها إلا أحد طريقين: الهرب أو الموت. هي تحب الحياة، وتحب رياض، لماذا يجب أن تفكر في الموت، ألم يبق لها سوى الحل الآخر: الهروب؟" ^(١) فهذا التعليق تعبر عن فقدان الأمل والتهور عند الشباب وهم يئسوا من كبارهم فيما يطلبون منهم من الأفعال الشرعية.

تخرج مزنة في الليل ولكن أمها تدرك الأمر، وتقرر تزويجها بذلك الشاب قائلة: "لا تغسلي وجه إخوانك بالعار. وقولي يحيي باكر (أن يأتي غدا) ومعه الشيخ." ^(٢) رغم يأسها وتهورها للزواج برياض إلا أن رؤية أمها عند الهروب أعطاني شعورا بالندم وبأنها غدرت أمها "لم تفكر أبدا بها حين تكتشف غيابها في الصباح." ^(٣) فالهروب لها مضراتها النفسية والاجتماعية حتى ولو يكون حلا وحيدا.

٤: قضية تأثير الأفلام وخطة الهروب

في رواية غراميات شارع الأعشى تبلور الكاتبة قضية تأثير قصص الأفلام من العشق والغرام والهروب مع الحبيب على المراهقات الساذجات، حيث تشاهد عزيزة أفلام مصرية بشغف وترى نفسها واحدة من تلك الممثلات. ودائما تحلم لنفسها عريسا مصرية كالممثلين المصريين. وعندما تجد الطبيب أحمد يتعامل معها بلطف تظنه عاشقا لها لكنه لا يكون جادا في موضوع الزواج معها. وعندما تخبره

(١) ينظر: غراميات شارع الأعشى. ص: ١٥٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه. ص: ١٥٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ، ص: ٢٤٢-٢٤٤.

بأنها تريد الهروب معه إلى مصر وأن تغير اسمها وتتزوج به مثل ممثلة وراقصة فلاينية. يحاول أن يشرح لها من سداجة هذه الفكرة وعدم مروءتها. وعندما لا تفهم يخبرها شيئا قاطعا بأنها لا تملك جواز السفر.^(١)

تناقش عزيزة فكرة الهروب مع مزنة، التي حاولت الهروب أيضا لكن أمها وضحي أدركت الأمر وتحركت بالحكمة قبل فوات الأوان. مزنة نصحتها بالتراجع عن فكرتها. تتأثر عزيزة بكلام مزنة إلى حد أنها تشعر بالذنب تجاه أسرتها بفكرة الهروب. غير أنها تفكر في إمكانيات الحصول على جواز السفر. وعندما يقدم أبو فهد العجوز لخطبتها. توافق عزيزة بسرعة على الخطيب العجوز لأنها في الحقيقة وتطلب من خطيبها جواز سفرها قبل الزفاف. وعندما تحصل على جواز السفر تفرّ عند الطبيب المصري، لكنه لا يقبلها لأنها زوجة رجل آخر، بينما ترى عزيزة أنها جازفت بكل شيء لأجل حبهما. إلا أنها تجده يلقي دروسا على شرف العرب وغيرهم. والآن تفيق عزيزة من غباءها فتجد نفسها متزوجة برجل عجوز، والرجل الذي كانت تظنه حبيبا قد تخلّى عنها. فالحقيقة تختلف عن عالم الأفلام وقد دفعت هذه المراهقة ثمنها باهظا لفهمها. وعندما شُفيت عزيزة من بطولة الطبيب المصري، في ذلك الوقت انتبهت لأول مرة أنه ليس بممثل بل هو قبيح المنظر حيث تقول: "حدّقت فيه فرأيت ملامحا كأني أراها للمرة الأولى. أنفه المفلطح وعينه المسحوبتان إلى أعلى، نظّارته الطبيّة، وشفّته المسودّتان من أثر السجائر."^(٢)

٥: قضية الزواج

إن الكاتبة بدرية البشر تناولت قضية الزواج بأشكال شتى كتزويج البنت في سن مبكرة قبل أن تبلغ، أو الزواج قسرا، والزواج بالعجوز لأجل المال، وزواج مسيار، وزواج بنت المغتصبة، وما هي أسباب الزواج الثاني، والحث على البقاء مع الزوج وتكوين الأسرة.

(١) ينظر: غراميات شارع الأعشى ، ص: ٢٤٢-٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه. ص: ٢٨٠-٢٨١.

أشارت بدرية البشر في رواية هند والعسكر إلى قضية هامة وهي تزويج القاصرة، أي الفتاة التي لم تبلغ سن الرشد.^(١) كما نجد في شخصية هيلة أم الساردة التي تزوجت في التاسعة من عمرها بابن عمها عثمان ودخل بها قسراً وكرها منها^(٢)، لأجل ذلك لم تسامحه هيلة أبداً "فهو الرجل الذي اختطفها من طفولتها وقربتها وصديقاً لها وبراءاً لها."^(٣) وهي ظاهرة شائعة في المجتمع السعودي. في رواية هند والعسكر تشير الكاتبة إلى قضية الزواج بالإجبار حيث يتم زواج هند بابن عمها منصور رغم أنها تحب رجلاً آخر، لكن أمها تصل إلى سر علاقتها بالرجل الذي لا ينتمي إلى أسرة مرموقة كما تقول أمها عن والد هند: "لن يتزوجك، تعرفين هذا، ليسوا من العائلات التي ترقى لمصاهرتنا. ولو فعلت لأراق أعمامك دمك."^(٤)

ثم هددتها بأنها ستمنعها عن الخروج عن البيت إلا للجامعة، وبأنها ستفضح أمرها أمام والدها. كما تقول الساردة: "رفضت لإلحاح أُمي بعد انكشاف سري مع الرجل الذي أحببته."^(٥) وهذه القضية يتم إنهاؤها عن طريق القوانين تم ذكرها في قضية استئذان المرأة وموافقتها للتزويج.^(٦)

أشارت الكاتبة في رواية الأرجوحة إلى قضية زواج المسير الشائع في السعودية عند الأغنياء وهو "زواج رجل بامرأة مطلقة أو أرملة، على أن يأتيها مرة أو أكثر في الشهر، برغبة منها، متنازلة بذلك عن بعض حقوقها عليه، دون أن يؤثر ذلك

(١) زواج القاصرات وأثره على الأمن الأسري والمجتمعي (دراسة فقهية مقارنة)، إلهام أحمد عبد العزيز السيد، مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، العدد ٣٨، سنة ٢٠٢٣م، الإصدار الأول: ٢/١. ص: ٣٥٨.

(٢) ينظر: هند والعسكر. ص: ٦١.

(٣) المصدر نفسه. ص: ٨٨.

(٤) المصدر نفسه. ص: ١٢٧.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٢٦.

(٦) ينظر: دور المرأة السعودية. ص: ٢٣.

على صحة العقد.^(١)، وذلك من خلال شخصية سلوى وسلطان العاجي. فسلطان العاجي رجل ثري ولديه زوجة وهي ابنة خاله، ولديه أولاد. ثم يقع قلبه على سلوى ويريد أن يتزوج بها لكنه يخاف من أوضاع أسرته ولذا يقدم مهرا كبيرا لوالد سلوى ويعددهم بأنه سوف يعلن عن هذا الزواج ولكن يبقى الزواج سرا لفترة طويلة والذي يجعل المشاكل لسلوى فهي تضطر أن تذهب من بيت والدها إلى بيتها سرا عند الفجر أو في أوقات غير عادية.

وهذا الأمر يقلق إخوتها أيضا. غير أن سلوى لا ترى في هذه القضية عيبا أو أن تجعل خروجها في أوقات غريبة سرا من أسرتها كما نجد في تعليق الساردة على خروج سلوى من البيت: "سمعت صوت باب يفتح ويغلق بغضب، لكنها لم تعر اهتماما لصوت حركة البيت الداخلية، فلن يتهمها أحد بأن ما تفعله يدخل في باب العيب أو الممنوع، لأنها تغفو في حضن حقيقة أنها زوجة شرعية لسلطان العاجي منذ ثمانية أشهر."^(٢)

وفي موضع آخر يقول لها أخوها "بندر" ضاجرا من هذه الحياة التي تعيشها: "هل تظنين يا سلوى أن أهلك قد حطوا من قيمتك لدرجة أن تصبحي ((امرأة للتوصيل الليلي)) ألم تحسبي حسابا لإخوتك والجيران، الذين يرون سيارة عناية يسوقها سائق أسود تأتي لتأخذ امرأة في الفجر؟ أليس هذا ما أنت عليه؟"^(٣) فأضرار زواج المسيار كثيرة، و"نتائجها تنافي لحكمة الزواج في المودة والسكن والعفاف والطهر، من ضياع الأولاد، أو السرية في الحياة الزوجية والعائلية، وعدم

(١) نكاح المسيار، عبد الله حزام فهد العجمي، مجلة كلية دار العلوم، القاهرة، المجلد ٣٨، العدد ١٣٣، ٢٠٢١،

ص: ٦٠٩.

(٢) الأرجوحة، ص: ٧٩.

(٣) المصدر نفسه: ٨٠ - ٨١.

إعلان ذلك، وقد يراهم أحد الجيران أو الأقارب فيظن بهما الظنون^(١)، ولذا لا يُستحبّ زواجا مسيارا بالسّر.

بينما في رواية هند والعسكر تشير الكاتبة إلى قضية الزوج الذي لديه علاقات سرية مع النساء الأخريات، كما نجد في حكاية منصور وهند، ففي بداية زواجهما تجد هند في منصور خفة روحه والحب الزوجي وعندما نال منها وتأكد من حملها فهرب منها إلى علاقة سرية أخرى ولم تعد تشاركه غرفته.^(٢) رغم أن هند هي من أرغمت على هذا الزواج لكن الذي هرب هو الزوج منصور.

بينما أشارت الكاتبة بدرية البشر في رواية زائرات الخميس إلى قضية في مجتمع سعودي حيث ترغب بعض النساء في الزوجين في آن واحد، فليس لديهن عمل يقمن بها طوال ساعات النهار والليل في معظم أيام الأسبوع، فزوجها لا يأتي إليها إلا في اليوم الثالث، وليس لديها أي عمل مفيد غير ثثرة النساء التافه والقليل والقال، وفي هذه الأحوال تمازح أم مشاعل مع صديقاتها بما فيهن الخطابة موزي بأن يكون للنساء زوجين على الأقل: "لو لنا من الحظ زوجين فقط، لا نريد أربعة، اثنين بس."^(٣)

فبهذا الشكل تلقي الكاتبة ضوءاً على عبث النساء الثريات في حياتهن واختيار الحياة البعيدة عن الأعمال الخيرية التي تجدي نفعا بل ييقين عند حافة الملذات والحياة السطحية.

وأيضاً أشارت الكاتبة بدرية البشر في رواية زائرات الخميس إلى قضية زواج المرأة برجل عجوز لأجل المال، فعندما تريد أم مشاعل الزواج بعد أن توفي زوجها، فتقدم الخطابة موزي عليها عريسا وتقول بأنه كثير السن، تسأل أم مشاعل كم سيكون، ستين؟ فتجيب موزي بأن عمره سبعون عاما. فتمازح وتسأل هل أمواله

(١) زواج المسيار، حقيقته وحكمه، محمد إلياس، مجلة البصيرة، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، المجلد ٢،

العدد ٢، ديسمبر ٢٠١٣، ص: ٢١١.

(٢) ينظر: هند والعسكر. ص: ١٢٦.

(٣) زائرات الخميس. ص: ٣٢.

أكثر منه أو أقل؟ تضحك جميع النساء وتجب بأنه يملك خيرا كثيرا. يريد هذا العجوز أن يتحدث إلى العروس قبل الخطبة والزواج، فلا تتأخر أم مشاعل بل تطلب من موزي أن تتصل به من هاتف بيتها الآن. وما إن تتحدث إلى الخطيب العجوز إلا ويوافقان على الزواج رغم أنها لم تصل إلى الخمسين بعد^(١).

كما أشارت بدرية البشر في رواية زائرات الخميس إلى أن المجتمع السعودي لا يقبل زواج شاب عازب بالمطلقة، كما يعاني حسام ومشاعل عندما يخبر أسرته عن نواياه فلا تقبل أمه هذه الفكرة إطلاقا وتخرج من المجلس. أبوه يدرك الموضوع بأنها قضية الحب فلا يصبر عليه بالتخلي عن الفكرة بل يمهله وقتا لعله يتراجع عن قراره. عندما لا ترض أمه على هذا الزواج ويمضي على الشجار اليوم شهرا كاملا، يترك حسام بيته ويذهب إلى عمه في مدينة أخرى. خلال هذه الفترة يتواصل مع مشاعل ويطمئنها. بعد أربعة أشهر عندما يعود حسام إلى بيته يكون أمر أهل بيته قد مال إلى الموافقة.

وعندما يتم الزواج تسمع مشاعل من زوجات إخوة حسام بأن أمه كانت تقول عنها سوء أكيد أنها حامل منه ولذا يريد الزواج. تحاول أن تقدم أمامهم صورة مثالية كامرأة ملتزمة فتنقب من إخوة حسام ودائما تلبس ملابس محتشمة. وفي أيامها الشهرية تقول لحماقتها بأنها صائمة وتجوع طوال اليوم. وهكذا يحاول أن يقدم حسام شخصيته المثالية كي يزيل عنهما ذلك العار الذي جاب بزواجه بها. وعندما يأخذها حسام إلى مدينة أخرى فتطلب منه أن يخبر أسرته بأنهما يذهبان إلى مكة للعمرة. فكل هذه هي الصعوبات في المجتمع السعودي في سبيل زواج العازب بالمطلقة.

ثم تشير الكاتبة إلى أهمية البقاء مع الزوج، ففي رواية زائرات الخميس حيث تحدث المشاكل بين حسام ومشاعل، فتشجعها أمها على أن تحل المشكلة بينهما وتحدث إليها، وأيضا تقترح أن تتحدث هي مع حسام، فتمنعها مشاعل وتقول

(١) زائرات الخميس. ص: ١٩٦.

لا أريد أن تتحدثني إلى الحسام ولا أريد أن أعود إليه ولا أريد أي رجل في حياتي وبأنها تكره كل الرجال. فتنصحه أمها في أهمية الزوج في فلسفتها التالية: "يا بنتي الرجل مثل المرعى بالنسبة للمرأة ليس لها غنى عنه. كلنا نذهب لمرعانا حتى ولو لم نكن جائعات، حتى ولو للنزهة فقط." (١)

وفي مواضع أخرى كثيرة تشجع الخطابة النساء على الزواج، بمن فيهن العازبات، والأرامل، والمطلقات من كل الأعمار وبهذا الشكل يتطور المجتمع إلى التحسن وتكوين الأسر. وأيضا تشجع أم حمود ابنه على الزواج بمشاعل فهو أيضا رجل مطلق ولديه ابنة وأم عجوز. وعند تشجيعها، "قرّر حمود أن يتزوجها كما نصحته أمه. قال في نفسه (إنها تكمل ما ينقص الأسرة)، فقد كان محاطا بوالدته وابنته، ولم تكن لديه زوجة." (٢) فالجتماع السعودي كله يحث على البقاء مع الزوج وتكوين الأسرة.

كما أشارت الكاتبة في رواية زائرات الخميس إلى قضية الكذب والشك وسوء التفاهم، وحلها يمكن عن طريق الحديث بين الزوجين. فالكذب والشك قد أفسد حياة مشاعل وحسام. هي تشعر بالاختناق لما بدأ لا يسمح لها بالذهاب إلى مجالس النساء وكثرة الخروج من البيت، وصارت تكذب معه في كل شيء، وأحيانا يسألها أسئلة بسيطة هل تعشيت؟ فتقول نعم رغم أنها لم تتعش، وتجوع ساعات كثيرة إلى أن ينام حسام وتذهب بالخفة إلى المطبخ فيجدها حسام تأكل بنهم، هكذا أحيانا تقول لا لم أتعش وهي تتعشى في الحقيقة فيتحير حسام بأنها تعود في الحادية عشرة ولم تتعش بعد، كيف يمكن ذلك، ومع الوقت زاد في ريبة وهي زادت في الصمت والتخفي، كما تعلق الساردة: "زاد الأمر سوءا حين شعرت به لا ينظر إلى التلفزيون بل ويراقب سهوها المستمر. هو أيضا شعر أنه كلما اقترب

(١) زائرات الخميس. ص: ١٣١.

(٢) المصدر نفسه. ص: ١٨٤.

منها زادت صمتا وغيابا. أحرق جوفه شعوره المتزايد بعدم امتلاكها كلما زادت الكذبات التي تقترفها." (١)

وأمر الهاتف الذي لا يتوقف عن الرنين ولا ترد عليه أبدا، وعندما يتصل إلى البيت من المكتب فيجد الرقم مشغولا، كل هذا زاد حسام في الشك والريبة بينما لا تتوقف مشاعل عن مراهقتها الخرفة ولا تفهم خطورة الأمر ولا تقضي أوقاتها في بيتها مع ولدها وزوجها وهذا الشيء قد ينهي الكذب والشك لكن الأمر يصل إلى الدمار بسبب فخ هيفاء لها، فيصدق حسام ما يراه دون تحقيق في الأمر ولا مشاعل تتحدث في هذا الأمر.

كما أشارت بدرية البشر إلى قضية العنف الأسري الذي يهدم حياة الزوجين السعيدة خلال قصة سلوى مع زوجها الأول عبد الرحمن، وهو تزوج بها دون أن تكون لديها أي رغبة في ذلك فكانت تحب أخاه يوسف، فعندما يتم الزواج يغضب عبد الرحمن على سلوى في كل صغير وكبير ويضربها كثيرا أيضا وهذا الأمر في كثير من الأحيان يوصلها إلى المستشفى بعد الكسور في ضلعها وغيرها من الجروح، فتبقى في المستشفى بضعة أيام. وبعد يوم العنف يقدم لها هدايا ثمينة من الماس وغيرها كأنه يقدم ثمنها. أمها تنصحها كثيرا بأن تترك زوجها فهذا القرار ستأخذه لا محالة عاجلا أم آجلا، فلتأخذه بأسرع وقت وتُنه هذا العذاب من حياتها. وبعد فترة تأخذ الطلاق عن طريق المحكمة. (٢)

وأيضا تلقي بدرية بشر ضوئا على سبب آخر يعكّر صفو الزوجين والأسرة، وهو عمل المرأة خارج البيت وتأثيره السلبي على حياتها الأسرية. كما نجد في رواية الأرجوحة شخصية مريم متعلمة مثقفة وتنشد حرية المرأة وحقوقها المتساوية بالرجل، وتختار أن تعمل خارج البيت في سلك التدريس في الكليات الحكومية بعد العام الأول من الزواج. فيتم بعثها إلى منطقة تبعد عن بيتها مائتي كلومتر

(١) زائرات الخميس. ص: ١١٠.

(٢) الأرجوحة. ص: ٧٣.

"ليقلب حياتها رأساً على عقب"^(١)، فتخرج عن بيتها بعد الفجر وتعود عصراً، وتنام مبكرة في الليل، وتستيقظ مبكرة حينما ينام زوجها. وكل هذه الحياة الرتيبة تجعل حياتهما جحيماً. وتمر هذه السنة على هذه الشاكلة مدمرة حياتهما إلى أن يتم بعثها في مدينتها. فعملها يؤثر في حياتها وحياة زوجها سلباً ويسبب البعد بينهما، رغم ذلك لا تترك مريم عملها ولا تركز على إصلاح أمورهما لأجل العمل فحسب. وتذكر مريم هذا الشيء لاحقاً كما تعلق الكاتبة: "لم تنجب مريم في سنة زواجها الأولى، فظنت أن السبب عائد إليها. ضاع مشاري بسببها، ضاع في المرة الأولى بسبب عملها بعيداً عن المنزل، ثم بسبب نومها المبكر، ثم بسبب تأخر حملها."^(٢) وعادة المجتمع السعودي ترحب عناية المرأة بالبيت والأولاد قبل عملها خارج البيت.^(٣)

٦: قضية السلوك مع الإمام

في رواية هند والعسكر تشير الكاتبة إلى المشاكل التي حلت بالعبيد والإماء إثر نفاذ قانون تحرير العبيد والإماء على يد الملك فيصل، إذ كان رئيس مجلس الوزراء، بعد توقيع من الموكل سعود في ١٩٦٢.^(٤) وتم الإعلان من قبل الملك بعتاء المبلغ العتاق الذي لا يريد في سبيل الله. رغم ذلك عندما سمعت نوير عن قرار عبد الرحمن في تحريرها وتحرير عموشة، قالت نوير تبوح عن قلقها: "يا والله الحرية المحقى، كلها برد وجوع."^(٥) بدأت أسرة نوير تعيش في خدمة أسرة عبد الرحمن كما كانت من قبل،

(١) الأرجوحة. ص: ٣٢.

(٢) المصدر نفسه. ص: ٣٧.

(٣) ينظر:

Gender and subject choice in higher education in Saudi Arabia, Jawaher Awwad Alwedinani, Doctoral Dissertation, University of York, May 2016. Pg. 135.

(٤) تحرير الرقيق في المملكة العربية السعودية، حصة جمعان العلال الزهراني، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد

٥، العدد ٣، مارس ٢٠٢١، ص: ١٢٣.

(٥) هند والعسكر. ص: ٢١.

فقط بدأ أولادها يذهبون إلى المدارس بالزي المدرسي مثل سائر الأولاد وهذا ما جعلها تشعر بالحرية. غير ذلك لم تكن هناك أي حرية عملية في حياة نوير وعموشة، كما تعلق الساردة: "احتاجت وقتاً طويلاً لتفهم معنى الحرية، لكنها لم تعرف يوماً طعمها؛ عاشتها اسمياً فقط، إذ يصعب على من كان عبداً أن يتخلص من عبوديته حين يتجاهلها الآخرون." (١)

وتعلق الساردة على معاناة عموشة في عصر الخدمة أسوأ من عصر العبودية في خدمة مضيئة لأسرة عبد الرحمن، كالتالي: "لا تجرؤ أبداً على رفض طلب لهم، حتى ولو كانت ترتعش من الحمى، أو يقطر منها دم النفس؛ تنهض من فراشها لتوقد التنور وتخبز أو تحمل خروفاً وترفعه من القدر، تطبخ عشاءاً أفراح أعمامها وولائمهم حتى وهي حرة." (٢) ثم صارت جيلها الجديد متحررة وبدأت تشتغل. (٣) فالكاتبة هنا تشير إلى ضرورة فتح الفرص في قطاع الأعمال والمهن والملاحة في المجتمع على المستوى الحكومي، للطبقة التي كانت تعيش تحت سيطرة ملوكهم. وفي رواية الأرجوحة أشارت الكاتبة بدرجة البشر إلى تسهيل الأمور ومساعدة العبيد والإماء عند زواجهم الذين يعيشون تحت رعاية أهل بيت ما، وهذا الأمر مهم جداً في تكوين مجتمع متزن سعيد دون أن يشعروا بقلّة أاثاث الحياة. ومن ثم عندما يتم الخطبة بين عَنّاب وعبدة الفقيرين توقّر العمة شريفة لهم تأسيس حياة جديدة، كما تسرد الكاتبة: "جهزت العمة شريفة عبده وعَنّاب بكل ما يحتاج إليه عروسان ويزيد. منحتهما ملحفاً خلف القصر، بجانب ملاحق الخدم وأبنائهم." (٤)

فتزويج الأشخاص الذين لا يجدون قدرة الإنفاق والمساعدة في هذا المجال عمل بناء بلا شك، كما قال الله تعالى: "وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ، إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

(١) هند والعسكر.. ص: ٢٢.

(٢) المصدر نفسه. ص: ٢٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٣.

(٤) الأرجوحة، ص: ١٢٥.

عَلِيمٌ"^(١) وهو خطوة هامة في تأسيس وحدةٍ أسرية وهذه هي الوحدات التي تكوّن المجتمع في نهاية المطاف، ويجنب الشباب من الوقوع في المحذور.

أشارت الكاتبة بدرية البشر في رواية الأرجوحة إلى قضية تعليم البنت من طبقة العبيد والإماء حيث لا توجد بيئة تعليمية صالحة حول هؤلاء، ولا يجدون فرص التعليم كثيرا، حتى ولو يجدون فرصا متساوية للحصول على العلم فلا أحد يشجعهم من أهلهم بل يرى الحصول على العلم من ضياع الوقت في الأعمال الإضافية. هذا ما نجد في حياة عَنّاب فأمرها لا تشجع ابنتها على أنْها تبتهد وتعمل واجباتها المنزلية بإمعان وتكتب الدروس جيدا.

وبهذا الشكل تشجع ابنتها على أن تترك الدراسة وتشتغل بالوظيفة التي تأتي بالثمار العاجل، فهي لا تدرك أن الدراسة تأتي بالثمار الكثير، لكن بعد جهد بضع سنوات. كما تقدم الكاتبة في المشهد التالي: "في المساء حين تراها والدتها ترتب دفاترها تنصحها بألا تركز إلى هذه الدراسة التي لن تعود عليها بالنفع، وأن تبحث عن عمل ينفعها مغ أم سليم وفرقتها لإحياء الحفلات وصبّ القهوة وطبخ اللوازم. لا تعرف زيتونة ماذا يعني الذهاب إلى المدرسة."^(٢)

وحتى قبل ذلك، بيئة بيت زوجها أيضا لم تكن مساعدة، فبعد غياب زوجها الأبدي رحبت بنصف فكرة أمها وفرحت بالعمل والمشاركة مع مراهقات الفرقة خارج مراقبة الأسرة، ورغم ذلك العمل "تشبثت بالمدرسة رغم غيابها المتكرر. وكانت تقتنص الأوقات الهادئة في البيت لتعكف على دروسها وتكتب بعض الواجبات المتأخرة."^(٣)

وبهذا الشكل واصلت عَنّاب دراستها فوصلت إلى المرحلة الثانوية وكانت تحفظ كل شيء وتفهم ما تشرح لها معلمتها، وبالتالي نجحت في الامتحان بتقدير

(١) سورة النور: ٣٢.

(٢) الأرجوحة. ص: ١٢٧-١٢٨.

(٣) المصدر نفسه. ص: ١٢٧.

جيد بدون الاستذكار والحفظ قبل الامتحان، وهكذا وجدت فرصة للتحاق بالجامعة.^(١)

٧: قضية الاعتداء والاغتصاب

إن الاعتداء والاغتصاب فعل إرغام للقوة على الضعيف، ومن جانب آخر هو ناتج عن عدم مسؤولية أولياء الأمور وتساهلهم تجاه البنات خاصة والأولاد بشكل عام. والاغتصاب هو فعل تعدي وقهر للإرادة فهو يمارس على المرأة، إن كان بحكم القوة والسيطرة من كائن أقوى تجاه كائن أضعف أو الأقوى بمعايير مختلفة، المالك للحظة بما تمده ظروفها من أسباب التسلط والقوة، فيمارس الاغتصاب كتعبير عن امتلاك كيان الآخر الواقع في قبضته وتحت سلطته الكاملة، وطعن قيمه بالاغتصاب.^(٢) وهذه القوة قد تكون بسبب السلطة والنفوذ، أو لكونه رجلاً قوياً يستطيع تملك شخص. وضعف المرأة يزيده عنوة واستبداداً. ومن ثم تناولت بدرية البشر قضية الاعتداء والاغتصاب من جوانب مختلفة. وفي رواية هند والعسكر أثارت الكاتبة قضية الرهبة من الرجال عند شخصية عموشة العجوز لأنها كانت تتعرض لتحرش الرجال واعتدائهم. ثم لا تستطيع أن تخبر أمها عن حادث الاعتداء عليها. لأنها تخاف من أمها أنها ستعاقبها هي على تحرشات الرجال.^(٣) ومن هنا تعبر الكاتبة من ضعف موقف البنت التي ليس لها حصن آمن من قبل الأسرة أن تلجأ إليها، ولا توفر الأسرة للبنت ما تستطيع تجنب مثل هذه الوقائع لكن أسر العبيد السود في السعودية لا تهتم بتربية البنات ولا تحصينهن.

والساردة أيضاً تقدم عدة وقائع التحرش في الحارة حيث يتحرش بها الرجال على شارع حيها أو في بيوت الجيران، أو حتى من أقاربها بدلاً من أن يعطوها قطعة شوكولاتة أو النقود التي تكفي لشراء الشوكولاتة، تعلق الساردة على هذا قائلة: "كبرت

(١) الأرجوحة.. ص: ١٢٨.

(٢) الأبعاد السياسية والاجتماعية في رواية رأس الشيطان لنجيب الكيلاني، مريم قره، ووفاء سعودي، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر. العام الجامعي ٢٠١٧-٢٠١٨. ص: ٧٢.

(٣) هند والعسكر، ص: ١٧-١٩.

وأنا أشعر بكراهية شديدة نحو الشوكولاتة، من دون أن أقوى على كره الرجل ذاته الذي تحرّش بي؛ فقد كان أحدهم قريبا لي، وكنت أظن أن الأقرباء عادة لا يؤذون أقرباءهم الصغار.^(١)

وهي أيضا لا تتمكن من إخبار أمها أو أحد أولياء الأمور، وإثر هذه الحوادث تخاف من العملاق في الكوايس كل ليلة.^(٢) وهو وقت يحتاج فيه الطفل أو الطفلة إلى حب الأم وحنانها أو أحد أفراد الأسرة لكن الكاتبة تشير إلى أن المجتمع السعودي لا يهتم بهذه القضية من أولوياتها ولا تهتم الأمهات من تقديم الأمان لأولادهن وبناتهن. وهذا يؤيد علاقة غياب التواصل الأسري بين الأمهات والآباء والأولاد، بالاعتداء الجنسي على الأطفال حسب الأبحاث المتخصصة.^(٣) ثم إن هذا الاعتداء إن كان من قبل أحد أهل الأسرة القريبة أم البعيد، فالثقة فيهم في هذه الحالة تكون أمرا طبيعيا من قبل الوالدين.^(٤)

وأیضا يجب أن لا يهمل جانب الخدم والعمالة فهم أيضا قريب من الأولاد والبنات كما أشارت الكاتبة، "فحذر عدد من المواطنين وخبراء الاجتماع من ترك الأطفال بمفردهم مع السائقين دون وجود المربيات المرافقات لهم."^(٥) فالاعتماد الزائد عليهم قد يؤدي إلى التهيب والتحرش بالإضافة إلى عدد من السلبيات الأخرى.^(٦) وفي رواية الأرجوحة ألقت الكاتبة بدرية البشر ضوئا على قضية عدم الاهتمام بتربية البنات والفتيات وعدم الاهتمام بالحفاظ عليهن وصيانتها وخاصة في الأسر الفقيرة العبيدة من السود في السعودية التي لا تهتم فيها الأمهات وأهل الأسرة بالجيل

(١) هند والعسكر ، ص: ٣٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٤٣.

(٣) الاعتداء الجنسي على الأطفال في المجتمع، بوكروش وردة. رسالة ماجستير. جامعة سعد دحلب بالبليدة، الجزائر. ص: ٢١٠.

(٤) المرجع نفسه، ص: ٢١٠.

(٥) جرائم العمالة المنزلية: ضرب وتحرش. رشا عرفة. ٢٠١٤/١١/٨.

<https://www.raya.com/2014/11/08/>

(٦) ينظر: المرجع نفسه.

الجديد. ويتجلى هذه القضية في قصة عتاب، حيث تسرد الكاتبة عن عدم اهتمام الأم "زيتونة" بابنتها في العاشرة من عمرها: "فيما تنشغل أمها زيتونة في المطبخ تسليخ الخراف أو تصنع رقائق الخبز الهشة لغداء العمّة شريفة، تكون عتاب الفتاة الوحيدة التي تتجول في الظهيرة وحدها".^(١)

في المقارنة أشارت إلى أمهات البنات بالبشرة الفاتحة وأسلوب تربيتهن للبنات: "الفتيات الأخريات تحبسن أمهاتهن أو مربياتهن في الغرف حيث يشاهدن التلفزيون، أو يلعبن بالدمى ليحافظن على لونهن الحنطي، يخشى عليهن من غول الظهيرة الذي يلتهم الصغيرات لو رآهن وحيدات، ولتظل بشرتهن فاتحة بلا بقع سوداء".^(٢)

وعندما وقع لعناب حادث الاغتصاب عرفت أن لوئها جعلها بلا قيمة "إذ تحرص أمهات الفتيات البيضاوات على ألا تتعدى بناتهن الخطوط المرسومة لهن، والجدران المقامة عليهن، والتحذيرات الموجهة إليهن".^(٣) وكل هذه الإرشادات والخطوط لصالح البنات وليس قسوة عليهن، فهذه الإرشادات توفر لهن الأمان من شرور الناس والمجتمع المحيط بهن. وتوفير هذا الأمان من واجبات أولياء الأمور وهو حق الفتيات والفتية في بيوتهم. ولكن الطبقة الفقيرة العبيدة لا تهتم بخطورة هذا الأمر وتحمل عن جوانب تربية والأمنية من حياة أطفالهم.

في رواية هند والعسكر أشارت الكاتبة إلى عدم اهتمام بتربية الأولاد والبنين، حيث تصرح الساردة بأن أمهات حيها لا يهتممن بتربية الأولاد إدخالهم في البيوت في أوقات الظهيرة أو ما بعد المغرب، وهذا ما يجعل البنين أيضا في خطر، كما تقول الساردة: "في حارتنا، لا تهتم الأمهات عادة بغياب الأولاد عن البيت، ولا يحرصن على إدخالهم إليه باكرا".^(٤)

(١) الأرجوحة. ص: ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه. ص: ١٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٢٤-١٢٥.

(٤) هند والعسكر. ص: ٣٧.

فانتهاك جسم الطفل/الطفلة من أبشع الجرائم الإنسانية التي تحل بالنظم الاجتماعية ومن ثم يتوجب تشديد العقاب، ومتابعة المحافظة على السلامة الجسدية والنفسية للطفل، وهذه من المسؤوليات الأولية للأسرة والمجتمع.^(١)

أيضا أشارت بدرية البشر إلى مصير البنت المغصوبة، حيث يتم تزويجها بأي شخص تافه لأجل التخلص من البنت، كما نجد الزيتونة أم عَنَاب تذهب إلى سائق يمني "عبده" وتطلب منه أن يتزوج ابنتها بدون مهر، وعندما يتحير عبده من حالة فقره تقول له الزيتونة بتقليل تكريم ابنتها كالتالي: "كلنا يا عبده فقراء وعلى باب الله. عَنَاب لك الهدية."^(٢)

وهذه ليست مشكلة وحيدة بل هي لا تراعي أخلاق هذا الرجل في قضية تزويج ابنتها المغتصبة، كما تشير الكاتبة إلى إدمان هذا الرجل على المخدرات رغم حالة فقره خلال مشهد دخول الزيتونة في غرفة الخدم حيث: "وجدت أمامها عبده السائق اليمني متكئا على سريره في غرفة الخدم المقابلة وفي فمه قضة كبيرة من القات. وفي يده تبغ منشور وورقة يلفها ثم يدخنها بابتهاج."^(٣)

فهذه هي الصورة التي ترسمها الكاتبة أمام القارئ في مصير البنت المغصوبة حيث يتم تزويجها قسرا دون تكريمها بالرجل المسن ولا يُرى في حُلُقه من المحاسن والعيوب. كما أشارت إلى هذا مصير البنت المغصوبة هو هذا النوع من التزويج في طبقة العبيد والإماء خلال القصص التي تحكيها الزيتونة لابنتها كما تحكي الساردة: "والدتها كانت تروي حكايات عن النساء السوداوات اللاتي كن لا يحظين بأزواج، بل بأعمام يفعلون بهن ما يشاؤون في الليل والنهار. وإذا ما تنازل عنهن الأعمام يزوجهن بسود مثلهن، ليلدن خدما وعبيدا."^(٤)

(١) الاعتداء الجنسي على الأطفال في المجتمع. ص: ٢١١.

(٢) الأرجوحة، ص: ١٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٢٤.

فيبقى السؤال بدون الجواب لحل هذه القضية بشكل أفضل لصالح البنت التي مرت من هذا الحادث المروع في الأسر التي تنقصها التربية والبيئة الصالحة. فما هو مصير لهذه البنت غير التزويج بهذا الشكل، وكيف يتم ضماد روحها ونفسيته التي أخذت منها براءتها ونصاعتها.

٨: قضية الفساد الجنسي في البنات

في رواية غراميات شارع الأعشى تشير بدرية البشر إلى فساد جنسي بين النساء في الرياض في المجمعات النسائية حيث تقل التربية الصالحة ومراقبة الكبار أولي الألباب، مثل القصر وهو المكان الذي تعيش فيه البنات تحت رعاية أم سعود، وكل هؤلاء بنات يشتغلن في مجال الغناء والرقص في حفلات الزواج والأفراح. تقدم الكاتبة مشهدا مفصلا لأحوال تحرشات البنات بينهن أمام الأخريات، وأحيانا مجموعة من البنات تتحرش مع بنت واحدة عندما تعاند ولا تقبل هذه الفكرة، كما حدث مع عطوى، فهي لا تقبل هذا المنكر والبنت التي تقترب منها تدكعها عنها، لكن كلما تحاول أن تتجنب تهجم عليها البنت بقوة بل تشارك البنات معها لتمسك قدمي عطوى ويديها ثم تتحرش بها.

هذا المشهد يدل على أن هذا القصر معدوم التربية والمراقبة على البنات، ومن ثم فإن هذا المكان غير آمن للبنات التي يضطرون إلى المبيت هنا مثل عطوى. ولا يبقى هذا الأمر بين مقيمي القصر، بل يدركه الضاري الذي يميل قلبه أولا إلى وردة، وهي واحدة من مقيمات القصر، حيث تعلق الساردة على أفكار مشاري بأن وردة تقبله قبله طويلا وشديدة لأنها لا تميل إلى الرجال.^(١)

أشارت الكاتبة بدرية البشر في رواية الارجوحة إلى سوء الخلق الجنسية بين النساء السود لقلة الاهتمام بالتربية الصالحة واختلاط بالناس من ثقافة غير صالحة، خلال حكاية عتاب عندما بدأت تعمل في فرقة النساء السود، كانت إحدى زميلات فرقته "موضي" كانت تلاعب بجسدها، كما ورد في الرواية: ظنت عتاب

(١) ينظر: غراميات شارع الأعشى. ص: ٣٨-٣٩.

أن مزاح موزي المستمر بقرص جسدها هو مزاح نساء القصور الخلفي، مزاح يفجر الضحك بينهن، وكأن أحدا قال لهن نكتة يحرص بها شهواتهن الدفينة.^(١) في موضع آخر تسرد الكاتبة فكرة عناب في هذا المجال: "كانت تظن أن فجور موزي العلني لا يخفى تحته غير ما يكشفه المزاح."^(٢) تعبير سوء الخلق بالمزاح وحدوث هذه الأفعال أمام جميع النساء يخبر عن حالة الأخلاق المتدهورة. لأن بيئتهن تفقدها تربية صالحة وتوفير الأمان لهن من قبل الأسرة، والتي عبرت عنها الرواية بـ "الخطوط الحمراء" أو "التحذيرات" وهي القوانين العامة في كل أسرة والتي تلزمها التربية.

وأشارت الكاتبة إلى حل كل هذه المشاكل المنحرفة أن يتابع المجتمع نوعا من الأسس والقوانين والتحذيرات العامة التي تعتبر ميراث الإنسانية ولا تختص بشعب غير شعب والتي تسمى الأخلاق الفاضلة، والشريعة الإسلامية تقدّم كل نوع من الأوامر والنواهي وهي في صالح المرأة التي تكون أجيالا رجالا ونساء.

٩: قضية التعامل مع البنات

في رواية غراميات شارع الأعشى تقدم الكاتبة قضية حب للبنات عكس المجتمع الذي عادة يحب الأولاد ويستكره إنجاب البنات، وذلك من خلال والد عزيزية فلديه أربع بنات وسماهن بالأسماء غير اسم أمه أو أمهات المؤمنين، فعاتبه أسرته وجماعته على تمرده على التقاليد حيث سمى بناته بالأسماء تبدأ بحرف العين كعزيزة وعواطف وعفاف وعلياء. ثم أخبر بناته بأنه "يجب البنات لأن من يخصّه الله بنات ويربيهن ويحسن تربيتهن يدخل الجنة."^(٣) مقتبسا قول النبي صلى الله عليه وسلّم: مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ يُوَوِّهِنَّ وَيَرْحُمُهُنَّ وَيَكْفُلُهُنَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ."^(٤)

(١) الأرجوحة، ص: ١٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٢٩.

(٣) غراميات شارع الأعشى، ص: ١٦.

(٤) مسند احمد، أحمد بن حنبل، طبعة مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٢١، ج، ٢٢، ص، ١٥٠، رقم الحديث، ١٤٢٤٧

في رواية غراميات شارع الأعشى قدمت الكاتبة صورة الظلم على الطفلة التي ماتت أمها في الصغر، والآن هي تحت سيطرة زوج الأم "جهم" وزوجة زوج الأم "عفرة". زوج الأم يطلب منها أعمال صناعة أواني الخزف وهذا مجال مهارتها. وعندما تصل إلى البيت تطلب منها عفرة أن تعتني بالولدين وأيضاً تخدم جهم، وفي المقابل لا تجد طعاماً. وعندما لا تتحمل الجوع في منتصف الليل تحاول أن تجد شيئاً ملصقاً بالقدر فتلتصقها. حتى ولو يعطيها جهم شيئاً للأكل لا يكون إلا خبزاً جافاً أو نُتفاً من طعام المتبقية كما تعلق الساردة: "عاشت عطوى بقدر قليل من خبز جافّ وبقايا تمر يابسة يتركها لها جهم في الظهيرة." (١)

في رواية غراميات شارع الأعشى أشارت الكاتبة إلى قضية حسن التعامل مع البنت المسكينة الهاربة كما نرى أم جزاع تجد هذه البنت وتربيتها وتجعلها بنتاً لها وتعطيها مكانة جيدة في المجتمع، وتخلصتها من أن تقع في الأيدي الشريرة من المتسولين أو تموت جوعاً. بل جعلتها فرداً بناءً في المجتمع. (٢) وقبل ذلك عندما تكون عطوى تحت ظلم زوج الأم وزوجة زوج الأم ولا تجد ما يسدّ جوعها فتساعدوها الست سعدى وهي جارها في السوق حيث تصنع عطوى أواني الخزف، وتقدم لها طعاماً صحياً طازجاً مثل تمر طريّ، واللبن البارد، والزبد، ولو لا هذه الأغراض الصحية من سعدى لماتت جوعاً. (٣) فظلم جهم وزوجته للبنت المسكينة عسرٌ فسعدى وأم جزاع يسر لها ونعم المخرج من المأزق.

في رواية زائرات الخميس، أثارت بدرية البشر قضية استخدام المرأة لأجل فضاحة شخص ديني على اسم الدين كما نجد في حياة بنات المصلى اللاتي يتأثرن كثيراً بدروس الأخت مها الدينية ويمثلن لكل أوامرها. فتختار الأخت مها بنتاً من هؤلاء البنات اسمها "أروى" لمهمة إغواء رجل ديني يظهر في الإعلام كثيراً

(١) غراميات شارع الأعشى، ص: ٧٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٧٨ - ٧٩.

ويؤثر في الشباب كثيرا بتهمة النفاق، وتريد من أروى أن تأتي لتسجيله لإفصاح أمره. أثناء أداء المهمة تقع هذه البنت في حب هذا الرجل لكن بعد شهر تقدم شريط التسجيل إلى الأخت مها، وتأمرها أن تتوقف عن الحديث إليه.^(١)

هذه الظاهرة قد تضع البنت في خطر شديد ولا تكون في المأمن، وفي حالة عكسية هذا الشخص أيضا يستطيع أن يفصح من أمرها. والمعلمة تستخدم مشاعر البنات المراهقات لا يعرفن الخير والشر، وتحرضهن على الأعمال الخطيرة غير عفيفة على اسم الدين والجهاد عن اليد واللسان ضد السيئات.

ثم أيضا تطلب من مشاعل أن تذهب وحيدة إلى الأخ أبو المثنى لتقدم لها الأموال لأجل الجهاد قائلة: "جمعت هذه الأموال من أجل الجهاد في سبيل الله؛ إن أخواتنا في كل مكان يمدون أيديهم بالخير. ستأخذين هذا المال إلى أخينا أبو المثنى."^(٢)

وعندما ذهبت مشاعل هناك وحيدة لم تشعر بالراحة والأمان، بل "شعرت أن هناك أعينا تراقبها، تحاصرها، ومن بينها عينا أبو المثنى."^(٣) ولم تلبس هناك وخرجت بسرعة. فإرسال البنت إلى مثل هذه المواقف ولا يصاحبها على اسم الدين هو ابتزاز مشاعر البنات الساذجات لأجل المصالح الشخصية الخطيرة دون رضا أولياء الأمور أو معرفتهم على الأقل بما يجري في حياة بناتهم.

١٠: قضية حقوق المرأة وحرية المرأة

أشارت الكاتبة إلى قضية حرية المرأة وسلامتها وأوضحت مفاهيم الحرية وسلامة المرأة خلال شخصيات مختلفة وأفكارها فعلى سبيل المثال ترى مريم في الحجاب والتستر بالعباءات قيذا ومن ثم ترى مدينة الرياض مقبرة بالسواد: "كانت

(١) ينظر: زائرات الخميس، ص: ١٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٧٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٧٦.

تظن أن الرياض، بضجرها وقيودها وعباءاتها السوداء، تستحق وحدها ذلك اللقب.^(١)

في موضع آخر تسرد الكاتبة أفكار مريم وهي تتساءل جالسة على متن الطائرة ويجلس بجانبها رجل وفي المقعد التالي تجلس امرأة، تلحظ مريم أن هذه المرأة تخلع عباؤها وتدسها في حقيبتها.^(٢) فهي لا تشير إلى المنتقبات واللاقي ليست لديهن المشاكل مع الحجاب غير إنها تبرز هذه الفكرة من خلال أفكار الشخصية وما تلاحظها من بيئتها.

وخلال الحديث عن صديقة مريم "سوسن" الشيعية التي تتمتع بسكن خاص خارج الحرم الجامعي ولا يقبل والده قيود السكن الجامعي لابنته، بل كان يفضل لها "الحرية" ومخالطة الرجال، فوالده قد تعامل مع المجتمع الأمريكي والبريطاني: "عمل والد سوسن في شركة أرامكو، ومتابعة دورات تدريبية بريطانية وأمريكية، جعلاه يؤمن بأن منح النساء حريتهن هو الطريقة المثلى للحفاظ عليهن، لهذا ترك ابنته تقرر في سن الثامنة عشرة من تصادق وبمن تختلط."^(٣)

ومن ثم تختلف سوسن عن البنات الأخريات في النضج، وبما أن مريم أيضا تناصر حرية المرأة من قيود مجتمعتها وتسميها "ثقافة نجدية" فتجد في سوسن صديقة لها رغم أنها من أهل الشيعة: "فكانت شخصيتها تعكس نضجا لم يكن مألوفا في مجتمع بنات نجد المتعثرات في الخوف، والشك، ولولا تخلص مريم من بقايا قشور ثقافة نجدية كانت أمها ومدرستها تفركان بها جلدها كل صباح، لبدا لها عالم سوسن عالما خطرا يحرم الاختلاط به. فالسنة يشككون في جواز مخالطة الشيعة ولا يرتاحون إليها."^(٤)

(١) الأرجوحة، ص: ٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٢.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤.

(٤) المصدر نفسه. ص: ١٤.

في موضع آخر، تشير إلى قضية الأمن والحرية للمرأة حيث تصف الساردة مدينة جنيف من منظار مريم وهي تتجول في المدينة وتجد تناقضا في تصرفات الناس تجاه المرأة في جنيف وفي بلدها، فتعود الناس في جنيف على العري والخمور وما شابههما، مع ذلك تشعر المرأة بالأمان من نظرات الرجال المتسلخين كما تجد مريم نفسها في بلدها رغم أنها متحجبة، فتصف كالتالي:

"وجدت نفسها في مدينة أوروبية حافلة بالتناقضات. مدينة لا تحجل من عريها، ولا من خمورها. ولا من الغرام المعلن في شوارعها. رجالها متأنقون، متعطرون. حليقو الذقون. يثملون بالنساء، لكنهم لا يسلخونهن بنظرات مسننة تشق ثيابهن وتذهب بهن بعيدا إلى مخيلة فاحشة. نساؤها يخطرن كغزالات آمنة، بينما النساء في بلادها مسكونات بالذعر. يهربن بوجل حين يعبرن شارعا ملغما بالرجال." (١)

فأشارت إلى هذه القضية في بلدها مقارنة بالتصرف الغربي كما وجدت مريم في جنيف.

في جانب آخر نجد أن سلوى في طفولتها تشعر بأمان في بيتها وتراه عالما كله، "فقد كان طعم الأمان الذي يمنحها إياه يساوي طعم التجارب التي يحتاج إليها عادة البشر ليكبروا." (٢) وعندما يتم تسجيلها في المدرسة في السادسة من عمرها تصطدم بهذا العالم الجديد بعيد عن بيتها تشعر بالغرابة والوحشة كأنها اختطففت. (٣)

تشير الكاتبة بدرية البشر في رواية الأرجوحة إلى قضية حقوق المرأة ومساواتها بالرجل في الحقوق ومحو الفروق بينهما، كما برز في أفكار شخصية مريم وتصرفاتها وجريان حياتها، كما تتساءل نفسها عندما تمر من مرحلة صعبة من حياتها بينما يرى الناس من حولها أنها تتمتع بحياة بسيطة جميلة، هنا تتساءل في أسباب خيبتها

(١) الأرجوحة. ص: ٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٧٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٧١.

لأنها كانت تؤمن بحقوق المرأة على نهج الغرب: "ما الذي جعل منها هكذا، غريبة ووحيدة؟ هل هو قدرها لأنها آمنت ذات يوم بأن للمرأة حقوقاً لا تختلف عن حقوق الرجل، وأن لعقلها حقٌّ بأن يستقل بتفكيره؟، أم لأنها أحبت الحياة المدنية الحديثة؟ أم بسبب جيناتها المسلحة برصاص العناد المسموم، الذي تراكم في عقلها فرفض أن يتبع طريقاً رُسم لها، وكانت نسوة عائلتها قد سرن عليه طوال حياتهن؟" (١)

فأحياناً يجد القارئ صرخة النسوية ومقولاتها في مفاهيم شخصيات بدرية البشر، كمطالبة المرأة بمساواة الرجل، والعدالة الاجتماعية، ومساءلة النظام الاجتماعي، وتصويبها. (٢)

في جانب آخر تناولت الكاتبة هذه القضية من خلال اختيار بعض الآباء لبناتهن عدم الذهاب إلى الجامعات في المدن الكبرى وعدم تحقق طموحاتهن، رغم أن سكن الجامعات تقدم الأمن المثالي لبناتهن: "رغم هذا يرفض بعضهم طلبات بناتهن متابعة دراستهن في جامعة تبعد مئات الكيلومترات عن موطنهن، والإقامة في سكن طالبات بعيد عن رقابة الأهل، حتى ولو تكلف الأمر بقاءهن في المنزل، أو إجبارهن على الالتحاق بكليات قريبة من قراهن ولو كانت لا تحقق طموحهن." (٣)

في نهاية الرواية تشير الكاتبة مرة أخرى إلى قضية الفروق بين المرأة والرجل من ناحية المحاذير الاجتماعية فتري مريم أنها مثل صديقتيها، وكلهن في حياة البؤس والشقاء وهي تقرأ رواية (مدام بوفاري) فتري المماثلة بين بطلة هذه الرواية وبين هؤلاء الثلاث كالتالي: "فكرت مريم أنها هي وعناب وسلوى وجوه أخرى لمدام بوفاري ضائعات في البؤس، يفتشن عن حب مرّ على قلوبهن، مسّ شغافهن،

(١) الأرجوحة، ص: ١٠.

(٢) تمثيلات الذكورة وانعكاساتها في خطاب بدرية البشر القصصي، نصال محمد فتحي الشمالي، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سلطان قابوس، مسقط، المجلد ٧، العدد ٢، أغسطس ٢٠١٦، ص: ٥١٠.

(٣) المصدر السابق. ص: ١٤.

وترك رائحته في ثيابهن لكنه اختفى. كلهن دفنّ حبا خذلن. فررن من وجوه
 بؤسهن، تتراكم أوجاعه الصامتة في القلب واليدين وعضلات الظهر.^(١)
 ثم تشير إلى حالة الرجل كالتالي: "فيما وجد ذكورهن طرقا أخرى لكسر رتابة
 الحياة أو الفرار منها، ومضوا في عالم الذكور الكبير الشاسع الخالي من المحاذير.
 محاذير الرجال لا تشبه محاذير النساء. الرجال الغائبون في ملاهيهم لا يترتب عليهم
 دفع ثمن الهروب."^(٢) فكأن الكاتبة وصلت إلى حل هذه القضية بأن الرجل والمرأة
 لا يعيشان بالسعادة إلا بالحياة الأسرية المطمئنة.

١١: قضية سوء خلق المرأة

أشارت الكاتبة في رواية الأرجوحة إلى بعض تصرفات المرأة من سوء الخلق
 كالتهديد في المارة والرجال الغرباء كما نجد في الحديث عن عناب وهي جالسة عند
 نافذة المطعم وتحقق في الخارج وعندما وصلت سلوى، هي أيضا بدأت تحقق في كل
 من تجدها مثيرا ولافتا للنظر: "انضمت سلوى بعد ساعة من الأحاديث إلى عناب في
 تتبع المارة بعيونهما، وتناوبتا التعليق على ما هو لافت للنظر في الشارع، تشفق عناب
 كعادتها وينعقد لسانها ولا تقوى على تفسير سر دهشتها، حتى ينتهي الحدث ويتعد
 الشخص المثير لاهتمامها."^(٣)

في جنب آخر، تشير الكاتبة إلى سهر النساء في المقاهي والملاهي وهذا الأمر
 يدل على قضية كبرى وهي سوء الخلق، كما نجد أن عناب وسلوى ومريم يذهبن
 إلى الملهى الليلي وتشرب سلوى وعناب خمرًا وترقصان مع الشباب، بينما تباعد
 مريم عن الرقص والخمر. كما تسرد الكاتبة: "رقصت سلوى وعناب على أغنية
 محمد عبده التي غناها المطرب المصري، وقامتا تتمايلان بقامتيهما الطويلتين، ثم
 قام الشباب من الطاولة الأخرى وراقصوهما."^(٤)

(١) الأرجوحة ، ص: ١٥٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص: ١٥٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٣٩-١٤٠.

وينفذ أموال سلوى في هذه الأحوال ولكنها لا تشبع بهذا القدر من اللهو وتريد أن تبقى في جنيف بدلا من أن تعود إلى الرياض، ومن ثم تلتجئ إلى كسب المال عن طريق غير سليم، حيث يلتقي بها شاب على الشارع في منتصف الليل فهو يقدم لها رزمة من النقود لكي تقضي معه وقتا في اليوم التالي وتشرب معه قهوة، كما تسرد الكاتبة: "مد الثمل يده إلى جيبه ورمى في حقيبة سلوى المفتوحة رزمة نقود وهو يتلعثم في كلماته." ^(١) تنصحها مريم أن ترد هذه الأموال إلى صاحبها فهذا الأمر لا يليق بالمرءة والكرامة لكن سلوى تتأثر بعناب أكثر من مريم، كما تعلق الساردة: "نظرت سلوى ناحية رزمة نقوده، فوجدتها سخيطة فلم تقاومها. طلبت إليها مريم أن تعيد النقود إلى الرجل، لكنها هربت منها ضاحكة واختفت." ^(٢)

وعندما تعد سلوى هذه النقود مع عناب وتجدها ألفي دولار فتفرح كثيرا وترى كأن جنيف تمطر عليها بالمال، وحينها تعرضها عناب على السوء أكثر كالتالي: "إن كنت تريد أن تعرفي كيف تمطر السماء ذهباً فتعال معي الليلة، معزومة في سهرة كلها طحاطيح." ^(٣) أي هذه السهرة ليست للعاديين بل للأغنياء وهكذا تعرضها عناب على سوء الخلق والمآسي.

في جانب آخر أشارت الكاتبة إلى تصرفات سيئة في المراهقات وهي اتصالات إلى المراهقين من الجيران وغيرهم لأجل الصداقة والحب والزواج والخطبة خفية عن الآباء والأمهات، وهذا ما يجد القارئ في قصة سلوى وهي كانت تذهب مع أخواتها من زوجات أبيها إلى ديوان الرجال حيث الهاتف السلكي ويأخذن السلك إلى ديوان النساء في منتصف الليل وكل واحدة تتصل بولد خاص لها. كما تعلق الساردة: "وكانت تتسلل معهن، وتراهن يسحبن طرف سلك الهاتف المخبأ تحت

(١) الأرجوحة ، ص: ١٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤٤.

ستارة مجلس والدها ويصلنه بهاتف مجلس النساء الكبير، ويتحدثن همسا حتى يداهما النوم.^(١)

أشارت الكاتبة في رواية هند والعسكر إلى قضية فساد خلقي في شخصية موزي صديقة هند، التي تطلب حبیبها إلى بيتها وتقضي معها ليلة في قبلات حارة خفية عن أسرتهما، وأيضا تلتقي به خارج البيت في المطعم. وذات مرة عندما يأتي الحبيب إلى غرفتها في حكاك عن طريق الباب الأمامي، وفجأة تذهب أم موزي إلى غرفتها فتدرك الأمر، تصيب الأم بصدمة شديدة بما فعلتها ابنتها. وتخاف مما قد يصل هذا الأمر إلى مساوئ ومخاطر لأسرة كاملة. "ظلت أمها شهرا كاملا لا تحدثها. كانت بالفعل لا تقوى على الحديث، أصابها الرعب مما كان يمكن أن يحدث لابنتها اليتيمة التي تحبها كثيرا لوأن واحدا من إخوتها هو من فتح الباب! لكان قتلها وقتله معها ودخل السجن وربما أعدم^(٢)

في موضع آخر تشير الكاتبة إلى الفساد الخلقي في البنات حيث توجد شخصية جوزاء، جارة إبراهيم، هي تقف عند الباب وتطلب من الأولاد والأطفال المارين المساعدة في إحضار المأكولات والمشروبات من السوق. وعندما تتعرف على إبراهيم، تصبح بينهما مودة. وذات يوم تخر جوزاء إبراهيم في بيتها وتأخذها إلى سطح البيت وعند تختلي به تأخذ وجهه بين يديها ويقبله.^(٣)

تناولت الكاتبة بدرية البشر قضية في حياة المرأة السعودية في رواية زائرات الخميس وهي من القضايا الرئيسية في هذه الرواية، حيث تتورط البنات المراهقات في العلاقات الغرامية مع الشباب وهن في عناية شديدة من المراقبة من قبل الأمهات والآباء، ولا يخرجن من بيوتهن إلا وترافقهن أمهاتهن، رغم ذلك، يتمكن من الحصول على صور العشاق وأرقامهم، تتحير الكاتبة على أحوالهن عن طريق شخصية مشاعل: "لا تعرف مشاعل كيف يحصلن على هذه الصور! لو تعرف

(١) الأرجوحة ، ص: ١٤٥ .

(٢) هند والعسكر. ص: ١٠٠ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٦٧-١٦٨ .

كيف يتسنى لفتيات برافقن أمهاتهن طوال الوقت ولا يختلطن بالرجال الغرباء أن تكون لهن حياة سرية.^(١)

لا يتوقف الأمر إلى صور الشباب بل يتحدثن إليهم حديث المغازلة وأحيانا حديث قلة الأدب^(٢)، وتباهى كل بنت أمام الأخريات بأن عاشقها يجري وراءها في كل مكان، وتباهى أخرى عن عاشقها: "أول ما رأي وقعت المحفظة من يده وتبهدل".^(٣)

ثم تترك أحيانا صورة شاب واحد وتحل محلها صورة شاب آخر قد يكون خطيبا حقيقيا أو غيره، كما تلاحظ مشاعل أن هيفاء كانت مهووسة بحسام وقد رأى وجهها أيضا وكانت تتصل به لكنها لم تكن جادة في هذه العلاقة ومن ثم تجد مشاعل فقط بعد أشهر أن هيفاء تخلت عن صورة حسام وجاءت صورة عبد العزيز الذي خطبها وستتزوجهم.^(٤) فيبدو جليا بأن هؤلاء البنات لسن جادات في تصرفاتهن وعلاقاتهن وأمرهن فقط قضاء الوقت في اللهو واللعب، وهذا يدل على سوء تربيتهن، وعدم وجود بيئة صالحة حولهن.

وبعض البنات لا يتوقفن عن هذه المغازلة والتورط في هذه الأمور بعد الزواج ولديها زوج وأولاد، كما نجد في شخصية هيفاء وهي تريد الثأر من مشاعل لأنها تزوجت بحسام، وهو تركها قبل أن يتزوج بمشاعل لذا تتحدث إلى شاب لتوقع مشاعل في ورطة معها، وعندما يتغازل الشاب معها، "ضحكت هيفاء وهي تتذكر لهوها القديم".^(٥) وفي هذا الموقف بدلا من أن تنصح هيفاء البنات المراهقات في التجنب عن هذه الخرافات، تشاركهن في الحديث إلى هذا الشاب لأجل إيقاع مشاعل في الورطة.

(١) زائرات الخميس. ص: ٤٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه. ص: ٤٢.

(٣) المصدر نفسه. ص: ٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٤.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٢٤.

وفي موضع آخر نجد شخصية مشاعل تتورط في الحديث إلى حبيبها السابق حسام عندما يسافر زوجها الثاني "تركي" إلى ماليزيا لمدة أسبوع. خلال هذه المدة تكون في بيت أمها وذات ليلة تتصل بحسام ليستنجد منه للتخلص من زوجها تركي. ثم كلما تجد فرصة للتحدث إليه سرا تفعل إلى أن يضع خطة لها لكي تتخلص من زوجها ثم يأتي إلى أسرتها لخطبتها.^(١)

في موضع آخر عندما تضع هيفاء فخا لمشاعل وحسام يجدهما متلبستين في المطعم حيث "شاهد المرأتين. عرفهما. كانتا تجلسان في الزاوية القصية من المطعم. ثم وجد شابين يجلسان معهما على نفس الطاولة، جلس وهو ينظر إلى الشابين يتحدثان ويضحكان."^(٢) في هذه الحالة لا تشعر مشاعل صديقتها بأنها لا يعجبها هذا الفخ ولا تظهر بغضبها أمام هؤلاء بل تستسلم لهذه السخافة بسهولة. وعندما يراها حسام على هذه الحالة الهادئة بوجود الشابين أمامهما، فيتضح أمامه صورة الأمر ولا يفهم أمها في فخ. فما دامت لا تريد أن تنجو من الفخ فكيف يعرف حسام أنها في فخ، بل أنها وموجودة هنا برغبة منها.

أشارت الكاتبة بدرية البشر في رواية زائرات الخميس إلى تصرف سيء بين البنات وهو السخرية من عيوب الناس، كما نجد في طفولة مشاعل عندما أرسلتها أمها إلى بيت والدهما وهنا أخواتها من زوجة والدها، كن يبحثن عن علامة مميزة فارقة في كل شخص ويجعلن منه عيب للسخرية، فكانت مشاعل تُسمى بالفارى بسبب أنفها الصغير الذي يصدر صوتا خاصا عند التنفس.^(٣) كما تعلق الساردة: "تمتعت بمهارة الكاشفة عن عيوب الناس الظاهرة. علمنها ذلك أخواتها من أبيها حين تركتها أمها في بيتهم ورحلت عنها."^(٤)

(١) ينظر: زائرات الخميس ، ص: ٦٧ وما تليها.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١١٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٣.

كما نبهت الكاتبة في رواية زائرات الخميس إلى أسوأ خلق الإفساد بين الزوجين وهو عمل مبعوض عليهما في الإسلام. تجلت الكاتبة هذه القضية خلال شخصية هيفاء التي تبدأ حياتها الغرامية بحسام لكن تتركه في الوسط بلا مبالاتها وتتزوج برجل آخر، وعندما تعرف عن زواج صديقتها مشاعل بحسام فتحترق بالحسد وتبحث عن الفرص للإفساد بينهما، فأولا تقول أمام حسام بأن مشاعل صاحبة ثلاثة زواجات^(١)، ثم تتصل عدة مرات إلى بيتتهما وهي تعرف أن مشاعل ليست في البيت بل مع أمها في أمسيات الخميس أو في السوق وعندما تتصل كل مرة ويقول لها حسام بأن تتصل ببيت أمها فتقول لا أحد يرد على الهاتف هناك، أو يتساءل أحيانا ألم تكن معكن فترد هيفاء بأنها في بيتها مع أولادها، ثم تقول كلاما لإشعال النيران أكثر: "تلقاها كعادتها تدور في الشوارع."^(٢)

ثم تضع آخر مسمار في تابوت العلاقة بين حسام ومشاعل بوضع الفخ لمشاعل حيث تقول لها بأنها تريد الأكلات الصينية في مطعم فلايني فلترافقها وسيعودان في ساعة ونصف ساعة، وفي جانب آخر تقول لشاب من عشاق تافهين بأن يصل إلى نفس المطعم مع رفيقه، وهنا يجدها حسام ومعها شاب فينتهي الأمر بينهما رغم أن مشاعل كانت في فخ لكنها لا توضح الأمر.^(٣) ثم ترتاح هيفاء مع انتهاء ثأرها القديم بخيانتها وخداع صديقتها، بما لا تجدي نفعا لا لها ولا لمشاعل ولا تريح بهذا الفخ إلا نفسها المريضة.

(١) زائرات الخميس ، ص: ١٠٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٠٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ، ص: ١٢٦.

الفصل الثاني:

قضايا المرأة عند شهلا العجيلي

١. قضية الفساد الجنسي

أشارت الكاتبة في رواية عين الهر إلى قضية خطيرة بين نساء الأسر الكبيرة في حلب وهي فساد خلقي جنسي بين النساء وذلك في أسرة ثرية تعيش في قصر باذخ، وهناك سيدة جميلة جدا في الأربعينات ولديها بنات وكنات في أعمار مختلفة، اقتربت أيوبة من هذه الأسرة لأجل الأعمال المهنية للأحجار والجواهر ثم بدأت السيدة تدعوها للغداء أو العشاء أيضا، وفي الحفلات أيضا. كانت أيوبة تشعر بالقرف والغربة في اللمسات بين هؤلاء النساء في هذه الحفلات. كما تقول أيوبة: "في تلك الحفلات ذات الأجواء المتشابهة، التي يتنافس فيها في البذخ والجمال، كان يحدث ما يربيني من لمسات، والتصاقات، وقُبُل، وحركات تبعث في النفس اشمئزا ما، وخوفا ما!"^(١)

كما أشار علماء النفس وجود النرجسية والانحطاط الخلقي بالثراء. حيث تشير الدراسات إلى أن: "الأشخاص الأثرياء للغاية هم أكثر عرضة لإظهار ميول سلوكية نحو الترويج للذات، والبرودة العاطفية، والازدواجية والعدوانية، ولديهم احتمالية أكبر للانخراط في سلوكيات غير أخلاقية مختلفة."^(٢)

ثم تتبلور هذه القضية من شدة عدم التربية بين هؤلاء النساء حيث تلاحظ أيوبة بأن هؤلاء النسوة دائما يكنّ دون الرجال إشارة إلى أحد الأسباب الرئيسة للفساد الخلقي. والنماذج الرجالية التي توجد حولهن أيضا لا تستحق أن تكون مثالية بل تشعر بعدم الأمان بوجوههم حولها، كما تعلق أيوبة: "لاحظت أن هذا

(١) عين الهر. ص: ١٤٩.

(٢) ينظر: سيكولوجية الثروة وكيف تؤثر على الصحة العقلية. كلوديا م. إلسيج. تم النشر: ٢٠٢٢/١٠/٤.

العالم بلا رجال، فلم أكن أُلح سوى ولديها الشابين من بعيد، وأحدهما جريء، بل وقح، وغير مريح إطلاقاً، ينظر بوقاحة، وبرمي في أذني كلمات بذئمة حين مروره قربي. أتحاشاه. ^(١)

ثم تعاني أيوبة بتحرش جنسي من قبل هؤلاء النسوة، إذ تصل إلى القصر بدون موعد فتجد السيدة مع صديقتها في أحوال محرجة والتي تثير حفيظة أيوبة، ترحب بها السيدة في حالة السكر وتتابع أحوالها مع الصديقتين دون خجل بل تدعوها بالقرب من صديقتها، لكن أيوبة تبتعد فتمسكها السيدة بشدة وتحاول أن تجردها من أثوابها وتلمسها وتقرصها. تقول أيوبة حول موقفها: "في تلك اللحظة انتابني حالة هيسستيرية، رحت أضربها، وأدفعها، وأشتمها، وأهددها بالفضيحة، ولا أدري أي معجزة حملتني خارجاً، لأجدني في طريق البيت." ^(٢)

أدى هذا الحادث إلى انفصال أيوبة عن العمل. لأن تلك السيدة اتهمتها بالسرقة وإغواء ابنها، وبما أن السيدة زبونة كبيرة ووراءها زبائن آخرون بالتأكيد فأخرجوا أيوبة عن العمل مع اعتراف زيف حكاية السيدة. ^(٣) ثم أشارت الكاتبة إلى جذور أخرى وراء هذا الفساد الخلقي وعدم وضع الحد أمام هذا السلوك هو انتساب هؤلاء النساء إلى رجال الدين والدولة، كما تتحدث على لسان شخصية أيوبة: "عرفتُ فيما بعد أنّ وراء تجارة الخيط التي تمتنعها تلك العائلة تجارات أخرى، قدرة، ووراء تلك الصداقات التي شهدتها مصالح، وعلاقات نسب مع رجال دين ودولة." ^(٤)

(١) عين الهر، ص: ١٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٥١.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٥١.

٢. قضية السلوك مع الإماء

في رواية سجاد عجمي يدرك القارئ قضية حسن السلوك مع الجارية التي اسمها "محبوبة" عند تحريرها. فكانت الجارية محبوبة تخدم أسرة مالك الأشجعي وتربي أولاده: ربيًا وعمر. عندما يضطر مالك الأشجعي إلى تحريرها، يعطيها مالا كثيرا ويعتقها. وهذا الأمر يجعلها تستقر بأحوال معيشة جيدة لأنها تفتح نزلا وتكسب منها أموالا كأي تاجر ثري ذي صيت في السوق بدلا من أن تكون امرأة تصبح ثقلا وعائقا على المجتمع، كما ورد في الرواية: "صارت محبوبة حرة، وأنشأت بمال منحها إياه سيدها ذلك النزل، وأقامت فيه، وراحت تسترزق منه، وتربي مالها بجدّها وعملها." ^(١) وأيضا جعلها في موقف تستطيع أن تقدم خيرا للمجتمع والناس كما تعلق الكاتبة على جهدها وأموالها: "أثمر دأبها، وازدهر عملها، وصارت من ربّات المال في الرقة، وهي صاحبة نخوة، تفكّ المدين، وتعطي المحتاج، وتصون السرّ." ^(٢)

فعمل خير واحد مع جارية خدمت الأسرة سنين طويلة، جعلها امرأة فعالة وبناءة للمجتمع. ويعبر عن اتجاه المجتمع إلى تقديم الخير للمرأة من الطبقة المحرومة بشكل عام.

٣. قضية المجنون

وردت قضية المجنون عند المرأة في رواية سجاد عجمي بالكثرة وبأنواع مختلفة في الأحرار وفي الإماء أيضا. بداية من شخصية "محبوبة" التي حررها مالك الأشجعي لأن أخاه عاصم الأشجعي كان يحب جاريته "محبوبة"، لذا حررها حتى تأخذ قرارا لنفسها بنفسها. لكنها لا تقبل الزواج من عاصم رغم أنه طلب الزواج عدة مرات لكنها ترفض فهي لا تريد أن تكسر قلب مالك الأشجعي أبدا. وعندما تفتح نزلها يأتي إليها مالك الأشجعي أيضا وعاصم الأشجعي أيضا ثم

(١) سجاد عجمي. ص: ٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥.

تنجب بنتا دون أن تدرك بالضبط عن والدها من الاثنين. لكنها تنسبها إلى تاجر عراقي لا أحد يعرفها قط كأنه شخصية افتراضية كي لا تحدث المشكلة بين الأخوين.^(١)

بينما تشير الكاتبة شهلا العجيلي إلى حل هذه القضية بين العبيد والجواري من خلال شخصية "ريحانة" جارية لبانة. حيث تريد ريحانة أن تتزوج وأن تكون لها الدار والأسرة والأولاد والبنات.^(٢) فتزويج العبيد والجواري هو حل لمشكلة المجون من طبقتهم لأنه تؤدي إلى الفطرة كما قال الله تعالى: وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم.^(٣) فالعودة إلى الفطرة تجعل المجتمع ترتقي وتتطور وتنتهي التفاوت بين البشرية في حاجاتهم.

كما يلمح القارئ إلى مظاهر المجون عند المرأة التي تعشق الرجلين في آن واحدة، خلال شخصية خود التي تحب ابن عمها "عمر" منذ طفولتها، وعندما يصرحها عمر بعدم رغبته في الزواج بها. لا تخرج خود من هذه الصدمة إلا بقدم حارثة الجهني إلى قريتهم، فيتعلقان بعضهما ببعض. ففي الحديث بين ريا وخود، تشير الأخرى إلى وجود حبها لعمر ولحارثة في قلبها بقولها: "إن في قلبي حبا كامنا كمون النار في الحجر، عمر تركه، فتواري، وحارثة قدحه، فأورى."^(٤) فعندما تتساءل ريا عن مصير كفأة حبها في حالة عودة عمر إلى قلبها، فهل سترك حارثة؟ فتد خود وهي تبتسم بخبث: "بل آخذها معا، وأمتع النفس بهما معا!"^(٥)

(١) ينظر: سجاد عجمي ، ص: ٣٦-٣٧.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص: ٨٢.

(٣) النور: ٣٢.

(٤) المصدر السابق، ص: ٦١.

(٥) المصدر السابق ، ص: ٦١.

كأنها تريد ثأرا من رياء بالإضافة إلى عمر لأنها قصّرت في استمالة قلب أخيها عمر إلى خود.^(١)

كما أشارت إلى أحوال المجون وأسبابه من خلال شخصية رياء وسعد، حيث رياء امرأة متزوجة ولديها أربعة أولاد فحسب بل هي حامل بالخامس لكن سعد يقع في غرامها وهو ليس شخصا ساذجا ليفعل ذلك بل هو قائد الجيش. تشير الكاتبة إلى إحدى أسباب هذا المجون هو لباس رياء المكشوفة التي تستخدمها في مشهد وهي جالسة في حانوتها في السوق حيث يراها سعد، فهي تعمل هناك في صناعة جرار خزفي ورجلاها مكشوفتان من خلال ثوبها وهي منهمكة في عملها دون أن تهتم بالتستّر. وخمارها أيضا لا يغطي جسدها.^(٢) وهذا التعري والملابس المكشوفة يؤديان إلى الفساد في المجتمع. من ناحية أخرى، رياء أيضا تقع في غرام سعد رغم أنها صاحبة الزوج والأولاد لكنها لا تحب زوجها حسن الأشجعي. وتخير لبانة عن مشاعرها تجاه سعد بكل وقاحة.

كما أشارت الكاتبة إلى أن البنات يخرجن إلى السوق ويجلسن عند رياء في حانوتها للثرثرة كل من يقف عند حانوتها يستطيع أن ينظر إليهن ويستمتع إلى كلامهن كما نرى في المشهد السابق حيث يقف سعد وحارثة ووائل خارج الحانوت وهن سافرات الوجوه والذي يؤدي إلى التفات الرجال إليهن والقبل حولهن فيما بينهم ويقارنون بين حسنهن وغيره من الكلام.^(٣)

في موضع آخر تشير الكاتبة إلى أن البنات من آل الأشجعي يذهبن إلى شاطئ خاص لأسرتهن عند منطقة "حويجة مارية"، تخففت الصبايا والشابات من ملابسهن شيئا فشيئا ويدخلن في ماء الفرات "بما بقي عليهن من سراويل وقمصان

(١) سجاد عجمي ، ص: ٦١.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص: ٢٢.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص: ٢١-٢٥.

قطنيّة، تبدي أكثر مما تخفي.^(١) بينما كان بعض الجنود يلاحظون هذه المشاهد عن بعيد^(٢)، فالسباحة في الأماكن المكشوفة لا يضمن الأمان أبداً. بل يخلب العار دون أن تدرك النساء خطورة ذلك الأمر.

وأيضاً أشارت الكاتبة إلى مجنون المرأة من خلال شخصية لبانة التي تعشق ابن عمها بعد فرار زوجها وعودتها عند أهلها مع ولدها. هنا تقع لبانة في غرام ابن عمها سليمان. هما يقضيان الوقت معا سرا عن الأسرة ورغم حب بعضهما بعضاً لا يقدم سليمان على الزواج بها، تنتهي علاقتهما بسوء التفاهم والفخ كما سيأتي في قضية مستقلة.

٤. قضية العنوسة

أشارت الكاتبة في رواية سجاد عجمي إلى قضية العنوسة مع أسبابها وذلك من خلال شخصية "خود" في حوار بينها وبين أمها عندما تعيرها أمها بأنها تعزف وتغني طوال اليوم وصديقاتها في سنّها صاحبات الأزواج والأولاد^(٣)، فتقدم خود إليها شكواها وهذه الشكوى يلقي ضوءاً على أسباب عنوستها، بأن الأسرة زرعت في قلبها حب ابن عمها "عمر" منذ صغرهما وهذه المشكلة تؤدي إلى الفساد في عقول الأطفال والمشاكل بين الأسر. كبر حبه مع الوقت لكن الأمر لم يكن كذلك عند عمر.

ثانياً عندما يأتي خطيب آخر فلا يصل إلى معايير أسرة كاملة وفي نهاية المطاف تبقى خود عانسة، تقول خود: "يا أمي، لو لا طنبوري، حياتي وموتي مثلاً، ثم ماذا عليّ أن أفعل، وأنتم تمنعونني عن كل فعل؟! أودعتم عمر في قلبي طفلة، وأغلقتكم عليه، وعمر كبر على قلبي الذي ما عاد له براحاً. قريناتي كل في شغلها،

(١) سجاد عجمي ، ص: ٧٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ص: ٨٨.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص: ٥٨.

تلك في حانوت الخزف، والأخرى في حانوت الوراق، والثالثة في القببة تزرع زروعها ، وأنا أجلس في الدار بانتظار الخاطب الذي يليق بنا جميعا، نحن، وأخوالي، وأعمامي، وأنسبائنا، وأصهارنا." (١)

بعد فترة عندما يميل قلب خود إلى جندي حارثة الجهمي، هذا أيضا يكون خطيبا غير مناسب لأسرة الأشجعي حيث تخوفها ريا من معايب هذا الخطيب في نظرة آل الأشجعي حيث تقول: "أبوك لن يعطيك حارثة الجهمي، لا لسبب، بل لثلاثة: لأنه من جهم، ولأنه جندي، ولأنه في الفريق الذي يحمل علينا لواء البغي!" (٢) ترد خود على هذه الجوانب من نظرتها لكنها على علم بأن أسرتها قوية إلى حد أنها ترفض الخطباء أقل مستوى من أي ناحية. وهذه هي الأسباب الرئيسة للعنوسة في أسرتها، ومثلها أسر كثيرة.

أيضا أشارت الكاتبة إلى أسباب العنوسة كعدم التكافؤ في الزواج بالحب وعدم رضا الأسرة من خلال قصة ريا مع حسن السعدي الذي كان من موالي بني الأشجع دخل الأسلام وترك المجوسية، وكان له مواهب ومعارف وهذا جعله قريبا إلى قلب ريا، رفضت أسرة ريا علاقة صهر بين الأسرتين. رغم هذه المعارضة تقف ريا على موقفها، وعندما تزوج حسن السعدي بريا، وبدا كل شيء مناسبا ولم تقف أسرة الأشجعي في سبيلهما للخروج من دار الأشجعي إلى أن وصلت ريا إلى بيت حسن السعدي، لكن في ليلة زواجهما خطفوا حسن لوقت قصير وعندما عاد حسن ودخل عند ريا، طلقها دون أن ينبس بشيء وبدأ يضرب رأسها بالجدار كأنه جُنّ، إلى أن أخذته أسرته إلى دار المجانين في دير زكا. (٣) لم يتهم أحد أهل الأشجعي في هذا لكن ريا عرفت أن حسن عندما تعرّض

(١) سجاد عجمي ، ص: ٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٦٠.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص: ٥٠-٥١.

للاختطاف كان ذلك من قِبَل أسرة ريا. ومن ثم أعرضت ريا عن الرجال، "كانت زوحها عليلة، وكذلك جسدها، ذاهلة باستمرار عمّا يُدار حولها."^(١)

فقضية العنوسة قضية عميقة في الأسر المعروفة بالنسب والحسب، واختيار الخطيب المناسب يليق بمعايير الأسرة، يؤخر زواج البنت وأحياناً لا يتم لها الزواج أصلاً.

٥. قضية الزواج

أشارت شهلا العجيلي إلى عدة قضايا المتعلقة بالزواج، كالزواج بالإكراه، والزواج السري، والزواج بالمطلقة، وأسباب الطلاق في رواية سجاد عجمي، ورواية سماء قرية من بيتنا، ورواية عين الهر، كالتالي:

ففي رواية سجاد عجمي أشارت الكاتبة إلى قضية هامة وهي تزويج البنات قسراً كما يوجد في حياة شخصية ريا بعدما يطلقها حسن السعدي تحت ضغط أسرتها ويجن كما مر سابقاً لكنها لا تتركه في هذه الحالة بل تزوره وتسانده، إلى أن تزوجها أسرتها قسراً بابن عمها حسن الأشجعي الذي يحبها من أعماق قلبه. فالتزويج قسراً لا يعيد إلى قلبها حبا، وتعاني من المشاكل الأسرية مع الزوج والأولاد. هي تحاول قصارى جهدها أن تقبل حسن الأشجعي من أعماق قلبها لكنها تفشل في ذلك ولا تعرف عن مشاعرها كيف تتعامل مع هذه الحالة جيّداً، كما تعلق الكاتبة: "عاشت مع زوجها حسن الأشجعي وهي تراوح في مشاعرها بين المقت والشفقة، حزينة عليه، ساخطة على نفسها وهي تراه يبذل كل ما في

(١) سجاد عجمي، ص: ٥١.

وسعه لإسعادها." (١) فالزواج القسري في قانون سوريا الحديث يصل إلى حد الجريمة ضد الإنسانية. (٢)

ويسبب الزواج بالإكراه مشاكل التفاهم والبوح بما في قلب المرأة تجاه الزوج في الزواج غير المرغوب فيه، فلا تستطيع ربا أن تتحدث إليه كما تعلق الكاتبة على أحوال قلب ربا: "لم تكاشفه مرة، أو تبدي له ما تكن، ولم تتحدث معه عما تحب أو تكره، عما تريد أو مم تنفر." (٣)

أما علاقتها بأولادها فأیضا تتأثر بجفاء هذا الزواج المكروه، فهي تعتني بهم وتربهم بقسوة دون روح. حيث تقول الكاتبة: "حتى أولادها لم يحظوا إلا بصرامتها، كانت تقوم بواجباتهم فحسب، تربطهم في محمل قماشي على صدرها وظهرها، وتغادر الدار باكرا إلى حانوتها." (٤)

وبهذا السبب لا تبقى في البيت كثيرا بل تقضي أوقاتها في حانوتها بالكثرة وتبذل ساعات في الخزف. لأنه الشيء الوحيد الذي أخذ قلبه وحبه بعد حسن السعدي. كما تشير الكاتبة إلى ذلك: "لم تمنح ربا بعد حسن السعدي روحها لأحد سوى لهذا الطين الذي تصيره خزفا." (٥) ولاحقا يتعلق قلبها بقائد الجيش سعد عندما تجد منه حبا واعتناء واهتماما بالغا. وقد تأتي تفاصيلها في قضية مستقلة. فخلاصة القول بأن الزواج عنوة ظاهرة جادة، قد يوقع الزوجين في مشاكل اجتماعية، وأسرية ونفسية.

في رواية سماء قريبة من بيتنا أثارت شهلا العجيلي قضية الزواج السري عند الأغنياء في سوريا وما يحل بالأسرة نتيجة لذلك خلال شخصيتين، أولهما: المغنية

(١) سجاد عجمي، ص: ٥٢.

(٢) التأثير الجنساني للنزاع في جمهورية العربية السورية على النساء والفتيات: ورقة غرفة اجتماعات للجنة التحقيق الدولية المستقلة بشأن الجمهورية العربية السورية، مجلس حقوق الإنسان، الأمم المتحدة، الدورة ٥٣، من ١٩ يونيو إلى ١٤ يوليو ٢٠٢٣، البند ٤ من جدول الأعمال. ص: ١٧.

(٣) المصدر السابق، ص: ٥٢.

(٤) المصدر السابق، ص: ٥٢.

(٥) المصدر السابق، ص: ٥٢.

الشهيرة "ميّدة الحناوي" التي يتزوج بها وزير الداخلية سرا، فيقتل إثرها. فنالت منه ميراثا طائلا، وأدخلها هذا الأمر في مشاكل عنيفة مع أسرته، لم تهدأ نيران هذه المشاكل بإطلاق النار أيضا.^(١) رغم أنها ليست مغينة شهيرة فحسب، بل هي أشهر الشهيرات لكن الزواج السري هدم حياتها مع زوجها، وأيضا جعلها في معارك خطيرة.

أما الشخصية الثانية فهي مدير السكة الحديدية الذي تزوج سرا بموظفة من مكتب الإدارة الرئيس. اكتشف ابنه باسل هذا الأمر صدفة، كان باسل على علاقة بخالة جمان "دالية"، إذ ذهب ذات مرة إلى قاعة عرض الباليه، فوجد باسل بجانبه بنتا وامرأة على المقاعد الخاصة. كان يداعب البنت ويسأله عن اسمها فوجد كنيته واسم والدها وعمله تماما مثله، فأدرك الأمر بأن أباه قد تزوج سرا بهذه المرأة، وهذه البنت هي أخته. لا يتحمل هذا الخبر، ويبتز والده في البيت كل يوم بأنه سيخبر أسرته عن زواجه السري. فبهذا الشكل يبقى المدير تحت تهديد وتتأثر الوحدة الأسرية كلها في نهاية المطاف حيث يرحلون إلى اللاذقية ولا يعودون.^(٢) فأشارت الكاتبة إلى ثمار الزواج السري بأنها ليست حلوا. مهما حاول الأغنياء التستر عليها.

في رواية سماء قريبة من بيتنا أشارت الكاتبة إلى قضية زواج الرجل بالمرأة المطلقة من خلال شخصية سهيل بدران والد جمان، حيث تعرف على والد جمان في نادي السعد في حلب في حفل الزواج لصديق مشترك بينهما، فأحبها لشخصيتها رغم كونها مطلقة، كلاهما رضىا بهذه العلاقة، لكن والد جمان سهيل بدران (جدة جمان) لم ترض لابنها على كنة مطلقة. وقامت أخت سهيل "ليلي" بدور فعال بتأثيرها على أمها كي تقبل هذه الفكرة ولا تعارض هذا الزواج، حيث شرحت

(١) ينظر: سماء قريبة من بيتنا، ص: ٤١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٤٥.

لها بأن هذه العادة توجد في أرفع العائلات في العالم ثم قدمت بعض النماذج التي قرأتها في المجلات.^(١)

في رواية سماء قريبة من بيتنا أشارت الكاتبة إلى قضية زواج الرجل بالمرأة المطلقة من خلال شخصية سهيل بدران والد جمان، حيث تعرف على والدته جمان في نادي السعد في حلب في حفل الزواج لصديق مشترك بينهما، فأحبها لشخصيتها رغم كونها مطلقة، كلاهما رضا بهذه العلاقة، لكن والدته سهيل بدران (جدة جمان) لم ترض لابنها على كنة مطلقة. وقامت أخت سهيل "ليلي" بدور فعال بتأثيرها على أمها كي تقبل هذه الفكرة ولا تعارض هذا الزواج، حيث شرحت لها بأن هذه العادة توجد في أرفع العائلات في العالم ثم قدمت بعض النماذج التي قرأتها في المجلات.^(٢)

وفي رواية سماء قريبة من بيتنا أشارت الكاتبة إلى قضية هامة وهي أن تجعل المرأة مهنتها وعملها أولوية وتخفف من مشاعر الحبيب الذي يريد تأسيس البيت معها بالحب والدفء والأمان. تتبلور هذه القضية خلال حياة شخصية جمان التي أثناء دراستها بجامعة حلب أحبت شابا من الرقة اسمه سامي. كان يعرفها منذ زمن المدرسة. درس هندسة البرمجيات من جامعة موسكو وعاد إلى سوريا ليعمل على محطة توليد الطاقة بين حلب والرقة. في اللقاءات الأولى في الحلب وجدته جمان مناسبا له فبدأت تنجذب إليه، كما تعبر عن ذلك: "كنا سامي وأنا مناسبين جدًا لنكون معا، فغالبا حينما تكون شروط الأفراد الموضوعية متناسبة، يكون انجذابهم نحو بعضهم البعض أكثر منطقية وأسهل، وهكذا تقاربنا."^(٣)

خلال عامي ماجستير جمان اكرى سامي شقة استوديو لهما. وكان ينتظر لاكتمال مناقشة أطروحة ماجستير جمان كي يخطبها. لكن جمان كانت في واد آخر من مراهقة غير ناضجة. فهي كانت تقيس شخصية سامي في ميزان معلوماته

(١) ينظر: سماء قريبة من بيتنا ، ص: ٧٢-٧٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ص: ٧٢-٧٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص: ٢٧.

وعدد الكتب والمجلات التي قرأها، وعدد الهوايات التي تشير إلى ثقافة الإنسان. ولم تقسه بحبه لها وجديته لعلاقتها. فبدأت تشعر أنه لا تهتم بدراساتها أو لعملها، بل يرى أنها تقول بما فقط لأنها لم تتزوج بعد. كما بدأت تستخف من فكرة تكوين بيت صغير وسيارة وأن يكونا معا بأسرة. وأدركت بنفسها سخافة أفكارها المراهقة في سن النضج كما تقول جمان: "لم أكن أفهم هذا النوع من الحب، لكنني اكتشفت فيما بعد أنه كان حبًا حقيقيا وآمنا، بعيدا عن أية ادعاءات مقلقة." (١)

وفي هذا السن الناضج حينما فات منها حب سامي، فهدمت معنى الحب غير الذي تتخيلها أثناء دراستها وفي أوائل حياتها المهنية، فتقول عن جماليات الحب مع الزوج الحبيب: "الحب لا يشترط فيه الطموح والتشويق، ولا بذل جهود لإقناع الآخر بنفسك، يكفي أنك تريد البقاء معه، وترغب في حمايته، وتكون له صخرة بالمقدار ذاته الذي تكون فيه شجرة وارفة." (٢)

تعلمت هذه الحكمة بعد فوات الأوان بسنين وهي وحيدة مع مهنتها، من أستاذة جامعية عالمية كبيرة التي تزوجت برجل شبه أمي يعمل في صيانة القوارب البخارية للصيد، وعاشت معه حياة سعيدة جدا طوال أربعين عاما "لأنه منحها الحب والأمان، وكان كريما، ولم تكن تخشى في صحبته شيئا على الإطلاق" (٣).

فقالت هذه الأستاذة لها كلاما حكيما في الحب لزوجها المختلف عنها تماما: "إنها كانت تحبه بلا أية فلسفة أو شروحات، ولم تأبه يوما بالفروقات الثقافية بينهما. من الطبيعي ألا يشبه الناس بعضهم البعض، وليس من الضرورة أن يمتلكوا الشغف بالأشياء ذاتها، فإذا ما أحب المرء آخر، فسيحبّه كما هو بظروفه الراهنة

(١) سماء قرية من بيتنا ، ص: ٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص: ٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص: ٣٠ .

والمستقبلية".^(١) لكن سامي حينذاك فات منها إلى الأبد، حيث قتل في مواجهة مسلحة بين الجيوش السياسية.^(٢)

فتشير الكاتبة إلى فكرة استخفاف الحياة المنزلية عند بعض النساء كما تقر بعض البحوث: "إن البعض قد يأخذ مسألة المنزلية وتدير شؤون البيت التي يروج لها الكتاب في المجالات النسائية مأخذ الاستخفاف.. ويراهم الآخرون على أنها امتداد مزر لأدوار النساء التقليدية".^(٣)

في رواية عين الهر ألفت الكاتبة ضوءاً على قضية الطلاق من خلال حياة أيوبة مرتين: فالمرّة الأولى عندما يزوجها والدها في أوائل مراهقتها برجل كبير لا يحب بعضهما البعض لكنهما يقضيان الأشهر. يقرر الزواج الثاني، تقبل أيوبة بالزواج الثاني على شرط أن تبقى غير مطلقة. يتزوج هذه المرة بالمرأة الشابة وليست بالمراهقة. وهي تعمل كل الأعمال بأفضل شكل وتحبه أيضاً وهو يحبها، وتصبح أيوبة ليس إلا شخصاً إضافياً في البيت. عندما تصبح الزوجة الثانية حاملاً لم تقبل لأيوبة أي حاجة في ذلك المنزل فيطلقها ويعود مع أمها إلى بيتها، بعد أن تودع هذا البيت وتسامح عن الجميع، بما فيهم والدها المتوفى الذي رماه إلى هذا المكان في أول الأمر.^(٤)

والمرّة الثانية عندما يتزوجها مرشدها الطبيب من جماعة صوفية ويهتم بها ويراعها ويحبها بكل المعاني، ولا يمضي وقت طويل إلى أن يطلقها الطبيب وفي عينيه دموع، "لقد أمره الشيخ الكبير أن يطلقني، فهو لا يرضى أن أكون ضرة لابنته، وزوجة أب لأحفاده. وكان أمر الشيخ الكبير مفعولاً".^(٥) فانكسرت هذه

(١) سماء قرية من بيتنا، ص: ٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٣.

(٣) الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط، ليلي أبو لغد، الترجمة: نخبة من المترجمين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٩، ص: ١٠.

(٤) ينظر: عين الهر. ص: ١٠٤.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١١٠.

الأسرة حديثة العهد وكلاهما يحبان بعضهما بعضا. فالمرأة تصبح مرة أخرى بلا زوج. أما في قصة أم أيوبة فهي تكون مهددة بالطلاق لعدم إنجاب الولد وكثرة إنجاب البنات، ولديها خمسة بنات وهذا الأمر يؤلم زوجها، فهو يريد ولدا ليخلفه.^(١)

في رواية سماء قريبة من بيتنا أشارت الكاتبة إلى قضية الطلاق وأسبابها في حياة شخصية أم جمان. إذ يتم زواجها برجل من أسرة كبيرة برجوازية، وهو قبطان أعالي البحار فيسافر كثيرا بالإبحار ولا يتعد عن زوجته ولا لليلة واحدة لحبه الشديد لها ولذا كان دائما يصاحبها في رحلاته البحرية. في بضعة أشهر تعبت من الدوار الذي تعاني منه أثناء السفر، لكنه يصر على سفرها حبا بها، فتركته خلال سنة واحدة من الزواج إلى الأبد. كانت ترى حبه لها أنانية كما تعلق جمان: "كان يحبها لدرجة أنه لا يستطيع مفارقتها لليلة واحدة، وهي تراه أنانيا ولم يتفهم معاناتها، فتركته."^(٢)

وفي رواية صيف مع العدو، قدمت شهلا العجيلي ناحية أخرى للزواج الثاني للمرأة التي هي أم للبنات المراهقة، ومشاعر تلك البنت تجاه هذه العلاقة، حيث ترتبط نجوى بنيكولاس بعد ذهاب زوجها، بينما ترى لميس فيه الرجولة الأبوية التي لا تجدها في أسرتها فتعجب به لكنها تخاف أن يسرق أمها. فتعبر لميس عن هذا الصراع كونها طفلة منذ ما بدأت أمها نجوى بمساعدة نيكولاس في الترجمة والأبحاث: "بدأت تنمو في داخلي عقدة نفسية جديدة، قامت على الصراع بين إعجابي بنيكولاس، الذي وجدت فيه العنصر الرجولي المفقود في عائلتي، وبين توجسي من أن يسرق أمي. اضطرم قلبي بالمحبة والغيرة والحقد، وأضحى نيكولاس رجلنا المشترك، وصرنا بسببه أنا وأمّي ضربتين."^(٣)

(١) ينظر: عين الهر، ص: ٤٨.

(٢) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٧٢.

(٣) صيف مع العدو، ص: ١١٣-١١٤.

في موضع آخر تعبر عن مخاوفها في هذه القضية كالتالي: "لم يكن همّي أن يعجب نيكولاس بأمي أو حتّى أن يحبّها! لكن ما كان يفتك بي حقا هو أن تتحرّك مشاعرها، التي ما التفتُ إلى وجودها يوما، تجاهه. أمّهاتنا لا يمتلكن مشاعر حبّ سوى تجاه آبائنا، ولا يمكن أن نفكر بغير ذلك!"^(١) ويصل غضبها إلى أن تريد أن تشنقهما بحبل وتتخلص منهما إلى الأبد.^(٢) وحتى بعد سنوات طويلة عندما تلتجئ إلى نيكولاس في ألمانيا حيث لا مكان لها لتلتجئ إليه وتلتقي به، تعبر عنه بـ "العدو القديم".^(٣)

كما أشارت في نفس الرواية إلى مآخذ الزواج بالأجنبيات المعتقدات بغير الدين الحنيف. فقضية تربية الجيل الجديد من أهم الواجبات التي تتشرف بها المرأة غير الرجل. والزواج بالمرأة من الديانة المختلفة ومن الثقافة المختلفة تؤثر على تربية الجيل الجديد بإيجابياتها وسلبياتها. فأشارت الكاتبة أولا إلى قضية شيوع الزواج من الأجنيبات بين الشباب الذين سافروا في البعثات خلال الستينات والسبعينات، فتمهد الكاتبة لهذا على لسان لميس كالتالي: "لقد شكّل الرجال الذين درسوا في أوربة الشرقية في السبعينات (كومونة) أو مجتمعا صغيرا لهم بيننا في الرقة. ذهبوا إلى الاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا، ويوغسلافيا ورومانيا وبولونيا، وألمانيا الشرقية، وتزوجوا نساء جميلات، وأنجبوا أولاد وبنات وسيمين سمّيناهم بأولاد الأجنيّات".^(٤)

ثم تصف ملامح عامة مشتركة بين هؤلاء أولاد الأجنيبات بما فيها التقاليد الجيدة وبعض الملامح من الثقافة النصرانية والغربية لا تمت بصلة بالثقافة الإسلامية، وهي كالتالي: "كانوا نظيفين، ومرتبّين، وغير مبذّرين، وجادّين في دروسهم. يهتمّون بالقراءة والموسيقى، ولواحداهم في الغالب حيوان أليف، قطعة أو

(١) سيف مع العدو ، ص: ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٣٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٣٣٣.

(٤) المصدر نفسه ، ص: ١٨.

كلب. يذهب أولئك الأولاد المسلمون إلى الكنيسة مع أمهاتهم، ويطعمون أعياد ميلادهم في بيوتهم.^(١) ثم تقدم ملامح بيوت هؤلاء النساء: "بيوتهم صغيرة وغير باذخة في منطقة الثكنة أو الدرعية، لكنها بيوت دافئة، وكل ما فيها ينم على ذوق راق بالفنون والخبرة العلمية. كل شيء في مكانه، بلا إضافات."^(٢) ثم تسترسل في ذوقهم الخاص في الخمريات التي يطلبونها من الخارج للمناسبات أو يصنعونها على غرارها.^(٣)

ثم تلقي الكاتبة ضوءاً على قضية هامة وهي أسباب سياسية لرفض الزواج، حيث يفترق الحبيبان نجيب وعروبة. تعاني عروبة من رفض والدها لهذا الزواج فنجيب ينتمي إلى الأفكار اليسارية بينما تعمل أسرة عروبة لصالح الحكومة. بعد رفض بات لا تتزوج عروبة بشخص آخر وتختار ميدان السياسية وينتهي بها المطاف إلى أن تصبح نائبة في مجلس الشعب. رغم كل هذه المشاكل من ناحية الأيديولوجيات بين الأسر وبين الأفراد، لا تتردد عن مساعدة أسرة نجيب في الإفراج عنه، وحين يدركون بأنه قتل في السجن، تسلّم أسرته على الأقل جثته سالماً.

ثم تشير الكاتبة إلى أنها غير مقبولة في أسرة نجيب إن عرفوا بأنها تمثل الحكومة التي قتلت نجيب، رغم أنها ليس لها أي ذنب في موضوع قتله لكن موقفها يستطيع أن يجلب له الرفض من قبل أسرته، وأيضاً قد تواجهه المشاكل مع الحكومة بسبب انتصارها لقضية المعارض المعتقل المقتول، ثم الحضور في جنازته، لكنها لا تتوقف عما يلزم مسؤولية قلبها، كما تقول الساردة عن مدينتها في جنازة نجيب: "كان يبدو عليها الهرم باكراً، ظهر على محياها حزن رزين يناسب مركزها السياسي،

(١) صيف مع العدو ، ص: ١٨-١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٩-٢٠.

وبدت متجاوزة في قوّتها بحيث تقدم على مثل هذه المغامرة بأن تأتي لتعزّي بنجيب المعتقل السياسي الذي عارض الحزب الذي تشكّل هي أحد أقطابه.^(١)

هذا ليس فحسب بل بقيت عروبة على نهج المساعدة بلا تأفف لأسرة نجيب حتى بعد وفاته وفاء له، فتقول الساردة في مدحها: "ظلت عروبة بعد رحيل نجيب واسطتنا عند الحكومة، وظلّت تلبّي حاجتنا بلا تأفف: حين يسطو أحد المتنّفين أو البلطجيّة على عقار، أو يتجاوز موظّف في التخمين الضريبيّ انتقاماً من ماضي جدّي الإقطاعي، أو يُمنّع عنا خط هاتف، وحتى حينما عدّبوا أمي في نقلها من وظيفتها الحكومية، نتصل هاتفياً بعروبة، فتنحلّ العقد كلها بعد قليل."^(٢)

ثم في رواية سماء قرية من بيتنا أشارت الكاتبة إلى قوة المرأة واستقامتها لمقاومة الأيام العصبية ومساندة الزوج فيها، وهي من جماليات الزواج السعيد، كما نجد عند شخصية مديحة خانم. زوجها "بهجت بيك" كان مهدداً بسبب مشاكل طائفية سياسية في حلب منذ فترة، وعندما استلم ذات يوم اتصالاً من جماعته عن حالة الخطر وحان وقت المغادرة للأمن، فطلب من زوجته أن تجهز نفسها والأولاد للهجرة إلى دمشق. عند استماع هذا الخبر لا تضعف الزوجة لترك مدينتها وبيتها كالقصر والترف، والدخول في عالم مجهول. تعلق الكاتبة على وقوفها مع زوجها كالتالي: "اضطربت مديحة خانم قليلاً، لكنها حافظت على ثيابها، فقد أعدّت نفسها منذ أيام للاستقبال مثل هذا الخبر، بل كانت جاهزة لحالات الطوارئ، منذ أن أوغل زوجها في درب السياسة."^(٣)

ثم أشارت الكاتبة في رواية عين الهر إلى قضية الصبر على الزواج المليء بالعنف الأسري من أجل نفقات البنات ودراستهن خلال قصة أم أيوبة التي تعيش مع زوجها الثري وتعمل كل شيء بالطاعة وهي ليست بالقبيحة لكن زوجها يكون غاضباً كل حين في بيته. ويضربها في كل صغير وكبير. وهذا يؤثر على الأولاد

(١) صيف مع العدو ، ص: ١٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٩٥ - ١٩٦.

(٣) سماء قرية من بيتنا، ص: ١٠.

الصغار سلبيا. فذات مرة يتشاجر معها على موضوع القميص، وعند هذا الشجار تعبر الطفلة عن حالتها بالأسلوب التالي: "أضع إصبعي في أذني، وأنكمش في الزاوية تأهبا للمعركة، قلبي يرتجف، وأبدأ بالبكاء. تتسمر أُمي في مكانها، ثم تنفجر باكية، ينتر منها القميص بشدة، فتسقط طاولة الكوي، وتسقط أُمي على الأرض".^(١)

في موضع آخر تقدم الساردة هذه القضية من خلال قصة أيوبة، عندما تتحدث أيوبة المراهقة إلى والدها بأن الناس يتحدثون عن والدها بسوء وبأنه يذهب إلى بيت الدعارة ثم قال ما قال وثار غضبا، تقول أيوبة: "أراد أن يهجم عليها ليضربها، فتصدّيت له، دفعني، فسقطت وأُمي ورائي على الأرض".^(٢) فهذا الأمر يزحزح رباط الأسرة ويدمر نفسية الصغار أيضا. ومن ثم تعبر أيوبة عن مشاعرها تجاه الوالد الشرير كالتالي: "لم أعد أكلمه، أو حتى أراه، شعرت بأنني لا أحتاجه، بل قادرة على الاستغناء عنه".^(٣)

وعندما تتساءل أيوبة في مدى تحمل أمها لهذا العنف، فتشرح لها الأم بأنها تحتاج إلى الزوج الشرير لأجل بناتها ونفقاتهن للعيش والدراسة لكي يكبرن ويأزرن الأمر، فهي لم تدرس وليس بيدها حيلة للتكسب حيث تقول: "لولاك وأخواتك لما قعدت دقيقة، ولكن ماذا أفعل؟ إننا بحاجة إليه، لو كنتُ أكملتُ تعليمي وعملت لما سألت عنه هذه قسمتي ونصبي. غدا تكبرن وتصرن لي ظهرا، ادرسن واجتهدن ولا أريد شيئا".^(٤) فهي تتحمل هذا العنف لأجل مستقبل البنات متفائلة في الأيام القادمة في حق الأسرة.

تشير الكاتبة إلى سبب هذا العنف بأنه كثرة الضغوط على الوالد ولا يتحمل عبئها ولا يرتب حياتها فينفجر دوما في البيت ولا يحب زوجته وبناته، تقول أيوبة:

(١) عين الهر. ص: ٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٦٩.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٤٧.

"كان أبي يعاني ضغوطات في العمل، وكان يفجر كل ضغوطاته في وجه أمي." (١)

٦. قضية تأثير الحرب ومعاناة المرأة النازحة

يحتل نظام البلاد ونظام الأفراد بالحرب أينما كانت وبأي نوع كانت، فالحرب التي أكلت سوريا تتجلى في رواية صيف مع العدو ومعاناة المرأة خلال شخصية لميس إذ فقدت بيتها وأسرتها واضطرت إلى الهجرة إلى ديار غريبة، وهنا تريد أن تنسى آلام الحرب وفقدان الأسرة فهي تريد لها حياة أفضل منها حيث تتمنى: "سأترقّ بذاتي التي عانت كثيرا، والتي تستحقّ يوما واحدا أفضل قياسا بأيّامي السابقة، يوما واحدا أفقد فيه الذاكرة، والتاريخ، وأقول إنني امرأة أخرى، لا أعرفها، وستعرّفني إلى نفسها من جديد. امرأة غير مكبّلة بالحرب والفقد، وليس لديها أحد تقلق عليه. أنا بالفعل ليس لي أحد أقلق عليه، وبالمقابل ليس هناك من أحد يقلق علي، وهذه نعمة كبيرة مقارنة بالذين تركوا عائلاتهم، أو وصلوا بطريقة غير شرعية." (٢) ففقدان الأسرة والأهل من أكبر الخسائر وخاصة للمرأة التي تحتمي بها وتحتصن بها. ومن ثم لا يريد ممن عانى من الحرب أن يتحمل الفقدان مرة أخرى. كما تقدم الكاتبة معاناة عدم ترحب النازحة خلال شخصية لميس في ألمانيا إذ تتعامل معها نساء الشعب الأجنبي بالسلطوية وعدم الترحيب بشكل عام، والتي تدعو المهاجرة إلى أن تفكر بالنمطية تجاه الشعب الألماني. ثم أنها تلاحظ شحّ الابتسامة وطلاقة الوجه، والأمر يتفاقم سوءا بالنسبة لها لأنها ليس لديها عودة من هذا المهجران وعليها أن تعيش مع تصرف الناس الغريب. تبلور الكاتبة هذا الموقف من خلال مشهد الزيارة لمحل العطور المشهورة في كولونيا، كان جدها وجدّتها يستعملان بعض العطور من هذا المحل ومن ثم كانت الزيارة بالنسبة للميس جولة في طفولتها. فهي تفكر في أن تشتري بعض التحف والتذكارات لكنها

(١) عين الهر، ص: ٤٦.

(٢) صيف مع العدو. ص: ٤٩.

تصطدم بفكرة أنها استوطنت هذا البلد ولا عودة لها وما هي بسائحة فلا جدوى من التحف والتذكارات حيث تقول: "قررت أن أشتري تذكارات، ثم فظنت إلى أنني لست سائحة، وأن التذكارات للعائدين."^(١)

مع ذلك هي ليست إلا غريبة نازحة أقل درجة من المواطنة في نظرة الألمان ومن ثم تواجه لميس تصرفا متغطرسا متعصبا من قبل الناس بشكل عام ومن قبل موظفة ذلك المحل، "زجرتني مديرة المتجر الصغير الذي لا يتجاوز طوله الأمتار الخمسة، وعلرضه ليس أكثر من مترين، وقالت ممنوع التصوير! فامتثلت مستغربة مني من قبل هذه المرأة الخمسينية القصيرة والسمينية، وبدا لي أنها مجرد رغبة سلطوية، وحدة، اتسمت بها الشخصية الألمانية التي قرأت عنها."^(٢) فأن الصور لنفس المحل تملأ الشبكة، فهذا التصرف يؤكد للميس الفكرة النمطية عن الشعب الألماني، كما تعلق لميس: "عموما، لم أقابل وجهها ودودا إلى الآن عدا كارمن، مما أكد لي الفكرة النمطية عن الألمان."^(٣)

في رواية سماء قرية من بيتنا قدمت شهلا العجيلي صور مختلفة من معاناة المرأة النازحة والمتهاجرة ومنها الشخصية الرئيسة جمان، التي اضطرت أن تهجر بلدها سوريا إلى عمان إثر الحرب. فهي تعبر عن هذه المشكلة في عدة أماكن ومرة تحاول أن تستجمع نفسها الذي فقدتها في الحرب لإنجاز أعمالها، حيث تقول: "أحاول أن أستعيد ذاتي التي غيّبتها الحرب في بلدي."^(٤) وفي الحقيقة تعمل على موضوع ساخن مرت بها شخصيا ألا وهو النساء المهجرات والنازحات والهاربات من القصف، فهي أيضا من نفس العينة، بل أختاها سلمى وجود لا تزال تعيشان نفس العذاب في مدينتها.^(٥)

(١) صيف مع العدو ، ص: ٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٢.

(٤) سماء قرية من بيتنا، ص: ٢١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ، ص: ٢١٠.

وهذه الحياة تجعلها في شعور مختلط فأحيانا تشعر بالكآبة لأنها لا تقدم أي شيء لهؤلاء، بل تهرب من الحرب فقط إذ بدأ القتل المستهدف للأكاديميين في بلدها. ثم تشعر أحيانا بالحظ لأنها وجدت ملاذا آمنا مع عمل محترم تكتسب بها بأفضل شكل. ثم يراودها الشعور بالهزيمة وتأنيب الضمير لأنها تركت والدها وأختيها في أسوأ الأحوال وأخطرها.^(١)

ثم تزور جمان مخيم اللاجئين والنازحات للمقابلات مع النساء، هنا أيضا تجد النساء مع المعاناة بأشكال مختلفة، كالأم الحامل "ضحى" التي اضطرت إلى تهجرت من قريتها على حدود سورية أردنية مع زوجها ونساء أسرتها وهي في شهرها التاسع، وفي هذه الحالة تضطر إلى سفر مليء بالمخاطر، وعندما وصلوا داخل الحدود الأردنية غير القانونية سلّموا أنفسهم إلى مخفر أردني. كانوا لا يريدون إلا نوما قليلا، بعيدين عن أصوات الحرب بدون طعام وشراب. كما قالت إحداهن لجمان كالتالي: "نريد أن ننام فقط، لا ماء ولا كهرباء، حتى المؤن نفدت، وجاع الأطفال، نريد أن نرتاح من صوت الرصاص، من صوت القذائف، نريد أن ننام."^(٢)

ثم حان وقت إنجاب ضحى في المخيم وعانت كثيرا ووجدوا الطبيب بصعوبة من عيادة بعيدة عن مخيمهم، ثم أنجبت بنتا سموها جمان، لمساعدتها لضحى عند ساعة العسرة هذه.^(٣)

ثم تشير إلى معاناة المرأة في المخيم "أم صابرين" أم بنت شابة تعيش معها في المخيم، لديها ولدان يعملان في لبنان لكنهم انحبسوا عندما أغلقوا الحدود ولا يمكن لهما مساعدة أمهما وأختهما. أمّن لديهم عيشا رغدا وبيتا في سوريا ثم حلّ بهم الثوار وطلبوا منهم العيش معهم في نفس البيت لكن أم صابرين وأباها والبنت "صابرين" هاجروا إلى المخيم كأنهم دون المأوى! تعلق أم صابرين على مأساتها

(١) سماء قرية من بيتنا ، ص: ٢١.

(٢) المصدر نفسه ، ص: ١٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٣٩.

كالتالي: "سكنوا البيت، وقالوا بإمكاننا البقاء، لكن كيف نبقي مع رجال غرباء،
وعندي بنت صبيّة!"^(١)

أم صابرين مصرية، كانت تعيش في السورية منذ ثلاثين عاما، لكنها الآن لا
تستطيع العودة إلى مصر أيضا بسبب عدم وجود جواز السفر الجديد، ولا تعرف
عن أقاربها هناك.^(٢)

ثم أيضا تشير الكاتبة معاناة المرأة إثر النزوح من يافا عام النكبة إذ يترك والد
نبيلة مع زوجته الحامل يافا إلى لبنان عبر الباخرة.. أثناء السفر تنجب زوجته بنتا
يسميتها "نبيلة"، وإثر الإنجاب تتدهور أنفاس الأم، يحاول الوالد أن يأخذ تسريحة
من المساء اللبنانية للنزول لكن الحكومة لا تسمح لهم إلا بعد ثلاثتهم. وأثناء
هذه الأوضاع الحربية والهجرة تموت الأم على متن الباخرة لعدم وجود الإسعاف
المناسب. وتبقى البنت بلا أم قبل أن تتعرف عليها.^(٣)

في رواية سماء قريبة من بيتنا قدمت شهلا العجيلي صور مختلفة من معاناة
المرأة النازحة والمتهاجرة ومنها الشخصية الرئيسة جمان، التي اضطرت أن تهجر
بلدها سوريا إلى عمان إثر الحرب. فهي تعبر عن هذه المشكلة في عدة أماكن
ومرة تحاول أن تستجمع نفسها الذي فقدتها في الحرب لإنجاز أعمالها، حيث
تقول: "أحاول أن أستعيد ذاتي التي غيّبتها الحرب في بلدي."^(٤) وفي الحقيقة
تعمل على موضوع ساخن مرت بها شخصا ألا وهو النساء المهجرات والنازحات
والهاربات من القصف، فهي أيضا من نفس العينة، بل أختها سلمى وجود لا
تزالا تعيشان نفس العذاب في مدينتها.^(٥)

(١) سماء قريبة من بيتنا ، ص: ١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٢٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ، ص: ٢٠٤.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ، ص: ٢١٠.

وهذه الحياة تجعلها في شعور مختلط فأحيانا تشعر بالكآبة لأنها لا تقدم أي شيء لهؤلاء، بل تهرب من الحرب فقط إذ بدأ القتل المستهدف للأكاديميين في بلدها. ثم تشعر أحيانا بالحظ لأنها وجدت ملاذا آمنا مع عمل محترم تكتسب بها بأفضل شكل. ثم يراودها الشعور بالهزيمة وتأنيب الضمير لأنها تركت والدها وأختيها في أسوأ الأحوال وأخطرها.^(١)

ثم تزور جمان مخيم اللاجئين والنازحات للمقابلات مع النساء، هنا أيضا تجد النساء مع المعاناة بأشكال مختلفة، كالأم الحامل "ضحى" التي اضطرت إلى تهجرت من قريتها على حدود سورية أردنية مع زوجها ونساء أسرتها وهي في شهرها التاسع، وفي هذه الحالة تضطر إلى سفر مليء بالمخاطر، وعندما وصلوا داخل الحدود الأردنية غيلر القانونية سلّموا أنفسهم إلى مخفر أردني. كانوا لا يريدون إلا نوما قليلا، بعيدين عن أصوات الحرب بدون طعام وشراب. كما قالت إحدهن لجمان كالتالي: "نريد أن ننام فقط، لا ماء ولا كهرباء، حتى المؤن نفدت، وجاع الأطفال، نريد أن نرتاح من صوت الرصاص، من صوت القذائف، نريد أن ننام."^(٢)

ثم حان وقت إنجاب ضحى في المخيم وعانت كثيرا ووجدوا الطبيب بصعوبة من عيادة بعيدة عن مخيمهم، ثم أنجبت بنتا سموها جمان، لمساعدتها لضحى عند ساعة العسرة هذه.^(٣)

ثم تشير إلى معاناة المرأة في المخيم "أم صابرين" المصرية، كانت تعيش في سوريا منذ ثلاثين عاما، لكنها الآن لا تستطيع العودة إلى مصر أيضا بسبب عدم وجود جواز السفر الجديد، ولا تعرف عن أقاربها هناك.^(٤) أم بنت شابة تعيش معها في المخيم، لديها ولدان يعملان في لبنان لكنهم انحبسوا عندما أغلقوا الحدود ولا

(١) سماء قريبة من بيتنا ، ص: ٢١.

(٢) المصدر نفسه ، ص: ١٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٣٩.

(٤) المصدر نفسه ، ص: ١٢٨.

يمكن لهما مساعدة أمهما وأختهما. أمن لديهم عيشا رغدا وبيتا في سوريا ثم حلّ بهم الثوار وطلبوا منهم العيش معهم في نفس البيت لكن أم صابرين وأباها والبنات "صابرين" هاجروا إلى المخيم كأنهم دون المأوى! تعلق أم صابرين على مأساتها كالتالي: "سكنوا البيت، وقالوا بإمكاننا البقاء، لكن كيف نبقي مع رجال غرباء، وعندي بنت صبيّة!"^(١)

بينما أشارت الكاتبة أحوال حرية المرأة في سوريا قبل الحروب وأحوال سلامتها وأمنها وهي وحيدة في البيت ولا أحد يتجرأ لإيذائها، كما نجد عند شخصية جدة لميس التي رغم كبر سنّها تصر على أن تبيت في بيتها لوحدها، ولا يوجد لديها رهاب من الإرهابيين أو اللصوص، وهذا الأمن نعمة من نعم الله كما قال الله تعالى: **فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**.^(٢) فتعلق الساردة على أحوال جدتها قل الحروب كالتالي: "تفتح جدتي الشباك ليلا لاستجداء هواء الصيف الضنين. لا أحد يحرص على إقفال الأبواب أو الشبايك، فالحارة أمان، والناس تسهر أمام البيوت إلى الصباح".^(٣) وهذا النوع من الأمن المثالي يجعل مدينة الرقة على أفضل الحال قبل مجيء العناصر المقلقة. فهذه قضية إيجابية تقدم بيئة صالحة للنساء والأسر.

ثم أيضا تشير الكاتبة معاناة المرأة إثر النزوح من يافا عام النكبة إذ يترك والد نبيلة مع زوجته الحامل يافا إلى لبنان عبر الباخرة.. أثناء السفر تنجب زوجته بنتا يسميها "نبيلة"، وإثر الإنجاب تتدهور أنفاس الأم، يحاول الوالد أن يأخذ تسريحة من المساء اللبنانية للنزول لكن الحكومة لا تسمح لهم إلا بعد ثلاثتهم. وأثناء هذه الأوضاع الحربية والهجرة تموت الأم على متن الباخرة لعدم وجود الإسعاف المناسب. وتبقى البنت بلا أم قبل أن تتعرف عليها.^(٤)

(١) سماء قريية من بيتنا، ص: ١٢٩.

(٢) سورة قريش: ٣-٤.

(٣) صيف مع العدو، ص: ٣٤.

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص: ٢٠٤.

وهنا أيضا ناقشت شهلا العجيلي مكافحة النازحة بمرض السرطان ووجدتها في هذه المعاناة، حيث تكون جمان بعيدة في الأردن عن أسرقتها: والدها وأختها. وهي قد استخفت قديما من خطيب حبيب، وأمها أيضا توفيت قبل زمان بالسرطان. والآن هي تعاني من السرطان فتشعر بالحنين إلى أسرقتها ووطنها.^(١) وعندما تحاول أختها سلمى عبر الهاتف أن تهدئ من روعة جمان فتقول لسلمى: "أنا وحدي، أنتم لستم معي."^(٢)

كما تشير الكاتبة في رواية صيف مع العدو إلى قضية هامة هو عدم اكتمال الدراسة بسبب نشب الحروب في سوريا، ثم استئنافها في سن متأخر في ديار الهجرة ومعاناتها في التكيف مع هذا الوضع في سن متأخر عن السن العادي للدراسة الجامعي. فشخصية لميس هي امرأة في الأربعين من عمرها وتسجل في الجامعة بألمانيا فلم تتسنى لها فرصة الدراسة في الجامعة كطالبة مستقلة من قبل لأنها لم تكن تستطيع أن تترك أمها في الرقة وتذهب إلى دمشق أو حلب، لأنها لا توجد أي جامعة في الرقة فكانت تذهب إلى الجامعة للامتحانات فقط، أما الدراسة فكانت تعد الدروس عن البعد، حتى هذه الشهادة لم تحظ بالاكتمال بسبب الحروب والأوضاع السياسية والاجتماعية في البلاد. وبهذه الأسباب قدر كبير من البنات يمتنعن عن مواصلة الدراسة العليا في مناطق الحروب بالسوريا.^(٣) فتضطر لميس إلى الهجرة إلى ألمانيا، وطرح عليه نيكولاس أن تدرس فترحب لميس بهذه الفكرة. وهكذا أثارت الكاتبة قضية استئناف الدراسة في سن متأخر بينما تتساءل لميس في البداية: "هل سأندمج وأبدأ حياتي من جديد وأنا قريبة من الأربعين؟"^(٤) فتنتصر الكاتبة في هذه القضية لاستئناف المرأة دراستها في سن متأخر أو متى ما سنحت لها الفرصة.

(١) ينظر: صيف مع العدو، ص: ١٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥٣.

(٣) التحديات التي تواجه النساء في شمال غرب سوريا، الدفاع المدني السوري، ٢٠٢٢، ص: ٧.

(٤) المصدر السابق، ص: ٤٧.

٧. قضية جهد الأرملة

أشارت الكاتبة في رواية سماء قريبة من بيتنا إلى جهد المرأة بعد الترميل التي لديها أولاد لتراعيها حيث يتنوفى زوج نبيلة "يوسف" بينما ولدها في سن المدرسة. ترك يوسف لهما بيتا وشقة إضافية، وأجرتها نبيلة لنفقات مدرسة غالية، ثم أيضا بدأت تعمل في السفارة الألمانية، وعندما زادت النفقات أكثر تعاقدت مع مجلة خليجية تعالج فيها مشاكل القراء النفسية العاطفية.^(١)

في هذه السنوات حيث ولدها بحاجة إليها، لم تبني علاقة جديدة رغم أنها كانت في سن تحتاج إلى ذلك، كما تعلق الساردة: "فقدت نبيلة زوجها يوسف في توقيت لم يكن في صالحها إطلاقا. كانت في حوالي الأربعين من عمرها، حيث كل مجازفة يجب أن يكون محسوبة جيّدا، فلا وقت لدى المرء ليعثره في علاقات إنسانية، قد تبدد الطاقة الروحية، التي يكون الناس في أمس الحاجة لشحنها إيجابيا، في مثل هذا العمر."^(٢)

وأیضا تشير الكاتبة إلى جدية قضية النشأة الصالحة للأولاد عند نبيلة بعد وفاة زوجها ووالد ابنهما، والابن يدخل في سن المراهقة فيحتاج إلى تربية رجولية فتصمد عند هذه المواقف أيضا وتحاول أن لا يكون ولدها "مسكينا يتيما" و"ولد الأرملة"، كما تعلق الساردة: "على الرغم من الفراغ المؤلم الذي خلفه غياب يوسف، بقيت نبيلة صامدة، تنشئ يعقوب بعناية فائقة. كانت تعرف أن الولد تحديدا يحتاج رجلا ليربيه."^(٣) لأجل ذلك كانت تخبره بذكريات أبيه الوهمية في غالبها كالتالي: "أبوك فعل كذا، قال كذا، طلب كذا، لو كان أبوك معنا لتصرف كالتالي."^(٤)

(١) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٢٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢١٤.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢١٤.

وبالتالي عندما نجح وصار طبيبا ماهرا وتزوجت أمه برجل آخر وأصيب الزوج بمرض السرطان خدمه من أعماق قلبه وبالجدية مع أمه والذي يدل على تربيتها الصالحة لابنها. ^(١) وبعد وفاته عاشت مرة أخرى بحالة فقدان والألم. ^(٢)

٨. قضية سوء خلق المرأة

في رواية سجاد عجمي تلقي الكاتبة ضوءا على قضية الإفساد بين الحبيبين بشتى الطرق، وذلك من خلال شخصية ديجور، وهي جارية سليمان الفارسية. تكشف ديجور عن أسرار الحب بين سليمان ولبانة، حيث تقع سلك رسائل سليمان للبانة ورسائل لبانة لسليمان في يدها، وتفهم أنهما تتفقان على مكان اللقاء وقضاء الليلة عبر الرسائل وأيضا يوحان عن حبهما لبعضهما البعض في تلك الرسائل، وهذا السلك كان عن طريق فروة أبي لبانة، حيث تفك وجها منها وتضع بها الرسالة ثم تخيطها، فلا يعرف أحد عما بداخلها. ويستلمها سليمان بشوق ويخرجها ويضع في مكانها رسالته لها ويخيطها كما كانت. ^(٣)

تشتعل نيران الغيرة والحسد في قلب ديجور فتخطط لإعداد الفخ بطريقة لا يدرك أحد عمن وراء الإفساد بينهما. فناولت ديجور رسالة لبانة قبل سليمان وتفهم أن لبانة أخبرته عن لقاءهما بعد يومين حيث تخرج لبانة لوحدها من الرقة وتنتظرها في الأجمات عند حدور الرقة ودير زكا ومن هنا سيلتقي بها سليمان ويأخذها إلى مسكن اشتراه لنفسه، وتعود صباحا ددون أن ينتبه إلى غيابها أحد. تقرأ ديجور هذه الرسالة وتخفيها، فلا يعرف سليمان عن هذا الموعد. ^(٤)

وعندما لا تجده لبانة على الموعد في ليلة مخيفة في الغابة وتغضب كثيرا ولا تترك له ذرة من أن يبرر لهذا الغياب، ثم تتوقع أنه سيكتب له ويعتذر لكنه يغيب. ورسائلها أيضا تنقطع عنه فعندما يذهب إلى الرقة ليعرف أخبارها فيجد عمر

(١) ينظر: سماء قريبة من بيتنا، ص: ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٢٩.

(٣) ينظر: سجاد عجمي، ص: ١١١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١١١.

جالسا على حانوتها فيسيء الظن بها أيضا، ويهجر المكان دون أن يتحدثا ويحلا الأمر.^(١) وهكذا تنال ديجور المطلوب وتنجح في إفساد الأمر بينهما.

كما أشارت الكاتبة في رواية عين الهر إلى قضية بسيطة لكنها في غاية الخطورة وهي عادة القيل والقال والنميمة التي تفسد بين الناس في لحظة ضعفهم، كما نجد في حكاية أيوبة من طفولتها، إذ كانت تحب زميلها وجارها "علي" وهو كذلك وهما طفلان. لكن صديقتها وجارتها "هبة" ما كانت تريد ذلك وكانت تكره الأولاد، وهذا ما كانت تلقنها. وعندما أخرجها والدها الشرير من المدرسة عقب يوم اللعب مع علي وأطفال الحارة، وجرها إلى البيت أمام الناس بما فيهم "علي".

في اليوم التالي عندما لقيت أيوبة وهبة واستفسرت عن أحوال المدرسة. وجدت هبة فرصة سانحة لاستغلال لحظة ضعف أيوبة وتحدثت على لسان علي عنها بسوء بأنه قال للمعلمة أمام الفصل بأن أباهما ضربها لأنها كانت تلعب، وبأنها كانت تستحق ذلك لأنها كانت تدق الأبواب وتهرب.^(٢) تحيرت بأن علي هو الذي قال عنها بهذا الشكل وهو كان معها كل ذلك الوقت. في هذه اللحظة ترمي هبة سهمها آخر: "لا أدري، لكن قلت لك مئة مرة لا تلعب مع الأولاد، لا يأتي من ورائهم سوى المشاكل." ^(٣) تقول أيوبة بأن علي ليس كذلك بل هو جيد، حينها تطلق هبة سهمها الأخير قائلة: "لا أحد جيد، كلهم مثل بعضهم، يتكلمون على البنات. أرايت! بسببه صار لك ما صار!"^(٤)

ودون أن تعطي فرصة واحدة لصداقة كل هذه الأعوام تصاب أيوبة بسلبية كلام هبة في حق علي ولا تتحدث إليه: "تتساقط أمامي صور المدرسة، تهوي من فوق إلى القعر، وصورة علي، والصحبة الجميلة." ^(٥) فالقيل والقيل يفسد علاقة

(١) سجاد عجمي ، ص: ١١٥.

(٢) ينظر: عين الهر، ص: ٥٥.

(٣) المصدر نفسه ، ص: ٥٥.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٥.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٥٥.

بريئة وجميلة منذ سنين بين أيوبة وعلي خلال دقيقة واحدة، وهذه من مفسد
الثروة والنميمة بين النساء.

في رواية عين الهر تشير الكاتبة إلى قضية كثرة الترف والبذخ في بنات الأثرياء
وهذا الترف الذي لا تستوعبه أيوبة، حيث تكون عيديات هؤلاء البنات بمئات
الآلاف. تتعجب أيوبة من هذه الحالة كالتالي: "طوال عمري أعرف ان العيديّة
في أحسن الأحوال لا تزيد على ألف، أو ألفي ليرة، أما عيديّات بمئات الألوف،
فلم أسمع عنها في حياتي، هل نحن في "حلب"، أم في "ألف حلب وحلب"!^(١)
فعندما تصل بنات وكنات سيدة القصر وتفتح أيوبة علب المجوهرات أمامهن،
ينسين وقارهن وشهامتهن ويتشاجرن على العلب بقلة الأدب أمام سيدة الأسرة
والضيعة الغريبة، فضجرتن السيدة حينها هدأت الشابات مثل الأطفال. كما
تعبّر أيوبة هذا المشهد: "فتحت العلب كلها، ومع كلّ علبة كنت أسمع شهقاتهنّ،
وتعبيراتهنّ عن الإعجاب، ثم بدأت يتصايحن، ويتخاصمن:

- أريد هذا...

- لا، هذا لي... أسكتهنّ السيدة بصيحة ممطوطة.^(٢) يدل هذا المشهد
على سوء تصرفاتهن بسبب الدلال والترف.

تشير الكاتبة إلى سبب آخر وراء سلوكهن المذكور هو عدم اختلاطهن في
المجتمع العام ولم تكن لهن خلفية الخلق الاجتماعية لأنهن لم يسافرن ولم يذهبن إلى
مدرسة أو كلية أو جامعة. بل تحضر لهن معلمة الدين والرياضة إلى القصر،
وكذلك مزينة الشعر وماهرة الماكياج والخياطة. وعندما يخرجن من البيت يحتجن
وينتقبن بالأسود جيّداً، ولا يظهر منه سوى أعينهن. مع ذلك يقطن السيارات في
أي ساعة كانت من آخر الليل.^(٣)

(١) ينظر: عين الهر، ص: ١٥١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٤٩.

فهذه الأوضاع جعلتهن في موقع غريب من المجتمع، في جانب يمتلكن العالم كله وفي جانب آخر، لا يعرفن التصرف المناسب أمام الضيوف والكبار. وتصل قلة التربية إلى ذروتها عندما يجتمعن كلهن في حفلات باذخة الترف والزينة ويلمسن بعضهن بعضا ويلتصقن ويقبلن بطريقة مشمئزة تتخطى حدود الخلق الفاضلة. وتقدم الكاتبة سبب هذا الفساد في البنات وفقدان التربية الصالحة بأن كبيرة الأسرة ربتهن على هذا المنوال، فهي بنفسها تشغل بهذه التصرفات. فكيف يمكن لها أن تربيهن على خطى سليمة.^(١)

٩. قضية فقدان الأم أو الأب

في رواية سجاد عجمي أثارت الكاتبة قضية فقدان الأم لدي البنت والولد في أعمار مختلفة ألا وهما لبانة وعمر، عمر فقد أمه في سن الطفولة ولبانة فقدت أمها في سن الشباب. كما نجد ذلك في حوار عمر ولبانة حيث توفت أمه وهو في السادس من عمره وكان لا يزال ينام بجانب أمه. بينما تتوفى أم لبانة وهي شابة لا تنام بجانب أمها، لذا تعتبر لبانة عمر أكثر يتما من نفسها.^(٢) موضوع يُثم الأم كان موضعاً مشتركاً بينهما والذي يجمعهما في الحوارات^(٣).

يعبر عمر عن مشاعره عند فقدان الأم كالتالي: "الذين تموت أمهاتهم يتحالفون مع الريح، تفكّ وثافتهم المشدودة إلى العالم، لكنها تضربهم بسياتها!"^(٤) فأهمية الأم مسلّمة في جميع أعمار الأولاد كما شرحت الكاتبة فقدانها في الطفولة عند الولد، وعند البنت في سن الشباب.

يتجلى حرمان الأولاد من الأمهات من خلال مغادرة والدّة عبود آنا للرقّة بعدما طلقها والده، فتعبر لميس عن هذا الحرمان في حياة عبود وتأثّر لميس الشديد بحالة عبود تقول: "لن أوقظه، حرام! سأدعه ينعم بالنوم لأطول وقت ممكن، لماذا

(١) ينظر: عين الهر، ص: ١٤٩ - ١٥٠.

(٢) ينظر: سجاد عجمي، ص: ١١٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١١٣.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١١٣.

أوقظ ولدا لن يجد أمه في البيت أبدا!"^(١) فصار عبود جزءا من مائدة بيت لميس كما تقول: "صارت أمي هي التي تعطيني من كعكنا."^(٢) كما ترك تلك الأشياء التي كان يقوم بها مع والدتها وكان يفرح بها: "غاب صوت الموسيقى عن بيتهم، لا أوبرات، ولا كونشرتات، ولا بيانو، ولا أيّا من الأشياء التي جعلته يخلّق في عالم آخر. نسي عبود العزف، ولم يعد يستمع إلى تلك الكاسيتات التي حفظتها أنا مرّبة في علبها في خزانة صغيرة إلى جانب البيانو."^(٣)

في موضع آخر تعبر لميس عن التغير السلبي الذي أصاب عبود في مزاجه وتصرفاته مع الأولاد: "حين غادرت أنا فقد عبود حكاياته الساحرة، وتحول من ولد رزين إلى معتوه! صار شقيا، ولم تكن شقاوته حقيقية، بل مفتعلة. يحاول عبرها أن يرضينا، وأن يثبت انتماءه إلينا بنكات سخيفة، ومزاج سمج يصير عنفا أكثر الأوقات."^(٤) ثم تقدم لميس مقارنة بين شخصية عبود مع وجود أمه وبين شخصيته في غيابها: "إن ما كان يميّزه من قبل هو تحفّظه الأصيل ولباقته العفوية اللذان أنشأته عليهما آنا. اللباقة التي تسللت خلال مئات السنين من بلاطات القياصرة، وقصورهم الصيفية إلى عامة الناس في أزقة بلادهم وساحاتهم."^(٥)

فقدان الأم لا يؤثر على الأطفال فحسب بل أيضا على الكبار كما تقدم الكاتبة تأثير وفاة الأم على نجوى فهي تبحث عن أمها في ابنتها وتأسرهما الأحران على فقدان الأم كما تعبر لميس عن حزن أمها على وفاة والدتها، كالتالي: "أمي تغرق في حزن غريب! لا تبكي، ولا تحكي، لكنها تلتصق بي أكثر فأكثر، وتزيد

(١) صيف مع العدو. ص: ٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٩ - ٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٣٣.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٣٣.

في رعايتي مثلما لم تفعل من قبل، وكأنها بدأت تخاف من فقد جديد، أو أنها حقا ترى في أمها. ^(١)

أيضا ترسم الكاتبة في رواية صيف مع العدو تأثير الخلافات التي تكون بين الحكومة والمعارضة فتحرم البنات والأولاد من آبائهم المعتقلين من قبل الحكومة، وينشد الأولاد والبنات أناشيد الوطن والحكومة دون أن يعرفوا حقيقة من حرّمهم من آبائهم. ترسم الكاتبة هذه القضية من خلال شخصية طفلة صغيرة اسمها هند وهي ابنة "ناهل" صديق خال لميس نجيب. اعتقله الحكومة لكونه اليساري بتهمة سياسية. وهي تنشد ببراءتها أناشيد الوطن والحزب، تقول الساردة: "والدها غائب منذ ثلاث سنوات، وهي تنشد للذين غيّبوه، وأنا أجدها طفلة جبّارة وهي تحمل كل هذا الحزن الذي يفرضه يتم مؤقت، وربما دائم.

كما تشير الكاتبة إلى خطورة القضية عندما تكبر هذه البنت وتدرّك ما فعلت بها هذه الأناشيد الوطنية فستغضب كثيرا، كما تعلق الساردة: "حزن يضيق عنه قلب هذه الصغيرة، ولا شك في أنه سيتحوّل حقا عارما حينما ستكشف حقيقة أنها تنشد لوطن حرّمها حضن والدها. ^(٢) كما تقدم الكاتبة هذا الأمر من خلال معاناة الأم أيضا فمن ناحية هناك ألم فقدان الزوج ومن ناحية أخرى هناك ألم حرمان ابنتها من والدها، وفوق كل هذا البنت البريئة تغني للأعداء، حيث تقول الساردة: "كيف تساطيع أمها أيضا أن تدفع بها إلى هذه المحرقة الإنسانية، فتحتمل رؤيتها تغني للأعداء! إن الذين يظلموننا، ويأخذون منا آباءنا، هم أعداء بلا شك. ^(٣)

في رواية سماء قريبة من بيتنا أشارت الكاتبة شهلا العجيلي إلى قضية تربية البنت في حالة غياب الأم، فيجد القارئ حل هذه المشكلة عند الكاتبة في أن الجدة هي التي تقول بدور فعال في تربية البنت. كما نجد في حياة شخصية ناصر

(١) صيف مع العدو، ص: ٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٨١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٨٢.

وهو يتزوج بسيدة أمريكية ورزق منها بولدين وبنت. بعد زمن بدأ الخلافات بينهما وتركت السيدة أسرتها فاضطر ناصر أن يرسل البنت إلى أمه في عمان لأنه ينتقل بين دبي وعمان بسبب الأعمال.^(١) فالجدة نعم البديل للأم. فهي تكون صاحبة الحكمة وتجارب الحياة والرؤية البعيدة. وفي حالة بنت ناصر، هي بحاجة إلى الثقافة الإسلامية التي نقصت عند أم نصرانية.

ثم تلقي الكاتبة ضوءاً على معاناة المريضة بالسرطان وهما الكبير هو أنها عندما تموت تكون وراءها ابنة عشر سنوات. فهي تخاف على تربية ابنتها من كل النواحي، سواء أكانت دراستها أم الأمور تتعلق بسن المراهقة وغيرها. ولكنها لا تعرف هل ستعيش إلى ذلك السن أم لا. ثم تصل إلى حل أنها تكتب لبنتها مذكرات في الكراسة لكي تقرأها ابنتها لاحقاً،^(٢) وهكذا تقدم الكاتبة معاناة المرأة المريضة على وشك الموت لكن تزداد ألمها بخوف من مصيره ابنتها بعدما تفقد حنان الأمومة وترتيبها الصالحة.

١٠. قضية تنقف المرأة واستقلالها المالي

في رواية سجاد عجمي تتجلى هذه القضية في شخصية ريا إذ أنها تملك مهارة الخبز، وبها تقوم بتجارة خلال حانوتها، مع أنها تنتمي إلى أسرة كريمة ذات رغد العيش. وهي ماهرة في هذه صناعة ولا ينافسها الناس في السوق بل يذهب الناس بصناعتها إلى الولاة والرؤساء والكبار. وهي تقوم بإنفاق مالها على الأعمال الخيرية مثل المجنون "خرز" الذي يبيع بعض المعدات النسوية مثل الحنة والمسايك والزيت العطرية الرخيصة، وأمشاط عظم، على البسطة خارج حانوت ريا لكن هذا العمل لا يوفر له قوت يومه ومن ثم ريا تساعد في توفير احتياجاته وتظنه بركة لها

(١) ينظر: سماء قرية من بيتنا، ص: ١٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٤٧.

ولحانوتها.^(١) كما تظهر قضية تثقف المرأة واستقلالها خلال شخصية لبانة إذ أنها تعلمت من الدير مع إخوتها اللغة السريانية وفن الترجمة والنسخ وصارت بارعة في هذا وكانت تدير حانوتها في بغداد ثم في الرقة.

وأيضاً تتجلى ذلك في شخصية لبانة، التي اكتسبت مهارات النسخ والترجمة من اللغات المختلفة إلى العربية منذ طفولتها من دير زكا، فهذا التثقف جعلها تكسب أموالاً، حيث تعمل في حانوتها المستقل. بلغ صيت مهارتها الفائقة في مجال النسخ بخط جميل خالٍ عن الأخطاء إلى كل مكان. تتحدث لبانة عن مهارتها في هذا العمل الكريم الجاد، كالتالي: "كنتُ أرى أصحاب دكاكين الوراقة خطّي، فيعجبون به، وأنا سريعة الكتابة، بيّنة الخطّ ما قرّئ، أتنجّب المماطلة، وأني بالوعد. لم أغيّر أو أبدّل، أو أصحّف، أو أحرف، أو أسقط بعض الكلمات أو العبارات، أو أدسّ لأثبت تفوّق ملّة على أخرى، أو قوم على قوم، كما يفعل بعض نسّاخ بغداد، ولم أنسخ من غير إعجام أو ضبط."^(٢)

وأيضاً أشارت الكاتبة إلى مهنة أم سليمان اسمها "خاتون"، فكانت تحوك السجاد، كانت تنتمي إلى أسرة من بلاد تبريز، ومنها أخذ سليمان بذور هذه المهنة وتفوق فيه، فكانت "خاتون" تحوك السجاد على نولها في بيتهم في دير زكا وتساعد أسرتها. وعملها في البيت أثّر في ولدها سليمان حيث صار شغوفا بعالم السجاد، وتغيّر حياتها المستقبلية إلى الأفضل. تشير الكاتبة إلى مهنة "خاتون" وتأثير ولدها بها كالتالي: "كان مغرماً أيام طفولته بالسجاد الذي كانت أمه (خاتون) تحوكة على نولها في بيتهم في دير زكا."^(٣)

في جانب آخر توجد هذه القضية بشكل عكسي خلال شخصية خود- ابنة عم رياء- حيث تريد أن تدرّس البنات والأطفال القرآن الكريم وتنشر العلم

(١) انظر: سجاد عجمي، ص: ٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٩.

الذي حصلت عليه لكنها غير مسموحة بذلك كما نلاحظ في الحوار بي خود وأمها كالتالي:

"- بئس العلم علم لا ينتفع به! أليس الأشرف أن أعلم صغار المسلمين؟ وقد منعتموني عن ذلك أيضا، ما كان يضيركم لو تركتم لي حجرة من حجرات هذه الدار الواسعة، لتتردد عليها الصغيرات من حولنا، فيدرسن عليّ كتاب الله، فيحفظ الله الدار وأهلها، ويزيد بركتها!

- العلم مطروح في المساجد، ولا ينتظر جهدك، ثم إن هذا ما أراده أبوك." (١)
فأم خود لا تسمح لها بالعمل المبارك لا في المدرسة الدينية ولا في البيت، وهذا الأمر يدل على قلة الحكمة في أولياء الأمور وبأنهم يأخذون الشباب إلى قلق واضطراب وضياع، والذي يظهر من قول خود: بئس العلم علم لا ينتفع به. أشارت الكاتبة إلى قضية تربوية وثقافية هامة وهي تسجيل الأولاد والبنات في مدارس البعثة النصرانية والتي تلقن في الأذهان البريئة طقوسا نصرانية وثقافتها ومعتقداتها. فتحكي لميس عن نفسها بأنها تعلمت في مدرسة الحرية (نوباريان) المعروفة بمدرسة الأرمن الأرثوذكس، وأيضا ترافق عبود وأنا إلى الكنيسة الصغيرة في الرقة، تعبر لميس عن هذه التجارب كالتالي: "كنت أؤدي صلاة الصبح باللغة الأرمنية. أحب الطقوس، وتسحرنني روائح البخور، والأردية الجميلة للكهنة، والنساء والرجال في أفضل ما عندهم من ثياب وصوت الأرغن والترانيم." (٢)

وبما أن البنت لميس معرّضة للبيئة الغريبة والثقافة الأجنبية والتي تتعارض في كثير من الأحيان بالعقائد الدينية وتؤثر على تكوين شخصية البنت. فإنها تفكر في أصول هذه الأشياء وتكون بحاجة إلى من يرشدها إلى طريق سليم بما جاء به الدين الحنيف. لكن البنت أو الطفل عندما لا يجد حوله من يرشدها إلى سبل السلام ويساعد في تكوين الشخصية المتينة، فيبقى في ذهن البنت الأسئلة التي

(١) سجاد عجمي، ص: ٥٨.

(٢) صيف مع العدو، ص: ٥٥.

قد يرد أحد عليه بطريقة غير راشدة والذي يؤدي إلى خلل. فعلى سبيل المثال تذهب لميس إلى النيسة وتتعرف على سيدنا المسيح عليه السلام عن طريق رواية نصرانية والتي لا تتفق مع ديننا الحنيف. فعندما تسأل هذه البنت أمها عن هذه القضايا، لا ترد عليها بل تزجرها. ومن ثم تلجأ البنت إلى الآخرين للبحث عن أسئلتها كالتالي: "متى سيأتي المسيح، لماذا لم يخرج من وراء المذبح؟ وأين هم الناس الذين حضروا ولادته؟ وأين تلامذته؟ وأين القديسون الذين تضىء وجوههم في الأيقونات؟" (١)

وفي بعض الأحيان نجد أن نفس الطفلة تجد إجابات مناسبة لفهمها في أمور الكون الأخرى. كما تشرح الكاتبة هذه القضية من خلال الحوار بين البنت لميس وأمها نجوى:

"تقول ماما حينما نمر بحقول عباد الشمس:

- شوفي يا لولو إنه يدير رأسه نحو الشمس، ويتبع حركتها من الشروق إلى الغروب.
- كل يوم.
- كل يوم وإلى الأبد.
- هل يمكن أن يقرر في يوم ألا يفعل؟
- لا.
- ألا يتعب؟!
- من هنا يأتي بزر (عين الشمس) الذي تحبينه، وكذلك زيت القلي.
- من هنا؟
- نعم من هنا. (٢)

(١) صيف مع العدو، ص: ٥٦.

(٢) سجاد عجمي، ص: ٨٧.

في موضع آخر أيضا تفصل الكاتبة في هذا الموضوع وتقول على لسان الطفلة لميس بأن أمها تدلها على أفكار سليمة حول آيات الكون كالسماء والأرض وأشجار والنبات، وآيات القرآن الكريم، والأغاني والأناشيد.^(١) ومن ملامح تثقف المرأة وتحلياته في البنت هو أن تصطحبها الأم إلى المكتبة لقراءة الكتب.^(٢)

أيضا هناك تأثير ثقافة الجدات والكبار الراشدين حول الطفلة وهم يدلون بدلهم في تكوين أفكار البنت وشخصيتها. وأحيانا يقدمون الأخبار والمعلومات غير دقيقة فهي أيضا تصبح جزءا من مخزونها المعرفي، فكلما يلقى خبر أو معلومة أمام الناشئة يجب مراعاة دقتها وصوابها من الخطأ، ومراعاة الإيجاز غير الاسترسال غير الحكيم. كما تقدم لميس معلومة غير دقيقة حول النجوم التي سمعت من جدتها فتقول: "جدتي تقول النجوم هي أولياء السموات الصالحون، وأرواح الناجين من رجس الدنيا، ويختلف ارتفاعها عن الأرض باختلاف ما كسبت من عمل صالح في حياتها على الأرض، وبقدر هذا الارتفاع تكون سعادتها ويكون قربها من أعلى السموات التي يقوم عليها عرش الله!"^(٣)

وفي رواية عين الهر ألفت الكاتبة ضوءا على قضية دراسة البنت خلال شخصيات مختلفة وأوضاع مختلفة. فأولا أشارت إلى هذه القضية خلال أمنية أم أيوبة بأن تدرس بناتها ويجهدن كي تتخلص أسرتها من أب شرير. فتقرر البنت بأنها ستدرس كثيرا لأجل أمها وأخواتها وبأن يفتخر بها والدها فتصبح عائلتها سعيدة مرة أخرى. تقول أيوبة عن أحلام طفولتها: "قررت أن أدرس من أجل أمي، كل يوم كنت أحلم، وأخطط لمستقبلي، أتخيل نفسي شخصا ناجحا، عاملا، آتي بالنقود لأمي وأخوتي، سأجعل أبي يفخر بي أمام الناس، وسأشتري له الهدايا، سيندم ويكي، وسيصبح شخصا جيّدا عطوفا على أمي، وستعيش بسعادة."^(٤)

(١) ينظر: صيف مع العدو، ص: ٨٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٨٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٥٢ - ١٥٣.

(٤) عين الهر، ص: ٤٧.

لكن والدها أخرجها من المدرسة إثر وشاية الجارة بأنها تلعب مع الأولاد وترعج الجيران، ثم زوّجها وهي بالكاد دخلت في سن المراهقة. ثم بعد الطلاق تستأنف دراستها في مدرسة صوفية وتحصل على شهادة الإعدادية ثم الثانوية، ثم تنشغل بقراءة الأدب أيضا.^(١) والدوام على القراءة والتعلق بالأدب يساعدها في عملها لاحقا في سلك الأحجار الكريمة. حيث تقرأ وتحقق عن أنواع الأحجار وتأثيراتها على مستخدميها. ثم ترشد الزبائن على أفضل حجر حسب مزاجهم وأوضاعهم. تقول أيوبة: "كان عملي أن أقرأ، وأتلم وأحدث. أن أقرأ قصص الأحجار، وأعرف دلالاتها، وأسرارها، والمعتقدات حول تأثيراتها، فأحدث بها الزبائن والزائرين، وأرغبهم كلّ حسب حاجته."^(٢)

عندما تكمل أيوبة دراستها بعد الطلاق في مدرسة صوفية تابعة لجماعة صوفية، يساعد مرشدها وطبيبها على أن تبدأ مشروعها التجاري البناء بضم السُّبْح، فهي تعمل في محلها الصغير، وهي ليست مكلفة بأن تذهب ببضائعها لبيعها في السوق الكبير أو المتاجر الكبيرة حيث تجد زبائن كثيرة، بل الجماعة ذاتها تكلف شخصا ليقوم بهذه المساعدة لتنمية مشروعها، كما تشرح: "يمرّ علي بين الفينة والأخرى أحد أعضاء المجموعة، يطمئنّ على عملي، ويأخذ من بضعتي إلى محلات أخرى."^(٣) ومع مرور الوقت تنتقل إلى عمل الأحجار الكريمة والمجوهرات في محل كبير في حلب.^(٤) ثم عندما يتم انفصالها عن المتجر تعود إلى عملها السابق وهو ضم السُّبْح في غرفتها في جامع العادلية مع خدمة بيت الله.^(٥) وهكذا تكون المرأة مفيدة لنفسها ولمجتمعتها وتحمل نفقاتها بدلا من أن تكون عبئا مرة أخرى على والدها الشرير، الذي لم يسمح لها بالذهاب إلى المدرسة من قبل.

(١) ينظر: عين الهر، ص: ١٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٠٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٢١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٥١.

إلى أن صارت القراءة جزءاً من شخصيتها فتقرأ كل شيء وكأن الدراسة أعطتها حكمة الأشياء ولم تكن تحصل على مجرد المعلومات والأخبار، كما تعبر عن هذا الشعور: "صفحة فصفحة، وقصة فقصة، رحت ألبس الدّور، صرت عرّافة، أقرأ الأحجار، والعيون، والقلوب، بل أقرأ كل شيء حولي: ماء البركة، أوراق الشجر، العصافير، النمل، وأفسّر، وأؤول في ضوء ما قرأت، وأكثر منه في ضوء مزاجي، وأحلامي." (١)

١١. قضية نظرة دونية إلى بعض المهن النسائية

في رواية صيف مع العدو، أثارت الكاتبة قضية النظرة السيئة تجاه بعض المهن كمهنة الكوافير حيث تقول الساردة أثناء حديثها عن "صالون الأحلام": "الجميع يقول إن سمعة البنات العاملات هناك سيئة! هكذا تقول كل من العمّة مارية والعمّة صافية. لكنني أحبّ استكشاف هذا الموقع المحاط بالريبة." (٢) وكما توجد الإشارة إلى مهنة الجدة الراقصة التي تكون حاجزا بينها وبين قبولها عند أسرة الخطيب. وإنما يصل الأمر إلى أن ابنها نجيب أيضا يعاني من مشكلة قبول لأن أمه كانت راقصة قبل الزواج. ففي الحقيقة الأكل والشرب والعيش في العاصمة صعب جدا، فوق ذلك أن يعيش الإنسان مثل الصعاليك وكأنه مواطن من الدرجة الثانية ولا يحق له أن يتمتع بالخدمات كالمواطنين الآخرين، فهو أمر غير مقبول أبدا لكرامة امرأة أو رجل.

١٢. قضية الصعوبات للمرأة في الأمور الرسمية

أشارت الكاتبة شهلا العجيلي في رواية عين الهر إلى أن المرأة تعاني من المشاكل في الأمور الإدارية والرسمية في المكاتب الحكومية، فلا تجد المرأة تسهيل الأمور بل يصعب الموظفون لها الأمور فيتأجل الأمر إلى شهر تالٍ دون أن يكون

(١) عين الهر ، ص: ١٢١.

(٢) صيف مع العدو، ص: ١٠١ - ١٠٢.

هناك نقص في الأوراق بل كتب الوزير بمنح التصريحة لكن الموظف غير مؤهل للفهم. تلقي الساردة ضوءاً على هذه القضية المؤلمة خلال تجاربها الشخصية كالتالي:

"الموظف في دائرة البلدية، أوقف لي المعاملة، لأن موافقة الوزير الصريحة تنقصها. في الحقيقة، لا ينقصها شيء، فالحاشية التي خطها الوزير تشير إلى موافقة صريحة، لكن بصيغة لغوية أخرى، غير الصيغة التي اعتادها الموظف. هذه الحاشية وضعها الوزير ليمنحني مساحة من الحرية في التصرف بالطريقة التي أريد، لكن الموظف أصر على تخطيطها، وعلى تعديل الحاشية، وهذا يعني إعادة الطلب إلى الوزارة، كما يعني شهراً أو أكثر من المماطلة، والتأخير، والإحراج!"^(١)

فالمرأة السورية تمر بالصعوبات في المكاتب الحكومية مع الموظفين الذين لا يقدرّون قيمة وقتها وظروفها الخاصة. فأثارت الكاتبة هذه القضية ليفكروا أصحاب القرار في تخطيط تسهيل الأمور في المكاتب الحكومية خاصة للنساء.

(١) عين الهر. ص: ٣٢.

الباب الثالث

دراسة فنية لروايات الكاتبتين

يشمل:

الفصل الأول: دراسة شخصية في روايات الكاتبتين

الفصل الثاني: دراسة الزمان والمكان في روايات

الكاتبتين

الفصل الثالث: دراسة الحدث في روايات الكاتبتين

الفصل الرابع: دراسة اللغة والأسلوب في روايات

الكاتبتين

الفصل الأول:

دراسة الشخصية في روايات الكاتبتين

إن دراسة الشخصية وفهمها قائم على إدراك الجوانب المختلفة لهذه الشخصية، و"هي مجمل السمات والملامح التي تشكل طبيعة شخص أو كائن حي"^(١). و"الشخصية تحمل الصفات الخلقية أي تبحث في باطن الإنسان."^(٢) ومن ثم بعض الشخصيات تكون إيجابية وبعضها تكون سلبية.

بينما تكون بعض الشخصيات رئيسة والبعض الآخر ثانوية، وبعض الشخصيات عميقة يحيطها السارد من جوانب الملامح الظاهرة إلى دواخلها، بينما تكون شخصيات أخرى سطحية إذ لا يبلغ السارد إلا إلى إحاطة ملامحها الظاهرة فحسب. كما يقول الناقد: "تُقسّم الشخصية إلى نوعين: الرئيسيون وهم الأبطال، ويظهرون في أكثر مواقع الرواية. والثانويون، الذين يظهرون في بعض المشاهد ثم يغيبون في المشاهد الأخرى. ثم إن هناك تقسيماً آخر للشخصيات ويكثر تداول كلمات تصف الشخصيات من حيث طريقة العرض، مثلك المدورة، والمسطحة والنامية والثابتة."^(٣)

(١) معجم المصطلحات الأدبية (عرض وتقديم وترجمة)، سعيد علوش. دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى. ١٩٨٥. ص: ١٢٦. مأخوذ من: الأبعاد الفنية والموضوعية للشخصية في رواية وصية المعتوه لإسماعيل بيرير، بوميدونة سعاد. رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي. جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر. ٢٠١٧-٢٠١٨. ص: ٨.

(٢) الأبعاد الفنية والموضوعية للشخصية. ص: ٨.

(٣) بناء الشخصية في رواية نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم، خليل برويني، كبرى روشنكفر، علي رضا كاهه. إضاءات نقدية (فصلية محكمة) السنة الرابعة- العدد الرابع عشر، حزيران ٢٠١٤. ص: ٥٢.

الشخصيات الرئيسية عند بدرية البشر

الشخصية الرئيسة هي التي تلعب دورا رئيسيا في القصة والمسرحية، وتنطوي نفسه على صفات وقوى يتعاطف معها القراء أو النظارة دون غيره من الشخصيات. (١)

عزيزة

هي شخصية رئيسة وساردة رواية غراميات شارع الأعشى. هي بنت في سن المراهقة تدرس في المرحلة الثانوية. هي مولعة بالأفلام المصرية وممثلاتها، وتجعل منهن قدوة لها، وتعيش في عالم خيالي حيث تتخيل كأنها تعيش حياة إحدى الممثلات، فعندما يأتي أخوها إبراهيم من مصر حيث يدرس بالجامعة، يقدم لها الهدية التي تأخذ عقلها وهي الحذاء بكعب عال فتخال نفسها ممثلة مصرية وسندريلا. (٢)

وتفضل كل ما يأتي من مصر سواء كان ذلك ثقافة مصر أو أغانيها أو اللهجة العامية للمصر تتفاخر بين أقرانها لمعرفتها باللهجة المصرية. وحين تلتقي بطبيب العيون المصري "أحمد" وعيناها مشغلتان، يميل قلبها إليه لأنه مصري من حيث الصوت واللغة، "صوت الطبيب يشبه الأصوات التي تتحدث في أحلامي وفي أحلام شخصياتي التي أمثلها فوق السطوح، ومن كثرة ما حدثتني وحدثتها شعرت أنّ هذا الطبيب قريب إلىّ وأعرفه." (٣)

ثم تتفاجأ عزيزة بالتقاء الطبيب أحمد في بيت أستاذتها "أبله سميحة"، فهو أخوها، وفي هذه الدروس تتطور علاقة عزيزة مع الطبيب أحمد وترسخ إلى أن تنتهي بعلاقة غرامية. هي تريد الزواج به بأي وسيلة كانت رغم المشاكل الأسرية وقلة اهتمام الطبيب، والوسيلة التي تختارها من أجل الحصول على الهدف تظهر أنها حماقة ارتكبتها إذ تتزوج برجل عجوز لتحصل على جواز السفر للرحيل إلى

(١) بناء الشخصية في رواية نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم، ص: ٥٣.

(٢) ينظر: غراميات شارع الأعشى. ص: ٩٣ - ٩٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٢٩.

مصر، ثم تهرب من الرجل العجوز في ليلة زفافها إلى الطبيب لتصطدم بمفاجأة عدم رغبته بها لأنها تزوجت وصارت لغيره.

هنا تظهر أن الشابة بإمكانها ارتكاب أي خطأ قبيح وفظيع إذا كان الأمر متعلقا بالحب والعلاقة الغرامية لتأثرها بنجوم ونجمات الأفلام الأجنبية المصرية بالتحديد والذين لا يمثلون بالضرورة الحياة الواقعية الطبيعية، بل دائما يأتون بما يثير قلوب البنات والبنين اليافعين الذين لا يتحلون في معظم الأحيان بالعقل والحكمة والرشد.

وضحي

هي امرأة مسكينة في رواية غراميات شارع الأعشى أدى بها الفقر إلى ذبح وأكل أغنامها بعد ما ذهب زوجها بالأغنام لبيعها في مدن أخرى كعادته ولم يعد، اضطرت إلى أن تعود إلى أسرتها لكنهم كانوا أسوأ منها حالا، تصور الساردة فقرها وبؤسها وسذاجتها كالتالي:

"مشيت وضحي بجوارها بقامة معتدلة وجسم ضامر كجمل هذه طول الطريق. تلبس ثوبا أخضر بدوائر زرقاء وصفراء. أصابعها بلا خواتم وساعدها بلا حللي، ورسخها دون ساعة تزيد عن حاجتها. عباءتها ثابتة فوق رأسها، تنسدل على ظهرها، وتنفتح من الأمام تاركة ثوبها مكشوفاً، بينما يغطي وجهها برقع ينسدل حتى صدرها." (١)

فهذه الفقرة تعبر عن ملامح الشخصية الخارجية والتي تدل على حالتها الاجتماعية أيضاً. فهذا التعبير جزء مهم من الرواية كما يقول الناقد: "إن الرواية عنيت عناية كبيرة بالشخصية، لاسيما في رسم ملامحها الخارجية، فضلاً عن طبقته الاجتماعية." (٢)

(١) غراميات شارع الأعشى. ص: ٤٦-٤٧.

(٢) بناء الشخصية في رواية نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم، ص: ٥٣.

فجاء بها القدر إلى رياض وبالضبط إلى حي شارع الأعشى، ومن هنا تبدأ حياة جديدة قدر الله لها رغد العيش مع راحة البال بمساعدة أسرة الساردة عزيزة من جانب، ومن جانب آخر بمساعدة التاجرة أم جزع التي لم تساعدتها في تأسيس تجارتها فحسب بل أصبحت لها رفيقة تقدم لها النصائح في ترقية التجارة، كما تقول الساردة: "وجدت أم جزع في وضحي رفقة حنونة غمرتها، ومودة ملأت شقوق وحدتها الطويلة." (١)

وفي المقابل وضحي أيضا ساعدتها لأنها امرأة عجوز وبمثابة الأم لها رغم أن نساء السوق كئيلعنّها ويتعدن عنها بسبب فقرها وبؤسها لكن أم جزع بحدسها وتجربة حياتها عرفت قيمة هذه المسكينة في ظاهرها كما تقول الساردة: "أم جزع استطاعت أن تميز بحاستها القوية بين من طمع فيها وكذب عليها وبين من أحبها وعفّ عن عطاياها، مثل وضحي، لهذا احتضنتها وأعجبت بشخصيتها." (٢)

وبهذه الوسيلة تجنب وضحي عن التسول والفقر والتجأت إلى طريق الجهد رغم أن أبا إبراهيم عرض عليها أن تأكل من دواجنه وتطعم أولادها من حليب الأغنام لكنها لا ترضى على الأكل المجاني وتفضل عليه عيش الجهد والكرامة. (٣)

بدأت وضحي برحلتها التجارية من بيع البيض القليلة حتى وصلت بيع التوابل والأعشاب والأقمشة والمعجنات وأغراض النساء، كما كانت بارعة جدا في معرفة الأعشاب التي تستخدم في صنع الأدوية لأمراض نسوية، ثم انتقلت إلى بيع ثياب جاهزة للرجال والنساء، وأيضا كانت تصنع مقابض لقدرور والدلال من الأقمشة البالية إلى أن وصل بها الأمر إلى بيع وشراء عقود وخواتم من الذهب والفضة. (٤)

(١) غراميات شارع الأعشى ، ص: ٤٤ .

(٢) المصدر نفسه. ص: ٤٥ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٢ و ٤٥ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٤٥ .

بعد جهد مضني ومتواصل في السوق وصل حال وضحي البائسة الفقيرة إلى أنها أصبحت ثرية ذات ثياب مزخرفة وحلي ذهبي والذي أدى إلى دهشة النساء اللاتي كن يكرهنها بسبب حالتها المهترئة، ففي إحدى حفلات الحلي تجدها النساء لأول مرة بثوب جديد والحلي في معصمها، "تعلقت نظراتهم بها فهذه هي المرأة نفسها التي عرفناها قبل أعوام فقيرة بائسة." (١)

وضحي تملك نظرة ثابتة مستلهمة من البيئة الطبيعية حولها وما جرى معها في حياتها، ولها رؤية خاصة في تسمية أبناءها وبناتها كما تقول الساردة: "أسمت ابنها متعب لأنه أتعبها في ولادته، وأسمت ابنها الآخر الذي ولدته في الصحراء أيضا ضاري كي يكتسب قوة الضواري، أرادته شجاعا ينتصر على أعدائه ويحمي إخوته، أما ابنتها فقد توسمت في الجازي اسم أنثى الصقر لتكون قوية ثابتة الرؤية، وسمت ابنتها الصغرى مزنة متمنية أن تكون حياتها ندية كالمطر، ففي الصحراء يصبح الماء هوحياة أهلها، لهذا يسميه البدو "الحيا"، لأن الله يبيي يجعل به كل شيء حيا." (٢)

فهي شخصية نامية مدورة وتعطي وتأخذ، "وهي الشخصية التي تنهض بدور يتطلب الحركة والتغيير من فصل لآخر ومن حدث لآخر. فهي تؤثر في الحوادث وتتأثر بها وتتغير مع تقدم الزمن، ولا تبقى على وتيرة واحدة." (٣)

مريم

هي شخصية رئيسة في رواية الأرجوحة وهي من أسرة مرموقة محترمة من الرياض، طبيعتها محافظة من حيث أسرتها لكنها تناشد لحقوق المرأة مساويا لحقوق المرأة، تقع في حب مشاري المتسكع وراء البنات، ويلتقيان في شقة صديقتهما

(١) غراميات شارع الأعشى ، ص: ١٢٠

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٧٦

(٣) بناء الشخصية في رواية نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم. ص: ٥٢.

سوسن، ويفعلان ما يفعلان، ثم تحرض مريم مشاري على الزواج بأن هذه اللقاءات ستضرهما في المجتمع وأيضا ستضر سوسن. وهكذا عندما تتزوج به تقضي سنة أولى في حب، ثم يبدأ عمل مريم في الحكومة في مدرسة بعيدة جدا والذي يضر أسرتهما. ومع الوقت يقل حب مشاري رغم أنه يبوح بحبه لها. تمر السنون ولديهم أولاد، يفر مشاري عن أسرته إلى جنيف، بالوعد أنه سيدعو مريم أيضا بعد شهر لأسبوع ثم يعودان معا. تذهب مريم وراءها هناك لكنه يغادها إلى باريس. تبحث مريم عنه في جنيف وعندما تتأكد من عدم وجوده هنا وذهابه إلى باريس تعود مريم ولا تجري وراءه أكثر وتعود إلى الرياض إلى أولادها.

في جنيف ترافق مريم صديقاتها في المطاعم والنادي الليلي لكن شخصيتها دائما تكون محافظة من الخمر والرقص والعري. وعندما ترى صديقتيهما في الرقص والخمر لا تشعر مريم بأي سرور بل تنزعج من هذا المشهد، كالتالي: "عاودت مريم توترها. طلبت من الجرسون شاي أخضر وظلت تشرب حتى آخر السهرة. شعرت بأنها لا تنتمي إلى هذا العالم ولديها مشكلة في التناغم معه.^(١)

في موضع آخر عندما يودعهن الشباب السعوديون، احتضن أحدهم سلوى ثم احتضن عناب وقبلها، وعندما حاول ذلك مع مريم نبهته بأنها ليست من ذلك النوع.^(٢) ولكن الغريب في الأمر أنها تذهب إلى هذه الأماكن وترافق هذا النوع من الصديقات. كما كانت ترافقهما في زمن الجامعة، فمنذ زمن الجامعة هي ترافق البنات اللاتي يخرجن خفية من الجامعة. لكنها أحيانا ترشدهن إلى الصواب كما تصرفت مع سلوى عندما أخذت الفلوس بمبلغ كبير من رجل سعودي وهو يريد أن يقضي معها وقتا، فتمنعها مريم من أن تقبلها، إلا أنها لا تسمع إلى نصائح مريم.

(١) الأرجوحة، ص: ١٤٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٤١.

هي تحب القراءة منذ الطفولة ولها تأثير في حياتها وجعلها حرة من بعض القيود التي توجد في مجتمعها وهي تعيش فيها رغما عن أنفها، كما تعلق الساردة: "هي لا تمتلك حياة سوى في عالم الكتب، حيث كبرت وترعرع عقلها، حيث تمرنت داخل لغتها، وكوّنت مفاهيمها عن الحب، والصدق، وقيمة الإنسان، وظلم النساء"^(١)، ومن ثم تغرق في هذا العالم وتختلف كثيرا عن الواقع، "ولم تنتبه أنها في غمرة انشغالها بالكتب قد فقدت شيئا من ذاتها المحلية، هناك في وسط نجد، في الرياض الساخنة، حيث تتحرك النساء في الظل بصمت وبرغبة عارمة في التخفي، وفي التجمل، وفي الطاعة."^(٢)

لكنها تجد نفسها في جنيف مثل امرأة بدوية وهنا تفقد ثققتها وتشعر بالخوف لأن زوجها ذهب: "بدت مريم في جنيف كريمية تسافر بعباءتها البدوية إلى مدينة متعجرفة. تلبس حذاء بكعب مدبب وتضع قبعة مزينة بالورد... تشعر بأنها مجرد حشرة ملونة صغيرة، ما من أحد يهتم بأمرها في هذا العالم الكبير، فتبكي حظها، وزوجها الذي ذهب وضاع."^(٣)

شخصية مريم تشعر بالاستياء عند رؤية الناس وخاصة النساء في جنيف وأحواهم المتدهورة رغم أنها تحمل راية حرية المرأة، ولكنها هنا لا تعجب بحرية الناس في تصرفاتهم في بلدهم وتشعر بالوحدة والضيق بهذا السبب كالتالي: غربتها ووحدها جعلتا جنيف تبدو مدينة باردة وبلا قلب. وزادت من غربتها رؤيتها تلك الجموع من مواطنيها الذين يتقاطرون في شوارعها، ونساءؤهم وفتياتهم يتجملن، كأنهن ذاهبات إلى حفلة عرس."^(٤)

كأن معايير الحرية ليست مستقيمة بعد، فلا تشعر بالأمان من نظرات هؤلاء الناس، كأنها تشعر بالغربة ولذا تشعر كان كل واحد يلاحظ اختلافها عن

(١) الأرجوحة، ص: ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه. ص: ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه. ص: ٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٤٥.

الآخرين. فتشعر كالتالي: "نظراتهن الساخنة تسلخ حياءها. يتطلعن إليها بفضول: ماذا لبست؟ ومن تشبه؟ ولمن تنتمي من العائلات؟ وبمن تختلط؟ رغم أن ثيابها تكشف بساطتها وهي بالجينز وقميص أبيض، ولا شيء فيها مثير للفضول."^(١) ولذا عندما تلح عليها صديقتها أن تتمتع بحياتها فتقول: "سأستمتع بها مع من أحب."^(٢) وتقول: "لا أفكر في أن الحرية متعة وفرح فقط."^(٣) فتتحير صديقاتها أيضا بأنها طوال حياتها كانت تتحدث عن الحرية، وكأن في نهاية المطاف لا يعجبها هذا الجانب من الحرية، وتعود إلى ولديها. فخلاصة القول بأن مريم هي شخصية نامية وإيجابية وتتطور مع الوقت وفي نهاية المطاف تصل إلى خياراتا مناسبة.

عنان

هي شخصية رئيسة في رواية الأرجوحة، هي من الصديقات الثلاث، وشخصيتها تمر من عدة مراحل: المرحلة الأولى هي طفولتها حيث عاشت في أسرة العبيد والخدم السود فأُمها وأبوها عاش في هذه الحياة في بيت كبير لـ "العمة الشريفة". تختلف عنان عن سائر البنات في لونها وفي تربية أمها لها، فأُمها دوما تكون مشغولة في التنظيف، والخدمة، والغسيل، وغسل الأواني وغيرها من الأعمال، فلا تهتم بابتها أين تذهب من الأماكن المهجورة من البيت وأين تلعب في الشمس في الظهيرة الصيفية وكل الناس في حجراتهم. وفي إحدى الظهيرة يتم الاعتداء عليها من قبل شخص بالبشرة البيضاء، ولا تتمكن من معرفته بسبب الظلام إلا أنه يملك بشرة بيضاء.

عندما عرفت أمها عن هذه القضية حزنت كثيرا لأنها لم تتمكن من الحفاظ على ابنتها وهي في لم تبلغ العاشرة من عمرها. وتزوجها بسائق قبيح بسن يكبرها

(١) الأرجوحة ، ص: ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤٠.

بأعوام كثيرة لكنها لا تقبلها لأنه قبيح جدا ويستخدم المخدرات. بعد الزواج يدرك أنها حامل، ويقبل هذا الأمر إلى أن يسقط جنينها من ذلك الاعتداء. ويغادر هذا الرجل بعد خمسة أعوام ولا يعود.

لا تترك عناب دراستها رغم كل هذه الحوادث وغير دعم أمها وتشجيعها لها، إلى أن تكمل المدرسة. هنا يبدأ مرحلة جديدة من حياتها، إذ تبدأ بالعمل الجانبي في فرقة العمل في سلك الخدمة في الأعراس. هنا تتعلم مهارات كثيرة وعندما تصل إلى حفلات تقدم الخدمات بشكل بارع. وإحدى صاحباتها في فرقة العمل تقيم معها علاقات مثلية سيئة، وحينها تشعر بجمال ذاتها أكثر من السابق مع زوجها القبيح.

وعندما تزداد خبرتها تأخذها كبيرتها معها إلى حفلات خاصة وهنا تتعرف على الشباب الأثرياء. تفهم مع قضاء الوقت والحديث أنهم لا يريدون إلا قضاء الوقت ولا ينوون أن يقيموا معها علاقة الزواج. ولذا تئس من هذه الحياة وتتمكن من الوصول إلى جنيف. وهنا تبدأ مرحلة خطيرة من حياتها حيث تدرك أن قيمتها فقط في جسدها فتترك صراط العفة وتصبح لعبة بين الرجال هناك. ومن ثم، عبرت الكاتبة عن الانحراف الحاد إلى السوء خلال شخصية عناب.

مشاعل

هي شخصية رئيسية في رواية زائرات الخميس، تتطور شخصيتها بطرق مختلفة مرور بشخصية ضعيفة ومراهقة غير جادة إلى شخصية ذات مسؤولية في نهاية الأمر. فعاشت هذه الشخصية في أسرة مفككة مع والدتها وأخيها في القرية، بعدما تزوج والد مشاعل ثانية. ثم عندما تنوي أم مشاعل الزواج ثانية ترسل ولديها

عند ضررتها. هنا لا يتم تربيتهما صالحة، ولا تصبح بنتا ذات ثقة في نفسها^(١). ولا تعرف متى يقال نعم ومتى يقال لا.^(٢)

ثم عندما تدخل في حياة زوجية، لا تترك مراقبتها بل يفر من هناك بعد أسبوع إلى بيت أمها. وهنا تبدأ فترة جديدة من عدم المسؤولية واللهو واللعب والمغازلة مع الشباب. تنقص شخصيتها نصائح أمها فلا تأمرها بالخير ولا تمنعها عن المنكر، وهذا الشيء يفسد شخصيتها. وتصبح شخصيتها مختفية وراء الستائر لأنها لا تعرف كيف تتعامل في مواقف مختلفة، وتجعل أمها مثالا أمام عينيها، وهي دائما مشغولة في مجالس الثروة والقليل والقال، وليس في حياتها هدفا نافعا غير هذا. ومن ثم تفسد زواجها الثاني والثالث.

ثم تدخل شخصيتها في إطار ديني وتجلس مع البنات الملتزمات، تؤثر هذه البيئة على شخصيتها إيجابيا وتبتعد عن بيئة الثروة والمراهقات. ثم عنجما تتزوج للمرة الرابعة، أيضا لا تبقى الأمور جادة طويلا وتترك زوجها الرابع وابنها بدون أي سبب جاد. ثم عندما تبقى بضعة أيام بعيدة عن الأولاد وذات يوم تسبح فذه السباحة تعود برشدها إليها. وتقرر نهائيا أن تعود إلى أولادها.

عموشة

عموشة هي شخصية رئيسية في رواية هند والعسكر. وهي امرأة سوداء نحيفة من العبيد منذ زمان جد الساردة "محيسن" وهي عمة الساردة من الرضاعة حيث أرضعتها أمها "نوير" وأيضاً أرضعت خال الساردة عبد الله.^(٣) عاشت حياة بائسة فقيرة منذ صغرها وعانت مشاكل في صغرها إلى درجة أنها تركت نقوشا كبيرة عميقة في قلبها وذهنها الصافين، فتحولت إلى شخصية أكثر تدبنا والتزاما وورعا،

(١) ينظر: زائرات الخميس، ص: ٣٨ و١٥٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٢٦.

(٣) ينظر: هند والعسكر، ص: ٢٣.

كما تحولت إلى شخصية تكره رجالا وتزدرىهم أو تنظر إليهم بالخوف والازدراء، لما جرت لها من إساءات قبيحة في طفولتها البريئة من قبل الرجال.^(١)

هي تنصح الساردة هند ببعض أفكارها تجاه الرجال وتقول: "يا بنتي الرجل مثل الكلب، إذا شاف المرأة غاب عنه كل شيء وسال لعابه... الرجال مختلفون عن بعضهم البعض؛ قد تبغى المرأة برجل لا يخاف الله ولا يخجل من الناس."^(٢)

هي امرأة يأنس إليها كل واحد من أسرة الساردة ويعتبرها عممة وخالة لهم، ولا يفرقون بينها وبين أهل أسرهم لعلاقة الرضاعة بينها وبينهم، وكل واحد منهم يقدم لها أفضل الهدايا، وخاصة العلاقة الوطيدة بين أم الساردة هيلة وبين عموشة.^(٣)

عموشة امرأة ثرثرة وتعرف جميع أسرار بيت الساردة وتاريخ أهلها وتساعد الساردة في فهم أوضاع الأهل عكس أمها.

هند

هي ساردة هذه الرواية وبطلة من بطلات هذه الرواية الرئيسة من عمر متوسط تشتغل في المستشفى ولديها بنت. طفولتها لا تنقصها شيء إلا حب الأمومة وعدم عنايتها بها، ومن ثم تصبح شخصيتها رومانسية حيث تبدأ تغني لأُمها في المدرسة وتخالها على عكس ما هي في الحقيقة، كما تقول: "أحب أن أراها في مخيلتي أنيقة شابة باسمة... تلبس تنورة وصندلا أنيقا مثل معلمة فاطمة التي كنا نزن نحن الصغار أنها جاءت من جزيرة سحرية بعيدة... أتخيل أُمي مثلها وأنا أغني لها: "أُمي أُمي ما أحلاها."^(٤) هي امرأة مثقفة ومتفتحة وتنتمي إلى الجيل المتكيف مع الرجال، فهي في كل حواراتها مع عموشة تخالف رأيها المتعصب تجاه

(١) ينظر: هند والعسكر، ص: ١٨-١٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٦-١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٣.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٣٨-٣٩.

الرجال فهي في بعض مواقفها تخالف رأي عموشة وتؤيد العمل مع الرجال جنباً إلى جنب كما تقول:

"أضحك من خوف عموشة، الذي بدا لي غير مفسّر إلا بشعورها المتدنّي بنفسها. أقول لها:

- يا خالة عموشة، أنا أعمل مع رجال كثيرين في المستشفى ولا يحدث لي كما تتخيلين." (١)

كما تدهش عمتها عموشة عندما تبدي عموشة رأيها المتعصب في حق الرجال تقول لها الساردة:

"- حينها سأعرف كيف أردعه، معي جهاز كهرباء يجعل الرجل يشلّ في مكانه."

فعموشة تندهش بقولها وتقول لها:

- والله يا بنتي أنتم بنات هذا الزمان تخوفون مثل الرجال." (٢)

هند امرأة مثقفة وكاتبة، وجل شغفها قراءة الروايات والقصص منذ طفولتها، ما يجعل منها كاتبة وناقدة اجتماعية مع مرور الوقت فهي تشير إلى قراءة بعض الروايات الفلسفية كالعناوين التالية: "المسيح يصلب من جديد" للروائي "كازنتزاكي" و"اللا منتمي" وقصة "موت معلن".

وعندما تسأل عمن تحب أكثر من بين كولن ولسن وكازنتزاكي، فهي لا تجيب بتفضيل واحد على آخر فحسببل تخبر تعليلاً لذلك ببيان مزايا كل واحد منهما، فتقول: "تقريباً كازنتزاكي، كازنتزاكي صاحب فلسفة هادئة، وولسن مشغول بالإنسان الخارق، والاثنان مشغولان بالله، لكن ولسن يحب أن يصعد إليه ليجلس بجانبه ومحاوره، بينما كازنتزاكي يحب الجلوس في غابة الله ليتأمله." (٣)

(١) هند والعسكر ، ص: ١٦ .

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص: ١٠٤ .

بالكاد تفهم المزاي وتصل قبسات ثقافتها إلى صغرها حيث تستعير القصص من زميلتها، كما تستفسر عن الأسئلة الجذرية والجوهرية من فطرتها السليمة وهي الفطرة التي تسأل عن كل ما يزعج طفولتها البريئة. وهي تكبر بهذه الفطرة وعندما تعاني من عدم العدل من أمها ثم زوجها في حقها تناضل وتجادل من أجل حقوقها وتشتكي بأن زوجها لم يعامله أبداً كامرأة لها كيان وروح وحقوق مثل باقي البشر... إذا غضبت قال: "أنتن الحريم عقولكن صغيرة"... وإنها "أمور لا تخص الحريم"... "أنتن الحريم طلباتكن سخيفة"، فهي تعترض على هذا التعامل وتتساءل؛ لم تعامل المرأة بهذه الطريقة وما الذي يجعل الرجل يختلف عن المرأة وما الذي ينقصني من الرجال كوني امرأة. (١)

وتلقي غضبها على الورق بكتابة هذه الأسئلة والانتقادات كما تقول: "كلما كتبت أسئلتي على الورق، أخفف من قهرها على عقلي. الكتابة تفعل بي فعل السحر، تمتص الأفكار المضطربة من رأسي، فيصبح بعدها رأسي فارغاً وهادئاً." (٢)

الشخصيات الثانوية عند بدرية البشر

فهد

في رواية هند والعسكر هو ولد بكر ومدلل لدى أسرة الساردة وأولاد الأسرة والبنات بالأخص يحسدونه، كأنه يوسف أسرته، كانت أمه ترى فيه كبير الأسرة الذي علقت عليه آمالا خيب فيها أمه، فهي كانت تريد أن تسلطه على بنات الأسرة كي لا يخرجن عن إطار جدران البيت لكنه كان متفتحا ولم يكن يعير

(١) ينظر: هند والعسكر، ص: ١٢٨ و ١٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٣٢.

انتباها لأفكار أمه بل كان يَخْتَنق منها مثل الساردة تماما فهو "لم ينشر أجنحته على بيتها مثل صقر، ينهش الطرائد، بل طار حالما تحسس أجنحته ليتحرر"(١).

تمتدح أخته بكلمات لامعة كالتالي: "كان طيرا أليفا وليس جارحا، يعشق الحرية ويجب أن يعيشها الآخرون مثل ما يفعل".(٢) شخصيته تميل إلى تثقيف نفسه وتعليمه وترويجه أيضا لأنه يحب كرة القدم، ويتمنى أن يكون لاعب كرة القدم الشهير لكن بيئة بيته لا يساعده على تحقيق هذه الأماني، كما يومياته كل يوم قبل نوم.(٣) وهو يساعد أختها هند في رحلتها التي تصبح لها سفينة نوح من معاناة حياتها إلى كندا لأنه يعيش في البلدة نفسها.(٤)

منصور

منصور هو ابن خال الساردة هند، تزوجها أمها بمنصور بدون رضاها، وهو رجل غير محبوب ودوره في هذه الرواية دور سلبي إذ يصر على معاملة زوجته معاملة دونية، كما مر ذكرها سابقا. من مظاهر عنفه وتطرفه التي تذكرها الساردة أنه لا يسمح للساردة أن تكتب في الصحف كما كانت تفعل قبل الزواج، ويقرأ مسودات مقالاتها.

يرى منصور في هند وسمة العار له لأن زملاؤه في الجيش يسخرون منه لأجل نشر اسم زوجته، ويخاف من أن يعرفها الناس من خلال الصحف. وعندما يسألون منصور عن علاقته بها، فيرد بأنها قريبته من أسرة بعيدة. من أبرز سمة من سلبات شخصية منصور أنه يكره أن تكون له البنت إلى درجة أنه يغادر بيته لمدة من الزمن لعدم تحمل رؤيته إليها بعد أن أمدبت له ابنته "مي". كما تقول الساردة: "ومنصور يهرب إلى البحرين ليخفف عنه صدمته، يكلمني

(١) ينظر: هند والعسكر ، ص: ١٤٦-١٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٤٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٩٩.

كلما أدركه الشُّكر، وبيكي قائلاً كيف هي الصغيرة؟ وحين يسمعها تبكي يقول بلسان خدّره السكر: "هذه الملعونة، ماذا لو كانت ولداً؟ كنت سأحبكما أكثر وأخذكما معي." (١)

إبراهيم

تكره الساردة أخاها إبراهيم عكس أخيها فهد، فهو منذ طفولته ولد غير مرغوب فيه. ولا أحد يحبه ويعتني به من أسرته بمن فيه أمه. (٢) وهو يكبر معانيا كره أمه وأخته فقلماً يركد في البيت، ويقضي معظم وقته في اللهو واللعب والمنكرات، ولا يلبث أن يضرب أخته الكبرى عندما تجد فرصة لذلك، وعند دفاع أبيه لأخته يخرج من البيت يهدد الجميع. (٣) ثم ينشغل بقراءة كتب تحته على الجهاد في سبيل الله وتحرضه على نصرته إخوانه في أفغانستان. (٤) ويغيب عن بيته لمدة من الزمن متورطاً في المشاكل الأمنية.

وعندما تغادر الساردة إلى كندا وتنتظر إلى طائرتها، تجد صورة أخيها إبراهيم في جريدة الشرق الأوسط ووجهه مغطى بالدم، فتتأكد من أنه أخوها الصغير إبراهيم الذي كان مقتولاً في انفجار في الرياض. (٥)

أم جزاء

هي امرأة تاجرة ماهرة تجلس في السوق وترأس شؤون التاجرات، تساعد وضحي في تأسيس تجارتها كما تساعد البنت المسكينة عطوى وتبناها وتحسن في تربيتها، تحكي الساردة: "أحبت أم جزاء عطوى وأنست صحبتها، فهي أكثر الناس قدرة على فهم كيف يجد المرأ نفسه مثل ثمرة أُلقت بها شجرة، وبقيت وحدها، فلا هي قادرة على العودة إلى الشجرة ولم يحن بعد وقد عودتها إلى

(١) هند والعسكر، ص: ٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٠ - ٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٨٤ - ٨٥.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٢٠٣ - ٢٠٤.

الأرض. رحبت أم جزع بعطوى دون أن تعرف ماذا تفعل بها، لكنها حرصت أن تعيدها إلى طبيعتها؛ فمنحتها ثوب فتاة وشذبت شعرها وربطته، واشترت لها عباءة وغطاء." (١)

عطوى

هي بنت قضت طفولتها البائسة مع زوج أمها بعد ما توفيت أمها في صغرها، جعل زوج والدتها منها ولدا يلبسها ملابس الصبي ويسميه عطية بدلا من الاسم المؤنث "عطوى"، يشغلها معه في صنع أواني الفخار وكان يتعبها في أعمال مضيئة، بقليل من الطعام وما إن تجاوزت سنها العاشر حتى صارت بارعة في صنع الأواني والجرار، وبأشكال مختلفة متنوعة تسر الناظرين. بالإضافة إلى مهاراتها في بيعها صارت معروفة في السوق باسم عطية ونسوا بأنها صبية. (٢)

وفي نفس السوق آنست إلى تاجرة رحيمة "سعدى" تاجرة منتجات الحليب كانت تقدم لها الحليب الجاف والجبن وغيرهما من المأكولات، كانت تتعامل معها بلطف كما كانت تضع زيتا في شعرها وتعطيها خمرا بدلا من القلنسوة المستخدمة عند الرجال، وبصحبة سعدى تعلمت عطوى مهارات جديدة وهي صنع الزبد واللبن المجفف وبدأت تميز بين توابل وأعشاب مختلفة واستخدامها في المناسبات. (٣)

جعلها سلوك سعدى المشفقة تهرب إليها كلما تجد فسحة بين بيع الأواني وكانت تدخر بعض ما تكسب من هذه التجارة لنفسها، ولكنها لم تكن تستطيع أن تنفقها على نفسها خوفا من بطش زوج أمها، وكانت تضعها في شجرة قريبة من بيتها إلى أن قرر زوج أمها تزويجها بـرجل كبير السن، لكنها تهرب من بيتها دون أن تعرف المصير فأوصلها القدر إلى رياض.

تصبح عطوى بالنسبة لأم جزع ساعدها الأيمن بعد وصولها إلى الرياض، وبالتالي ابنتها. تربيها بشكل أحسن وتجعل منها فتاة مهيبة تتعلم القراءة والكتابة

(١) غراميات شارع الأعشى، ص: ١٨٨-١٨٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٨٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٧٨-٨١.

وتلبس العباءة والخمار، تستعين بخلفتها التجارية وتتعلم الأمور التجارية في سوق الرياض وتعود على بيئتها. تراث من أم جزاع ميراثا لكن ينتهي بها المطاف في قصر البنات حيث تتحرش بها البنات الفاسدات وهي تستلم لهذا القدر بدلا من الخروج من هذا المكان.

ضاري

ضاري ابن وضحي الصغير، ولا يحب الدراسة ويتركها قبل إكمالها ولا يريد أن يصبح مثل متعب الذي لم يجده من يتمثله في القوة سوى وضحي. فوضحي مهما بلغت من قوتها وحكمتها تظل امرأة وضاري يريد أن يصبح رجلا ساطيا بقوته والقلب أسد هصور يقتل النساء اللاتي يتمردون على تقاليد العائلة بطلا كما حكاياته مع شباب الحارة لا ان يتشبه بامرأة حتى ولو كانت والدتي لكنه يختار في من يجب أن يكون. فهو لم يعرف والده أبدا. وحين جاء إلى هذه المدينة كانت والدته هي الأم والأب. وحين صار متعب بعد سنوات محل الأب لم يستطع أن ينتزع إعجاب ضاري فأخوه يشبه والدته، مسالم وهادئ يستطيع أن يعرف ما في قعر البئر. بغزيرته يتبع الحكمة دون ضجيج. فقد كان شابا صغيرا تائها لا يأخذ قرارا إلا حين يعود الى والدته. لكن ضاري يحب أن يكون مستقلا، جباريا، قويا مثل رجال هذه المدينة، مع أن قسوة ما تنقصه. قد يجدها في دمائه.^(١)

أم مريم

شخصية أم مريم هي شخصية ثانوية في رواية الأرجوحة، هي امرأة متدينة إلى حد التعسف والشدة، وتشعر بالذنب عندما تجلس في مجالس النساء وتخاف على أن تقع في إثم النميمة والثرثرة والغيبة. "أمها متدينة بطبيعتها، تدينا لم يكن يتجاوز طقوس الصلاة والصوم وقراءة القرآن."^(٢) وفي موضع آخر: "ما عاد يريح أمها

(١) غراميات شارع الأعشى، ص: ١٥٧-١٥٨.

(٢) الأرجوحة، ص: ١٠.

سوى العزلة التي تريحتها من الآثام، وصدرها من الوسوس. ^(١) ومن ثم، لا تجلس مع إحفادها إلا للرفقة وتسمح على رؤوسهم. وهي تساعد في تطوير الأحداث في حياة مريم، فأولا عندما تتزوج مريم تشعر أمها كأنها نجت من ثقلها ومن واجب رعايتها. وعندما يحدث يوم البيترا فتغضب عليها كثيرا وتطلب منها أن تترك هذا النوع من الأصدقاء الذين يأخذها إلى الجريمة والفساد وتلوث اسم أسرهم "آل حمائل".

عندما تمر مريم من الحالات الصعبة في حياتها تساعد أمها في شكل النصائح، كما تقول الساردة: "أمها تؤكد لها أن حزن النساء لا يشفيه سوى القرآن وكثرة الصلاة والبعد عن آثام الحياة الحديثة." ^(٢) وعندما يحين لمريم أن تسافر إلى جنيف تترك ولديها عند أمها لكنها حينذاك تتأسف على أحوال ذنوب ابنتها التي قد تسيء في ديار الكفار، وتخاف على إيمان ابنتها. ^(٣) فرسمت الكاتبة شخصية أم مريم بأن تلقي ضوءا على التطرف الديني في نساء الجيل القديم.

والد سوسن

في رواية الأرجوحة والد سوسن شخصية ثانوية لا يظهر في الرواية كثيرا. هو رجل شيعي من منطقة نجد ويعمل في شركة آرامكو، ويسافر إلى أمريكا وكندا لأجل الأعمال الجامعية، وهنا يدرك أمرا جديدا في باب تربية البنات بما لم يتلق في بيئته في المملكة. وهو أن يعطى للنساء حريتهن للحفاظ عليهن، "لهذا ترك ابنته تقرر في سن الثامنة عشرة من تصادق وبمن تختلط." ^(٤) فهكذا يساعد ابنته بأن تصبح شخصيتها ناضجة وتختلف عن بنات أخريات. ويرسلها إلى الرياض للدراسة في الجامعة، هذا ليس فحسب بل يوفر لها سكنا خاصا خارج الحرم الجامعي للابتعاد عن صرامة القوانين في سكن الجامعة. فشخصية والد سوسن

(١) الأرجوحة، ص: ١١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٢.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٤.

ساعد في تكوين شخصية ابنتها. فحاولت الكاتبة جاهدة أن ترسم شخصيته بشكل أن تقدم أمام القارئ تفتُّح بعض الناس من المجتمع السعودي.

أم مشاعل

هي شخصية ثانوية في رواية زائرات الخميس، لكن دورها السلبي مهم جدا في إفساد شخصية ابنتها مشاعل، وهي شخصية رئيسة كما مرّ. أم مشاعل عاشت في أسرة ريفية كبيرة حيث لا قيمة لها فيها، وكل واحد من إخوته وأخواته يضحك عليها ويسخر منها. وتخاف من الأشياء البسيطة حولها. ثم يزوجها والدها برجل مخيف اسمه فهد، تظن في البداية أنها تعيش كابوسا وزوجها هو نفس الغول الذي تراه في منامها. هي تساعد حماها ليلا نهارا في أعمال البيت من التنظيف والطبخ والغسيل وتحليب البقر وأعمال المزرعة. الكل يخاف من زوجها حتى أمه أيضا تخاف منه أكثر مما تخاف من زوجها.

تلد بنتا مشاعل وابنا عبد الرحمن ثم ينتقل زوجها من الريف إلى مدينة الرياض. وتتوقف عن الإنجاب بعدهما. زوجها يريد أولادا أكثر فيتزوج امرأة أخرى.^(١) في تلك الأيام يتوفى والدها فتعود إلى أمها في القرية، ثم عندما تلح أمها أن تعيش حياتها من جديد وتتزوج فتجد الخطابة لها خطيبا ثريا جدا لكنه لا يريد الأولاد معها.

وهكذا تتخلى عن ولديها وترسلهما إلى بيت زوجها وضرتها حيث أولاد كثر. ولا تشعر بسوء لما تفعل مع أولادها. وهكذا هي أيضا تتزوج وتعود إلى الرياض في قصر كبير مع زوجها الثاني. لا يمر وقت طويل إلا ويتوفى الزوج الثاني في حادث المرور، وترث قصرا كبيرا ومالا كثيرا منه. وتصبح من الأثرياء مثل زوجها السابق. هي تملك أموالا كثيرة وليس لديها عمل مهم مثمر تقوم بها فتتنشط في أمور الثروة إقامة الأمسيات الخميس في بيتها أو في بيت صديقاتها كل الخميس حيث تحضر النساء مع بناتهن. ثم بعد فترة تتزوج برجل ثاني ثري مرة أخرى وتنتقل إلى

(١) ينظر: زائرات الخميس، ص: ١٤٥.

قصره، هي زوجته الثالثة ولا يزورها إلا مرتين في الأسبوع، فهنا مرة أخرى تبقى سنة أمسيات الخميس على منوالها. فشخصية أم مشاعل تحب المرح والفرح والأحاديث والثرثرة. وهكذا تقضي أوقاتها، ثم عندما تهرب مشاعل من بيتها إلى هنا، يرحبها زوجها. لا تساعد ابنتها في تقديم بيئة صالحة هنا، فتجالس المراهقات السخيفات. فأم مشاعل بنفسها لا ترى عيبا في هذه المجالس التي تضيع الأوقات فهي أول من تشجع النساء على هذه الأمسيات. ثم لا تنتبه إلى أن ابنتها تتحدث إلى شباب مثل مراهقات أخريات.

وأيضا عندما تتزوج ابنتها مرة أخرى، ويتزوج زوج أم مشاعل، تقضي مشاعل وقتا كثيرا لعدة أيام مع أمها، فلا نجدها تنصح ابنتها للبقاء في بيت زوجها. ولا تنصحها كذلك عندما تتزوج أم مشاعل بالرجل الرابع وهو لا يسمح لها بالذهاب إلى أمسيات الخميس ولا أن ترحل إلى أي مكان وحيدة. وهي الأيام هي تطلب من مشاعل أن ترافقها في كل مكان كي تجد عذرا أمام زوجها بأن مشاعل معها ولديها عمل مع أمها. هكذا بدأت تطلب ابنتها من بيت زوجها الثالث كي ترافقها وهذا الخروج المتكرر أدى إلى دمار بيت الأم أيضا ودمار بيت ابنتها كذلك^(١).

الشخصية الرئيسة عند شهلا العجيلي:

أيوبة

أيوبة بائعة المجوهرات وناقدها، تلتقي الساردة بها في معرض المجوهرات بمدينة "دبي"، تعجب بشخصيتها وتخير القارئ بمشاعرها تجاهها كما يلي:

"لفتني الزي المميز! لن أقول إنني شعرتُ بأني أمام أميرة، بل أمام جارية محظية جدا كم جوارى بني العباس!

هذا ما أوحاه إلى الثوب الأسود اللامع، هو أشبه بالجلباب، لكنه ضيق بحيث يشي بملامح جسدها، ومنه غطاء الرأس المثبت بعصابة مطرزة بالحجار الملونة،

(١) ينظر: زائرات الخميس، ص: ١٢٢.

تتبعها مجموعة من العقود الفصيّة المحلاة أيضا بالأحجار، تكسر حدّة سواد الثوب، والذي يزيد الأمر طرفة، هو الخفّ الفضي الطويل، ذو الرأس المعقوف نحو الأعلى، كخفّ السندباد، يحمل جسدا في أواخر العشرينيات، ممشوقا، على الرغم من امتلائه، أمّا الوجه، فيبرز الكحلّ الأسود العنيف بياض بشرته، وورد خديّه، وشفتيه، بانسجام تامّ.^(١)

وعندما التقت بها الساردة في حلب وجدها في هيئة رثة وبالكاد تعارفت عليها كما تقول: "لم تعرفني المرأة للوهلة الأولى، وبدت متفاجئة من سؤال شخص غريب عنها. وأنا أيضا بت متفاجئة من التغير الواضح والشديد الذي طرأ على شكلها، وكأنّها ليس هي التي رأيته في برج العرب!"^(٢)

هي شخصية تتطور من فصل إلى فصل وليست شخصية بسيطة وجامدة، فنقول أيوبة عن هذا التطور بعدما تمتهن بيع المجوهرات: "أشياء كثيرة اختلفت، صرت أكثر انفتاحا، أكثر ثقة، وأقل خوقا، وإن لازمني الصمت طويلا، لكن كلما احتجت إلى الكلام كان العالم كله يتضافر، ليجل مني محدثة مدهشة، لأنني كنت أحدث بقلبي، بخلجات نفسي إنسانا، امرأة، لكنها ليست مجرد أنا، إنّها امرأة منذ أول حجر!"^(٣)

وتقول أيوبة عن التغير الذي تم في هيئتها بعد تكسب هذا العمل: "لم أتخل عن لباسي الأسود، الذي تحول إلى نموذج جديد: الجلباب الطويل، وغطاء الرأس الحريريّين، أثقلتهما بالعقود المحلاة بأحجار ملونة، مزينة طبعا، لكنها تنسجم مع المشهد العام. كل ذلك جعل وجهي أكثر تألقا، وأكسبه مسحة من غليان الأنوثة، لاسيما عينايا اللتان أبرز الكحلّ الذكاء فيهما، بحيث صرت أبدو

(١) عين الهر، ص: ١٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٢١.

كنساء الأساطير، ومما زاد مذهري أسطورية، الحذاء في قدمي، خفّ لامع بلون الفضة، بمقدمة معكوفة إلى الأعلى، كأحذية أميرات بغداد في الخيال.^(١)

لكن أيوبة شخصية متزلزلة نوعا ما لأنها لا تدرك بواعث ما تفعل، فكل هذا الجميل لا يكون إلا من دواعي القلب لكنها ترفض أو تكاد ترفض هذه الدواعي.^(٢) تلعب شخصية أيوبة بدور محرّك فعّال تقود الساردة إلى إنجاز هذه الرواية عكس الشخص المجهول الحبيب الذي لا يساعدها في إنجاز الرواية كالتالي:

"وهذه المرة صاحبة الفضل هي أيوبة، التي التفت إليها لتشغل وقتنا كدت تمتلكه جميعا، وشيئا فشيئا، سرقت أيوبة الوقت كله وتحولت إلى حدث هام في حياتي، يحاول التغلب عليك فيها سأخرج برواية، أما معك، فربما لن أخرج أبدا!"^(٣)

تعاني أيوبة من أحوال قاسية طوال سنين مراهقتها وشبابها وينتهي بها الأحوال وهي تتهم بالسرقة كذبا لكنها لا تفقد الجانب الإيجابي من حياتها وترجو من الله خيرا.

الساردة: (بدون اسم)

ساردة رواية عين الهر هي كاتبة الرواية وتقدم برامج الثقافية من البلدين سوريا والأردن، تحب عالم المجوهرات العطور والسجادات وتختار أن تمشي مع أحداث شخصية أيوبة، وهي تخرع سبلا مختلفة للتطور فتقول كالتالي:

"بعض الناس، وأنا منهم، لا يستطيع العيش بهدوء، ولا يناسبه الاستقرار، فلا بد من أن يلتزم قضية تؤرقه، وإن لم يجد، فسيخترعها."^(٤)

(١) عين الهر ، ص: ١٢٢

(٢) المصدر نفسه ، ص: ١٢٢

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٨

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٨

كما تعاني من أهل الفن والثقافة من أترابها في حلب ولذا تفضل أن تنفي نفسها إلى عمّان وتعيش بكرامة على المنأى من الأشرار الذين لا يرغبون في ترقيتها إلى سلّم الثقافة والآداب والفنون، فتشتكي من هذا الموقف كالتالي:

"منفيون، نتمرد على نفي آخر، نفي اجتماعي ثقافي، يحوكه حولنا القراصنة، يقتاتون من وجودنا، فينصبوننا التهميش، مع الاحترام المطلق. وأنا قررت في لحظة أن أقطع رزقهم من ناحيتي، فأضرب في الأرض، حيث ثمة منأى للكريم عن الأذى! إنك حينما لا تكون براغماتيا أو قرصان ثقافة، أو سياسة، أو فارس موج، فإن التهميش هو السلاح الوحيد الذي يمكن أن يُشهر في وجه احترامك لذاتك." ^(١) وفي أرض عمان تجد صداقة أيوبة.

جمان بدران

هي الدكتورة جمان بدران المتخصصة في الأنثروبولوجيا الثقافية سورية الأصل، مقيمة في الأردن منذ ٢٠١٢ إثر الحرب الأهلية في بلادها حيث بدأ اغتيال المثقفين في أنحاء البلاد. بينما تبقى والدها وأختها سلمى وجود في الرقة قريبة من حلب، بينما توفت أمها.

شخصيتها تتكون منذ بداية الرواية من شعورها لكونها مواطنة من البلد لا يرغب أي بلد من أن يستقبل مواطنيها لأوضاعه السياسي، تعبر عن شعورها بالخوف وعدم القبولية، وهي تخضع لإجراءات على المطار كالتالي: "نحن السوريون ربما لنا حطائتنا المختلفة معها، فبمجرد مرورنا من الكوة الأخيرة لأي موظف جوازات، نكون قد استلمنا صك ولادة جديدة، يعلن أننا لسنا مطلوبين لأية جهة أمنية وطنية أو دولية، ذلك الشعور يعتري أي واحد منا، حتى لو لم يتفوّه أننا سنقع في قبضة أمنية بسبب تشابه الأسماء، على أقل تقدير!" ^(٢)

(١) عين الهر، ص: ١٨

(٢) سماء قريبة من بيتنا، ص: ١٥

فالمعاناة الجماعية القومية أثرت على شخصية جمان سلبيا ولا تفكر جيدا عن هويتها، رغم أن هويتها خصبه من قبل أسرتها المثقفة. وهنا توجد مفارقة في شخصيتها أن أوضاع البلد الحالية جعلت من جمان تحجل من هويتها وتخاف من أن يكتشف الناس هويتها.

تشعر بالأسى مما حل ببلادها في الحاضر بينما عاشت طفولتها في أحضان الأمن والسلام: "حينما كنا صغارا، كانوا يقولون إن ثمة حربا في البلاد البعيدة، وموتا وتنكيلا، وتهجيرا، ومرضا، وتدميرا، وفقرا، وذلا، وكنت أعتقد تماما أن تلك البلاد البعيدة، ستبقى بعيدة، ولم يخطر لي في يوم أنها ستكون بلادي!"^(١)

جمان تحب بلدتها الرقة وتعتبرها وحدها رمزا للانتماء، والأراضي الأخرى بالنسبة لها ليس بيتا لها. كما تصرح جمان عندما يقول لها ناصر أن البلاد المسلمة تسقط واحدة تلو الأخرى كبغداد ودمشق والقدس وغيرها، كالتالي: "لا يهمني. بيتي ليس في دمشق والقدس." ثم تقول معذرة على صراحتها: "يحزني جدا أن يحدث ذلك، لكن أيقونتي هي الرقة."^(٢)

تنتقل حياتها إلى ممر جديد بحيث تنكشف أنها مصابة بسرطان الغدة اللمفاوية الواقعة بين الرئتين. وتجد ذلك اليوم أقسى أيام حياتها كما تقر عن ذلك: "كان ذلك اليوم هو الأقسى في الثلاثة والثلاثين عاما كلها، أقسى من يوم اكتشاف مرض ماما، وأقسى من يوم موتها."^(٣)

وحدثها في هذه البلاد بعيدة عن أسرتها تجعلها تنهار أمام هذا الخبر ويظهر ذلك من شخصيتها الخائفة وكأنها تموت اليوم قبل الغد، تعبر جمان عن هذا الخوف المسيطر عليها كالتالي: "في الليلة الأولى التي أعلنت فيها لنفسي عن

(١) سماء قريبة من بيتنا ، ص: ٩٠

(٢) المصدر نفسه، ص: ٩٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤٦.

المرض، التقت الساق بالساق من الفزع، وعشت هذه الصورة حقيقة، ساقاي لا ينفصلان عن بعضهما من الخوف، أحاول فصلهما، لكن بلا طائل." (١)
 وجانب من شخصيتها بالوحدة يتجلى أكثر في حالة المرض، عندما تجد زميلتها تسرع إلى أهلها وأطفالها بعد مساعدتها في المستشفى، كما تعبّر عن ذلك: "أما أنا فلا أهل ولا وطن!" (٢)

ومن هنا نجد عنصر الشكوى جليا في شخصيتها فهي تشكو من هذا المرض الذي أصيبت به، ولا ترى في هذه الفترة الجوانب الإيجابية من حياتها، فكلما ترى شخصية محرومة منكوبة ترى نفسها أسوأ حظا منها، وهذا مما يجعل شخصيتها أضعف شخصيات الرواية كما يظهر أكبر جانب سلبي لها.

ومن ثم تحتاج إلى شخصيات إيجابية تقوي شخصيتها وترفع من معنوياتها حتى تواصل حياتها المتبقية، وفعلا هي تحتاج إلى من يجعلها تلتصق بحياتها في هذه الغربة والوحدة النفسية. وبمساعدة هذه الشخصيات القوية مثل ناصر وهانية ساعدت شخصيتها في التحرك إلى الأمام، بجانب أسرتها التي تستقي منها الطاقة عبر التليفون. فهذه هي البلاد التي أحببتها طويلا أصبحت حاجزا بينها وبين أحبّتها.

ولطالما أنها هجرت بلادها وأسرتها لأجل عيشة آمنة بعيدة عن خوف الموت بطلقة طائشة أو قصف هابط، لتجد نفسها أمام الموت مرة أخرى ولكن هذه المرة هي وحيدة بمواجهة الموت بين اليأس والأمل.

لبانة:

هي إحدى شخصيات رئيسة في رواية سجاد عجمي، تنتمي إلى أسرة السلمي في منطقة دير زكا بجانب رقة ومن هناك تعلمت فن النسخة والترجمة، تزوجت بعالم من بلاد فارس ولكنه تركها ورحل إلى بلاد أخرى وتزوج هناك بامرأة

(١) سماء قرية من بيتنا، ص: ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٧.

أخرى. عادت مع ابنها بعد سبع سنوات إلى الرقة وهنا بدأت تعمل كالنساخة، تلتقي بابن عمها سليمان وتقع في حبه ولكنها لا تبوح له بحبها. هي تنبهر بحياة سليمان وبيته الثري كما تنبهر بحياة بنات الأشجعي.

في جانب آخر يقع عمر بن مالك الأشجعي في حب لبانة من أول نظرة، تصفها الساردة من وجهة نظر عمر على الميناء كالتالي: "بدت (لبانة) قد تجاوزت العشرين بربعين أو ثلاثة، عليها ثوب من الكتان الأبيض، مطرّز عند الصدر بخيوط من القصب الأصفر، وقد لّقت شعرها بخمار فيروزي عقصته إلى الخلف، وثبتته بعصابة من نقش قصب الثوب ذاته، بحيث خفي على عمر لونه، فخمّن أن يكون أسود، مسائرا لوجهها الحنطي المشرب بسمرة خفيفة من تلاويح الشمس، وقد تدلّى من أذنيها قرط ذهب له شكل طارة كبيرة."^(١) لكنها لا تستغل حبه لها بل تقدره بمثابة أخ لها. في جانب آخر تكوّن لبانة علاقات جيدة مع بنات أسرة الأشجعي وبالأخص ريا أخت عمر. تتحدث إليها في قضية سليمان وجاريته ديجور.

سليمان:

هو صانع السجاد العجمي ويوجد سجاد من صنع يديه لدى كل من الكبار والأغنياء، وهذا السجاد يوجد عند خود أيضا، وهو معروف ببعض علاماته في السجاد كالشجر والغزال والعقرب، وعندما ينفصل سليمان عن لبانة، وتتزوج لبانة لعبد الرحمن، يشتري عبد الرحمن لها سجادة لتكون لها ذكرى من الشرق، لكنها تجد بها عقرب وهو نفس العقرب الذي رسمتها على صدرها، فهي تصدقت بالسجادة لأول متسول يدق بابها في اليوم التالي كي لا يعود إليها خياله.

تُقدم ساردة سجاد عجمي شخصية سليمان من منظور شخصية لبانة، فهي لا تعجب به في بادئ الأمر تراه ضعيفا وبسيطاً، ليس كما يوجد رجال أسرتها الآخرين. وأثناء الكلام، تقارن بينهم وبين شخصية سليمان من حيث الملامح

(١) سجاد عجمي، ص: ١٣.

الجسدية: "فراحت تقتنص من تضاعيف السلام والكلام شذرات من الشبه بينهم وبينه: شعورهم مسترسلة، وشعره أجعد، ووجوههم حنطية إلى بياض، ووجهه داكن إلى صفار، عيونهم كحلاء واسعة، والصغيرة منها لوزية، وعيناه صغيرتان مدورتان شهلاوان، وقاماتهم غالبا معتدلة، إلى طول ورشاقة، وهو متوسط الطول، ممتلئ بلحمه الذي أبداه أكثر كهولة مما هو عليه، في برد يعني أبيض، ينشق عن صدر زعر، تونس فيه تيممة ما، ويحملوها إبريم جلدي متعدد العقد، وله عبارة من وبر أبيض شامي، لا يرتديها، بل يلفها حول رقبته." (١)

فيصطدم خيالها بالواقع، كما لا ترى هيئته وملابسه تناسب بثرائه وجاهه.: "لم تكن هيئته مألوفة للبانة، بل بدأ منقرا في شكله المفارق، وهندامه الذي لا دالّ فيه على الصحراء الذي وصف به، لكن ما لم تقع لبانة على سببه، هو طيفه الملح الذي أقام بين جفنيها طوال الليل فحال دون إطباقهما." (٢) فبادئ الأمر يخبر أنها لا يعجب بشخصيته رغم ذلك تسحرها شخصية سليمان ولا تتمكن من النوم.

ربا:

في رواية سجاد عجمي هي ابنة مالك الأشجعي وماهرة في الخزف ولها حانوت في السوق لها أربعة أولاد وهي حامل بالخامس. زوجها حسن الأشجعي ابن عمها تزوجت بها قسرا ولا تحبه أبدا رغم أنه يحبها كثيرا. كانت تحب حسن السعدي من الموالي لكن أسترها ضغطت عليه فطلقها بعد الزواج مباشرة وجنّ. كل هذه الأحداث فوق فقدانها لأمها منذ صغرها جعلها صامتة كتومة لا تتحدث عن أحزانها ولا أفراحها، تصف الساردة شخصية ريا على لسان زوجة عمها مخاطبة ابنتها خود كالتالي: "إنّ ابنة عمها ريا قد أكنّت مكنوناتها في صندوق من الشغاف، ابتلعت مفتاحه إلى الأبد! فريّا لا تحدّث أحدا بما تحبّ أو

(١) سجاد عجمي، ص: ٣٨-٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٩.

تكره، ولا أحد يعرف إن كانت فرحة أم حزينة! تبدو دائما امرأة جميلة بقسمات مضللة، تماما مثلما هي حياتها، حياتها التي قد تبدو غاية في السكينة والنجاح، مثلما قد تبدو أشبه بعقوبة.^(١) أما ملامحها الجسدية فهي بيضاء بعينين خضراوين، وشعر كستنائي متموج، وفي بشرتها نمش محبب تحت العينين وأعلى الأنف، قاتحا باسقة، وجسدها لحيم.^(٢) تصور الكاتبة قامتها كالتالي: "فيذا ما قعدت ظنّها الرائي متهودجة، وإذا ما مشت تهاوت مثقلة بلحمها."^(٣) ثم تتحدث عن ملامحها الأخرى كالتالي: "بطيئة الخطو والغضب، سريعة العمل والإنجاز، كثيرة الصمت، قليلة الكلام."^(٤)

وعندما يصل القائد سعد في الرقة يقع في حب ريا على علم بأنها متزوجة وحامل ولديها عدة أولاد، وريا أيضا تميل إليه بالإعجاب وهذا التصرف سلبي في شخصية سعد وريا.

لميس:

هي شخصية رئيسة إيجابية متطورة وساردة في رواية صيف مع العدو، تتجلى شخصيتها في مراحل مختلفة من حياتها، بداية من طفولتها في السن العاشر تقريبا، ثم العشرينات، ونهاية الثلاثينات. كما تتجلى عوامل مختلفة شخصية وأسرية واجتماعية وسياسية واقتصادية أدلت بدلوها في تكوين شخصيتها. فطفولتها تدور حول صديقه عبود، بالإعجاب والحب والانبهار، تلعب معه وتدرس معه وتأكل معه وفي العطلات الصيفية عندما يغادر الرقة لقضاء العطلة مع جدها كان يصعب عليها.

ثم إن أحوالها الأسرية أيضا آنذاك كانت متنفرة، الشجارات اليومية بين أمها وأبيها من جانب، ومن جانب آخر بين أمها وجدّها. فلا أحد من أسرتها تركز

(١) سجاد عجمي ، ص: ٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص: ٥٠ .

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٠ .

(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٠ .

على أحوالها وتربيتها. تعبر لميس عن هذا الشعور كالتالي: "كانت أُمِّي مشغولة بمعاركها مع كل من أبي وجدّتي، لذلك تركتني بصحبة عبّود وغيره من أولاد الجيران وقتاً طويلاً في الشوارع التي غالباً ما تكون آمنة ومنطوية على ذاتها، وخلف ذلك لديّ شعوراً بأنني لم أحظ بتربية جيدة مقارنة بالأولاد والبنات الذين لا يسمح لهم بالخروج من بيوتهم، مما أدّى إلى عزلتي لا سيّما حين يتركني عبود ليسافر مع أمه إلى براغ.^(١)"

ثم إن حادث وفاة جدتها أثّرت في ملامح شخصيتها وأكسبتها حالة الإثم الدائم والضمير الذي يؤنبها في كل حين، حيث تقول: "لقد قتلنا جدّتي. أنا وعبّود قتلنا جدّتي. قال الطبيب إنها أصيبت بسكتة قلبية، وقلت لنفسي: بسبب الخوف لا شك، نحن مجرمان. أنا المجرمة، قتلت جدّتي التي ربّنتني، إنها لحمي ودمي!"^(٢) وقررت أن لا تسامح عن نفسها هذه الجريمة، وخاصة عندما كانت تنظر إلى أمها تحزن كانت تشعر بالسوء كثيراً، ولحل هذه المعاناة النفسية قررت أن لا تتحدث في هذا الموضوع مع أي واحد، بما فيه عبود. تقول لميس: "بدلاً من أن يقرّبنا ذلك السر الخطير أنا وعبود، صرنا نتباعد. لقد جعلني الخوف أبداً بتحاشيه، فوجوده الآن يهددني، والخوف يبتلع المشاعر الأخرى. الخوف أقوى من الحب!"^(٣)

قبل أن تموت الجدة، يغادر والد لميس إلى يونان لعدم العودة. في هذه الفترة تحتم الأم بلميس كثيراً. ثم يصل نيكولاس إلى الرقة، الكل يحبه ويساعده لكن عندما يقترب نيكولاس وأمها، هذا يجعل لميس في موقف قلقٍ. وتبقى مرة أخرى مهجورة من قبل الأم، وهذه المرة تلجأ إلى الفروسية وعالم الخيول. تكشف عن معالم كثيرة في ذاتها وفي الكون، وتتعلم الحكمة من الخيل، حيث تقول: "درّبتني الخيل على الحكمة، متى علّيت أن أقدم، ومتى أتوقف، ومتى أرخي

(١) صيف مع العدو، ص: ٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٤٠.

الرسن، ومتى أشد ومتى أستسلم." (١) وعندما يغادر نيكولاس إلى بلده ألمانيا تصبح الأم كئيبة.

ثم تبلغ ليس إلى سن أن تدرس في الجامعة، لكن لا توجد الجامعات في الرقة ومن ثم لا تستطيع أن تترك أمها في الرقة وتسافر إلى حلب أو دمشق لأجل الدراسات العليا. بل تختار الدراسة عن بعد. ومن هنا نفهم نضج شخصيتها وواجباتها تجاه الأسرة. ولا تنتهي دراستها إلا وتنشب الحرب ولا تتمكن من الحصول على الشهادة. وأيضا من مظاهر نضج شخصيتها موقفها على مقتل والدتها، فهي لا تترك جثتها في العراء وتتخلى عن فرصة الذهاب من الرقة عن طريق المراكب، بل تجازف بحياتها لأجل تدفين أمها وقد قُطعت ساقها إثر الانفجار في الألغام. وعندما يغادر الجميع تبقى ليس وحيدة، تبحث عن المساعد وتكمل التدفين.

ثم تمكث ستة أشهر في دمشق بمساعدة أصدقائه إلى أن تتم أمور التأشيرة من قبل نيكولاس وتسافر إلى هناك. نجد في شخصية ليس في ألمانيا تطورا أكثر حيث ينكشف عليها أن وفاة جدتها لا علاقة لها بها أو بعبود. تأخذ منحة دراسية تتابع الدراسة في سن متأخر.

عبود:

هو من شخصيات رئيسة في رواية الصيف مع العدو. ولد في أسرة متنوعة الثقافات والديانات، إذ ذهب أبوه أسعد من الرقة إلى تشيكوسلوفاكيا في البعثة وتزوج هناك بامرأة مسيحية أحبها اسمها "آنا" كانت تدرس معه الطب البيطري، ويعودان إلى الرقة لتأسيس بيتهم. آنا تربت عبود على أحسن شكل وتهذبه على أخلاق فاضلة ولغة سليمة فيقوم عبود كل أعماله اليومية بأحسن شكل ويختلف عن سائر الأولاد في الحارة بما فيهم ليس. تسمي ليس هؤلاء

(١) صيف مع العدو ، ص: ١٢٤.

الأولاد بـ "أولاد الأجنبية". ومن صفاتهم أنهم "كانوا نظيفين، ومرتبين، وغير مبدّرين، وجادّين في دروسهم، يهتمون بالقراءة والموسيقى، ولواحدهم في الغالب حيوان أليف، قطّة أو كلب".^(١)

لا تسمح له أمه بالتسكع كما تقول لميس: "لم تكن أمه تسمح له بالخروج معنا إلا لماما، وتمنعه أيام الدراسة معنا باتّا. في الصف يلعب معنا ساعتين بعد الظهر بشكل شرعي".^(٢)

يتم تغيير شديد في شخصية عبود عندما تغادره أمه إلى بلدها إثر زواج أبيها بموظفة في المزرعة والطلاق لأمه. كما تعلق لميس على هذا التغيّر في عبود: "حين غادرت أنا فقد عبود حكاياته الساحرة، وتحوّل من ولد رزين إلى معتوه! صار شقيا، ولم تكن شقاوته حقيقية، بل مفتعلة. يحاول عبرها أن يرضينا، وأن يثبت انتماؤه إلينا بنكات سخيفة، ومزاج سمج يصير عنفا أكثر الأوقات".^(٣)

في هذه الأحوال ضاعت شخصيته بين الثقافتين وشخصيتين لأن الخيط الذي كان يمسكه ويربطه في اتزان لقد فقدتها فجأة دون أن يكون له أي ذنب في ذلك، فصار يطغى على مزاجه المزاج السمج بما رأى في حياته من المفارقات والتناقضات: كما تعبر لميس حالة عبود هذه: "بقي عبود معلّقا بيننا وبين آنا، أو بين الرقة وبراغ، وأكثر ما كان يبدو ذلك في مزاجه السمج، فالمزاج يحتاج روحا منتمية إلى المكان، وعارفة بمتناقضاته".^(٤)

نضجت شخصيته بعدما توفي والده وجدّته وتزوجت عمته غادر عبود بلاده ثم انتقل إلى ألمانيا. درس هناك الطبخ والفندقة، ثم فتح مطعما في مدينة كولونيا وصار غنيا. انقطعت أخباره عن لميس منذ مغادرته للرقّة، ولكن عندما وصلت لميس إلى كولونيا جمعتهم الأقدار مرة أخرى، لأن لميس كانت تمكث في المبنى

(١) صيف مع العدو، ١٨-١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٣.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٧.

أمام المبنى حيث يعيش عبود. عندما عرف عن أحوال لميس، مدّ لها يد العون لكنها قررت أن تنتقل إلى ميونيخ للدراسة بالمنحة حسب البرنامج السابق. تحدث كثيرا عن طفولتهما قبل أن تسافر لميس إلى ميونيخ. ومن ثم تتراوح شخصية عبود بين الإيجابية ثم تتحول إلى شخصية سلبية إثر مغادرة أمه، بينما يعود إلى رشده في سن متأخر ويسلك سبيل الدراسة والمهنة التي يحبها.

الشخصية الثانوية عند شهلا العجيلي:

أوديت:

في رواية عين الهر هي جارة أيوبة وصديقة أمها العجوز المساعدة الحكيمة، تعلق الساردة على شخصيتها: "كانت أوديت امرأة ستينية في المواجهات الأولى لأيوبة مع الحياة، اتّسمت بالحكمة، إلى جانب الدعابة والمسرح، بل السخرية، وكانت موضع ثقة الجميع واحترامهم. لكن وراء تلك الروح ما وراءها!"^(١) هي تحب رجلا في شبابها ولكن الأقدار تفرق بينهما قريبا بموعد الزواج، وترسل لها أسرتها إلى مركز التأهيل النفسي، وبعد الخروج من هذا المركز بعد سنة، تنتقل إلحلب حيث أسرة أيوبة وتظلّ عازفة عن الزواج إلى أن يتوفاها الله.^(٢) تحكي الساردة عن أحوالها كالتالي:

"ظلت عازفة عن الزواج، بل لم تكن تُذكر، أو ينظر إليها بوصفها امرأة، فقد تقلّدت خشونة الرجال وأحاديثهم، وارتدت لباس الزاهدات، وتركت الشيب يشتعل برأسها على عجل. وهكذا أدبرت أوديت عن الدنيا، وعاشت في ذلك الحيّ، أشبه بعزّابة لناسه. لكنّ قصتها التي طويت مع الزمن، عادت ونشرت من جديد. فمنذ مدة التقت في إحدى الزيارات لمدينتها القديمة، بالحبيب الغائب، وذلك في الكنيسة، في يوم عيد. لم يكن وحده، كان معه زوجة وأولاد وأحفاد

(١) عين الهر، ص: ١١٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١١٦-١١٧.

ومال كثير، وحياة كاملة بهيجة تقف أمام عمر أوديت الذي بدّدته الوحدة. قضت أوديت بقية أيامها بالصمت، إلى أن وافاها الموت.^(١)

الرجل التاجر:

في رواية عين الهر، هذا الرجل رمز للعلاقة المزيفة وعدم الإخلاص خلال هذه الرواية، وهو تاجر للمجوهرات يزور صالة أيوبة، وذات يوم يعود من رحلة تجارية ويهديها حجرة فائقة الجمال المسماة بعين الهر، ويتابع زيارته إلى الصالة والورش وفي الخارج أيضا، تقع في حبه إلى أن يغيب طويلا. أثناء غيابه يدركون عملية السرقة لبعض الأطقام والمجوهرات، إثر ذلك الحادث يتم فحص أصالة جميع المجوهرات في الصالة، فتكون كلها أصيلة وثمينة وكريمة غير حجرة عين الهر لأيوبة. حجرتها عين الهر فقط تكون مزيفة التي أهداها ذلك الرجل إياها.^(٢)

سهيل بدران:

هو والد الساردة جمان، شخصيته قوية متحمسة لإكمال دراسته بكل عزيمة، وهو يطمح في مستقبل باهر له وبلده لما يدرس الهندسة المعمارية وهندسة ترميم الآثار القديم التي سوف يستضيء بها في خدمة بلده، كما تصفه الساردة من منظارها: "سافر سهيل بدران إلى بوسطن بقدمي فيل، وجناحي نسر، وقلب عصفور! إذ كان له ممتد وعتيد، وحمل رغبة عارمة في النجاح والإنجاز، وعواطف عنيفة وحارقة."^(٣)

تأثر سهيل بدران بحركة إصلاحية شرع بها مارتن لوثر كينغ في واشنطن، وكان يحضر في خطابه ويستلهم أفكار هذا الرجل ورؤيته لإيقاظ شعبه السود وسط الأمريكيين البيض من أجل حصول حقوقهم المهضومة، فكان مارتن لوثر كينغ شخصية مثالية يقتدى بها في حياته.^(٤)

(١) عين الهر ، ص: ١١٧

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٢٨ - ١٣٤

(٣) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٦٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ، ص: ٧٣-٧٤.

ويظهر هذا الثبات والعزيمة حينما يكون على المنعطف في الخيار بين البقاء في بلده أثناء الحرب أو أن يغادر البلاد. لكنه يفضل الخيار الثاني، ويبقى في البلد الذي بناه مع أبناء جيله كالقبطان الذي لا يترك سفينته في حالة الغرق أو الحادث بل يكون أول من يغرق مع سفينة ببسالة وهو يمسك مقود سفينته. فسهيل بدران ينتمي إلى ذلك الجيل الذي لا يختار الهروب والهجرة خارج البلد سواء في اليسر والعسر والرخاء والمحنة. ومن ثمكرس حياته للبناء يوما، والآن يقف معها في ساعة العسرة بشخصيته القوية.

شخصيته مساعدة ومساندة لبناته، يقدم يد العون لكل منهن، فلا يتأخر في أن يرسل نفقات العلاج لجمان عن طريق صديقه جون الأمريكي، ويقلق لأجل صحتها في الغربة ولا يدعها تترك خيط الأمل. بينما ينصح سلمى في اتخاذ قرار مناسب لعدم الزواج من ابن مسؤول سياسي، لكن في نهاية المطاف ييوح برضاه ويبارك لها في زواجها، كما يساعدها بعد الترمول. كما يساند ابنته جود في تحقيق أحلامها بتعليم الموسيقى، فأتى بمعلم الموسيقى من مدينة طرطوس وأعطاه شقة صغيرة من المباني التي يملكها.^(١)

ناصر العامري:

هو حفيد المحامي بهجت الحفار بيك، الذي هاجر من حلب إلى دمشق. أم ناصر هي شهيرة الحفار الخريجة من كلية الآداب ذات ذوق رفيع، تزوجت بالسيد أدهم العامري من أسرة حيفاوية تعيش في عمان. توفي والد ناصر في الخمسينيات من عمره. بعد ذلك صارت شهيرة مع ناصر تزور حلب حيث اشترت فيلاً أبيها من إخوتها. لكن ناصر ترك زيارة حلب منذ ١٩٨٢ إذ سافر إلى أمريكا وتزوج هنا كامرأة أجنبية "كورين"، بينما اختارت أمه البقاء في عمان.

ولذا لا يرى أنه ينتمي إلى مكان خاص يحن إليه لكثرة ما تجول فيها وأثر كل من هذه البلاد في شخصيته كعمان ولبنان وكاليفورنيا وسانتا باربرا ودي، يعبر عن

(١) ينظر: سماء قريبة من بيتنا، ص: ٣١٣.

مشاعره كالتالي: "إن مدينتي هي المكان الذي أعيش فيه بكرامة، وأنال أمانا غير مشروط، وأحصل على أحسن تعليم، وعلى المعاش الذي يليق بجهدي في عملي، وبذل وقتي. بالنسبة إليّ، ومنذ زمن طويل هذا هو الوطن." (١)

هو مطلق منذ فترة، له ولدان يدرسان بأمريكا وابنته في سن المراهقة تعيش مع جدتها- أي أمه شهيرة الحفار. ومن ثم جانب الأبوة تقوى في شخصيته عندما يساعد جمان في حالة مرضها ويعتني بجداول علاجها، ويساعدها في استعادة نشاطها ويشجعها على استمرار حياتها اليومية مثل اللقاء بالأصدقاء والزميلات، تعبر عن ذلك جمان كالتالي: "ما أجمل أبوتّه! تمنّيت لو كنت ابنته أنا أيضا، وقارنت بينه وبين بابا الذي غاب عني كثيرا ليعيش ملحمة الخاصة في خضمّ الحرب." (٢)

وذلك أيضا يتجلى عندما يشتري ناصر ملابس وحذاء لجمان بألوان الحياة كي تعود إلى حياتها الطبيعية، تشير جمان إلى هذا الجانب من شخصيتها: "كان ناصر مثل أب يحمل الهدايا لأولاده، يرغب في أن يرى الفرح والامتنان في عيونهم." (٣) شخصية ناصر المساعدة لا تظهر خلال تقديم المساعدة المعمومة والمادية بل كذلك تتجلى خلال مساعدتها ناصر في تقوية العلاقة بينها وبين الله.

هانية:

اسمها هانية أو هانوي، هي امرأة في نهاية عشرينيات من أب عربي رقيق من كوادر الحزب الشيوعي الفلسطيني، أيمن ثابت "وأم فيتنامية، عاشت مع أمها فترة طويلة في الولايات الأمريكية ثم استقرت في عمان بينما استقرت أمها في كوالالمبور.

(١) أسماء قرية من بيتنا، ص: ١٠١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٣٩.

تديرهاني استوديو الرقص الغربي، وسمت استوديو "نورينكو"، استعادت صحتها بعد مرض السرطان، شخصيتها متفائلة إيجابية منفتحة إلى الحياة والحيوية، وبسبب طاقتها الإيجابية خلال هذا المرض، لم تكتسب ملامح المريض وقسوته، بل هي امرأة بشوشة نضرة. تصرح الساردة جمان عن ملامح شخصية هانية القوية، وتستمد جمان من هذه الطاقة الإيجابية فترتقي إلى سلم التحسن والاستمرار إلى أفضل الحياة، تعبر جمان عن هذا الإحساس تجاه شخصية هانية كالتالي:

"تؤكد لي هانية أن قوة الحياة ليست خيالا، وهي امرأة واضحة ومنطلقة، وتعرف كيف تدلل ذاتها، فذاثا لأول أولوياتها، ومن ثم يأتي العالم، ذلك أنها لا تنتظر من أحد شيئا، تعطي بقدر ما تأخذ، وغير ذلك تعده سخرة، وتقول إن عهد السخرة ولى منذ زمن طويل... كلما شعرت باليأس، كنت أشحن بطّاريتي بلقائها." ^(١) كما تعبر جمان عن شخصية هانية الإيجابية: "لقد كانت إيجابية، وكنت بحاجة لسماع الإيجابيين." ^(٢)

شخصية هانية القوية تشجع جمان في استمرار حياتها بداية من تسجيلها في فصول الرقص. فالرقص بالنسبة لهانية الشيء الذي يثبت فيها الحياة. ومن هنا تصبح صداقتهم قوية، وهي صداقة دون المصالح، تعلق جمان عليها الجانب المنفتح في شخصية هانية كالتالي: "صداقات مرضى السرطان عديدة، فليس وراءها غاية أو مصلحة، هدفها تخفيف السابقين لآلام اللاحقين، والأخذ بيدهم، وطمأنتهم. كلما اعتزاني اليأس كنت أهاتف هانية، وكلما طرأ تغير على حالتي أكلمها." ^(٣) من هنا تظهر شخصية هانية بعزمها العالي ومعنوياتها المرتفعة، كما تتجلى أهمية شخصيتها البناءة في تحسين حياة جمان وتوجيه نظرهما إلى التفاؤل.

(١) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٢٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٤٢.

سلمى:

هي أخت جمان، درست الاقتصاد وعملت في شركة بريطانية في عُمان، هي امرأة جميلة وتحبها أختها جمان كثيرا واعتز بأخوتها، قلبها رقيق وتتأثر بالأحداث المؤلمة حتى من شخصيات روائية خيالية أيضا. بعد وفاة والدتها انتقلت سلمى إلى الرقة بعملها الجديد في البنك هناك وترافق والدها سهيل بدران. تتزوجت بأحد العملاء بالبنك اسمه نسيب وهو ينتمي إلى أسرة سياسي اشتراكية. عاشت مع زوجها بالحياة المستقرة أنجب ثلاث بنات، إلى أن تنشب نيران الحرب في البلاد.

تفضل سلمى مثل أبيها المكوث في بلادها وعدم المغادرة، بموقفها التالي في هذه القضية: "سأمت هنا، ولن أتحوّل إلى لاجئة، أنا أرف تماما مغبة اللجوء. سيعود النظام، وسيُمنع اللاجئين من العودة إلى بلادهم، واستعادة أوضاعهم السابقة."^(١)، لكنها توافق رغما عنها بإصرار زوجها. تتلقى خبر غرقه بعد أن غادر إلى السويد قبل الأسرة ليضمن لها المعيشة.

أثناء مرض أختها جمان، تشجعها سلمى وترفع من معنوياتها وتعطيها الطاقة الإيجابية خلال المكالمات الهاتفية.^(٢) كما تظهر شخصيتها القوية لمساعدة أسرقتها كلها في أزمة اختطاف والدها سهيل بدران على أيدي جماعة إرهابية خطيرة. ففي غياب والدها تقوم بدور "كبير البيت" المحلي بالحكمة والرصانة وتحير الجميع، كما تعلق الساردة: "أنا أعرف أن سلمى قوية لكنني لم أتخيل يوما بأنها قادرة على مفاوضة أخطر جماعة إرهابية في العالم، بأعصاب باردة!"^(٣)

(١) سماء قريبة من بيتنا ، ص: ٣٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٨١.

جود:

هي أخت جمان الصغرى، قضت طفولتها في التدلل الشديد الذي أخرجها عن دراستها، مع حبها للموسيقى والأغاني، يؤثر الموسيقى وتعليم العزف في حياتها بشكل كبير كما تعلق على ذلك جمان: "نضجت شخصيتها، وصارت أكثر مسؤولية وصفاء، ولا سيّما مع قراءتها لسير الموسيقيين العظام، فصارت ترنو إلى السفر إلى عواصم الموسيقى لتتعرف إلى آثارهم عن قرب."^(١)

وكثرة عناية عمتها بها جعلتها بنتا مدللة، وأفسدتها إلى درجة أنها لم تكن تصغي لأحد بعد ما تزوجت عمتها، كما تعلق الساردة على تلك الفترة: "وجدت جود نفسها بلا مصدر دائم للإطراء، وبلا من يتحمل دلالها وكسلها. حاولنا إحاطتها بمحبتنا واهتمامنا، لكنها غرقت في أنانية مفرطة."^(٢)

هنا تسجل جود في جامعة حلب وتتوفق في دراستها وتصبح موضع اهتمام زملائها وأساتذتها والذي يعيد شخصيتها من جديد فيزول بعض مخاوف أسرتها تجاه شخصية جود وحساسيتها المفرطة، ما إن تخرج جود من مأزج زواج عمتها حتى تصاب بمرض أمها ثم وفاتها. تحاول الأسرة أن تساعدوا وتكون بجانبها لكنها تنغلق في إطارها الضيق، ولا تبوح عما تعاني منه.^(٣)

هي حساسة الطبيعة وتتأثر بكل ما يحدث حولها إذ توفي ولد في الانفجار بسبب إرسالها له إلى السوق، غير هذا الحادث مجرى حياتها كلها حيث بدأت تحجب وتنتقب من رأسها إلى قدميها، والتجأت بالأعمال الخيرية في المطبخ الإغاثي كما لو أنها تريد أن تقدم خدماتها تطوعا كفارة لما تشعر به تجاه هذا الولد والأسرة.^(٤)

(١) سماء قريبة من بيتنا ، ص: ٣١٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص: ٣١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣١٥-٣١٦.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٣١٨-٣١٩.

ومن أبرز جوانب شخصية جود أنها شخصية اجتماعية رغم عنادها ودلالها لكونها بنتا صغيرة في الأسرة، فهي من استعانت بوساطاتها وحاولت تحرير أبيها من قبضة المختطفين، ونجحت.^(١) فهي من هذه الناحية أثبتت أنها شخصية ذات مسؤولية وتستطيع أن تنجز مهمات صعبة في الظروف العويصة.

السيدة رقيقة:

السيدة رقيقة أم بشار هي أخت جدة الساردة جمان، هي سيدة في سن كبير، ونموذج من النساء العجائز اللاتي يتجولن عند الجيران واحدا واحدا، يأخذن أخبار هؤلاء ويحكين الحكايات والأمثال ويشرين القهوة عند صديقاتهن. ذلك كله من أعمال السيدة رقيقة اليومية. فهي شخصية ثرثرة ومحبة لدى نساء الحي وأولاده وبناته.^(٢) فهي شخصية إيجابية وعطاياها كثيرة حسب المخاطبين من أذواق مختلفة. لديها ولدان بشار وفتح، أما أحدهما فصار طبيا حكوميا في هيئة الصحة ومراقبة المطاعم، وأما الآخر فصار كيميائيا. امتحنها الله في ولديها إذ خاض بشار في أكل الرشاوى، بينما اتجه فتح إلى أعمال إرهابية متطرفة. ماتت السيدة رقيقة بحالة قلق واضطراب تجاهها كما تعلق الساردة: "ماتت نانا أم بشار، ولا نعرف هي مع من؟ أو ضد من، مع فتح، أم مع بشار؟! كانت تبكي بسبب الاثنين، وتدعو للاثنين، وتطلب لهما السداد والتوفيق، والنصر على الأعداء."^(٣)

سعد:

هو قائد مبعوث إلى الرقة من قبل الوالي. ورد سعد هنا لأجل قضية مهمة وهي البحث عن مصحف فاطمة حسب معتقدات أهل التشيع، وهذا المصحف يوجد في مكان ما في هذه المدينة وجاء سعد مع جنوده لإنهاء هذه الفتنة فالناس هنا في الرقة يميلون إلى معتقدات أهل التشيع. شخصيته يتكون من حب ريا في

(١) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٢٨١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٥٠-٥١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٥.

هذه المدينة وفي جانب آخر هو قائد قوي يتعامل مع أهل القرية بالحكمة كما يتجلى ذلك في حديثه إلى مالك الأشجعي كالتالي: "قصدنا يا سيد الرقة، واحد، أن تبقى راية الإسلام في عليائها، وأن نعم تحتها برضى الله ورسوله، وأولي الأمر منا، وإنما قصدناكم لنكون على هذه الحال في حجابكم." (١)

وعندما اندلعت فتنة قتل الفتيات وفقد ثقة أهل الرقة والأشجعيين بعدما نالها بصعوبة والناس يتهمونه بقتل البنات وفوق ذلك تحجب عنه ربا بسبب الظروف الأمنية وتشك في شخصيته، وهذا ما غير شخصيته تماما كما تحكي الرواية: "هذا التشكك بالذات هو ما أثار جنونه، وأيقظ وحش الإباء في داخله، وقد فوجئ بتخلي حبيبته التي لم تعرف كيف تساند الرجل الذي أحبته، ولم تحافظ على قلبه من الصدع، وعلى عقله من جنون الغضب، فكان انسحابها السهم في كنانة الود بينهما." (٢)

هي تسكن في بيتها أمام بيت لميس وحيدة منذ ما توفي زوجها وابنها. كما تقول لميس: "تحب جدتي أن تنام في بيتها، رغم أنها قاربت الثمانين، وصار البقاء وحدها مغامرة." (٣) وقبل الزواج كانت راقصة في فرقة (بديعة مصابني) الاستعراضية الشهيرة. تركت هذا العمل إثر خطبتها. رغم كبر سنهما هدامها قوي ورشيق وملبسها جيد وأسلوب حياتها راق. كما تصفها لميس كالتالي: "هي ترتدي تنورة جوخ سوداء أو كحليّة، تصل إلى الركبة، وكولون من الشيفون الأسود، وتوينز من الكشمير الأزرق أو البيج. شعرها بني داكن يغطي رقبتها، وذلك قبل أن تصبغه بالأشقر، وخفها المنزلي من الصوف البيج، ودائما تضع عقد اللؤلؤ حول رقبتها،

(١) سجاد عجمي، ص: ٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥١.

(٣) صيف مع العدو. ص: ٣٣.

وأحمر شفاه قاني اللون. تشرب القهوة بالحليب في كأس شفاف من كؤوسها الكريستالية." (١)

هي تحكي للأولاد قصصا وتقوم بدور فعال في تربية الأولاد كما تنقل لميس معلومات عديدة عن جدتها. فلها علاقة جديدة ليست مع حفيدتها فحسب بل مع صديقاتها وأصدقائها مثل عبود. لدى الجدّة صديقات من سنّها، هي تجلس معهن ويتحدثن في أخبار الحي والمدينة والموضة والأزياء وكل شيء. وعندما يتوفى له الولد الشاب "نجيب" تتأثر بموته كثيرا وتجعل المقبرة بيتها الثاني، تروي الأزهار والنبات وتجلس على المرسى بجانب القبر وتقرأ وتتلو وتجلس مع صديقاتها وابنتها وزوجها والناس الآخرين الذين جاؤوا لزيارة قبور موتاهم، تذهب بالشاي والقهوة والوجبات الخفيفة ولا تترك هذه العادة إلى أن يتم الحظر على خروج النساء إلى المقابر من قبل داعش.

شخصيتها ترحب جميع الناس وتساعد الأجانب على معرفة ثقافتهم وتاريخهم في الرقة. ولذا ترحب لنيكولاس كثيرا وتشجع أولادها على أن لا يقبلوا الفلوس منه لأجل مساعدته في معرفة المدينة والجولات بها. بعد ذهاب نيكولاس إلى بلاده بأسبوعين، تتوفى الجدّة إثر جلطة مخيّة. وتُدفن بالقرب من ابنها وزوجها.

نيكولاس:

هو راصد جوي وفضائي ألمانيّ، والده ألماني وأمه بولندية الأصل هاجرت إلى ألمانيا قبل الزواج، وفي أيام الحرب العالمية الثانية التقيا الأم والاب أثناء الخدمة العسكرية وهما مصابان في المستشفى، كانت تقول له شعرا جميلا عندما أفاق من غيبوبته. تزوج بعد فترة عندما تأكد من سلامة جسده تماما. ولد نيكولاس في هذه الأسرة وله عدد كبير من الإخوة والأخوات. وكان مولع بالكون السماوي لما سمع منذ طفولته قصة الساعة كبيرة بالصرّد السماوي في كنيسة مدينة أمه في بولندا.

(١) صيف مع العدو. ص: ٥٨-٥٩.

يأتي نيكولاس في خمسينات من عمره إلى سوريا مع أخته "كارمن"، يأتي نيكولاس إلى الرقة لأنه اختير في مشروع الأبحاث عن

صد سماوي. يكتري شقة في بيت صديقة جدة لميس. لكنه يصنع مكتبه للرصد عند سكة الحديد حيث توجد القطار القديم البالي. فيحوّل القاطورة منها إلى مكتبه. يعلم أولاد الحي وخاصة لميس وعبود أشياء كثيرة حول الكون السماوي، كما يهديهم بالهدايا. ويتعامل مع أهل الحي بلطف ويتعلم منهم ثقافة الرقة وتاريخها. تصبح أم لميس نجوى مساعدة نيكولاس ثم يقعان في الحب، إلا أن نيكولاس لا يستطيع أن يبقى هنا في سوريا لأجل حبه لها، ولا تستطيع نجوى أن تغادر البلاد مع نيكولاس تاركة وراءها مها العجوز وابنتها. وبهذه الحالة يغادر نيكولاس الرقة ونجوى ولميس بفراغ كبير.

إيجابية هذه الشخصية تتجلى في الحقيقة عندما تتواصل معه لميس لأجل اللجوء والمساعدة لها ولأمها، فلا أحد يبقى في العالم غير نيكولاس حيث تتوقعان خيرا لهما. وهذا ما يفعله نيكولاس، ويعدّ خطة لأجل تأشيرتهما ودراسة لميس عن طريق المنحة بالجامعة.

الفصل الثاني:

دراسة الزمان والمكان في روايات الكاتبتين

أولاً: دراسة الزمان في روايات الكاتبتين

هو من أهم العناصر الروائية فكل ما يوجد من الأحداث والشخصيات تقع في إطار زمني ما، وفي المصطلح: "الزمان أو الأزمنة التي تحدث في أثنائها المواقف والوقائع المقدمة."^(١) ويصف الناقد الزمن الأدبي بأنه "زمن إنساني، فهو زمن التجارب والصراعات، زمن الانفعال والاستقرار."^(٢)

أنواع الزمن

الزمن الخارجي (الزمن الطبيعي الكرونولوجي)

هو الزمن العام والشائع (الوقت) الذي نستعين به بواسطة الساعات والتقويم وغيرها، لكي نضبط اتفاق خبراتنا الخاصة للزمن بقصد العمل الاجتماعي والاتصال والتفاهم وغيرها.^(٣) وهذا الزمن يتصف بالحركة والدوران والتكرار ومواصلته إلى المستقبل دون التوقف والانهاء. ومن جانب آخر هذا الزمن متعاقب حيث يتعاقب المواسم الأربعة تلو الآخر ويتعاقب الليل على النهار والنهار على الليل فهو زمن كوني.

فالزمن الخارجي لأحداث الرواية هو ما يدل على إطار زمني تقع فيه الأحداث من السنوات والأشهر والأيام والليل والنهار وبالإشارة إلى الأحداث التاريخية التي وقعت في العالم الحقيقي. وهذا الإطار يساعد القارئ على فهم الترتيبات الزمنية التي أثرت في بناء الرواية وفهم المجتمع وثقافته حينذاك وبالتالي يساند

(١) المصطلح السردى، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، الطبعة الأولى، ص: ٢٣٦.

(٢) تشكيل الزمن في الرواية النسائية الفلسطينية في مطلع القرن الحادي والعشرين، كمال أحمد غنيم، ووديان محمد ريان، مجلة المجمع، العدد ١٥ (٢٠٢٠). ص: ٢٣٢.

(٣) انظر: الزمن في الرواية العربية، مها حسن القصرأوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ٢٠٠٤م، ص:

فهم القارئ للرواية. و"هذا الزمن هو العلاقة الزمنية بين الأشياء ولا يتأثر بإدراك المرء الحسي." (١)

الزمن الخارجي في روايات بدرية البشر

نجد إشارة عند الكاتبة أن الأحداث التي تسردها الساردة في رواية غراميات شارع الأعشى في السبعينات للقرن الماضي حيث ذكرت وجود التفلفاز الملون في بيت الساردة إذ رآته بنات البيت لأول مرة. فيصرخن بكلمة ملون ملون فرحا لرؤية هذا التفلفاز. (٢) وفي مكان آخر نجد بصراحة أنص أحداث هذه الرواية تجري في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، إذ تقول: "فقد كنا في ١٣٩٩ حسب التقويم الهجري." (٣)

كما تشير الكاتبة في موضع آخر إلى أحداث الزمن الخارجي التاريخي معاهدة السادات مع إسرائيل والانقلاب في اليمن والإشارة إلى إصدار قرار تحرير العبيد والإماء في السعودية. (٤)

وفي رواية هند والعسكر تشير الساردة إلى أحداث الطاعون التي تتزامن بالربع الأول من القرن التاسع عشر مسترجعة طفولة عموشة ووالدتها نوير، وهذه السنة تسمى سنة الرحمة التي قتلت آلاف من أهل نجد. (٥)

ثم تشير الكاتبة إلى زمن حرب أفغانستان مع روسيا وهي أثرت في حياة أخ هند "إبراهيم" وأسرتها كلها حيث يشارك في حملات تشجيعية للجهاد الأفغاني

(١) الزمن والرواية: أ. أ. مندلاو، ترجمة: بكر عباس، إحسان عباس، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧، ص: ٧٦.

(٢) غراميات شارع الأعشى، ص: ١٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢١٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٥٤.

(٥) ينظر: هند والعسكر، ص: ١٦.

ثم يغيب فجأة فتصطدم الأسرة بحجر وجوده هناك.^(١) مما يعني أن زمن الخارجي لهذه الرواية هو الربع الأخير من القرن العشرين.

في رواية زائرات الخميس لا توجد التواريخ أو الأحداث الواضحة من الزمن الخارجي لكن بعض المؤشرات الثقافية مثل عدم وجود الهواتف المحمولة، والاكتفاء بالهواتف المنزلية تشير إلى أن أحداث الرواية تقع في القرن الماضي.

الزمن الخارجي عند شهلا العجيلي:

وفي رواية "سماء قريبة من بيتنا" يوجد ذكر الزمن الخارجي بالكثرة تلميحاً وتصريحاً، كما تبدأ الرواية في تصريح إطار الزمن الخارجي حيث تذكر الساردة بداية الأحداث بيوم الإثنين ٢٨ من نيسان عام ١٩٤٧م.^(٢) وفي استرجاع أحداث الساردة مع صديقها سامي تحدد إطار الزمن الخارجي للرواية كالتالي: "وفي شتاء العام ٢٠٠٠م قابلت سامي للمرة الأولى عن قرب."^(٣)

ثم تذكر الساردة جمان مشهدا من اليوم ٢٨ آب من العام ١٩٦٣م حيث يشهد أبوها خطاب "مارتن لوثر كنغ" في ولاية واشنطن.^(٤) كما تذكر الفترة الزمنية التي هاجمت فيها فرنسا على الرقة: "في العام ١٩٣٦م دكت المدافع الفرنسية الرقة بحرق ليس له مثيل."^(٥) ثم يجري هذا الخيط إلى الإمام حيث تذكر وقائع سياسية أرغمت الناس على تأميم الأملاك كما تقول الساردة: "في العام ١٩٦٣م مات جدي بالتأميم، أصيب بنوبة قلبية"^(٦) إشارة إلى أثر هذه الوقائع على جدها.

(١) ينظر: هند والعسكر، ص: ١٧٥ - ١٧٧.

(٢) ينظر: سماء قريبة من بيتنا، ص: ٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٦٣ - ٦٤.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٦٧.

(٦) المصدر نفسه، ص: ٧١.

وبعد دوران الأحداث في سنوات تالية تصل أحداث هذه الرواية إلى ظهور تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام في سوريا، والمآسي التي جلبت الحروب الأهلية.^(١) وتنسدل ستائر أحداث هذه الرواية بغياب الطائرة البوينغ ٧٧٧ الماليزية في رحلتها رقم إم إتش ٣٧٠ المتجهة من كوالا لمبور إلى بكين.^(٢) مما يعني أن الكاتبة تقوم بخيط الأحداث التي وقعت في هذه البلاد منذ ١٩٤٧م إلى ٢٠١٤م حيث ظهر تنظيم الدولة الإسلامية وما تليها من الأحداث والكوارث، وهذا كله هو الزمن الخارجي لهذه الرواية. ولها تأثير في القارئ لأنه أيضا عاش نفس الإرهاب في البلد، كما يقول الناقد: "إن التفاعل مع الأحداث التاريخية يتفاوت تبعاً للعصر."^(٣) فتفاعل القارئ مع هذه الأحداث المعاصرة هو تفاعل عاطفي قوي.

الزمن النفسي الداخلي:

هو الزمن النفسي لدى شخصية من شخصيات الرواية أو لدى السارد ويختلف في طبيعته عن الزمن الكرونولوجي في ترتيبه وحركته، حيث "يتردد بين الماضي والمستقبل عن طريق الخيال يسمى بالزمن النفسي أو الداخلي وهو غالبا ما يكون أسرع وأقصر من الزمن الحقيقي ولا يقاس بالساعات والدقائق بل يقاس بالحالة الشعورية."^(٤) ومن جانب آخر تحتل الوحدات الزمنية الصغيرة غير المحددة مكانة الوحدات التقليدية العريضة^(٥)، "فتصبح اللحظة أكثر دلالة وأكبر خطرا من السنة"^(٦). سواء أكانت تلك اللحظة من الحاضر أو اللحظة الماضية أو من المستقبل. والأصل في زمن الأحداث

(١) ينظر: سماء قريبة من بيتنا، ص: ٣٠٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٣٣٩.

(٣) الزمن والرواية، ص: ١٠٢.

(٤) الاتجاه الاجتماعي بين محمد عبد الحليم وكرشن جندر من خلال الروايات المختارة. زين العابدين. رسالة الدكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، ٢٠١٨-٢٠١٩. ص: ١٦٨.

(٥) بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ: سيزا قاسم، مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤، ص ٦٧.

(٦) المرجع نفسه. ص ٦٧.

هو ترتيب زمني. والترتيب الزمني "هو مجموعة العلاقات بين التتابع الذي تحدث فيه الوقائع والتتابع الذي تحكي فيه."^(١) ولا يبقى هذا الزمن النفسي بترتيب واحد رتيب بل يأتي بالمفارقات داخل ترتيب زمني^(٢)، والمفارقة الزمنية "هو عدم توافق في الترتيب بين الترتيب الذي تحدث فيه الأحداث والتتابع الذي تُحكي فيه."^(٣) وكما يعرفه ناقد آخر: "انحراف عن التتابع الميقاتي الصارم في القصة."^(٤) وينقسم الزمن حسب مفارقة الترتيب الزمني إلى الاسترجاع والاستباق:

الاسترجاع (Analepsis)

وهو "مفارقة زمنية تعيدنا إلى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة، استعادة لواقعة أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة."^(٥) يساعد الاسترجاع استحضار الأحداث الماضية التي مرت قبل لحظة السرد.

والاسترجاع نوعان: الاسترجاع الداخلي وهو "عودة إلى ماضٍ لاحقٍ لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص"^(٦)، بينما عرفه د. لطيف زيتوني بأنّ الاسترجاع الداخلي يستعيد أحداثاً وقعت ضمن زمن الحكاية أي بعد بداية الحكاية.^(٧) والاسترجاع الخارجي وهو يستعيد أحداثاً تعود إلى ما قبل بداية الحكاية.^(٨)

(١) المصطلح السرد، ص: ١٦٥.

(٢) ينظر: تشكيل الزمن في الرواية النسائية الفلسطينية. ص: ٢٣٦. مأخوذ من تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩٧. ص: ٧٦.

(٣) المرجع السابق. ص: ٢٤.

(٤) علم السرد: مدخل إلى نظرية السرد، يان مانفريد، ترجمة: أماني أبو الرحمة. دار نينوى للدراسات والنشر سوريا، الطبعة الأولى ٢٠١١م. ص: ١١٦.

(٥) المرجع السابق، ص: ٢٥.

(٦) بناء الرواية، ص ٥٨.

(٧) معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، دار النهار للنشر لبنان، ٢٠٠٢م، ص ٢٠.

(٨) المرجع نفسه. ص: ١٩.

الاسترجاع الخارجي عند بصرية البشر:

ووردت تقنية الاسترجاع الخارجي عند الكاتبة بصرية البشر في رواية غراميات شارع الأعشى إذ تستذكر عطوى أيام طفولها وأغاني قريتها بالاستماع إلى الأغاني كما تحكي الساردة: "لقد كانت هذه الطرقات الخفيفة للإيقاع تذكرها بأغاني قريتها التي كانت تسمعها في مساءات بعيدة وتتذكر خطو الأقدام التي كانت تصاحبها."^(١) وكذلك ورد الاسترجاع إذ كانت عطوى تسمع الموسيقى في الليل، وتستذكر ماضيها القريب الذي سرده يحتوي على خمس عشرة صفحة، كما تقول الساردة: "وتحطل الذكريات الحارقة في قلبها، تتذكر ذلك الوقت القريب الذي كانت فيه صبيا اسمه عطية."^(٢)

ثم في فصل آخر جاءت الساردة بقصة طفولة شخصية عطوى عن طريق تقنية الاسترجاع الخارجي، وهذا الاسترجاع أخذ مساحة ثماني صفحات، ووظفت الكاتبة هذه التقنية من أجل تقديم أحوال شخصية ما وحكايتها، تقول الساردة: "صار بين عطوى وبين الحياة التي تركتها مسافات بعيدة حتى ظنت وهي تتذكرها أن أخرى غيرها قد عاشتها، فهي تذكر ذلك اليوم الذي هربت فيه من قريتها النائبة حين ركبت صحن الشاحنة مع نساء غريبات، وأن ما أنقذها هو غرابتها وثياب الصبي التي كانت تلبسها."^(٣)

كما تقدم الساردة قصة طفولة وضحي عن طريق تقنية الاسترجاع الخارجي: "تتجول ذاكرتها مثل خيط بياض في اللامكان واللازمان، تذهب أحيانا إلى ما مضى، ثم تعود إلى ما جاء بها إلى هنا، حيث تمت أن تصل أخيرا. ذهبت ذاكرتها بعيدا رأت نفسها وهي طفلة في العاشرة، أو ربما أزودها قليلا ووالدها يطلب منها

(١) غراميات شارع الأعشى. ص: ٧٣-٧٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٧٥-٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٨٢.

أن ترافق رجلا غريبا جاء إليهم، اسمه طراد يكبرها بعشرين عاما، ويخبرها أنه قد صار زوجها.^(١)

فتوظف الكاتبة هذه التقنية للاسترجاع الخارجي لبيان قصة شخصية ما خارج إطار زمن الحكاية. وهذا الأمر يلزم تتابع الرواية من عدة أطراف وأزمنة لأن "تتابع الأحداث وراء بعضها هو ما يشكل السيرة الزمنية الأساسية للرواية، فإن هذه السيرة ليست ثابتة على طول الرواية لأن هناك عددا من الأحداث يسترجعها الراوي لكي يضيفي على هذه السيرة غنى وتكاملا."^(٢)

وفي رواية هند والعسكر تقدم الساردة قصة داخل القصة تتعلق بالقصة الرئيسة في الرواية عن طريق الاسترجاع الخارجي. "أذكرها منذ كنت طفلة. عيناها الصغيرتان الحادثان كعيني صقر هما كل ما نراه من وجهها فهي تلبس برقعها طوال اليوم ولا ترفعه أبدا، حتى عندما تتمدد في فناء الدار في الظهيرة."^(٣)

كما تقدم الساردة أحداثا من زمن طفولة عموشة وقبلها أحدث ورود نوير أم عموشة إلى بيت جدهم، كما تسترجع الأحداث التي أدت إلى زواج جد الساردة بجدها وكل ذلك بالطبع قد حدث خارج إطار زمن الرواية. تقول الساردة: "ولدت عموشة في قرية أجدادي النجدية، حيث ولد جدي عبد المحسن وجدي سلمى، لكن عموشة ليس من هذه القرية النجدية، فقد جاءت أمها من بلاد أخرى. لا تعرف عموشة عن بلاد آبائها غير القصص التي روتها لها أمها نوير."^(٤)

رواية الأرجوحة هي رواية الاسترجاع حيث تعود أحداث الرواية إلى الفترة الماضية من خلال الذكريات، وعند استذكار هذه الأحاديث توجد تحفيزات المكانية أو الشخصية حيث يثير بعض الأشياء في المكان الحالي الذكريات القديمة

(١) سماء قرية من بيتنا، ص: ٢٧٣.

(٢) تقنيات وأساليب بناء الزمن في رواية "مروان" لبن يحيى محمد سفيان، إيمان زوائية. رسالة لنيل شهادة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، الجزائر. العام الجامعي ٢٠١٦ - ٢٠١٩. ص: ٢٩.

(٣) هند والعسكر، ص: ١٣.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٤.

مثل اللقاء بشخص، أو رؤية مكان ما وغير ذلك، كما تلتقي الصديقات الثلاث بعد عشرات السنين فتستذكرن القصص القديمة جالسات في مدينة جنيف وهذا المكان تساعدهن في استرجاع هذه الذكريات كالتالي: "لقاء صديقات الجامعة الثلاث بعث في أوقاتهن مرح الذكريات القديمة، في وسط ضاحج بالغبية والزحام. وفي مدينة مثل جنيف يصبح للذكريات طعم أبهى، كأن استعادتها تجعلها تبدو آتية من كوكب بعيد." (١)

وفي أماكن أخرى تقدم الساردة أحداث سابقة عن زمن السرد عن طريق الاسترجاع والتحفيز أو نقطة الوصل تكون رؤية شخصية ما، كما ترى مريم شاباً يقرأ المجلات على المقعد بجانب مريم فبرؤيته تفكر مريم في مشاري. وتبدأ الساردة بقصة مشاري عن طريق الاسترجاع الخارجي كالتالي: "عادت تسترق النظر نحو الشاب الغارق في قراءة مجلته وتفكر بمشاري." (٢) ثم تبدأ الكاتبة بالاسترجاع: "تعرفت مريم إلى مشاري، وهي تدرس بالجامعة." (٣)

وأحيانا تشير ساردة رواية الأرجوحة إلى استرجاع الذكريات بكلمة "يتذكر فلان"، كما نجد: "تتذكر سلوى قبل عشر سنوات تقريبا كيف مشيت ومريم في أروقة الجامعة الواسعة." (٤)

كما نجد في موضع آخر عندما لمحت مريم شبح سلطان العاجي خارج المطعم وهي جالسة مع صديقتيها، "تذكرت مريم أن المشهد نفسه الذي رآته قل عشرة أعوام ولكن بطريقة مختلفة، حيث كن وقتها يهمن بمغادرة بوابة الجامعة في مغامرة صباحية." (٥)

(١) الأرجوحة، ص: ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٣.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٤-٥٥.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٥٣.

وأحيانا يوجد الاسترجاع البعيد داخل الاسترجاع القريب، أي إن الأحداث من الماضي الأقرب يتم استرجاعها ثم ترجع الأحداث إلى زمن أسبق كما يوجد في قصة سلوى وهي تسترجع أحوال رغدها في بيت أبيها ثم في بيت زوجها الأول ثم سلطان العاجي. وبعد استرجاع هذه الأحوال أنها الآن منذ طلاق سلطان العاجي ليست كما كان من قبل، تتذكر أحزانها من طفولتها في بيت كبير.

فأول تعلق الساردة: "فقدتها لسلطان الذي جعل قيمة المال عندها تكبر وتتضخم حطم أسطورتها. ظنت أنها ملكة حتى دخلت ممالك الآخرين فعرفت أنها من مملكة أخرى أقل مكانة." ^(١) ثم تعود إلى طفولتها: "تذكرها هذه المفاجأة الموجهة بمفاجأة كفولتها الكبرى، حين لم يكن لديها حياة تعيشها ولم يخبرها أحد بما عليها أن تكونه، فقد كانت على الدوام تحتف بكونها نعجة صغيرة فغفف في قطع كبير. ^(٢) وأيضا ترد في رواية زائرات الخميس الأحداث السابقة التي وقعت قبل نقطة السرد عن طريق تقنية الاسترجاع الخارجي، حيث تتذكر مشاعل أحداث طفولتها المؤلمة كالتالي: "تذكر مشاعل وهي في السابعة حين مشت حافية فوق أسفلت الطريق برفقة أخيها عبد الرحمن.. إلخ." ^(٣) وهكذا تتكون الفصل الثالث والفصل الرابع من الأحداث السابقة عن نقطة بدء زمن أحداث الرواية، وهذه الأحداث ترجع إلى زمن زواجها الأول وهروبها من بيت زوجها الأول إلى بيت أمها، والزمن الذي تقضيه في بيت أمها.

الاسترجاع الخارجي في روايات شهلا العجيلي:

في رواية عين الهر تستذكر أيوبة أحوال طفولتها عن طريق الاسترجاع بعدما تستمع إلى مجلس الذكر ويصل الرجال إلى البيت التالي من قصيدة البردة

(١) الأرجوحة ، ص: ٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٦٨-٦٩.

(٣) ينظر: زائرات الخميس. ص: ٣٧-٣٨.

لَوْلَا الْهُوَى لَمْ تَرَقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ وَلَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ^(١)

تسترجع أيوبة قائلة: "إلى أين حملني الصوت! تذكّرت مدرستي، تذكّرت علي صديق طفولتي، جنازة أبي، وحزن أمي، ولم أفق إلا على اشتداد نقر الدفوف، والدموع قد أثقلت خماري."^(٢)

ووردت تقنية الاسترجاع الخارجي في رواية سماء قريبة من بيتنا بالندرة لما يطول إطار الزمن الخارجي للرواية، إذ أشارت الساردة في موضع إلى زيارة المطرب محمد عبد الوهاب إلى حلب ودمشق لإقامة حفلات غنائية عام ١٩٣٤م.^(٣)

الاسترجاع الداخلي في روايات بدرية البشر:

في رواية غراميات شارع الأعشى تسترجع الساردة حدثاً بعد نقطة البدء كالتالي: "ركبنا في صحن "بيك آبه" هذه المرة، وما إن استقرينا في بطنه حتى شاهدنا "بيك آب" الآخر مقبلاً مع صاحبه نفسه الذي حملنا منذ عامين إلى السوق."^(٤) هنا تشير الساردة إلى حدث قد مضى في بداية الرواية.

كما تقدم وقائع شخصية ما عندما تبرز هذه الشخصية في الرواية لأول مرة، وهذه الوقائع تكون قد حدثت بعد بدء أحداث الرواية كما ورد ذكر عروس أبي فهد "فلوة" فتسرد الساردة عزيزة خلفية شخصية فلوة من الزمن الماضي القريب: "حين تزوجت أختي عواطف جاءت فلوة إلى عرسها مع أمها."^(٥) ثم تجري هذه الأحداث في مساحة حوالي ثلاث صفحات.^(٦)

(١) (البسيط) ديوان البوصيري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى ١٩٥٥، ص: ١٩١.

(٢) عين الهر. ص: ٩٥.

(٣) ينظر: سماء قريبة من بيتنا. ص: ١٢.

(٤) غراميات شارع الأعشى، ص: ١٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٦١.

(٦) المصدر نفسه، ص: ١٦١ - ١٦٤.

تسترجع ساردة رواية هند والعسكر أحداثا داخلية، كما تستذكر أحداث لقاءها مع حبيبها بعدما تعود إلى البيت.^(١) كما تقدم الساردة لمحات استذكارية عن أخيها بعدما تقرأ خبر مقتله في الصحيفة: "صور تمر في خاطري لا أقوى على التحكم بسيرها... سؤاله يوم أسند ظهره إلى الجدار، وسؤاله عواطف: لماذا لا أحد يحبني في هذا البيت؟ ووقوفه أمام الباب يرقب جوزاءة يبتسم. صوت ماء الحمام، وهو يغتسل من آثامه الطويلة."^(٢)

هناك مزيج من الاسترجاع الداخلي والخارجي إذ تذكر الساردة طفولتها مع أخيها عن طريق الاسترجاع الخارجي ثم شبابهما عن طريق الاسترجاع الداخلي كالتالي: "أتذكر أخوته الحميمة حين كنا أطفالا ثم تحولوا إلى رجل غريب عندما كبر."^(٣) في رواية الأرجوحة يرد بعض الذكريات عن طريق الاسترجاع الداخلي حيث ذكر جزء من هذه الحكاية في الفصول السابقة ويكون تحفيز الذكريات واضحة. كما جاء في قصة سلوى، عندما كانت تطمع أن تكسب أموالا كثيرة بطرق خاطئة فشجعته عنب على المشي على الخطى الفاسدة، حينها تنبه مريم صديقتها أن تبقى على خطى سليمة هامسة في أذنها: "سوف أقتلك إن فعلت. يكفي البارحة."^(٤) هذا القول يحفز سلوى في استذكار شيء كالتالي: "رنت كلمة (سوف أقتلك) جيدا غب ذاكرة سلوى، الكلمة ذاتها التي قالها عبد الرحمن حين اكتشف أنها لا تزال تحب أخاه يوسف."^(٥)

وهكذا توجد في رواية زائرات الخميس بعض الذكريات عن طريق الاسترجاع الداخلي حيث تم الإشارة إليها في الفصول السابقة، فمثلا ذات يوم تحلم مشاعل في بيت حسام بأنها في غرفة مخيفة مظلمة كأنها في غرفة غسيل الموتى. ومن هذه

(١) ينظر: هند والعسكر، ص: ٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٠٥.

(٤) الأرجوحة، ص: ١٤٤.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٤٤.

النقطة تتذكر أحداث طفولتها حيث كان والدها يرسلها لتربية غسيل الموتى: "كانت تجلس في غرفة مظلمة دُكِّرتْها بغرفة غسيل الموتى التي كان والدها يرسلها إليها بعد كل عصر وهي طفلة." ^(١) وهذا الاسترجاع يوجد بتحفيز مكاني الذي نشط الاستدكار.

هكذا وردت بعض الأحداث الأخرى عن طريق الاسترجاع الداخلي، مثل ما حدث في مطعم صيني وهيفاء قد رأت حسام بأنه يتبعهما في المطعم الصيني. تأتي هذه الأحداث لاحقاً بعد ذكر أحداث اليوم التالي أيضاً. ^(٢)

الاسترجاع الداخلي عند شهلا العجيلي

في رواية عين الهر تصل أيوبة إلى القصر تحمل معها علب المجوهرات والأطقم، وتقدم مشهد الترف الباذخ ثم تسترجع أحداث اليوم السابق كالتالي: "وقد جاء الرجل أمس، وهو من أهمّ زبائننا، ومن الأصحاب المقربين للمالكي العمل، بل من الأصحاب المقربين للمالكي العمل، بل من الأصحاب المقربين لكلّ التجار، والأغنياء، والمتنفذين، ورجال السوق، ورجال الدين. طلب أن أحمل إلى بيته أجمل المجموعات وأحدثها، لتختار منها السيدة، وبناتها، وكناتها، وهدايا أو عيديّات بمناسبة عيد الأضحى." ^(٣) كما تسترجع الساردة بعض الأحداث وتذكرها أمام أيوبة قبل وصولها إلى بيتها فتقول: "حكيتُ لها عن ذهابي إلى العنوان الذي أعطني إياه في دبي، وعن سؤالها عنها." ^(٤)

وفي رواية سماء قريبة من بيتنا تسترجع الساردة جمان بعض الأحداث التي قد مرت ذكرها بعد بدء أحداث الرواية، كما تستذكر الأيام التي قضتها في بلدة بورتوفينو مع أسرتها وصادفت الشاب المراهق الذي أصبح لها طبيباً فيما بعد. وبعد فترة من علاجها أرادت أن تذكره بشبابه "حين كان يبكي من هاتين العينين

(١) زائرات الخميس. ص: ٩٥-٩٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٢١.

(٣) عين الهر، ص: ١٤٣.

(٤) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٢٦.

ذاتهما، وأنه عضّ ولدًا صغيرًا بوحشية، وأنني اشتريت له الجيلاقي، لكنني تركته، مؤقتًا طبعًا." (١) فبمّ تكرار هذه الأحداث عن طريق تقنية الاسترجاع الداخلي، لبيان معرفة جمان بيعقوب منذ فترة لا أحد كان يعرفه من زملائه الجدد ومرضاه ومريضاته. وفي موضع آخر تسترجع جمان أحداثها مع أسرتها على شاطئ بورتوفينو وهي ترقص في استوديو هانيا فتقول: "أقبلت صورة ماما، وجود وسلمي الصغيرتين، وهن يلعبن على شاطئ بورتوفينو بالرمل" (٢)

كما تستخدم الساردة تقنية الاسترجاع الداخلي لبيان شخصيات روائية وما يدور في حياة تلك الشخصيات، كشخصية جد جمان الحاج علي بدران وأبيها سهيل بدران وأعمامها يوسف وفيصل وشخصية نانا ورقيقة وشخصية سامي وناصر و الدكتور يعقوب وأختها "سلمى" و "جود" وخالتها دالية وعمتها ليلي. أذكر نموذجين من هذه الاسترجاعات فيما يلي:

تذكر الساردة بعض الأشياء التي خربت تربيتها عن طريق الاسترجاع كالتالي: "بسبب من هذا الدلال تأخرت عنا في دراستها. كانت تحب متابعة تلفزيون في مساءات الشتاء ممسكة بسيخي نسج الصوف، وبكباكب ملونة، مقلدة عمتي التي أحضرت لها خصيصا أسياخ ثخينة البلاستيك الأحمر." (٣)

كما تشير الكاتبة إلى طبيعة أختها سلمى حول الأدب الروائي إذ تقول: "لم تكن أختي سلمى تحب قراءة الروايات، لا سيما العربية، وذلك الجفاء بينها وبين الرواية حدث نتيجة صدمة عاطفية مبكرة، ففي صيف سنتها الثانية عشرة، أمسكت برواية نجيب محفوظ "خان الخليلي". كانت تقريبا الرواية الأولى التي أقبلت عليها بعد قصص الفتیان، أجهزت عليها بيوم واحد، وبقيت تبكي على مصير بطلها رشدي الذي مات بالسلّ ثلاثة أيام متواصلة حتى إنها انهارت من النشيج." (٤)

(١) سماء قرية من بيتنا ، ص: ١٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٦٨.

(٣) المصدر نفسه ، ص: ٣١١.

(٤) المصدر نفسه ص: ١٨٧.

ومثل هذه الاسترجاعات تمتد على مسافة صفحات عند الساردة ولا يناسب نقلها بالكامل

الاستنباق (Prolepsis)

الاستنباق هو نوع ثان من المفارقة الزمنية، وهو عند النقاد "مفارقة تتجه نحو المستقبل بالنسبة إلى اللحظة الراهنة فتفارق الحاضر إلى المستقبل".^(١) فهو إشارة إلى أحداث ستقع بعد لحظة السرد الآنية وهو عكس الاسترجاع. ولا نجد نماذج هذه التقنية كثيرا عند بدرية البشر وشهلا العجيلي كما تقول سيزا قاسم: "هذه الظاهرة نادرة في الرواية الواقعية وفي القص التقليدي عموما".^(٢)

الاستنباق عند بدرية البشر

ووردت تقنية الاستنباق عند الكاتبة بدرية البشر في رواية غراميات شارع الأعشى، "ستعرف لاحقا أنه رياض حين اعترف لها أول مرة رآها فيها، لكنها لم تره"^(٣) وأيضاً تظهر علاقة الاستنباق بالاسترجاع في رواية غراميات شارع الأعشى خلال سرد الأحداث إذ تقدم الساردة حدث ورود الجازي في بيت أبيها وزيارتها للساردة، ثم في الفقرة التالية تسترجع إلى الأحداث التي سبقت هذه الزيارة^(٤)، فيستنتج من هذه المفارقة الزمنية أن الساردة تعرض بعض الأحداث التي تحدث في الفترة اللاحقة بينما تطوي سجلّ الزمان إلى الأحداث التي قد حدثت في الفترة السابقة، وهذا المزج بين الاستنباق ثم الاسترجاع يثير التشويق عند القارئ. كما تقدم ساردة رواية هند والعسكر الأحداث الثلاثة التالية حسب الزمن الطبيعي بمزيج من تقنية الاسترجاع والاستنباق معا. الحدث الأول حسب الزمن الطبيعي هو حديثها إلى حبيبها عبر الهاتف فتعابها أمها على ارتكاب هذا الذنب وتسجنها في غرفتها، والحدث الثاني هو تزويجها بمنصور الذي هو ابن خالها

(١) المصطلح السردى. ص: ١٨٦.

(٢) بناء الرواية، ص: ٦٥.

(٣) غراميات شارع الأعشى. ص: ١٤٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ، ص: ١٢٧.

والحدث الثالث هو نشوب خلافات بينهما وعدم إخلاص زوجها منصور لها، لكن الساردة تسرد هذه الأحداث الثلاثة بدءاً من الحدث الثالث وهو بيان عدم إخلاص زوجها لها، ثم تعود مستذكّرة نصائح أمها لها في ليلة زفافها وهو الحدث الثاني حسب الزمن الطبيعي، إذن هذا استرجاع بالنسبة للحدث الثالث، ثم تعود وتذكر حديثها بالهاتف مع حبيبها وهو الحدث الأول حسب الزمن الطبيعي، إذن هذا استرجاع بالنسبة للحدثين السابقين، وهكذا أصبح سرد الحدث الثاني استباقاً بالنسبة للحدث الأول.^(١) فالساردة لا تقدم هذه الأحداث في سلسلة طبيعية من الزمن بل تلعب مع خيط الزمن وتنسج نسيجاً مزيجاً من تقنية الاسترجاع والاستباق.

الاستباق عند شهلا العجيلي:

في رواية سماء قريبة من بيتنا تستخدم الساردة تقنية الاستباق في بضع مواضع للإشارة إلى الأحداث المستقبلية. حيث تحكي الساردة عن اللقاء الأول بينها وبين ناصر أنه حفظ رقمها في جواله وطلب رقمها، فظهر رقمه على شاشتها وهنا تستشرف أحداث الرواية القادمة كالتالي: "الرقم الذي لن أحتاجه سواه في المستقبل من أيّامي".^(٢) إشارة إلى أزمة مرضها ورعايته لها في المستشفى وفي البيت، فناصر كان وحيداً بمثابة أسرتها في عمّان.

وكذلك تشير الساردة إلى تغيير موقع بنائيّ أمام بيت بهجت بيك في المستقبل من السنوات مستخدمة تقنية الاستباق كالتالي: "وتسمح بتمرير الدفء الذي دعا كثيراً من الناس إلى ترك متعلقاتهم في ذلك العصر، والخروج للتريّض حول النهر، في الموقع الذي سيصير بعد سنوات حديقة عامة من أشهر حدائق الشرق".^(٣) كما

(١) ينظر: هند والعسكر. ص: ١٢٥-١٢٧

(٢) سماء قريبة من بيتنا. ص: ٢٠

(٣) المصدر نفسه، ص: ٩.

تستبق الساردة مستقبل أيام ابنة بهجت بيك بما يلي: "تلك الفتاة الصغيرة ستتعلم فيما بعد العزف على العود، وستؤدي مع رفيقاتها رقصة السماح على مسرح مدرسة دوحة الآداب في حفلتها السنوية، وسيعجب الحاضرون أيما إعجاب حينما تنشد." (١)

تقنيات الزمن حسب سرعة السرد وبطئه

بعد دراسة الزمن حسب الترتيب الزمني ننتقل إلى أنواع الزمن التي تتولد من العلاقة بين الزمن الروائي والمقاطع النصية، سمي جيران جنيت هذه العلاقة بـ "سرعة النص". (٢) خلال هذه العلاقة يتبين بزمان الحدث وطول النص الذي يتناول هذا الحدث. فعندما يصبح النص أقل من الوقائع التي يشير إليها النص فهنا يتم تسريع السرد، وبالعكس عندما يطول النص عن الأحداث المذكورة فهو بطء السرد، وفي الصفحات التالية يتم التركيز على تقنيات تسريع السرد وتبطيء السرد على حدة.

تقنيات تسريع السرد

الحذف (تسريع زمن الرواية بالحذف)

وهو أن توجد سرعة زمن الأحداث ولكن لا توجد مساحة النص إذ يحذف من النص بعض المدة الزمنية من الأحداث. (٣) واستخدمت سيزا قاسم مصطلح "الثغرة" بأنها: "تمثل المقاطع الزمنية في القص التي لا يعالجها الكاتب معالجة نصية." (٤)

تسريع السرد بالحذف عند بصرية البشر

توجد تقنية الحذف عند الكاتبة بصرية البشر في رواية غراميات شارع الأعشى بوفرة كبيرة بنوعيه. وفيما يلي الأمثلة: تحكي الساردة بأن أم جزع تطلب من ولدها عمر القهوة فتقول له: "قم يا عمر، قم أعطنا قهوة" ثم تقول الساردة:

(١) هند والعسكر، ص: ١٤.

(٢) ينظر: بناء الرواية، ص: ٧٧.

(٣) إشكالية الزمن في النص السرد، ص ١٣٧-١٤١.

(٤) المرجع السابق، ص: ٩٣.

"شربت أم جزع ووضحي القهوة." ^(١) وفي مشهد زواج عند الجيران تحدثت الساردة عن رقص البنات ببعض التفصيل ثم تحذف ذكر العشاء والوليمة فتقول مباشرة: "بعد طعام العشاء أخذ بعض النساء يودعن أم العروس." ^(٢)

وتتحدث الساردة عن خوف العائلة من استخدام الهاتف في بداية الأمر ثم تشير إلى تغيير الأوضاع بعد مرور مدة من الزمن إذ تقول: "بعد عام ونصف العام صار الهاتف واحدا من العائلة نستخدمه أكثر من الماضي." ^(٣) وهي ثغرات مميزة حيث يتم الإشارة إلى مرور الزمن بسرعة بعبارات وجيزة "بعد عام." ^(٤)

وتشير الساردة إلى نهاية عطلة إبراهيم الطويلة بسطر واحد حيث تقول: "عاد إبراهيم إلى مصر مرة أخرى عندما انقضت إجازته، وعدنا ننام في غرفة الشتاء مجتمعين." ^(٥) هنا يوجد تسريع الزمن بالحذف بدون التغير في الزمن.

وفي موضع آخر يوجد الحذف مع تغيير المشهد إذ يتم الحوار بين أبي محيسن وأم جزع ووضحي، وأم جزع تنصح الأشياء عن حسابات محلها قبل أن تسافر مع ابنتها، وما أن ينتهي هذا الحوار وتودع وضحي أم جزع. يرد مشهدا آخر مع حذف فترة من الزمان كالتالي: "بعد صلاة العشاء عادت وضحي لمنزلها، وطلبت من الجازي أن تعد لها عشاءً خفيفاً." ^(٦)

كما وردت تقنية الحذف عندما أُلقت الشرطة القبض على ضاري بتهمة السرقة بين فترة القبض وفترة خروجه، إذ تقول الساردة: "ضاري مسكته الشرطة." ^(٧) ثم تقول: "خرج ضاري من سجنه ناقما على أمه." ^(٨)

(١) غراميات شارع الأعشى، ص: ٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٩٦.

(٤) بناء الرواية، ص: ٩٣.

(٥) المرجع نفسه، ص: ٩٨.

(٦) المرجع نفسه، ص: ٤٩.

(٧) المصدر السابق، ص: ٦١.

(٨) المصدر السابق، ص: ٦١.

وكذلك وردت التقنية في تغيير المشهد عندما خرج ضاري من بيته غاضبا، وكان المفروض أن يذهب إلى المدرسة لكنه غاب عن البيت ولم يذهب إلى المدرسة، هنا تقول الساردة: "بعد خمسة أيام قابل متعب مدرسا جاءه إلى المحل وسأله عن ضاري الذي لم يأت إلى المدرسة." (١)

يوجد تسريع الزمن بالحذف في رواية هند والعسكر في مواضع عدة منها مشهد معرفة أسرة هند عن غياب إبراهيم في متاهات الحرب. (٢) وما إن ينتهي هذا المشهد إلا أن الساردة تسرع إلى زمن عودته: "عاد إبراهيم من أفغانستان بعد ستة أشهر فقط." (٣) وذلك عن طريق حذف الفترة بينهما.

وهكذا في رواية الأرجوحة تشير الساردة إلى المدة التي بقي فيها "بندر" في السجن بالحذف ما حدث في تلك الفترة كالتالي: "خرج بندر من السجن بعد تسعة أشهر، مشوّش الذهن، فاقتدا للأمان، أشبه بشاب عاش سنوات حرب قاسية عاد بعدها إلى أهله." (٤)

وفي موضع آخر نجد تسريع الزمن عن طريق حذف عدة أيام حيث تقدم الساردة مشهد الشجار بين سلوى وعبد الرحمن ثم تعلق بتسريع عشرة أيام بالحذف مباشرة بعد هذا المشهد كالتالي: "انتهت قصة سلوى بعد عشرة أيام أمام القاضي بعد أن شفيت كدمات وججها الذي انتفخ." (٥)

وكذلك تم استخدام تقنية التسريع بالحذف في رواية زائرات الخميس وهذه التقنية تفيد في الاجتناب عن كثرة المعلومات والأحداث التي لا تحتاج إليها القارئ. كما ورد في قصة أم مشاعل وهي تستحيي أن تتحدث إلى ابنها الشاب عبد الرحمن عن زواجها ولذا تطلب من الخطابة موزي أن تتحدث إلى عبد الرحمن في قضية

(١) غراميات شارع الأعشى ، ص: ٦٤.

(٢) ينظر: هند والعسكر، ص: ٢٠ - ٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٧٧.

(٤) الأرجوحة، ص: ٧٧.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٠٤.

زواجها.^(١) ثم يتم ذكر وصول خبر زواجها إلى أصهار مشاعل، بحذف كيفية حديث موضي بعبد الرحمن وأحداث زواجها، فتسرد الكاتبة مباشرة: "انتشر خبر زواج أم مشاعل بين أهل حسام مثل نكتة."^(٢)

في موضع آخر، نجد تسريع زمن السرد عن طريق الحذف حيث تحكي الكاتبة بأن مشاعل صلت ركعتي تحية المسجد في الجملة التالية تحكي: "وبعد أن فرغت من صلاة الظهر، أسندت ظهرها إلى أحد جدران الغرفة."^(٣) بحذف الإخبار بأنها وقفت لصلاة الظهر، وأخبرت مباشرة عن إنهاء صلاة الظهر.

وفي موضع آخر، تحكي الساردة عن تجربة مشاعل في درس الأخت مها في اليوم الأول ثم في الفقرة التالية تبدأ مباشرة باليوم الثاني كالتالي: "عادت مشاعل في اليوم الثاني إلى المصلى."^(٤) دون أن تذكر ما حدث في الفترة بين انتهاء درس اليوم الأول وبين عودتها إلى المصلى في اليوم التالي لأن الأحداث تركز دائما على الوقائع الرئيسية التي تسهم في تطور الرواية ويتم تسريع الزمن بحذف الأحداث والوقائع التي لا تخدم الأحداث الرئيسية.

وهكذا يوجد التسريع السردى بالحذف عندما يوافق حمود على الزواج بالمشاعل، فلا تذكر الكاتبة الإعدادات ولا إقامة الزواج بل تحذف كل هذه الأحداث وتسرع إلى الوقائع التالية في الفقرة التالية مباشرة بعد موافقة حمود كالتالي: "قفزت إلى مركب نجاة نظيف ومرتب وأليف."^(٥) كما نجد هذه التقنية لتسريع زمن السرد بحذف الأحداث في أربعة أشهر حيث بقي حسام في مدينة أخرى في بيت عمه إضرابا لما لا توافق أسرته على زواجه بـمشاعل، حيث تحكي الساردة: "بعد أربعة أشهر وقف حسام أمام منزل والدها. انتبه لوجود سيارته الكابرس القديمة خارج

(١) ينظر: زائرات الخميس، ص: ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٦٠.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٦٢.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٨٥.

المنزل، تلك التي علاها الغبار وقشور طلاء الباب المقشور"^(١)، وهنا مرة أخرى يتم تسريع الزمن بحذف أحداث جلسات الأسرة ولا ندري من مضى من الزمن، وتأتي أحداث مجلس الخطبة في بيت مشاعل مباشرة بعد وصول حسام إلى بيت والده كالتالي: "جلس مع والدها. خطبها وهو ينتظر أن تسمع بوصوله لتعرف أنه لم يخذلها."^(٢)

تسريع السرد بالحذف عند شهلا العجيلي

تستخدم الساردة تقنية تسريع السرد بالحذف في رواية عين الهر لبيان مرور الوقت في حالتها الرتيبة كالتالي: "بدأت أتألف مع حياتي الجديدة. مر زمن لم أفكر فيه حتى بمجرد ماذا يوجد وراء الباب."^(٣) كما توظف الحذف لبيان الأحداث والأحوال المستمرة في الوقت الذي مضى في النص التالي: "مضى وقت، والأصوات مستمرة، أحيانا تكون غناء، وأحيانا أخرى تتحول إلى ما يشبه الموال، تارة تعلو، وتارة تخفت."^(٤) وفي موضع آخر، أثناء سرد أيوبة حكاية زبائن الأحجار، تحذف فترة السنتين بين بيع حجر الزفيرة الزرقاء لإحدى زبائنهما ثم الشراء منها مرة أخرى، وتقول: "كل ذلك تبادر إلى ذهني في اللحظة التي قابلت فيها الزوجة، مع العقد ذي الزفيرة الزرقاء، بعدما يزيد على السنتين."^(٥) وتحكي المفارقة في حياة هذه المرأة التي "جاءت لتبيع العقد ذا الزفيرة، ومجوهرات أخرى، زوجها في السجن!"^(٦) في موضع آخر، تسرع الساردة الزمن الحكائي بعد ذكر أحداث الفترة الصباحية، تقول: "في المساء، كنا نستعد للإغلاق. دخل الرجل نفسه الموظف الكبير، تتأبط ذراعه امرأة، المرأة الأخرى، ذات الالبتسامات الخبيثة."^(٧)

(١) زائرات الخميس، ص: ٨٠-٨١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٨١.

(٣) عين الهر، ص: ٥٧.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٨٠.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٢٧.

(٦) المصدر نفسه، ص: ١٢٧.

(٧) المصدر نفسه، ص: ١٢٧.

وكذلك تصف الساردة مشهد الرجال المتصوفين بتفصيل، بدون ذكر ما جرى في هذا المجلس وقالت: "عندما أنهى الشيخ درسه، تقدم آخر، وتربع بجانبه وراح يقرأ في كتاب بين يديه." (١)

وفي رواية سماء قريبة من بيتنا وردت تقنية تسريع الزمن عن طريق الحذف كثيرا نذكر بعض النماذج كالتالي: إذ حذفت الساردة بضع ساعات من سهرة غنائية طويلة في المشهد مع المعني عبد الوهاب كما يلي: "حينما انتهت السهرة، وبخني الشيخ علي الدرويش بشدة على تبجحي." (٢)

وفي حكاية سامي مع صديقه طارق الولد المشاغب، إذ لا يشي بصديقه طارق ويحميه ويعاقب على فعلته في المدرسة بدلا من صديقه، هنا تحذف الساردة الأيام التي قضاها سامي عقابا خارج المدرسة، "وطرد سامي من المدرسة ثلاثة أيام، وعاد مع أبيه الطبيب ليوقع على تعهد عدم الإساءة ثانية." (٣)

وفي بيان موت أخت جدتها تحذف الساردة مساحة أيام قضتها في مرضها إثر إصابتها بجلطة دماغية، تقول: "أصيبت نانا أم بشار بجلطة دماغية، وماتت بعدها بأيام." (٤)

كما استخدمت الساردة تقنية تسريع الزمن بحذف السنوات بالإشارة إلى لقائها بالرئيس الروماني عند زيارته لبلدها وفي هذا اللقاء كانت زميلتها مايا أيضا كانت معها. فتسرد بعد مشهد اللقاء مباشرة: "دعني مايا لزيارتهم، بعد مرور أربع سنوات على لقائي التاريخي بتشاوشيسكو." (٥)

(١) عين الهر، ص: ٨٣.

(٢) سماء قريبة من بيتنا، ص: ١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣١.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٦.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٨٧.

وبعد ذهاب ناصر إلى "دُبي"، تقول الساردة مستخدمة تقنية حذف فترة زمنية: "بعد أقل من شهر اتصل ناصر، قال إن طائرته حطت للتو وأنه يجب أن نتعشى معا." ^(١) إشارة إلى عودته إلى عمان بعد أقل من شهر بدون ذكر ما جرى بين ذهابه إلى دبي وإيابه إلى عمان. وبعد أن بدأ العلاج الكيميائي للساردة لجمان تحذف مدة من الزمن إشارة لرتابة هذا الزمن، وتقول: "بعد أسبوعين بدأ شعري يسقط." ^(٢) كما استخدمت الساردة تقنية الحذف خلال قصة نبيلة ولقاءها بالدكتور رشيد شهاب في إحدى الأمسيات الثقافية، تقول: "كانت نبيلة وبعد أسابيع ثلاثة من تعارفهما قد تزوجت بالدكتور رشيد شهاب." ^(٣)

وعندما غادر زوج سلمى "نسيب" عمان إلى السويد للعثور على عمل جديد وحياة سعيدة، مات في طريق البحر، هنا تستخدم الساردة تقنية الحذف وتقول: "بعد أربعة أيام كانت البحرية الإيطالية قد تعرفت إلى أوراقه الثبوتية مع المهاجرين غرقى." ^(٤)

تسريع زمن الرواية بالتلخيص:

وهو أن يلخص السارد زمن الحدث الكبير في مساحة النص الصغير. ^(٥) ودوره الرئيسي تقليل ذكر تلك الأيام والأشهر والسنوات التي تخلو من الأحداث للتجنب من الشعور بالرتابة.

تسريع زمن الرواية بالتلخيص عند بصرية البشر

وردت تقنية تسريع الزمن بالحذف عند الكاتبة بصرية البشر في رواية غراميات شارع الأعشى حيث تأتي الساردة بمشهد صباحي حيث يذهب كل واحد إلى عمله: الفتيات والفتيان إلى المدارس والآباء والأمهات إلى أعمالهم، ثم تشير إلى

(١) سماء قرية من بيتنا ، ص: ٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٨١.

(٣) المصدر نفسه ، ص: ٢٢٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص: ٣٠٨.

(٥) ينظر: بناء السرد. ص: ٨١.

استمرار هذا المشهد فتقول: "لحظات أخرى ثم يهدأ الشارع ويعمه السكون"^(١) وتفيد هذه التقنية الزمنية في التجنب عن سرد الأحداث المتكررة^(٢)، كما نجد في رواية هند والعسكر: "ظلت العصافير تغني نصف ساعة متواصلة تقريبا، العصافير تغني نصف ساعة من دون لحظة صمت ولا يخطئ عصفور دوره."^(٣)

وفي رواية الأرجوحة نجد تسريع زمن السرد والأحداث بتلخيصها كما تسرد الساردة بأن سلطان العاجي أخذ سلوى إلى بلدان كثيرة خلال خمس سنوات لما فيه من التكرار، والموضع لا يحتاج إلى تفاصيل الأسفار إلى هذه البلدان. كالتالي: "في خمسة أعوام حملها سلطان العاجي إلى كل بلدان العالم، وكأن الرياض غير قادرة على احتمالهما معا، وهو الذي أحضرها اليوم إلى جنيف."^(٤)

وفي موضع آخر تتحدث مريم وسلوى عن المشاري وكيف يمكن البحث عنه في مدينة جنيف دون أن تحكي تفاصيل هذه الأحاديث وتمضي خلال هذه الأحاديث ساعة كاملة: "استغرقت سلوى ومريم في الحديث عن مشاري والطريقة المثلى للعثور عليه. انضمت سلوى بعد ساعة من الأحاديث إلى عناب في تتبع المارة بعيونهما."^(٥)

كما توجد تقنية تسريع الزمن السردية بتلخيص الأحداث في رواية زائرات الخميس، فعلى سبيل المثال تلخص الكاتبة أحداث سنوات الطفولة من حياة مشاعل وهي أصبحت شخصية لا تُرى ولا أحد يهتم بها بين إخوتها وأخواتها من زوجة أبيها وتقر على هذه الحالة سنوات عديدة، كالتالي: "أصبحت رقما وسط أبناء الكثر؛ فمّ يأكل معهم وجسد يتمدد بينهم. نجحت في أن تكون غير مرئية فمرت السنوات سريعا كأنها عاشتها في ظلام دامس ترى الآخرين من خلاله بعيون القطط."^(٦)

(١) غراميات شارع الأعشى، ص: ٩.

(٢) ينظر: بناء الرواية، ص: ٨٧.

(٣) هند والعسكر، ص: ١٢٠.

(٤) الأرجوحة، ص: ٤٨.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٥٢.

(٦) زائرات الخميس، ص: ٣٨.

كما تلخص أحداث أشهر من الزمن ببيان الأحداث الرئيسة ملخصاً كما غابت صورة حسام من حقبة هيفاء وجاءت بدلاً منها صورة شاب جديد يسمى عبد العزيز. خطبها عبد العزيز وسيتزوجها بعد عيد الفطر.^(١) فتلخص الكاتبة زمن هذه الأحداث التي تلاحظها مشاعل في حياة هيفاء بدلاً من الولوج إلى تفاصيلها.

هكذا تلخص الكاتبة أحداث زمن الحداد في حياة أم مشاعل إثر وفاة زوجها كالتالي: "ثلاثة أشهر متتاليات وبيت والدتها يزدحم بالنساء، لا يتركها وحدها لأنها في حداد. عليها أن لا تخرج من البيت، ولا تردّ على هاتف ولا تضع أصباغ زينة."^(٢)

تسريع لسرد بالتلخيص عند شهلا العجيلي:

تلخص الساردة في رواية عين الهر تكرار حدث وتسرع بزمن هذه الأحداث في مساحة نص صغير كالتالي: "تكررت لقاءاتي وأيوبه في غرفتها في جامع العادلية."^(٣) وتستخدم الساردة هذه التقنية ملخصة الساعات التي مرت، ثم إشارة إلى إنهاء الأعمال بسرعة من الزمن دلالة على استعجالها وانتظارها لهذه الجلسة، كما يلي: "لم أدر كيف مرّ الوقت! حينما كنت أعلق ستائر إحدى الغرف بعد أن غسلتها وكويتها، بدأ يتسلل إلى أذني نقر الدفوف... أنهيت عملي بسرعة، وارتديت حجابي السوداء، وسعدت إلى السطح."^(٤)

في موضع آخر تلخص الساردة أحداث الليالي والأيام كالتالي: "قضيت الليلة، وأياماً بعدها متقلبة بين الضحك، والدهشة، والقلق، والحيرة."^(٥) وبعدها تستفرغ

(١) ينظر: زائرات الخميس، ص: ٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٦٤.

(٣) عين الهر، ص: ٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٥٤.

أيوبة من حكايتها تبقى الساردة معها تشارك حزنها وتشير إلى مرور الوقت بهذه التقنية كالتالي: "سكتت أيوبة، ولم يبق سوى نشيج مقهور، تردّ عليه دموعي بصمت. بقينا ربما ربع ساعة في حضرة هذا الألم، حتى باغتنا أذان المغرب ذلك المساء." (١)

في رواية سماء قريبة من بيتنا تلخص الساردة أوقات طبيعية رتيبة بمساحة قليلة، كما تلخص الزمن على الطائرة قبل الإقلاع كالتالي: "مرّت دقائق الاستقرار، والتهيؤ للإقلاع، وكلّ منا في جزيرته، حتى حانت لحظة، التحليق، لحظة القلق الذي يعتري الجميع." (٢) إشارة إلى أهمية لحظة الإقلاع لجميع المسافرين بما فيها من ضغط، غير تلك الدقائق الرتيبة التي تسبق الإقلاع، وتناسبها تقنية التلخيص.

كما تلخص الساردة جمان عدة أيام بعدما تم لقاءها على متن الطائرة بناصر، ومباشرة بعد المشهد على متن الطائرة والمغادرة من المطار تسرد الساردة باستخدام تقنية تسريع الزمن كالتالي: "عشرة أيام مرت، كنت خلالها أعمل بهمة عالية." (٣) كما تلخص أحداث الساعات التي تقضيها في المؤتمر للاستماع إلى الأوراق العلمية من قبل العلماء والباحثين، كالتالي: "قررت متابعة الأوراق كلّها، من العاشرة صباحاً حتى الرابعة عصراً." (٤)

وتشير إلى مرور الأيام الرتيبة باستخدام تقنية تسريع الزمن بالتلخيص كالتالي: "تغرب شمس حلب كلّ مساء من السماء التي تقع وراء بيت مدير السكك الحديدية في محطة بغداد." (٥) وتستخدم الساردة تسريع الزمن لتلخيص الأحاديث التي جرت بين جمان وناصر لساعات، بتقديم لبّ هذا الحديث وهو الماضي المشترك بينهما في مدينة حلب يشعران بالنوستالجية، وهما بعيدان عن مدينة حلب إذ تقول: "امتدّ

(١) عين الهر، ص: ١٥٢.

(٢) سماء قريبة من بيتنا. ص: ١٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢١.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٧.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٤٦.

حديثنا لساعات، أحيينا فيها روح الماضي، ورائحة الياسمين، والعسلية، والزيفون، والرطوبة العابقة ببخار مطابخ بيوت محطة بغداد العتيقة.^(١)

كذلك تلخص الساردة سنوات بهذه التقنية خلال قصة طويلة جانبية، إذ تحكي أحداث حياة صديقتها نجوان واختطاف أبيها أمام زوجته والأولاد الصغار، فتقول: "خمس سنوات مرت، وسطوا فيها كل من يعرفونه ومن لا يعرفونه للتدخل، دفعوا مالا كثيرا وأعطت النساء الذهب."^(٢)

وتلخص الساردة جمان تكرار الحدث لبيان اضطراب حالتها بسبب مرضها والذي يؤثر في ساعات نومها فتسرع في زمن مرات القيام والذهاب والإياب عن طريق تلخيص: "قمت مرات عدة من الفراش، دخلت الغرفة المنفردة التي خصصناها لناصر، كان يغط في النوم."^(٣) كما تسرع الساردة الزمن الذي تقضيها بعد جلسة الجرعة الكيميائية، فتقول: ونمت لثلاثة أيام متواصلة، كان ناصر خلالها يعطيني حبة الكورتيزون دون أن أشعر به قد أيقظني.^(٤)

كما تستخدم الساردة تقنية تسريع السرد بتلخيص استرجاع لقاءات بينها وبين ناصر، كالتالي: "العقل لا يولد الخيال من فراغ، بل من مواد خام منحني ناصر في هذه اللقاءات القصيرة أنقاها وأفخرها، فأسترجع لقاءاتنا، وكلامه، وملامحه."^(٥) فبدلاً من أن تستذكر جميع الأحداث، تقدم تلخيصها بـ "لقاءاتنا وكلامه

تقنيات تبطيء السرد

الوقف الوصفية (تعطيل زمن الرواية)

هي حركة زمنية سردية وواحدة من السرعات السردية الأساسية، يعرف جيرالد برنس الوقفة لكونها هناك جزء من النص السردية أو زمن الخطاب لا يقابل أي

(١) سماء قرية من بيتنا. ص: ٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٥٩.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٨١.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٨٩.

انقضاء أو انصرام في زمن القصة فإننا نحصل على الوقفة"^(١) فيتوقف السرد. ونوعها المعروف هو الوقفة الوصفية ويعبر عنه جيرالد برنس بتعبير موجز: "توقُّفٌ يفرضه الوصف"^(٢). تقدم وصفا لشخصية أو مكان أو شيء ما فلا يمضي الزمن السردى إلى الأمام بل يقدم وصفا ويسترسل فيه. وهذه المقاطع الوصفية تكون قليلة بالنسبة إلى حجم الرواية.^(٣)

الوقفة الوصفية عند بدرية البشر:

في رواية هند والعسكر يوجد وقفة وصفية حيث تصف الساردة منظرا داخليا للخيمة في بيت صديقتها شذا، وذلك خلال فقرة طويلة حيث يتوقف زمن السرد الحكائي بداية من: "دخلت وشذا إلى الخيمة، التفت جوانبها بقماش من الصوف الأحمر المقلّم السميك على مساحة مربعة من الدعائم الحديدية. تحترق في الموقد إخشاب السمر، وتنعكس ألسنة اللهب البرتقالية بصورة ساحرة على وجه إبريق "الستانلس ستيل" الفضّي المجاور للهب."^(٤)

وفي رواية الأرجوحة نجد تقنية الوقفة الوصفية لوصف ابتسامة سلطان العاجي وزمن السرد يتوقف كالتالي: "ربع ابتسامة فقط، لكنها كانت ربع جنة، من حقول الزهر والنعناع وبعض من مزيج هال وزعفران، ضُفرت كلها في باقة واحدة، وأهديت إليهن جميعا وتقاسمنها معا."^(٥) كما يتوقف الزمن السردى عند وصف أحوال الحديث الخيالية بين سلوى والغابة التي تمر منها للوصول إلى المطعم كالتالي: "لم تتعرف سلوى كيف تبدأ حديثا ثنائيا، بينها وبين غابة. كانت صحراؤها

(١) المصطلح السردى. ص: ١٦٩ - ١٧٠.

(٢) المرجع نفسه ٥٨.

(٣) ينظر: بناء الرواية، ص: ٩٢.

(٤) ينظر: هند والعسكر، ص: ١١٤.

(٥) الأرجوحة، ص: ٥٣.

القاحلة تتمدد في روحها فتشعر بأنها مجرد ناقة في قافلة طويلة تتبع الأثر المرسوم لها. يقودها السراب ويحدوها الأمل.^(١)

وأيضا نجد تقنية الوقفة الوصفية في رواية زائرات الخميس حيث تصف الساردة صورة الشاب التي تخرجها هيفاء من حقيبتها مع رسالة ورقية، تصف الساردة الشاب في الصورة من وجهة نظر مشاعل كالتالي: "شاب طويل ذو ذقن مشدّبة وأنف مستدق وعينان يعلوهما بعض الجحوظ."^(٢)

الوقفة الوصفية عند شهلا العجيلي:

في رواية عين الهر تصف ساردة بيت أيوبة وديكوره مستخدمة وقفة وصفية: "كانت غرفة ضيقة طويلة، مفروشة بالحصر والسجاد، مثل ما هو في صحن الجامع، تشكّل طرّاحات إسفنجية، ملبّسة بقماش جديد، المحيط المستطيل للغرفة، حوافها ملتصقة بالجدران، على شكل مدّ عربي، تفضل بينها مساند ملبّسة بالقماش ذاته. وعلى طاولة صغيرة، يوجد تلفزيون، وإلى جانبي على الطّراحة، ثمّة مجموعة كبيرة من السبح، ومجموعة خيوط، وخرز ملون، في صناديق كرتونية صغيرة."^(٣)

وفي رواية سماء قريبة من بيتنا تستخدم الساردة تقنية الوقفة الوصفية حيث يتوقف الزمن وهي تصف أجمل حي في حلب وحديقة عامة، كالتالي: "كان حيّ محطة بغداد من أجمل أحياء حلب الخمسينيّات، ثلاثة شوارع واسعة متوازية، يقطعها عرضيّ الشارع الذي يفصلها عن الحديقة العامة، التي يتوسطها تمثال أبي فراس الحمداني، وتنتشر في أرجائها نوافير المياه، وأشجار راسخة من صفصاف، وسرد، ودردار، وورود الجوريّ، والورد البلديّ بألوانه: الأحمر والأصفر والبنفسجيّ، ويتعالى الياسمين فوق الأسوار، بأبيضه، وأزرقه، وتمتدّ

(١) الأرجوحة ، ص: ٨٨.

(٢) زائرات الخميس، ص: ٤٨.

(٣) عين الهر، ص: ٢٦.

الرياحين على القضبان الحديدية التي وضعت لتسلكها تلك الخضرة اللانهائية، على مساحة ١٧ هكتارا. تصطف فيها مقاعد خشبية خضراء، وقد خصص قسم لألعاب الأطفال، وآخر يمنع فيه الضجيج منعاً باتاً، فيه أقفاص لطاويس، تفرش ذيولها للمتفرجين بين الفينة والأخرى، وتمتنع أحيانا من شدة الغي والدلال، في حين يمضي البجع في بحيرته المخصصة غير آبه حتى بالزرقة التي اعتاد أن يصبح ويمسي فيها، محاطا بتمائيل لأجساد صارت أليفة بحكم الزمن.^(١)

المشهد (تبطيء زمن الرواية)

المشهد هو "نوع من التكافؤ بين جزء من السرد وبين المسرود الذي يمثله"^(٢)، أي التأكيد على الحدث لحظة فلحظة والعناية بتفصيل الأفعال التي تصف رهنية الحدث بدلا من الأفعال ذات الزمن المستمر.^(٣) وهذا التأكيد يكون صعب المنال بطبيعة الرواية، ومن ثم يوجد نماذجها بالندرة ويوجد بشكل الحوار.

المشهد في روايات بدرية البشر:

ورد في رواية غراميات شارع الأعشى مشهد قدوم عزيزة إلى عيادة الطبيب أحمد ولقائها للممرضة كالتالي: "فتحت باب العيادة ودخلت وتبعتها. وطلبت منها شايًا."^(٤) فهنا الأحداث تساوي خطاب السرد تماما. وهذا التكافؤ يظهر بجلاء في خطاب الحوار الثنائي والجماعي حيث يوجد التكافؤ والتساوي بين الأحداث والحوار الذي يمثلهما. كما جاء في الحوار الجماعي التالي:

"قالت (أم سعود):

-صبحكن الله بالخير.

ردت جميع النساء على تحيتها بحماسة.

(١) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٣٨.

(٢) المصطلح السردى، ص: ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٣) المرجع نفسه، ص: ٢٠٤.

(٤) غراميات شارع الأعشى. ص: ٢٧٨.

قالت لها أم سعود:

-ورا ما جيتي تفطرين معنا يا وضحي؟ (لماذا لم تأتي لتفطري معنا؟)

-رحت أخلص أشغال لي في السوق.

سألتها الجالسة بجانب أم سعود:

-نجيب لك فطور؟ (نأتي لك بالفطور؟)

ردت وضحي.

-الله يكثر خيرك أبي قهوة وتمر. ^(١) (بارك الله في رزقك أي القهوة والتمر)

يدل المشهد وبطء زمانه على مزاج السارد أو الشخصية فهي تحكي الأحداث جملة جملة ولحظة لحظة كما يدل على الهدوء الذي يقطن قلب هذه الشخصية كالمشهد الصباحي التالي في رواية هند والعسكر والذي يقدم منظر إعداد القهوة مفصلاً.

"تطحن عموشة حبات القهوة قليلاً، تترك نصفها خشناً، تقذف بمقدار فنجان واحد في إبريق الماء، فتموج ماءه على نار هادئة، حتى يغلي ثم تضع مقدار نصف فنجان آخر من الهال المطحون في قلب القهوة التي تفور كروح عطشى للعناق، وهي تخطف قطع الهال الناعمة وتغمرها بالموج الأسمر، تلتهم موجاتها. تنتشر الرائحة الذكية للهل النائر لتعانق المكان، تتقلب القهوة مع الهال في موج فائر حتى الفيضان. لا تمنح عموشة القهوة فوراناً كاملاً، فحالما يكاد الفوران أن يكتمل، تزيح عموشة الدلة عن رأس اللهب فتستريح القهودة وتركد. تعيد عموشة كعب الدلة إلى رأس اللهب مرة أخرى، فتطيش القهوة بجنون آخر، يرفع الفوران قشور الهال اليابسة إلى أعلى في دورة جديدة، ثم يهبط، بعد ثلاث فورات لا أكثر تطفئ عموشة رأس الفرن، ثم تسحب الدلة من على سطح عين الفرن

(١) غراميات شارع الأعشى ، ص: ٢٦٤-٢٦٥.

الساخنة، تهدأ القهوة ثم تسكن دائخة وتسبح في شذا اعتصارها المكتمل. تنتشر رائحة الهال في رؤوسنا".^(١)

ولم تقدم الساردة هذا المشهد كوصفة طبخية عادية بل قدمتها بكل جماليات أدبية وصور بلاغية ولغة راقية ومشوقة. كما تدل هذه المراحل الدقيقة لصنع القهوة من الطحن والفوران والغليان على اللهب على مراحل حياة الساردة المضنية والتي تتم في تلخصها من حفرات المشاكل كالقهوة التي يتم إعدادها بأفضل شكل. في رواية هند والعسكر أيضا الكاتبة تختار تقنية المشهد حيث يقل عنها عبء كلمات معها أثناء الحوار الهاتفي بين شذا وهند، فتتكافؤ كلمات المسرودة بعملية سردها كالتالي: "قالت شذا:

- هل تمرّين قليلا؟

- حسنا، سأحضر قهوتي وأهبط إليكم.

- إذن، القهوة منك والشوكولاتة من عندنا.

- أنا أكره الشوكولاتة.

- خلاص نحضر لك تمرأيتها المرأة النجدية".^(٢)

وفي رواية زائرات الخميس ترد تقنية تبطيء السرد بالمشهد الحوارية كالحوار بين أم مشاعل وزوجها الثالث حول هروب مشاعل عن بيت زوجها الأول، وإذن المرأة عند الزواج. فيمر هذا المشهد في مسافة الصفحة التي تناسب هذا الكم من المكان.^(٣)

(١) هند والعسكر، ص: ٨-٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١١١.

(٣) ينظر: زائرات الخميس، ص: ٣٠.

المشهد في روايات شهلا العجيلي:

في رواية عين الهر تحكي أيوبة أحوال مجلس الذكر وتناسبها تقنية المشهد إذ تعبر عن تقاليدهم لحظة لحظة:

"كان الجلوس قد أخذهم الحال، يتميلون باستسلام، بعضهم يضرب يمناه بظاهر يسراه موقعا الأناشيد، وآخرون كانوا يميلون بجذوعهم إلى الأمام فالخلف، بحركة منتظمة موقعة أيضا، ورؤوس آخرين تترنج. وما هي إلا لحظات حتى قام أصحاب الأثواب الواسعة، دنو على التوالي من شيخهم، كأنهم يستأذنونهم، ثم توسطوا الجلسة ضامين أذرعهم متصالبة إلى صدورهم، راحوا يدورون على مهل أثوابهم العريضة، كانت تلتف متشنية على بعضها، فخشيت أن تعيق حركتهم. بعضهم تشتت دورانه، وآخر يبطئ، رؤوسهم مرفوعة إلى السماء، نظراتهم محلقة. خشيت أن يلمحوني، فأخذت حذري. الآن اشتد دورانهم جميعا، فانفرشت الأثواب إلى أقصى مدى كالياسمين، وعلى النشيد الراقص." (١)

وفي موضع آخر، "كان ثمة شيخ قدير يجلس في طرف الحوش، حيث نار أخرى مشتعلة، وحوله مجموعة من الرجال... كانوا جميعا يترنحون بحركة واحدة على إيقاع النشيد، ثم دعاهم شيخ ليقربوا أكثر من المصطبة ولينخرطوا في الصفوف، فلبّوا." (٢) كما تستخدم الساردة تقنية المشهد الحوارية كالتالي: "حتى الآن كنت صامتة، أرد على أسئلة المجاملة، وعبارات الترحيب فقط، وحينما التففن حولي، بدأ دوري: "فتحت العلب كلها، ومع كل علبة كنت أسمع شهقاتهن، وتعبيراتهن عن الإعجاب، ثم بدأن يتصايحن، ويتخاصمن:

-أريد هذا...

-لا، هذا لي...

أسكتتهن السيدة بصيحة ممطوطة، فتدخلت، وأمسكت علبة، وقدمتها لها:

(١) عين الهر، ص: ٩٦

(٢) المصدر نفسه، ص: ٩٤.

- ما رأيك بهذا الطقم؟ إنه من أجمل ما صمم، وهو أغلى هذه المجموعات على الإطلاق.

راحت المرأة تتفحصه بهدوء، ثم تنقل عينيها بين العلب الأخرى.^(١)

في رواية سماء قريبة من بيتنا تستخدم الساردة تقنية المشهد حيث تتابع الأحداث لحظة بلحظة كمشهد السهرات الثقافية في بيت بهجت بيك وأحوال ابنتها الصغيرة خلال السهرات كالتالي: "كانت الطفلة ذات السنوات الخمس تجلس مع أمها وإخوتها في الغرفة الصغيرة، المجاورة للصالة الرئيسة، تستمع لذلك الغناء، وكثيرا ما تنسرب من مكانها، وتقترب من الباب، أو تدخل لترقب المشهد، أو ترقص في مكان قصي من غير أن يأبه لوجودها أحد."^(٢)

كما تقدم الساردة جمان مشهد برنامج الرقص في استوديو هانية كما تجدها جمان، حيث تتكافؤ الأحداث بسرهما كالتالي: "بدأت فرقة مكونة من خمسة رجال وامرأتين، بالعزف على الغيتارات والساكس، والخشاخيش، وطبول صغيرة، وبدأ عالم السالسا يشرع أبوابه للراقصين، بإيقاعات مهجّنة بين إفريقية مغيّبة، ولاتينية مندفعه. كان استهلال هادئا بكلاسيك سالسا، وحركات الشائيات القليلة... إلخ."^(٣)

واستخدمت الساردة تقنية تبطيئ السرد عن طريق مشهد حوار طويل في عدة أماكن، كالمشهد الحوار بين جمان وناصر عن أيديولوجيتهما عن قضية الحرب والسلام والهجرة واللجوء؛ والمشهد الحوار بين جمان وهانية حول برامج سفرهما، وعن المرض والصحة؛ وكذلك مشهد حوار بين جمان وسلمى حول قصة سلمى في البحر وسفينة القراصنة.

(١) عين الهر، ص: ١٤٥.

(٢) سماء قريبة من بيتنا، ص: ١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٣٣.

في إحدى المشاهد الحوارية بين هانية وجمان عن تجربة العلاج الكيماوي وما تليها من مراحل العودة إلى الحياة الطبيعية، تقول هانية: "استعدت صحتي سريعاً، كل شيء عاد بحد آخر جرعة، لوئي، شعري الذي بدأ ينمو."^(١) وترغب جمان أن يكون مثل هذا الحوار طويلاً لأن هانية تأخذها إلى مسير الإيجابية تجاه التحسن والصحة، فتفكر: "هززت رأسي مع نصف ابتسامة، أطلب منها أن تزيد في الحديث، لقد كانت إيجابية، وكنت بحاجة لسماع الإيجابيين.

- هل أنت محبة أصلاً؟

- لا.

- هل سقط شعرك كله؟

- لا أعرف، حلقت قبل أن يسقط.

- لماذا تغطّيه؟ انزعيه، واجهي الظرف واستمتعي بالتحوّلات، اتركي مرضك في

عناية الشمس والريح، ذكرّي جسدك بالحياة، ليصلح الخلل الذي حدث فيه."^(٢)

فتتكون هذا المشهد الذي قام بتبطئة الزمن من خلال حوار ثنائي بين جمان وهانية، ومن خلال الحوار الأحادي وهي أفكار جمان في رأسها بين الجمل التي تلفظ بها هانية. وهذا ما يوجد في معجم المشاهد الحوارية في رواية سماء قريبة من بيتنا.

وأيضاً نجد في رواية سجاد عجمي تقنية تبطيء الزمن السردية بالمشهد في شكل الحوارات كالمشهد الطويل بين قائد الجيش سعد، والرجل المجنون حرز، وكان حرز يراقب حانوت ريا ويحافظ عليه كعادته وكان يحاول أن يمنع سعد من جولاته الكثيرة حول ريا وحنوتها، ويمثل هذا الحوار مشهداً طويلاً يزيد عن صفحتين.^(٣)

ثانياً: دراسة المكان في روايات الكاتبتين

المكان أو الحيز من عناصر الرواية، ولا يتجزأ عن بقية عناصر الرواية فكل شخصية وحدث يقع في مكان ما، فإن بناء الرواية يحتاج إلى مكان أو الأماكن

(١) سماء قريبة من بيتنا. ص: ٢٣٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٣٤.

(٣) ينظر: سجاد عجمي. ص: ١٠٧-١٠٩.

وهي: "التي تقدم فيها الوقائع والمواقف"^(١)، سواء أكان ذلك مكانا تخيليا أساسه عالم الرواية والخيال أم له جذور في عالمنا الحقيقي كمدينة الرياض وأسواقها وأحيائها وحتى ولو يتخير اسما حقيقيا للمكان"^(٢)

ويصف الروائي هذه الأماكن بأشكال وتعايير ورؤى مختلفة. فيشعر القارئ بكل ما يصف السارد منها سواء أكان ذلك مكانا أليفا أو موحشا، قرية أو مدينة، ذكرى عن المكان أو خيالا عن المكان، ذلك بالنسبة للمكان المعروف لدى القارئ. أما الأماكن التي تكون جديدة وغريبة لبعض القراء فهم أيضا يدركون ملامح هذه الأماكن من خلال وصفها.

غير أن كل مكان مذكور في العالم الروائي يتميز ببعض الخيالية الروائية رغم أنه قد يكون مكانا حقيقيا، كما تقول سيزا قاسم: "النص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة."^(٣) فيدركه القارئ بطريقة حسية عكس إدراك الزمان الذي يتم إدراكها بطريقة نفسية كونه حقيقة مجردة، فالمكان تعبير عن مجموعة من الأشياء الملموسة وليس حقيقة مجردة. فالمكان يرتبط بالأشياء والزمان يرتبط بالأفعال.^(٤)

الأماكن المفتوحة عند بدرية البشر

بدرية البشر من السعودية التي معظمها ممتدة على البراري فمن طبيعتها الحرية والانطلاق لذا تكثر من ذكر أماكن مفتوحة وقلما تصف الأماكن المغلقة فهي تمشي على طبيعتها الطليقة التي تحب الحياة في فضاء شاسع. فيما يلي نماذج للأماكن المفتوحة في رواياتها. وتحاول ككل روائي "رصد علاقة الإنسان بالمكان سواء أكان هذا

(١) المصطلح السردى، ص: ٢١٤.

(٢) ينظر: جماليات المكان في الرواية العربية المعاصرة: عمارة يعقوبيان نموذجاً، زينب فرغلي حافظ. مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم - جامعة المنيا، مصر، العدد ٢١، المجلد ٤، يناير ٢٠١٠. ص: ١٧٦٤.

(٣) بناء الرواية، ص: ١٠٤.

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ص: ١٠٦.

المكان حقيقيا أم خياليا والذي يعكس الارتباط والتفاعل بين الطرفين.^(١) وهذه العلاقات ستتجلى في الأماكن المفتوحة والمغلقة التالية.

المدينة:

في رواية الأرجوحة تصف شخصية مريم مدينة الرياض بالمقبرة لأن النساء هنا يلبسن العباءات السوداء وتوجد غبار كثير هنا، وتعلق الساردة: "كانت تظن أن الرياض، بضجرتها وقيودها وعباءاتها السوداء، تستحق وحدها ذلك اللقب. وعرفت أن الغبار ليس وحده ما يحول المدن إلى المقابر. هناك أشياء كثيرة تجعل الأوطان مقابر." ^(٢)

في موضع آخر عندما ضجرت أم مريم ابنتها بعد حادث هيئة الأمر بالمعروف، شعرت بضيق هذه المدينة بقيودها كالتالي: "شعرت بأن مدينة الرياض قد تحولت بأحجارها، وشوارعها وزبائها، وبيوتها، ومطاعمها إلى معتقل عائلي كبير، وعجينة واحدة من المحاذير، والوضاية، والتفاصيل، والرقابة." ^(٣)

وهذا القبح الذي تجده شخصية الرواية في المدينة وخاصة في مدينة البلاد العربية بينما تقدم الكاتبة مدينة جنيف وشوارعها بجمالها - كما سيأتي في موضوع الشوارع - وقد يرجع السبب في هذا إلى الفكرة الموجودة عند الكاتبة بأن "المدن الغربية أجمل من المدن العربية من حيث التخطيط العمراني، وجمال الطبيعة والميادين الفسيحة، وغيرها من وسائل الترفيه." ^(٤) كما تعلق الناقدة على سبب هذا الخلاف في الوصف للمدينتين عند الساردة: "لعله يرجع للقيود التي تفرضها الرياض مقابل التحرر في جنيف حيث كان هو المحرك الرئيس في رسم الصورتين المتناقضتين عن

(١) أنساق المدينة في الرواية العربية، حنان سالم المالكي. مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة الميناء،

المجلد ٤٥، العدد ٤، ٢٠٢٢، ص: ١٦٩٥.

(٢) الأرجوحة، ص: ٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٥.

(٤) المرجع السابق، ص: ٦٩٨.

المدينتين فالمدينة هي والمكان القبيح بينما جنيف هي مدينة الحرية هي الجنة هي المكان الجميل." (١)

الأسواق

تصف ساردة غراميات شارع الأعشى السوق من منظار عطوى وتدور كثير من أحداث هذه الرواية حول السوق لذا تقوم الكاتبة بوصف المكان بالتفصيل: "لا تعرف من هذه الحياة سوى السوق. وفي الطريق إليه تشاهد صبية ورجالا ونساء يذهبون إلى الحقول، وبعضهم يذهبون إلى الجبال لقص الحجارة وتشاهد عربة يجرها حمار، عليها عجائن الأعلاف والبرسيم الكبيرة، وتشاهد صبية السوق يضعون بضائعهم في مقدمة الدكاكين وعلى جوانبها، بينما يتوزع الصناعات في الطرقات المفتوحة." (٢)

الحارة

تصف ساردة رواية غراميات شارع الأعشى حارتها ببيوتها المتواضعة في سبعينات القرن الماضي وتربطها بأصل تراي وعراقة أهلها حيث تقول: "حارتنا لا تطل على نهر ولا شاطئ، بل على تراب الأزقة وبيوت طين يكسوها الجبس الأبيض، نوافذها الخشبية تنفتح على بطون مجالس الرجال، كاشفة عن مراوح كبيرة معلقة في السقف بثلاثة أجنحة." (٣)

ثم تصف الكاتبة هذه الحارتها في الصباح بقولها: "استيقظت حارتنا على شعاع شمس بيضاء دافئة، ببيوتها الطين تتمطى في جوف واد جف ماءه، يتمدد جنوبا، بينما تنهض ربوة ترايية غربا، مثل حدة عملاق يحملها فوق ظهره، حجباً أن الشارع الطويل والحياة القائمة خلفه." (٤) كما يقول الناقد: "المكان في الرواية هو المسرح الذي تجري

(١) أنساق المدينة في الرواية العربية، ص: ٧٠١.

(٢) غراميات شارع الأعشى، ص: ٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٥.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٤.

عليه أحداث الرواية وتأخذ شخصياتها منحاسها فيه، وثمة علاقة واضحة بين الشخصية والمكان.^(١)

الشوارع

إن الشارع رمز أساسي لمدينة ما ويقال بأن "الشارع صحراء المدينة وجزؤها الزمني، وحياتها الدائبة المتحركة، ولولب بعدها الحضاري، لامتداده".^(٢)

تقدم ساردة رواية غراميات شارع الأعشى ملامح شارع يقع عندها بيت الساردة وخصصت الكاتبة عنوان هذه الرواية في شارع الأعشى، حيث تشير الكاتبة إلى أن هذا الشارع منسوب إلى الشاعر الجاهلي أعشى قيس، وتذكر أنه ولد وعاش ومات هنا. ومن ثم خصصت شطرا من الفصل الثاني لوصف هذا المكان حيث تصف بناء هذه البيوت من الخارج كما تقول: "تتشابك البيوت في سلسلة طويلة يتصل بعضها ببعض مثل رفاق يتشاركون سرا، أو مثل أكتاف رجال تتراص في رقصة العرضة النجدية".^(٣)

كما تصف الساردة عزيزة مكان الحفل في شارعها حيث تقول: "في المقدمة حتى بيت جيراننا الذين شدوا عقدين من الأضواء في الشارع تمتد من بيتهم حتى البيت المقابل لهم. دخلنا فوجدنا صفوفًا من النساء لا يشبهننا...جلست العروس وسط صفوف النساء في غرفة الجلوس، وتحلقت وسط الغرفة فرقة نساء يحملن دفوفًا وطبولا يطرقن جلدًا المشدود، وترقص الفتيات على أنغامها".^(٤)

وتصف ساردة رواية الهند المعسكرشوارع رياض في أوضاع مختلفة كوصفها لها في يوم ماطر ويوم لهيب صيفي، كما تصف هذه الشوارع في الليالي المضاءة بالأنوار والمصاييح المحيطة بالفراشات.^(٥) وكل هذه الأوصاف المتنوعة لنفس الشوارع توحى

(١) سيرة المكان في الرواية السعودية، عبد الله ناصر العنزي، مبادرة المنور للأبحاث الثقافية، الطبعة الأولى ٢٠٢٢. ص: ٣.

(٢) الرواية والمكان، ياسين النصير. وزارة الثقافة والإعلام، بغداد. الطبعة الأولى: ١٩٨٦ م. ص: ١١٤.

(٣) غراميات شارع الأعشى. ص: ١٤-١٥.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٥٦.

(٥) هند والعسكر، ص: ١٢٣.

بمشاعر الساردة التي سيأتي ذكرها في موضوع دلالة وصف المكان على حالة نفسية في الصفحات القادمة. فكما يقول الناقد عن بدرية البشر بأنها تقدم الجانب الاجتماعي والمكاني للرياض في زمن ما قبل الظفرة وأثناء الطفرة.^(١)

وفي رواية الأرجوحة تصف مريم شوارع مدينة جنيف وهي تتجول فيها عبر الحافلة، وتعتبر الحافلة بجانب نهر (الرون) وسط المدينة، وترى أن الشوارع هنا سميت بأسماء الأدباء والفلاسفة من هذه المدينة "مثل شارع روسو، وغوستاف يونغ"^(٢) وأيضا تلاحظ بعض الفنادق الكبيرة على الشوارع مثل: الانتركونتننتال، ونوغاهلتون، والبوريفاج، والرئيس ولسن، والبرينسويك المعلم التاريخي.^(٣)

البساتين

تؤدي بساتين قرية العطوى دورا حاسما في حياة عطوى وهروبها من استبداد زوج والدتها المستمر لسنوات، فهي بساتين الكروم التي تساعد عطوى في الاختفاء لا سيما في الليل. تصف الساردة مشهد هروبها واختفاءها في هذه البساتين كما يلي: "قفزت عطوى جدارا قصيرا إلى بستان كبير، وركضت حتى وصلت إلى آخر عريشة عنب فيه، زحفت تحتها وقلبها يدق وأنفاسها تلهث. جلست في وسطها طوال الليل تفكر. كل ما عرفته عطوى من هذه الدنيا خمسة بساتين منتشرة في قريتها ودروبها الضيقة التي تنفرج بعضها عن عرائش العنب وأشجار الرمان الصغيرة."^(٤)

في رواية الأرجوحة نجد وصف البساتين خارج قصر حيث تمشي عتاب مع عبد الله في الليل ويشعران بأن الرياح الباردة تهب وتجعل الجو جميلا برياح الأزهار الجميلة والقصر حولهم مضاء بالأضواء، كالتالي: "أخذنا يمشيان في جنبات القصر المنارة بالأضواء. انتقلنا إلى الحديقة حيث ينفث النسيم رائحة ملكة الليل في وجهيهما. كانت أصص الورد الملون تنتظم في طريق طويل ينتهي ببوابة القصر. وعلى جانب

(١) سيرة المكان في الرواية السعودية، ص: ١٠.

(٢) الأرجوحة، ص: ٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٠.

(٤) غراميات شارع الأعشى، ص: ٨٧.

الفناء بيوت مطوقة بالقرميد الأحمر مثل قبعة سيدة جميلة تتألق لسهرة المساء في فيلم أجنبي.^(١)

البر

ورغم أن البر والصحاري لها وجود مكاني كبير في السعودية لكنها لا تجد مساحة روائي وحضور سردي بكشل ملحوظ كما كان في الشعر العربي القديم.^(٢) لكننا نجد بأن بدرية البشر تناولت في رواية هند والعسكر مشهدا بریا واسعا بلا حدود كالتالي: "ظهر أمامي مدى واسع حيث لا سقف للعينين، تنطلق نظراتنا بلا حدود، السماء والجبال البعيدة حدود لا نهائية، خير الماء من مطر الباردة ينساب تحت أقدامنا على الأرض الصخرية. صوت الماء أعلى من كل صوت، جسور مثل رجل يتجول في بيته، يتباهى بسطوته، وكأن غروره لن يحف يوما، كالأرض الرطبة، تتبعه بفرح طفلة تلعب، ولا تخاف من سطوع الشمس في الغد.^(٣) هذا المشهد أيضا رمزي مرتبط بمشاعر الساردة التي طالما تمتتها إذ كانت مع صديقها الذي أحبته، وتجاوزت معه الحدود الشرعية بكمال متعة وبلا خوف.

جامعة البنات

في رواية زائرات الخميس تصف الساردة جامعة البنات فهي جامعة كبيرة وتخلو عن الرجال سواء أكانوا أساتذة أم موظفي النظافة. وتوصلهن الحافلات والسيارات عند بوابة الجامعة. وعندما تضطر الجامعة إلى الأساتذة الرجال، يذهبون مباشرة إلى مبنى الإعلام، وهناك يحاضرون بالتسجيل، وتسمع البنات عن طريق شاشة التلفاز. وأما موظفوا النظافة وينظفون المباني بعد انتهاء دوام يوم دراسي.^(٤) هكذا تصف الكاتبة بأن بوابات الجامعة والممرات تحمل لافتات مفادها حجاب المرأة المسلمة، بالصورة الخيالية ترسم العبارة السوداء والحجاب الطويل

(١) الأرجوحة، ص: ١٣٥.

(٢) ينظر: الرواية والمكان، ص: ١١٨.

(٣) هند والعسكر، ص: ١٩٠.

(٤) ينظر: زائرات الخميس، ص: ١٧٠-١٧١.

يصل إلى الصدر، والقفازين والجوارب. ولكن توجد بعض البنات في حجابات أخرى أيضا.^(١) وكل هذه البيئة ترسم صورة جامعة أليفة إلى البنات، وأسرهن أيضا ترتاح إلى هذا المكان لأجل بناتهم.

الأمكن المعلقة عند بدرية البشر

البيوت

تركز الكاتبة على وصف البيت ومواضيعها المختلفة ببعض التفاصيل المفيدة في فهم وتشويق سرد الأحداث مثل المطبخ وغرفة الجلوس والسطح حيث تبدأ رواية غراميات شارع الأعشى بتقديم وصف سطح البيت في مشهد ليلي إذ تفرش الساردة الفرش بعد المغرب وترش على أرضية السطح بالماء وأيضا تقدم أجزاء مختلفة على السطح حيث تكون فرش الأبوين في مكان عال ثم يأتي مكان فرش البنات وفي زاوية أخرى فرش الولدين فواز وإبراهيم.^(٢) كما تصف مجلس رجال في بيت الساردة عزيزة، لأنه يتميز هذا المجلس برفوف الكتب المعلقة على جدرانها، وتنبعث منها شذا كتب الأحاديث والفقه والتاريخ والأدب.^(٣) مما يدل على ثقافة هذه الأسرة وولعها بالكتابة والقراءة.

(١) ينظر: زائرات الخميس، ص: ١٦٩-١٧٠.

(٢) ينظر: غراميات شارع الأعشى، ص: ٤-٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٦.

المسجد

في رواية زائرات الخميس وصفت الكاتبة المسجد حيث تذهب مشاعل لصلاة التراويح، تقع هذا المسجد في حي بعيد عن بيت أمها. تصلي بضعة أيام من رمضان في مسجد قريب من بينها حيث ترافقها نساء أمسيات الخميس وبناتها الثرثارات فما كانت تشعر بروح ليالي البركة، فقررت أن تذهب بالسيارة إلى مسجد بعيد والإمام هنا يتلو بشكل رائع يؤثر في قلبها صوت تلاوة القرآن.^(١)

فتصف الساردة قسم النساء من هذا المسجد من خلال رؤية مشاعل: "دلفت فناء خلفيا مخصصا للنساء؛ ساحة مسيجة بأخشاب يدخل إليها هواء مكيف المسجد من سقف جانبي. تنطفئ بقعة المكان بسوادٍ حالك. عباءات المصليات فوق رؤوسهن ووجوههن بالكاد ترى. الضوء الشاحب يرسم ظلالا على الوجوه فتبدو مثل أقنعة قائمة." ^(٢) فهذا المكان بما فيه من الأجواء والنساء يشعر مشاعل بالأنس والسكينة كأنها في بيتها.

المصلى

ذكر الكاتبة بدرية بشر المصلى الموجود في جامعة البنات حيث تدرس مشاعل، وهنا تقع أحداث هامة من هذه الفترة من حياتها وتتعرف على بنات المصلى اللاتي يساعدها في فهم الدين ويتابعن معا دروسا دينية تلقوها الأخت مها. فوصفتها الكاتبة بالتفصيل حيث دخلت مشاعل في المصلى لأول مرة: "دخلت فوجدت غرفة مربعة مفروشة بسجاجيد حمراء مستطيلة مخططة بأقواس تمتد على طولها، ويعلو كل قوس عمودان، فعرفت أنها سجاجيد صلاة تُفرش عادةً في المساجد. يستند إلى الجدار دولا ب ذو ثلاثة أرفف، صُفّ فوقه عدد من المصاحف وبعض المنشورات. كانت هناك فتاة تصلي الظهر." ^(٣) ثم أيضا تشير الكاتبة إلى شعور مشاعل بالدخول إلى هذا المكان كأنها وجدته مكانا أليفا

(١) ينظر: زائرات الخميس. ص: ١٧٩-١٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٥٩.

كالتالي: "شعرتُ بحوافّ قلبها تنفتح، فالمكان أشاع في نفسها ألفة وسكينة. هذا المكان بيتها.^(١) فوصف المكان هنا يؤدي دورا نفسيا بالطبع ويصبح رمزا "بدلالته المكثفة من خلال تقديمه بوصفه مصدرا للأمن والراحة النفسية، ومبعثا لطمأنينة الشخصيات الروائية."^(٢)

الخيمة

إن الخيمة رمز الحياة الصحراوية، ومن ميزة الخيمة أنها تتشكل وتتجدد حسب حاجة الناس إليها.^(٣) ولا تكون الخيمة الآن فقط حاجة العيش للفقراء بل يضعها الناس الأثرياء مع كل رخاء وترفيه وأثاث لقضاء وقت جميل في حدائق بيوتهم أو في بيت مزرعهم، كما تصف ساردة رواية هند والعسكر دواخل خيمة وتير القارئ بحياة البادية الطبيعية عند الأغنياء وثقافتها كالتالي:

"دخلتُ وشذا إلى الخيمة، التفت جوانبها بقماش من الصوف الأحمر المقلّم السميك على مساحة مربعة من الدعائم الحديدية. رائحة الصوف القوية تنبعث في المكان بسبب رشّ المطر الخفيف. رتبت الخيمة من الداخل بزينة بدوية جميلة والأنوار تتوزّع على جوانبها. داخل سُرج قديمة وعلي جدار الخيمة خنجر مذهّب وبنديّة صيد قديمة، وفي الركن موقد للنار صُفّت أباريق الشاي ودلال القهوة القديمة علي رفوفه الخشبية، بينما يتدلّى علي جدار آخر جلد ماعز مدبوغ، وعلى الأرض أرائك ووسائد ملوّنة بقماش السدر الأحمر المقلّم بالأسود، تحترق في الموقد أخشاب السمر، وتنعكس ألسنة اللهب البرتقالية بصورة ساحرة على وجه إبريق "الستانلس ستيل" الفضّي المجاور للهب."^(٤)

(١) زائرات الخميس ، ص: ١٥٩ .

(٢) جماليات المكان في الرواية السعودية، حمد البليهد. دار الكفاح للنشر والتوزيع الدمام. الطبعة الأولى ١٤٨٩،

ص: ١١٩ .

(٣) ينظر: الرواية والمكان. ص: ١٦٨ .

(٤) هند والعسكر، ص: ١١٤ .

الشاحنة

ذكرت ساردة رواية غراميات شارع الأعشى وصف صندوق الشاحنة الذي سافرت عطوى فيه من قريتها إلى الرياض، تعبر الساردة عن طريق وصف هذا المكان مشاعر العطوى المختنقة كما يلي:

"وجدت نفسها فوق سطح لوح خشبي طويل يفصل صندوق الشاحنة إلى قسمين. يقبع أسفله قطيع من الماعز، بينما جلست النساء والأطفال فوق اللوح في النصف المكشوف للهواء بصحبة حقائب من جلد وصناديق من حديد، يسندون ظهورهم على مكعبات القش اليابسة والأعلاف الطرية."^(١)

وتقول في مكان آخر حول هذه الرحلة كالتالي: "أخذت الشاحنة تتهز وهي تعبر ربوة من التراب ثم تتهاذى في طريق ممهد من الحصى، سمعت صوته تحت عجلات السيارة ثم هبطت تطوي طريقاً أسود طويلاً. شعرت عطوى بتيار هواء بارد يلفح وجهها."^(٢) هنا رغم جوع شديد وبرد قارس داخل صندوق مظلم شعرت عطوى ببعض من الدفء والأنس بوجود كثرة النساء والأولاد معها داخل الصندوق.

المطار

في رواية الهند والعسكر تصف الساردة مطار الرياض الدولي بخليط من مشاعرها وحماسها لهذه الرحلة كأنها رحلة عجائبية تخرجها في مكوك خيالي من حفرات واقع الرياض كالتالي:

"الطائرات المنطلقة نحو مسارات عالمية تنشر أجنتها لتأخذ المسافرين إلى كل مكان. بين المطار والرياض مسافة ضوئية مختلفة. في المطار أصبحت في منطقة وسطى بين الرياض والعالم، لم أعد محشورة في عباءة الرياض السوداء، ولا في شوارعها، أصبحت في مدار فضائي يقلص الزمن، سكانه يتعاملون مع أجهزة تكنولوجية دقيقة من الأشعة و"الليزر" وشاشات الكمبيوتر وأجهزة اللاسلكي.

(١) غراميات شارع الأعشى، ص: ٨٩-٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٨٣.

كل شيء خاضع للدقة، لا مجال للامبالاة أو الكسل.^(١) ثم تعود الساردة إلى عالم واقعي على المطار: "برودة صالة المطار المهيبة نفثت هواءها في وجهي، أيقظتني من جولتي المكوكية، انبعث في قلبي شعور جديد بالحياة."^(٢) وهكذا في رواية الأرجوحة تصف الساردة مطار الرياض الدولي عندما تغادره مريم إلى جنيف كالتالي: "قبل أن ترتفع الطائرة في السماء، كانت الأنوار الخافتة للمطار تكافح طبقات التراب المنتشرة في الهواء. في التاسعة مساء شق هدير محركات الطائرة يرتفع شيئاً فشيئاً، بينما تحتفي الرياض تحت سحابة صفراء ويختفي معها كل شيء."^(٣) وفي نهاية الرواية تصف مريم مطار جنيف كالتالي وهي تعود إلى الرياض: "استقبلت مريم روائح المطار التي هبت للقائها منذ أن دخلت. رائحة القهوة، ورائحة الخبز والكعك، تفوح من واجهات المحال."^(٤)

المطعم

في رواية الأرجوحة تلقي الكاتبة ضوءاً على وصف المطعم من منظار سلوى حيث تذهب سلوى لأجل اللقاء بسلطان العاجي في جنيف وهذا المطعم دافئ وصغير كالتالي: "عند مطعم مرسوم على مدخله صورة ماعز، تطل بعينين دافئتين على الطريق، (لا شيفغيت) أو ماعز. دخلت سلوى المطعم، فاستقبلتها مدافئ النار المشتعلة، ورائحة جبنة الماعز القوية، وصليل النار في المدفأة التي أضاءت جوانب غرفة كبيرة، كانت هي المطعم كله تقريباً."^(٥) وكأن هذا المكان تصفها الساردة من خيال سلوى وهي تدخل في المطعم وتلاحظ ديكوره وتجده مكاناً أليفاً.

(١) هند والعسكر، ص: ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٠٣.

(٣) الأرجوحة. ص: ٧.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٥٦.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٩٥-٩٦.

الأمّاكن المفتوحة عند شمال العجيلي:

الشوارع:

في رواية سماء قريية من بيتنا تقدم الساردة موقع منزل بهجت بيك في عمان، وهنا تقدم تفاصيل شوارع مدينة عمان كالتالي:

"كان بهجت بيك، تحسبا للقادمات من الأيام، قد اشترى منزلا واسعا منفردا عن يقية المنازل، في شارع شقّ حديثا، يربط بين "المهاجرين" و"الصالحية"، الحيين الدمشقيين العتيقين، ويقع هذا الشارع تحديدا في حيّ "أبو رمانة"، على مقربة من ضريح الولي الصالح المجهول، والذي ظلّته منذ أمد بعيد شجرة رمان^(١).

المدينة:

تحب الساردة مدينة حلب والمدينة المجاورة وهما بالنسبة لها مكانان أليفان، تريد أن تعيش في الأولى، وتريد أن تدفن في الأخرى حيث مقبرة أسرتها: "حلب ليست مدينتي، مدينتي تبعد عنها حوالي مئتي كيلومتر شرقا، مدينة كانت وما تزال غافية على شاطئ نهر. وعلى الرغم من أن حلب هي المدينة التي أحب أن أعيش فيها، فإن مدينتي هي المكان الذي أحب أن أموت فيه، فأدفن في المقبرة ذاتها التي تضمّ جثامين الأجداد، المقبرة ذاتها التي كثيرا ما ندبنا فيها أهلا وأحبة، المكان ذاته الذي طالما لمحت فيه النساء يرتدين عباءاتهن السود، يحفرن بين القبور، ويدفنّ حجباً، وقاذورات، وتمايم تثبّت السحر، نعم، مدينتي مجبولة بالسحر، والحب، والضعينة!"^(٢)

في موضع آخر تقدم الساردة مقارنة بين مدينة عمان وحلب كالتالي: لا يمكن للمرء أن يتجول، ولو بسيارته، في عمان، في هذا الوقت المتأخر، فعمان مدينة تنام باكرا، وتستيقظ باكرا، ليست مثل حلب، نؤوم الضحى، التي يكاد البطر يصرعها!"^(٣)

(١) سماء قريية من بيتنا، ص: ١١.

(٢) عين الهر، ص: ٣٠-٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٤٢.

في موضع آخر تحول الساردة في مدينة حلب بحثا عن المرأة أيوبة في جامع العادلية كالتالي: "سلكت الطريق التي أعرف، إذ التففت خلف "خان الشونة" الأثري، ودخلت في المفرق الذي يؤدي إلى كنيسة الشيباني، وقبل أن أنعطف يسرة، واجهني الباب الخلفي لجامع العادلية."^(١)

الدمار في المدينة:

تصور شهلا العجيلي المدينة المدمرة على أيدي أطراف الحرب وكيف تنتشر الأشلاء في كل مكان: "كلما نشطت الدعاية عن المواجهات الأخيرة بين قوات سورية الديمقراطية (قسد) وبين عناصر الدولة الإسلامية (داعش)، زادت ضراوة قصف التاتو على أحياء المدينة التي صارت خرائب دامية. جثث لأشخاص نعرفهم مرمية في الشوارع، ستأتي بعد قليل الكلاب الجائعة لتنهشها، وعائلات بأسرها تركت تحت الأنقاض وقد غادرها أقرب الناس إليها لاستحالة انتشالها."^(٢) في موضع آخر، شبهت الكاتبة المدينة بالجثمان المتهالك: "لم يودع أحد المدينة أو يلقي نظرة أخيرة على جثمانها المتهالك."^(٣)

في موضع آخر تقدم الكاتبة مشهد أشد دمار الرقة أثناء رحلة المشي للمغادرة: "كنا على الطريق المعبدة الواسعة عند المركز الثقافي والتي امتلأت بالحفر، والردم، وبأشجار مقطوعة وملقاة على الجانبين. البلد مثل عرض تهاوي، بل مثلما وصفت الكتب إرم ذات العماد بعد الصرخة، ومثلما كتب عن ديار سدوم وعامورة بعد أن جاءهم الصبح. لم أعرف الرقة ولم يخطر في بالي يوما أنها ستؤول إلى هذا الحرب!"^(٤) في رواية سماء قريبة من بيتنا تقدم الساردة وصف قلب مدينة حلب بتحديد الجغرافيا من جميع الجهات حول "أوتيل بارون" وتسترسل في أفكارها وذكراياتها

(١) عين الحر ، ص: ٢٣.

(٢) صيف مع العدو. ص: ٢٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢١٤.

(٤) المصدر نفسه ، ص: ٢١٥.

وهذا الاسترسال يبلغ إلى مساحة أربع صفحات، وذلك يدل على حنينها لمدينتها فهي الآن في مدينة عمّان، إذ تقول:

"مبنى صغير في قلب مدينة حلب، وفي الشارع الذي سمي منذ العام ١٩٤٦ باسمه "شارع بارون" تقديرا للدور الوطني الذي لعبه الفندق في مرحلة الاستعمار الفرنسي، إلى شرقه يقع حيّ العزيزية الشهير، معقل البورجوازية الكبيرة، المسيحية تحديدا، حيث تتناثر على الأرصفة مقاهٍ لمطاعم أنيقة: وانيس، والشلال، وقرطبة، وأمامها جزر من الشجيرات الخضراء والورود التي زرعت في مجرى نهر "قُويق" بعد أن تم ردمه حين تكاثرت فيه الحشرات، مهددة بانتشار وباء... إلى جنوب أوتيل بارون، تنتصب ساعة باب الفرج، واحدة من معالم المدينة التاريخية، إذ يُقال لشهرتها: فلان لا يعرف حلب إلا من باب الفرج، وذلك على الرغم من أبواب المدينة الستة الأخرى المتبقية. أمام الساعة ينتصب مبنى المكتبة الوطنية محجّا لمحبي القراءة والبحث والمسرح والفنون، وبين الأوتيل وساحة باب الفرج، شوارع ضيقة متوازية، يطلق على المنطقة التي تمتدّ بينها اسم "بستان كلّ آب" حيث ينتشر بائعو قطع تبديل السيارات والآليات الزراعية... إذا جلس المرء على تراس الأوتيل، سيقابله على الرصيف الآخر، فرع اتحاد الكتاب العرب، الشقة العفيفة، التي دارت فيها محاضرات وأمسيات أدبية طالما أنقذتنا من رتابة الأكاديمية وفي الشارع المجاور تقف سينما الكندي." (١)

وفي رواية سجاد عجمي تقدم الساردة جمال مدينة الرقة وبنائها من خلال نظرة القادة الثلاثة كالتالي: "حينما أقبل القادة الثلاثة من علّ، وجدوا مدينة من الطين المخبوز، تظلل خضرة وارفة من الزيتون، والخور، والصفصاف. البيوت الواطئة تتباعد، لتفسح مجالا لجنائن صغيرة ترتاح بينها، والبيوت في الأعلى تتلاصق، وكأن بعضا يمسك بعضا خيفة السقوط، تتدلى من الأسوار والشرفات أغصان منقوشة بالليلك الذي قيل إنه لا ييش إلا هنا، حيث تصل دروب المدينة كلها إلى الفرات." (٢)

(١) ينظر: سماء قريبة من بيتنا. ص: ٢٢-٢٤.

(٢) سجاد عجمي، ص: ٧-٨.

في الجانب الآخر، تقدم الساردة وجهة نظر جارية لبانة "ريحانة" تجاه مدينة الرقة وهي تمر من أيام الحروب والفساد فالأمن الذي كان يميز رقة عن البلاد الأخرى زال ولم يبق أي جمال لريحانة في هذه المدينة وهي لم تشعر بالانتماء إلى هذه المدينة قط: "في هذه الألوان الذي يعيش الخلق فيه على شفا جرفٍ هارٍ، أيقنت ريحانة أن كل ما كان يشدّها إلى هذا المكان وأهله ليس إلا وهما، فلا ملك لها هنا، ولا إرث، ولا حتى قبورا لأسلاف، بل إنها لم تحبّ هذا المكان إلا لأنها لم تعش في سواه، لكنها عرفت أماكن أخرى، بل تاقت إلى رؤيتها، مما سمعت من حكايات التجار، والصيادين، والحجاج، والعابرين الذين التقتهم." (١)

كما تصف ساردة سجاد عجمي مدينة الرصافة بالإشارة إلى تاريخ هذا المكان الحافل بالشعوب الرومانية وبني أمية حيث يهاجر الناس من رقة إلى هنا إثر الفساد والدمار في رقة: "تحملت أكثر الأسر الرقية نحو مرابعها في الرصافة، فساق الناس حلالهم من غنم، ونوق، وخيل، وحطّوا هناك، عند أطراف البادية، حيث تقابلهم المدينة الرخامية المهيبة، بأعمدتها الرومانية، وكاتدرائيتها، وديرها، والتي ما يزال صخب مجالس بني أمية يتردد بين حجارتها." (٢)

في رواية الصيف مع العدو أيضا قدمت الكاتبة بيوت مدينة الرقة المتلاصقة منا وجدنا في رواية سجاد عجمي قبل الفقرات، تقدم هنا صورة الأحياء القديمة المتهالكة كالتالي: "يضمّ السور القديم للرقة بيوتا لا تنتهي حكاياتها. بيوت يسند بعضها بعضا. تعلوها طوابق، وتعلو الطوابق غرف صغيرة على الأسطح معمرة بطريقة عشوائية، تشعرك بأنها آيلة للسقوط، وهي غالبا غير مرخصة، ولا آمنة لكنها واقفة." (٣)

ثم تضيف الكاتبة الاختلاف في هذه البيوت والتنوع فيها كالتالي: "تجد بيتا بسقف من (العمد) أي جذوع الشجر المتعامدة، إلى جانب بيت من الطوب،

(١) سجاد عجمي ، ص: ٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٧١.

(٣) صيف مع العدو، ص: ١٨٣.

وآخر من الإسمنت المسلّح. تشكيل لا يمكن لأعتى المعمارين أن يصممه، وأشبه ما يكون بحّي إيطاليّ في روما القرون الوسطى.^(١)

الجسر

في رواية الصيف مع العدو تعبر الكاتبة عن وصف الجسرين الموازيين فوق الفرات في الرقة الذي يربط بين المدينة والريف وتاريخ هذين الجسرين، والواحد منهما أسس في ١٩٤٢ على يد الإنجليز بينما تم بناء الجسر الجديد من قبل الحكومة السورية في العام ١٩٦٦. ثم تعبر الكاتبة عن عمارة هذين الجسرين من النساء والغسيل، وعمران السكارى والمقهورين والمحرومين الذين يعمرّون هذا المكان.^(٢) ثم تقدم تأثير الحرب وقصف من قوات التحالف على هذا المكان وتاريخه الحافل بالعمران أثناء هجرتهم من الرقة كالتالي: "حين خرجنا من الرقة لم يكن ثمة جسر، فكل من طيران التحالف وداعش، وما دار بينهما من مناورات، أحرق الجسور إلى المدينة التي عادت إلى زمن سفن الأربعينيات."^(٣)

ثم تعبر عن تأسفها على فقدان هذا المكان وما يحرم الناس من التقاليد الملتصقة بهذا المكان: "ومن الآن، وحتى إشعار آخر لن يقف الحجيج إلى بيت الله ملوّحين تلويحة الوداع لمشيّعهم، ولن يكون تحت الجسر أو فوقه متّسع لمواعيد العشّاق. العرائس أيضا سيحرمن من الدورة التقليدية التي عرفتتها من قبل أمهاتهنّ وجدّاتهنّ قبل انتقالهنّ إلى بيوتهنّ الجديدة، إذ لا بدّ لكلّ بنت من أن تمرّ فوق جسر الفرات لتصير امرأة، وأكثر من ذلك، كما تقول الحكايات، إن المرء يبرأ من السحر الذي يمكن أن يكون قد سوّاه له أحدهم، بمجرد عبوره الجسر متّجهاً خارج المدينة."^(٤)

(١) صيف مع العدو ، ص: ١٨٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٨٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٨٥.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٨٥ - ١٨٦.

الشاطئ

كما تصف ساردة رواية سماء قريبة من بيتنا شاطئ بلدة بورتوفينو في إيطاليا
كما وجدتها كالتالي:

"في شمال إيطاليا تقع مدينة جنوا وفي جنوب جنوا تستلقي بلدة صغيرة
باطمئنان على ذراع البحر، اسمها بوتوفينو، لعلها أجمل مكان في العالم! تلال
تغطيها الخضرة، تحمل شجر الزيتون والكروم، وتتناثر على سفوحها قصور يعود
بعضها إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر، والتي امتلكها نبلاء أوربة، وقد
تحوّلت جلها إلى أوتيلات صغيرة، تستقبل السيّاح من مختلف أصقاع الدنيا. تطلّ
القصور على خليج فيروزي وادع، يحتضن عشرات المراكب الصغيرة الأنيقة، والتي
تعود إلى الصيادين من أهل بورتوفينو... وتتهادى إلى جانبها يخوت مهيبّة لأثرياء
أوربة والعرب. وعلى الشاطئ الذهبي الذي لا تفصله عن القصور سوى أمتار
قليلة، تنتشر أجمل الأجساد الملونة والعارية في أناقة استثنائية، لا تتوافر عليها لا
شواطئ (كان) ولا (أكوبولكو)، ولا (المالديف)".^(١)

ثم تصف نفس الشاطئ كالتالي: "فذكرياتي الأجمل كانت على ذلك الشاطئ،
أستقلّ قوارب الصيادين، أشوي المحار وأقشّره كما يفعلون، ألقى بجسدي الصغير
في تلك المياه الشهية وأصابني تبحر عن حبال تمدّها الشمس، لتتسلّقها نحو
الأفق".^(٢)

في رواية سجاد عجمي تصف الساردة شاطئ "حويجة مارية" على الفرات
حيث يوجد مصيف صغير من ملك مالك وعاصم لا يأتيه الغرباء، تذهب البنات
هناك ويسبحن ويغسلن الملابس ويشوين الطعام ويمرحن. فتصف الساردة هذا
الشاطئ كالتالي: "في (حويجة مارية) كانت زرقة الفرات وصفاءه، يغريان الأجساد
بالارتقاء في أحضانه، فالوصول إلى الضفة الأخرى، حيث الخضرة اليانعة تلتقي

(١) سماء قريبة من بيتنا، ص: ١٦٨-١٦٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٧٠.

بصفحة سماء نقيّة تضيئها شمس أشبه ما تكون بمسكوكة ذهبية عزمت على ألا تفارق مكانها أبداً.^(١)

الباحة:

وهو المكان الأليف الأوحّد الذي يث الحياة في يوميات وليالي أيوبة الروتينية، وهو الباحة الواسعة للبين المجاور لها، وحسب ظن أيوبة كان ذلك مكاناً مهجوراً لكن ذات ليلة تجلبها الأصوات الشجية فتقول الساردة:

"اقتربت من مصدر الصوت حتى وصلت الجدار الواطئ للسطح الذي يطلّ على المكان المقصود. كانت باحة واسعة للمنزل المجاور، وقد ظننته كلّ هذه الفترة مهجوراً!

الزروع الخضراء تغطّي الجدران، ورائحة الخضرة المسقية توّاً تملأ أنفي، ممتزجة برائحة الماء والغبار. بركة تتوسط المكان، ثملاً على مهل، ثمة مجموعة من الرجال ترشّ الأرض، وتمدّ البسط، وتعدّ بنشاط جلسة ما، كأن المكان قد دبّت فيه الحياة توّاً!"^(٢)

القلعة:

تصف الساردة مشهد القلعة في حلب، وكل كلمة من وصفها يدل على حينها لحلب كالتالي: "صعدنا إلى مدرّج القلعة، في مساء من مساءات صيف تموز الحلبّي، المرهف، بهوائه الرزين، وسمائه المضاءة بنجوم واثقة، وقمر يعلن وضوحه، مثل كلّ شيء في حلب: حجارها، وطرقاتها، وصناعاتها، ومواقف أهلها، وتجارها، فليس ثمة الكثير من الأسرار."^(٣)

(١) سجاد عجمي ص: ٧٨.

(٢) عين الهر، ص: ٧٦.

(٣) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٤٤.

الطريق إلى البحر الميت

تقدم الساردة مشاعرها ومشاعر شعبها تجاه المواصلة على الطريق إلى البحر الميت الذي يذهب إلى فلسطين الحبيبة في نهاية المطاف، كالتالي:

"في طريقنا إلى البحر الميت توقعنا ردّ فعلك، لأنه سبق أن حصل لي حينما سرت فيها للمرة الأولى. إنها تلك اللوحة المرورية اللافتة! كل السوريين الذين مرّوا بها معي حدث لهم الشيء ذاته، كوننا بعيدين عن التماس الجغرافي المباشر مع تلك الأماكن. على يمين تلك الطريق التي لا بد منها لزائر البحر الميت، الطريق التي يبدأ بالشوق، وتنتهي بالغصة، لوحة تقول: القدس ٤٠ كم! تخيل! ٤٠ كم فقط وترى بقبة الصخرة، التي لم يكتب لنا، ولا لآبائنا رؤيتها إلا على شاشة التلفزيون. لقد باتت أرضاً محرّمة علينا، وها هي تتجسد أمامنا حلماً يمتدّ على لافتة مرورية على قارعة الطريق." (١)

السوق

وتصف ساردة رواية عين الهر السوق كالتالي: "السوق العتيق نفسه، أسير في عمقه، ثم أنعطف يمينا، فيسارا فيسارا، وحينما أُلج الباب الصغير، أسير باتجاه أرض ديار واسعة لبيت قديم: بركة، شجر كباد، ورماني، وعرائش ياسمين ولوان، وغرفنا مكتب على جانبه." (٢)

في موضع آخر تصف أيوبة أزقة السوق كالتالي: "في الصباح الباكر أمشي عبر الأزقة المسقوفة، رائحة الرطوبة تؤنسني، والأعشاب المنبتقة من بين فجوات الحجر في الجدران تدفعني إلى الحياة. أنقل قدمي على الأرض المرصوفة بالحجارة العتيقة، وحينما تلوح نهاية الزقاق أحث خطاي لأستقبل السماء وتحتها القلعة، أشحذ همّتي من شموخها، وأحتضنها بنصف دورة لأدخل في الأسواق حولها." (٣)

(١) عين الهر، ص: ١٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٠٥.

في رواية الصيف مع العدو تقدم الكاتبة السوق بالرقعة وسورها القديم الأثري وهنا تجد لميس مع نيكولاس نسخ مختلفة للرقعة لكل منها ألوانها، كالرقعة السمراء، ورقعة واسط، ورقعة الرشيد.^(١)

المقبرة

تقدم شهلا العجيلي صورة المقبرة المعمرة رغم أنها مكان رقود الموتى، لكن أسرة لميس تعمرها بحبها لنجيب المدفون: "صارت المقبرة بيتنا الجديد! حين أخذوني معهم للمرة الأولى كان القبر ما زال ترابا، اقتطعوا مساحة واسعة، وسيجوها بسياج من الحديد الأخضر المشغول بزخارف، وبنوا أحواضا للورد. جدّي يشرف على العمل، وجدتي تجلس على كرسي قش صغير وتعطي الأوامر كأنها تجهّز غرفة عريس!"^(٢)

ثم تعلق على رونق أكثر في المقبرة كالتالي: "لا أعرف كيف صارت المقبرة الصغيرة سريعا حديقة لها باب وقفل ومفتاح، وعرائش وأشجار دائمة الخضرة كي تقاوم الظروف الجوية أو الغياب المحتمل."^(٣) وما إن تصل نيران الحرب إلى الرقعة، تدمرها كمما تقول لميس: "كبرت هكذا أحتّ الخطى نحة القبور، وظلّ أهلي الذين هم تحت التراب أكثر منهم فوقه، إلى أن جاءت داعش ومنعت زيارة المقابر، ثم تمّ تفجيرها، وبعدها قصفها طيران التحالف، فزلزلت وبُعْثرت، وانكشف ستر ساكنيها من غير القيامة!"^(٤)

حدود سورية أردنية

تحدثت الساردة عن معاناتها على الحدود الدولية بين سوريا والأردن وتعبر عن هذا المكان عن ضيقها، وتتساءل عن معنى الحدود:

(١) ينظر: صيف مع العدو، ص: ١١١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٠١ - ٢٠٢.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٠٥.

"الحدود تعني نمطا آخر من التفكير، تعني أن الاتصال بيننا مكاملة دولية، وأنّ ولأنا ليس لمليك واحد، حتى الشوق يصبح خاضعا للاتفاقيات الدولية، لأنك حينما تشتاق، ليس بإمكانك أن تُخضع سلطتين متخصصتين للوعج أشواقك، فتفتحان حدودهما أمامك، على الرغم من كونه عالما واحدا، وكونها عائلة واحدة!"^(١) ثم تسترسل في البوح بضيقها وهي لا زالت على مكاتب الحدود كالتالي: "في اللحظة التي كانت تنفتح فيها كلمة الحدود على مزيد من معاني الضيق والتضييق، كانت حقائبي تُغلق، وكانت رغبة بالعودة غير قابلة للتحقق تداخلني."^(٢)

الأماكن المخلقة عند شمل العجيلي: الكنيسة:

تصف الساردة في رواية عين الهر سبني الكنيسة وديكور حينما ترافق أيوبة لجنازة جارتها "أوديت"، حيث تحاول أن تسترق النظر إلى ديكور الكنيسة باستراق النظر كي لا تقلل من موقف مفعم بالأحزان كالتالي:

"قد يبدو من العبث، أو من قلة الاحترام أن أتلهّى عمّا يجري بمراقبة الثريات الفخمة، والأيقونات، والخشب الذي أعجبنى كثيرا، خشب من النوع الذي يوجد مع الزمن، المقاعد، والطاولات، والمذبح، والخزائن، والأبواب، وغرفة الاعتراف، كلّها من ذلك الخشب البنيّ الغامق، اللامع والصقيل، محفور القواعد والأطراف بعناية فائقة، تفوح منه رائحة واخزة، وكأنه طلي بالأمس، رائحة تبعث على الذعر الذي عرفت سببه، إنها الرائحة ذاتها التي تحزّ أنفي حينما أمرّ أمام محلّ صانع تواييت النصارى في حيّ (التل)."^(٣)

في موضع آخر تزور الساردة الأماكن المقدسة وهي أماكن أليفة ومقدسة للساردة، فتقول: "في كل كنائس التاريخ التي زرناها يومذاك أشعلنا شموعا: في كنيسة مآدبا، وفي

(١) عين الهر، ص: ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١١٥.

جبل نيبو، حيث وقفنا وقفه موسى عليه السلام في نظرتة الأخيرة إلى أرض الميعاد، وحيث أطللنا على المكان الذي ضرب فيه الصخر بعصاه، فانبعجت منه اثنتا عشرة عينا. وفي المغطس، حيث عمّد يوحنا يسوع الناصري.^(١)

قصر:

تزور أيوبة قصر السيدة الثرية لبيع المجوهرات وتصف هذا القصر من نظرتها كالتالي: "هدوء يخيّم على العالم، فيلات مدهشة، بل قصور مركّبة من الحجر الحليّ الأبيض، تحيط بها حدائق غنّاء. وقفت بالباب محاطة بالكاميرات، قادني خادمة سوداء إلى الداخل، كلّ شيء من المرمّر، والذهب، والفضة، والكريستال، الأرض، والجدران، والسقوف، والأعمدة، والتحف، والأدراج، والأفاريز. ثراء فاحش!"^(٢)

وبعد الفقرات تسترسل أيوبة في وصف هذا القصر كالتالي: "تناولت الكأس، وما زلت واقفة أتأمل في هذه الفرحة الزجاجيّة الواسعة، التي لا تشوبها شائبة، حتى ليكاد المرء يصطدم بها من دون أن يراها، إذ يحسب القاعة تفتّح على تلك الحديقة الرائعة، التي تتوسّطها بركة واسعة، يترقرق ماؤها الأزرق النظيف، ويلمع تحت الشمس، وحولها أشجار من كل صنف ونوع، لا بدّ من أنها الجنة!"^(٣)

طالة المجوهرات:

حيث تشغل أيوبة وعندما تدخلها لأول مرة تصفها كالتالي: "متاحف حقيقية، كل منها تحتوي على خزائن زجاجية برفوف، خشبيّة الإطارات، بنيّة لامعة، بأقفال برونية مفاتيحها مشغولة بتخاريم فائقة الجمال، حتى ليحسبها الناظر من عالم القصور. على الرفوف تتوزع أحجار تحمل كلّ منها بطاقة كتب عليها بالعربية واللاتينية. أحجار بأشكال وقطوع وأحجام مختلفة، ملوّنة بألوان ما رأت

(١) عين الهر، ص: ١٣٧.

(٢) المصدر نفسه ، ص: ١٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤٣.

عيني مثلها من قبل!... إنه عالم الألوان الذي لا يمكن للعين أن تراه إلا في هذا المكان! وثمة صخور موزعة بأناقة على طاولات خشبية صغيرة في أرجاء الغرفة." (١)

دكان صباغة المجوهرات

تصف الساردة دكان أيوبة وهي تدخلها لأول مرة بحثا عن أيوبة، كالتالي: "وصلت عبر الأزقة المنعطفة يمنة ويسرة إلى العنوان المحدد، لم يكن دكانا كدكاكين الصباغة المتشابهة في ذلك الحي، ولا صالة عرض ذات صلة بما رأيته في برج العرب، بل كان بيتا عربيا، حوش، من أروع ما رأيته! لكنني لم أجد أيوبة." (٢)

صالة معرض المجوهرات

عندما تذهب ساردة رواية عين الهر إلى معرض المجوهرات في برج دبي تجد سحر جو هذا المكان على نفسها أكثر من انبهارها بالمجوهرات فتعبر عن جمال هذه الصالة وروعته: "في البدء، لا تلفتك المجوهرات، بقدر ما يلفتك المكان، والحركة، وروائح البخور، والعطور، ويستغرق الأمر دقائق لتتألف مع المكان والأشياء." (٣)

جامع العادلية:

تصف سارد رواية عين الهر جامع العادلية بالمشهد التقليدي الرائع للمسجد عندما تدخله بحثا عن أيوبة كالتالي: "كان ثمة صغار يطعمون طيوراً في صحن الجامع، وإلى اليمين، عن بعد لمحت رجلا يمدّ السجاد فوق الحصائر، في الباحة المسقوفة المصنوعة من المقرنصات الأثرية البديعة، وفي الطرف الآخر، يوجد بناء على شكل بيت صغير جميل، لم ألمح قبلا!" (٤)

(١) عين الهر ، ص: ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه ، ص: ٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص: ٢٤.

البيت

تقدم ساردة عين الهر وصف بيت أيوبة في جامع العادلية وهي تتفقد صاحبة نظرة ثابتة في المجوهرات:

"كانت غرفة ضيقة طويلة، مفروشة بالحصر والسجاد، مثل ما هو في صحن الجامع، تشكّل طرّاحات إسفنجية، ملبّسة بقماش جديد، المحيط المستطيل للغرفة، حوافها ملتصقة بالجدران، على شكل مدّ عربي، تفضل بينها مساند ملبّسة بالقماش ذاته، وإلى جانبي على الطرّاحة، ثمّة مجموعة كبيرة من السبح، ومجموعة خيوط، وخرز ملون، في صناديق كرتونية صغيرة." (١) ثم تستنتج من مشاهدة المكان بينها وبين نفسها: "يبدو أن المرأة تعمل في ضمّ السُّبح." (٢)

في رواية سماء قريبة من بيتنا تصف الساردة بيت مدير السكك الحديدية أمام بيت جدها وتفتح شبابيك غربية على بيت المدير، تصفه الساردة كالتالي:

"تفتح تلك الشبابيك باتجاه الغرب، حيث يقطن مدير السكك الحديدية، في بيت ملاصق لمحطّة الركاب. بيت كبير من طابق واحد، محاط بحديقة جميلة، فيها بركة ماء صغيرة، ومشجّرة بأشجار مثمرة، مشمش وخوخ ولوز، وكثير من ورد الجوري الأحمر والأصفر، وخلف السور الحجري الرماديّ، سور آخر من أشجارر الصنوبر، وعلى الباب الرئيس من جهة اليمين، غرفة خشبية صغيرة للعسكريّ الذي يحرس البيت، برشاش آليّ لا يفارق ذراعه." (٣)

في موضع آخر تصف الساردة بيتها بحلب الذي رُمّه أبوه، تاريخ هذا البيت يركع إلى مائة وخمسين عام، فتصف الساردة:

"صار في بيتنا جناحان، الجناح الشرقي أثري، مبنيّ من الطوب العتيق، المرمم، وكأنّ بناء من القرن الثامن عشر نفض يديه من إتمامه بالأمس، سقوفه معقودة

(١) عين الهر ، ص: ٢٦

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٥

(٣) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٤٠.

بالقباب والمقرنصات، على الطراز العباسي، وفيه مكتب وصالونا استقبال، وغرفة طعام واسعة، تفتح على حديقة داخلية مزروعة بأشجار الليمون والكباد والورود، حول بركة سباحة بطول سبعة أمتار، وعرض ثلاثة، وعمق متدرج من متر ونصف إلى مترين ونصف، وأرضية من الغرانيت الأزرق. والجناح الآخر الغربي حديث، فيه غرف النوم، الموزعة على طابقين، يربطهما درج داخلي صغير، ينتهي بعلية، ويؤدي من الأسفل إلى باب الرئيس الذي يفتح على حديقة خارجية، بسيطة، مزروعة بالياسمين والعسلية، وشتلات الريحان والورود الأحمر، فيها كراسٍ مقشّشة، تحوّلت مقاعدها مع الزمن إلى حبال بلاستيكية ملوّنة، فصار كرسيّ أزرق، وآخر أحمر، وثالث أخضر.^(١) كما تقدم منظر البيت من الخارج كالتالي دلالة على تواضع وحنان في تصميم البيت كالتالي: "منظر البيت من الخارج لا ينمّ على الفخامة التي تقبع في الداخل، وذلك وفاقاً لرؤية أبي المعمارية، التي أرادت له أن يكون منسجماً مع بيوت الأقارب والجيران البسيطة في الحارة، في حين يبدو بيت عمّي الوزير، والذي يبعد مسافة خمسة بيوت عن بيتنا، أشبه بقلعة مهيبة."^(٢)

بينما تصف الساردة جمان منزلها "الاستوديو" في عمان، ولا يجد القارئ هنا ذلك الدفء والحنان الذي يتلأأ في وصفها لبيتها، أو بيت جدها في حلب:

"السريّر الواسع الذي أستلقي عليه في الاستوديو الأنيق المستأجر من أجلي في منطقة الراية غرب عمّان، يلتصق بالجدار الذي تشغله نافذة عريضة، أرى منها بوضوح السماء، والحديقة الصغيرة التي تشغل المساحة المقابلة للشارع، والمزروعة بأشجار حرجية حولها أسلاك شائكة. النافذة الأخرى المقابلة، تطلّ على أحد فروع البنك العربي، ومقهى الماوردي، ومجمع تجاري... هناك غرفة داخلية واحدة لها باب، وفيها سرير، وملحق بها حمام، في حين تفتح المساحة المتبقية من المكان على بعضها لتشكّل صالة واحدة واسعة، مقسمة بالأثاث إلى

(١) سماء قرية من بيتنا، ص: ٧٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٧٦.

منظلة نوم، ومنطقة جلوس بكنبتين صغيرتين، وكرسي كبير "بيرجير"، ومكتب صغير بطاولة وكرسي وخزانة ملقات، ومطبخ أميركي، وحمام.^(١)

بينما تصف ساردة سجاد عجمي وصف دار الأشجعي من خلال نظرة شخصية لبانة التي تذهب هناك في حفل البنات لأول مرة وتنبهر من هذا البيت ورفاهيته وتقارن بين ديارها وديار الأشجعي كالتالي: "أدارت لبانة طرفها في المكان الذي لم تحظ بمثله لا في دار أبيها في الدير، حيث حياة الفلاحة تغطي على التفاصيل كلّها، ولا في دارها في بغداد التي حوّلها زوجها إلى معقل للنسخ والوراقة، أما هذا الترف الذي وجدته في الكثير من دور أهل الرقة، فلا يقابله سوى ما عند أهل المال والسياسة من أكابر بغداد. لم ينبّه لبانة عن خواطرها سوى دخول خادمة، شرعت تضيء أركان المكان مع حلول المساء، فتشعل فتائل السرج التي تتوزّع في أركان الديوان. كانت عشرة سرج متوسطة الحجم، تعلو رفوفا حجرية تبرز عن الجدران، وكلّ منها على هيئة رأس تنين من الخزف الأبيض المنقوش بالأزرق، وقد فغر فمه، فثبتت من الفم زجاجة لا تكاد تُرى لرقّة قوامها، تبدأ بعنق ضيّق، يتّسع عند البطن، ثمّ يعود فيضيق."^(٢)

وأيضاً تقدم ساردة سجاد عجمي وصف بيت سليمان من وجهة نظر لبانة وهي تنبهر من هذا البيت وجماله كالتالي، بداية من ملامح هذا البيت من الخارج وبناءه كالتالي: "كانت نافذة الغرفة الفسيحة التي جعلها سليمان في الجهة الشرقية من داره. غرفة متطرّقة، ولها شرفة صغيرة لم تر لبانة لها شبيهاً، ذلك أنّها تنتهي بفضاء، بل بمشرفيّة من الخشب المطليّ بالأزرق، والذي تتعامد قضبانها مشكّلة معيّنات صغيرة تحكم الهواء والضوء. إلخ"^(٣) ثمّ تقدم مشهداً من داخل البيت وتأثيرها الشديد به وبالتحف الموجودة به: "وقفت وقد أخذها بياض الجدران

(١) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٨٤.

(٢) سجاد عجمي. ص: ٦٤-٦٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٤٥.

الذي يترك في النفس أثرا مختلفا تماما عما يتركه لون الطين الذي اعتادته عمائر الرقّة. وطويلا راحت تتأمل الأرضية التي تتوسط المكان: فسيفساء بصورة غزال أكحل، بقرنين صغيرين، متأهب للقفز، قائمتاه الأماميتان مرفوعتان، وساقاه ما زالتا على الأرض. إلخ" ^(١) يجري وصف بيت سليمان وما فيه من التحف إلى أكثر من صفحتين دالة على ثراء ذلك العصر والجماليات الثقافية الموجودة في سوريا آن ذاك. ^(٢) وسمت لبانة هذا المكان بعرش سليمان.

الفيلّا

في رواية سماء قريبة من بيتنا تقدم الساردة جمان وصف الفيلّا لزميلتها مايا وهي ابنة مسئول حكومي كبير عند زيارتها بعد وفاة والد مايا وتنبئ بأحوال طبقة بيروقراطية في سوريا:

"جلسنا في صالون واسع مهيب، في الفيلّا التي تحتلّ تلة رابية في إحدى ضواحي العاصمة. تأملت بنظرة الآثا الباذخ، وأنا أضع حقيبة يدي على طاولة بجوار مقعدي. كانت قاعدة الطاولة عبارة عن جزن المعمودية البيزنطي الذي وجدناه في دارنا، يشكّل سطحها لوح من الزجاج، مقصوص بشكل دائرة، مشطوفة الأطراف، وعليه صورة الفقيّد في إطار ذهبيّ، ربط بشريط أسود، وإلى جوارها فنجان القهوة المرّة التي سأشربها لراحة نفسه." ^(٣)

الخيّام

إن الخيمة رمز الثقافة العربية الصحراوية، لكنها بطبيعة الحروب البشرية والكوارث الطبيعية تشكل رمزا للبؤس والهوان والفقد والدمار واللجوء. كما نجد اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات، أو اللاجئين من بلاد الحرب مثل سوريا. كما نجد في رواية سماء قريبة من بيتنا تزور جمان مخيم الأونرا لأجل إعداد تقرير

(١) سجاد عجمي ، ص: ٤٥-٤٦.

(٢) ينظر: الصدر نفسه، ص: ٤٥-٤٧.

(٣) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٨٨.

حول اللاجنات وعندما تدخل في خيمة إحدى اللاجنات تجدها كبيت ريفي سوري مصغر مع نكهة اللجوء، هي تصف كالتالي:

"خففت رأسي تفاديا للاصطدام بالغسيل المنشور على حبال بلاستيكية زرقاء، تمتد بين أكراس الخيمة. في الداخل، المكان مرتب ونظيف، مثل أي بيت سوري ريفي، مع اعتبارات اللجوء، إذ لا أثاث، ولا زينة، كلها أشياء أولية، قادمة من البلاد، بسط، وقطرميزات جبنة، وزيتون، ومكدوس، ومرّي الورد، وما تبقى من أعطيات اللجوء: مجموعة من الفاشات الإسفنجية المفروشة على هيئة مقاعد، ويبدو أنهم استطاعوا الحصول على أكثر من حصتهم، إذ جعلوا الفرش في طبقتين، ووسائد جُعلت مساند، ومراكي، وفي الزاوية مطبخ فيه موقد غازي صغير، وعدة طبخ، وطناجر، ودلال قهوة، وإبريق، وعلبة زيت قلي، أكياس سكر وأرز وشاي، ما تزال في أغلفتها. كل شيء نظيف، وفي مكانه، وبجانب مجلسنا مدفأة غاز، وتلفزيون وجهاز ريسيفر للاستلايت".^(١)

قضت جمان أيضا ليلتها في المخيم، وهنا تصف خيمتها أيضا كالتالي: "خيمتنا تشبه خيام اللاجئين، تقع في الشارع الأول جنوب المخيم، بموازة خيامهم، ولا تختلف عنها في شيء، الحصائر والفرش ومكونات الطعام نفسها إلا أن متاعنا قليل".^(٢)

محل ضم السبح:

تصف أيوبة محلها حيث تضم السبح كحرفة كالتالي: "محل صغير مربع، لا يكاد المرء يستطيع أن يتحرك داخله، بواجهة تشرق وتبرق بخرز من مختلف الألوان والأحجام".^(٣)

(١) سماء قريبة من بيتنا، ص: ١٢٦-١٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٣٥.

(٣) عين الهر، ص: ١٠٦.

جنام لطب النووي بالمستشفى

هو مكان رهيب وغير أليف بالنسبة للجميع إلا أن وصف المكان إذ تدخل به ساردة رواية سماء قريبة من بيتنا وحيدة وتصف هذا المكان الرهيب بكل ما فيه من القسوة والانغلاق، والضيق والرغبة كالتالي:

"مكان رهيب حقًا، يلج بابه المرضى بلا مرافقين، وجدت نفسي في صالة محاطة بحجرات أربع، حجرة حقن، واثنان للانتظار، وأخرى للتصوير، وحمام. لا أحد حولي، المكان خال والأبواب مغلقة، دخلت بعدها إلى مكان أشبه بمنفردات التعذيب في سجون ستالين، كانت الحجرة التي في داخل الحجرة، التي في داخل أخرى، ضيقة مثل قبر، ومصمتة بلا نوافذ، ومن يدخلها يسقط من حساباته احتمال عودته إلى العالم، فيها سريران وكرسيان." (١)

صالة لانتظار بالمستشفى

كما تزور جمان صالة الانتظار بالمستشفى وتصف هذا المكان الغير أليف لها التالي: "أجلس في صالة الانتظار في العيادات الخارجية، أبحث عن وجه يبعث إشارات الأمل، قلما أجد، فالوجوه في حالة وجوم مطبق. أحرق في الجدران الرمادية التي يشبه بعضها بعضا، للمكان رائحة رمادية أيضا يعتادها المرضى، مزيج من الأدوية والمطهرات، وجل تعقيم اليدين، الذي ستصير رائحته بعد قليل عطري المفضل. شاشات التلفزيون المعلقة على الجدران كلها موجهة إلى أفنية القرآن الكريم، تبث سورة الأنعام، وأدعية التضرع للشفاء، وكذلك المصاحف منضودة على الطاولات حول المرضى." (٢)

تصف ساردة سجاد عجمي نزل محبوبة من داخله بما فيه من البركة ماء والممرات ووالمل الحزني، كالتالي: "كان بهو النزل يعج بروّاده، فاقتاحت محبوبة على عمر وسهيل أن يردا إلى الداخل، حيث الممر معقود السقف، مزينة جدرانه بورود

(١) سماء قريبة من بيتنا ، ص: ١٦٠-١٦١.

(٢) المصدر نفسه ، ص: ١٨٧.

من الخزف الأزرق، تبدأ عروقها الخضراء من الأرض، وينفتح الممر على فناء مرصوف بالحجر، تتوسطه بركة، ألبس أصلها مربعات صغيرة من الخزف الأبيض والأزرق والأخضر، وحوّلها أذرع الليلك تتشابك مع أغصان الرمان.^(١)

دلالة وصف المكان على حالة نفسية: عند بدرية البشر

في رواية هند والعسكر حينما تجد شخصية عزيزة نفسها في موقف الهروب من ليلة زفافها بأبي فهد تصف المشهد وتفسرها حسب حالتها النفسية المتوترة المزيجية بالحزن وهي لا تجد أمامها من يساعدها في سبيل مغامرتها وبالتالي تشعر بهذا الشعور عند مشاهدة شوارع الرياض التي لا تحميها، فتصف كالتالي:

"جلست على كرسي وحيدة في الغرفة، ومقابل الكرسي نافذة كبيرة فتحت على الشارع العام. كانت مدينة الرياض بأضواءها تجلس رابضة بلا مبالاة تحت الشباك، مثل كلب حراسة، تنظر إلى بحباد، لا تحزن من أجلي ولا تفرح. حتى الرياض تحلّت عني، أسلمتني لطريق العناد والحقن، تركتني أذهب في طريق المخاطرة دون أن تتدخل لحمايتي."^(٢)

وهو نفس الرياض التي سترها الساردة في ليلة فرح تتجول فيها مع أحمد في شوارعها محتفلة بنجاحها في الثانوية كما تصف الساردة: "شوارع الرياض في الليل ساحرة، أضواء السيارات الحمراء والصفراء تحوّل الشارع إلى مهرجان فرح. لأول مرة أشاهد الناس تتسكع بلا هدف، شباب يتجمعون على الأرصفة مقابل الدكاكين يصفرون ويضحكون الخ"^(٣)

وأيضاً تقدم الساردة في رواية هند والعسكر وصفا للمكان وهو يدل على حالة الساردة النفسية المشحونة بمشاعر الحب والفرح والاندھاش فتجد هذا

(١) سجاد عجمي، ص: ١٨.

(٢) غراميات شارع الأعشى، ص: ٢٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٠٣.

الشعور بما تراها أمامها من مكان مضاء بالبهجة، فتصف الشوارع المنيرة والفراشات التي تتدمع حول الأنوار فتصف كالتالي:

"اخترنا الجلوس في الشرفة. الأضواء قوية الإنارة على سور شرفة المطعم المطل على مدينة الرياض، والعلو الشاهق يكشف رؤوس البنايات والمتاجر والشوارع والسيارات. الرياض تتزخرف مثل لوحة إلكترونية، تتغير ألوان إضاءتها كل وقت، وتدور الفراشات الليلية حول ضوء الأنوار المعلقة على شرفة المطعم. اقتربت الفراشة من الضوء، ثار دخان احتراقها. كان قلبي يحترق كفراشة ويستسلم لنار الحب. مثل طفلة ماخوذة بمشهد تراه حيا للمرة الأولى في حياتها."^(١)

وفي موضع آخر تصف هند الجو الصباحي ونصاعة الطبيعة خلال جو ممطر وتصور هذا المكان من فرشاة تخيلاتها وترسمها بجمال قلبها وصفاءه كالتالي:

"صفقت أجنحة الطيور في السماء تنشر يقظتها في الصباح المبكر على أشجار الرصيف. حبات المطر الخفيف هتانا. تطلق بوابة الفجر غيماتها لترعى في حقل السماء الأزرق وتحيله إلى بياض. تتلحف الشمس شرشف الغيم وتستريح. يفور الغيم في الأفق كبخار في آنية السماء، ترح الغيمات الصغيرة مثل فقاعات صابون تتفافز."^(٢)

وتقدم الساردة علاقة النجد بالمطر الهاطل وسبب أفراح الناس بهذا المطر حيث تقول: "حين يهطل المطر في نواحي نجد العطشى، يحتفل الناس به، تعترتهم حالة من جنون الفرحة؛ فمن عادة المطر النجدي أن يكون رقيقا وخفيفا وشحيحا."^(٣)

وما تلبث الساردة "حركت رائحة المطر غصون قلبي اليابسة فأوجعني تكسر غصونها في صدري، تساقطت أوراقها الجافة فرحا، نفثت ذكرى لماض بعيد، شعرت بضيق فاغتسلت وصليت ركعتين."^(٤)

(١) هند والعسكر، ص: ١٢٣.

(٢) المصدر نفسه ، ص: ٧-٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٨.

(٤) المصدر نفسه ، ص: ٨.

تستلهم الساردة الطاقة الإيجابية من هذا المشهد وهي الطاقة الوحيدة التي تثير فيها انتعاشا، وما إن تشعر بأن هذه الطاقة لا تفيدتها في حياتها الواقعية المليئة بالضيق والكد وسوء التفاهم والاضطراب النفسي فتقف من هذه المكان وتصلّي. كما تقدم الساردة وصف البر وجماله ووسعته بانتعاش وانبساط وذلك ما تدل على حالة نفسها المنبسطة وشعورها بالراحة عن مضايقات الحياة مستمدة طاقة المدى الواسع الإيجابية كما تستمد هدوء نفسها من صمت الطبيعة بعيدا عن ضجيج المدن وتلوّثها:

"في المدى، كان كل شيء يتنفس ويهمس بحضوره، الصخور، الماء، الجبال، الصحراء تتمدد حولنا في مشهد صارخ، تبدو كأنها الواقع ونحن الظلال، الصحراء تتمدد حولنا في مشهد صارخ، تبدو كأنها الواقع ونحن الظلال. لأول مرة تواجهني هذه المعادلة الطبيعية على الأرض. في المدى الواسع، يتجلى صمت الأحجار والأعشاب والوادي. السدّ الصخري الشامخ خلفنا بنته أياد ما عادت هنا اليوم. كلما مشينا، تضاءلنا في رحاب هذا الصمت الخالد، تحولنا إلى نقاط صغيرة مثل قطع الحصى البينية." (١)

بينما تصف الحر في مدينة الرياض وأثره في نفسية أناس بشكل العصبية، إذ تصف الرياض الملهب بنيران الشمس كالتالي: "في الصيف، تتحول الرياض إلى فرن كبير؛ الحرارة تضجُّ نيرانها من كل حذب وصوب والهواء ساكن. يعلو وجه السماء غبش من الغبار. وجه الفجر المبكر في الرياض أحمر يوقع الخوف في الصدور، الجدران تسخن في الظهيرة فتسمع صوت المكيفات تلهث طوال اليوم... يصبح بعض الناس عنيفا وعدوانيا." (٢)

دلالة وصف المكان على حالة نفسية: عند شهلا العجيلي

في رواية سماء قريبة من بيتنا نجد تأثير صالة الانتظار في المستشفى على نفسية جمان بين اليأس والأمل كالتالي: "كنا جميعا بحاجة إلى التضرع، إلى ذكر الله لتطمئن

(١) هند والعسكر ، ص: ١٨٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ص: ٢٠٠.

قلوبنا، رغم أن المشهد كله يجعلنا شهداء على حفلة موتنا، ومجلس عزائنا. ليس ما ينقذنا سوى ابتسامات تبثها الممرضات والموظفات هنا وهناك، بشيء من الماكياج على وجوههن العفية، وألوان زاهية تفيض بها الإشارات على رؤوسهن، بضعة من إشارات الحياة التي نبحت عنها مع أنها تملؤنا بأسى عميق.^(١) منها الساردة جمان التي تعاني من هذا المرض في الغربة، تستوحي منها قليلا من الأمل، إذ ترى الممرضات يتحركن بحوية ونشاط وروح تقوي معنويات المرضى. فهناك انسجام تام بين نفسية الساردة المريضة المعلقة بين أمل الحياة والخوف من الموت؛ وبين المكان الموصوف بـ"حفلة الموت" و"مجلس العزاء".

في رواية الصيف مع العدو تقدم الكاتبة دلالة البيوت ومدينة الرقة كلها على أحزان الناس المشتركة ومن ثم كلهم يستأنسون إلى بعضهم البعض بسبب الحزن العميق السائد على المدينة كله، حيث تعلق: "لم تكن البيوت ميسورة في غاليّتها، لكنها عامرة بالألفة، بحيث تشعر أنّ أي بيت فيها هو بيتك، وأي وجه من وجوه أهلها هو وجه قريب. لعلّ حزنا سحيقا هو الذي صنع هذه الألفة. حزن مجهول المصدر، صاغ الناس في الرقة، وتحول من عاطفة متوارثة إلى حالة مناخية، فتجده في الماء والهواء، وعلى الأرصفة. حتى البطّ في الفرات تجده ساهما يحدّق في المدينة المرمية على الشاطئ، وأفكاره في مكان آخر."^(٢)

كما ورد في رواية سجاد عجمي تأثير العواصف الرملية والمكان المغبر في مزاج الناس في الرقة كالتالي: "لم تكذب رياح الخماسيين موعدها مع الرقة وما حولها من أمصار الإسلام هذه السنة، فحلّت بعيومها الصفراء، وعجاجها الأحمر، قادمة من مصر، نحو نهر الأردن، فبادية الشام، تقود كلّ ما في طريقها من أحمال اقتلعتها من الأرض، أو تلقتّها من السماء.

يكتسي كل شيء في مثل هذا النوء بالغبار، فتشحب خضرة الربيع، ويصفّر الفرات، وتفقد معاني الرقة بهجتها، ويعتكر مزاج أهلها، فيعتصمون في بيوتهم

(١) سماء قريبة من بيتنا، ص: ١٨٧

(٢) صيف مع العدو، ص: ١٨٣-١٨٤.

رجاء انكشاف ذلك العجاج الذي ربّما يصل معه الغبار إلى ثيابهم في صناديقها، وإلى أوانيهم في رفوف خزائنها. وقد تطول نوبة العجاج تلك يومين أو ثلاثة، فلا تنقشع إلا بقدوم المزن المتهادي مع ريح الشمال، أو مع الدّبور، فيغيث ماؤه البلاد والعباد، ويغسل الشجر، والهواء، والأرض ممّا ألمّ بها.^(١)

كل هذا المشهد المغبر يزيد أعمال النساء من التنظيف مع أنه يدل على تغيير الجو و قدوم الشتاء فترتب النساء ملابس شتوية ويفرشن الفرش الجديدة والتنظيفة كما يغسل المطر كل المدينة كأنه لم يكن هناك أية عواصف. في موضع آخر تشير الساردة إلى تأثير ديار الأشجعي والانبهار بترفها في قلب لبانة حيث تقوم بالمقارنة بين ديارها في دير زكا وبين ديار الأشجعي في الرقة كما مر هذا في موضوع الأماكن المغلقة.^(٢)

وفي رواية الأرجوحة عندما تودع مريم جنيف وهي تذهب إلى المطار ترى المدينة كأنها تبكي مثل حالتها النفسية عند المغادرة وهي لم تجد زوجها مشاري في هذه الرحلة: "نافورة بحيرة جنيف تنفث الماء بغبطة ساحرة، وتتسلق الهواء كما رأتها مريم للمرة الأولى. لكنها اليوم وهي تودعها في هذا الصباح بدت مثل طفلة تلهو وحيدة. فقد اختفى السائحون العرب في أسرّتهم، والموظفون في مكاتبهم. وبقي دخان المصبغة حرا، ودكان بائع الورود فارغا من الزبائن. وهي تترك الفندق وتتجه نحو المطار."^(٣) فهذا المشهد والوصف المكاني خارج الفندق توحى بحالتها النفسية الحزينة مودعة هذه المدينة. كما نجد شعور شخصية عناب النفسي حول الأماكن المغلقة والمظلمة بعدما تم الاعتداء عليها في ديوان الرجال المظلم "كانت نوافذه مغلقة وستائر الحمراء مسدلة."^(٤) ومن ثم تشعر بالرهبة من كل مكان مغلق كما تعلق الساردة: "تركت باب الحمام مفتوحا لأنها صارت تخاف الأماكن المغلقة والمظلمة."^(٥)

(١) سجاد عجمي، ص: ٦٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٦٤.

(٣) الأرجوحة، ص: ١٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٢٢.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٢٥.

الفصل الثالث:

دراسة الحدث في روايات الكاتبتين:

الحدث من أهم عناصر بناء الرواية، و"يرتبط بالشخصية في الأعمال القصصية ارتباط العلة بالمعلول، وعلى هذا فإن الرواية = فعل (حدث) + فاعل (شخصية)".^(١) ولكل كل حدث بداية ووسط ونهاية ويجب أن يقوم على عقدة تمثل ذروة المشكلة داخل إطار الحدث، مع حلها.^(٢)

تقسيم لأحداث إلى الفصول والأبواب:

تقسيم الفصول بالأحداث يقوم بدور تشويقي للقارئ، ويعد الدكتور طه وادي عنصر التشويق من لوازم الفن القصصي^(٣). وفيما يلي نلقي ضوءاً على أوضاع تقسيم الأحداث إلى الفصول وتوظيفه عند بدرية البشر وشهلا العجيلي:

تقسيم لأحداث إلى الفصول والأبواب عند بدرية البشر:

قسمت الكاتبة بدرية بشر رواياتها إلى الفصول بأرقام دون العناوين، وكل هذه الفصول متوسطة الحجم. فتنقسم أحداث رواية غراميات شارع الأعشى إلى تسعة وعشرين فصلاً مرقماً، وهي تدور حول قصة عزيزة الساردة وحول قصة شخصية وضحي، مع شخصيات أخرى. تتراوح الفصول بين قصة عزيزة وأسرتها وبين قصة وضحي في الفصول البدائية، ولاحقاً تتراوح بين أحداث قصة أم جزار وعطوى وبين الأحداث التي تجري في حياة أولاد وضحي. فيتناول كل فصل جزءاً من حياة إحدى الشخصيات.

(١) دراسات في نقد الرواية، طه وادي، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٢، ص: ٢٨

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٢٩.

(٣) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٣١.

كما يبدأ بعض الفصول بمرور فترة من الزمان، كالفصل العاشر الذي يستهل بقدوم فصل الصيف: "هَبَّتْ نسائم الصيف من جديد، لكن هذه المرة بدون سعد وبدون ضحكات عواطف القصيرة والسريعة." (١)

بعدها يختتم الفصل التاسع بالمشهد الذي يدل على موسم الشتاء كالتالي: "عاد والدي إلى المنزل، وتعشى كعادته قرب موقد الجمر." (٢) ثم يبدأ الفصل الحادي عشر دالا على قدوم الشتاء من جديد. (٣) بينما تدور أحداث هذه الفصول حول أسرة عزيزة.

بينما يستهل بعض الفصول بمشهد جديد، بدون تمهيد لها في السابق كالفصل الرابع عشر الذي يبدأ بإخبار أم الساردة لها عن زواج أبي فهد، وبأنهم ينوون زيارة العروس مساء، ومن هنا تقدم الساردة أحداث أبي فهد وأسرته وخاصة زوجته الجديدة فلول. (٤)

بينما تكون بعض الفصول تنمة للأحداث التي تجري في الفصل السابق كالفصل السادس عشر الذي ينتهي بقدوم عطوى إلى أم جزاع وأحوالها في السوق والتجارة ثم يبدأ الفصل السابع عشر بتعليم أم جزاع لعطوى أمور البيت ولكنها لا ترغب فيها وتفضل تعلم أمور التجارة على الحياة في البيت. (٥)

وهكذا الفصل الثامن عشر يبدأ بقرب موعد امتحانات عزيزة وتنطلق من هنا قصتها مع أستاذتها وأخيها الطبيب أحمد. (٦)

وهكذا يسير تقسيم الفصول في رواية هند والعسكر، وهي أربعة وعشرون فصلا مرقما، معظم هذه الفصول تستهل بوصف الأماكن أو الشخصيات أو

(١) غراميات شارع الأعشى، ص: ١٠٦

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٠٣

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٢٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٥٩.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٨٢.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٩١.

فترة من فترات الزمن مثلاً صباحاً، وظهراً، وعصراً وعشاء. الفصل الأول يبدأ بوصف المشهد الصباحي من المناظر الطبيعية ومشهد إعداد القهوة الشهية، وهذا وصف رمزي يوصل القارئ إلى كنه هذه الرواية.^(١)

وكذلك الأمر في الفصل الثاني والسادس والثاني عشر والثالث عشر والثامن عشر والحادي والعشرين والثاني والعشرين والرابع والعشرين. بينما تستهل الفصول الأخرى بذكر الأحداث في حياة الشخصيات المختلفة، كالفصل الثامن والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والتاسع عشر والعشرين. وهي تتناول أحداث ساردة الرواية وإخوتها، كما تستهل بعض الفصول الأخرى بالحوارات كالفصل الثالث والرابع والخامس والعاشر والحادي عشر.

كل هذه الفصول تنفصل عن سابقها في الأحداث من حيث الزمان والأحداث غير الفصل السابع الذي يكتمل بأحداث التي بدأت في الفصل السادس بدون تغيير المشهد الزماني والمكاني.

من ناحية أخرى لا تتناول الساردة الأحداث بترتيب طبيعي لها وإنما تحرك خيوط الزمن بشكل مشوق حيث تبدأ باللحظة الآنية ثم ترجع إلى كل تلك الجوانب التي تؤثر في أحداث اللحظة الآنية وما يليها. وهذه المؤثرات ليست من ذات الساردة فحسب، بل يصل خيطها إلى جدها وعبيده وإمائه إلى أن تعود الساردة إلى أمها وابنتها وحياتها الشخصية صديقاتها.

أما رواية الأرجوحة فتشتمل على خمسة عشر فصلاً، تنقسم الفصول بين ثلاث شخصيات رئيسة وهي مريم وسلوى وعناب. وكل أحداث الرواية تجري في الفترتين من الزمن. الفترة الأولى هي اللحظة الآنية عندما تجتمع الصديقات الثلاث بالصدفة في جنيف بعد عشر سنوات. والفترة الأخرى هي الحياة قبل نقطة اللقاء بين الصديقات من الطفولة والشباب وما إلى ذلك. وبشكل مجمل، تدور أحداث الفصول من الأول إلى الثالث حول مريم وأحوالها من لحظة السرد وما قبلها، بينما

(١) ينظر: غراميات شارع الاعشى، ص: ٧-٩.

تدور أحداث الفصول من الرابع إلى التاسع حول سلوى وحداث حياتها وكيف وصلت إلى جنيف.

أما الفصل العاشر فأحداثها في لحظة السرد حيث تتجول الصديقات الثلاث في جنيف. ثم الفصل الحادي عشر يتناول حكاية عناب منذ طفولتها. بينما يختص الفصل الثاني عشر مرة أخرى للأحداث الحالية. والفصل الثالث عشر تتناول فترة أخرى من حكاية عناب. والفصل الرابع عشر يتناول تحول الصديقات الثلاث في وقت السرد. أما الفصل الخامس عشر والأخير فهو ينتهي على عودة مريم من جنيف إلى الرياض كما بدأت الرواية بوصولها إلى جنيف.

في جانب آخر لا يبدأ كل فصل ويبقى في فترة واحدة فقط، بل تتراوح الأحداث داخل فصل واحد بين اللحظة الآنية وبين الأحداث الماضية. فالفصل الأول يبدأ بمغادرة مريم إلى جنيف ثم تستذكر الأحداث القديمة في كيفية لقاءها لمشاري ثم زواجها به. وهكذا تبدأ الفصل الثاني بوصول مريم إلى مطار جنيف وهنا تلتقي بصديقتها. ثم تسترجع مريم أحداثها بعد الزواج. أما الفصل الثالث القصير فلا تخرج أحداثها عن اللحظة الآنية.

ثم تبدأ الفصل الرابع بوصول الصديقات إلى المطعم للقاء وهنا تستذكر سلوى حكاياتهن في الجامعة كيف كن يتسللن من بوابة الجامعة لقضاء الوقت في اللهو واللعب. الفصل الخامس يبدأ بلقاء سلوى بسلطان العاجي في فندق جنيف، ثم تسرد الساردة أحوال خطبة سلوى بسلطان العاجي بعد طلاقها بعام. ثم تبدأ الفصل السادس بنفس الأحداث السابقة والطفولة. ويبدأ الفصل السابع باللحظة الآنية وتشجعها أخت سلوى بأن تعود إلى الرياض وأخوها بندر سيغضب إن عرف عن ذهابها إلى جنيف للقاء بسلطان العاجي، ثم تقدم الساردة الأحداث القديمة حول ذهاب بندر إلى السجن والعدة بشخصية مختلفة، وكيف تسبب في الطلاق بين سلوى وسلطان العاجي، بعدما طلقت من عبد الرحمن.

أما الفصل الثامن فيبدأ أيضا بالنقطة الحاضرة في حكاية سلوى حيث اتصل بها سلطان العاجي ليخبرها عن وصول السائق إليها لكي تصل إلى سلكان العاجي

في المطعم، ثم ترجع الساردة إلى حكايات سلوى وسلطان وكيف حصل الطلاق بينهما فجأة، ثم تعود الحكاية مرة أخرى إلى نقطة الحاضر، وهما يلتقيان في المطعم.

أما الفصل التاسع فيبدأ بلاء الصديقات الثلاث في المطعم في الحاضر ومن هنا تتذكر مريم أسلوب سلوى المضحك لبيان القصص الباكية والمواقف الصعبة من حياتها حيث يضربها زوجها عبد الرحمن. ثم تحكي سلوى قصة "يا سلام"، حيث ضربها عبد الرحمن ذات مرة لأنها قالت كلمة يا سلام وقد منعها عن قولها.

أما رواية زائرات الخميس فتتكون من واحد وعشرين فصلاً. وتبدأ الرواية مثل رواية الأرجوحة من نقطة ترك مشاعل لزوجها الرابع وولدها، ثم تعود الرواية إلى الوراء في الفصول التالية. فأحداث الفصل الأول والثاني هي عن أوضاع خروج مشاعل عن بيت زوجها الرابع حمود، وأنها تحاول أن تفهم الأمر الذي أدى إلى هذا الانفصال.

ثم يأتي الفصل الثالث والرابع باسترجاع الأحداث بداية من زواجها الأول وكيف عادت إلى بيت أمها بعد أسبوع من زواجها. أما الفصل الخامس فيعود بأحداثه إلى نقطة السرد حيث تشتاق مشاعل إلى ابنها بعد عودتها من زوجها الرابع، ثم تسترجع أحداث طفولتها وكيف تركتها أمها عند ضربتها وهي في السابعة من عمرها. ثم يعود الفصل السادس والسابع والثامن مرة أخرى إلى أحداث بعد طلاق مشاعل الأول، وصداقاتها مع بنات أمسيات يوم الخميس، وغرامات هؤلاء المراهقات، وكيف بدأ المغازلة بين هيفاء وحسام. ثم تتزوج هيفاء برجل آخر ويبدأ الغرام بين حسام ومشاعل ولا يعرف حسام أنها مطلقة. ثم تتزوج مشاعل بالزوج الثاني "تركي". وتعرف بعد الزواج أنه لديه طفل. يتوفى زوج أمها فتقضي وقتاً كثيراً عند أمها. وهنا تبدأ بالتواصل مع حبيبها السابق حسام.

والفصل التاسع يلقي ضوءاً على ما يعاني حسام مع أسرته في تحقيق زواجه بمشاعل. وفي الفصل العاشر تصل بعد الزواج إلى أسرة حسام، هنا تعيرها زوجات إخوة حسام بأنها مطلقة. والفصل الحادي عشر يركز على مشاهد من أيام حياة مشاعل في بيت زوجها وكيف تتدحرج العلاقة بينهما. وكذلك يحسم الفصل

الثاني عشر قرارا في حياة حسام حول تغيير قناعته في شأن مشاعل. والفصل الثالث عشر يكشف انحدار زواجهما إلى تحت الصفر. والفصل الرابع عشر هو قصة طويلة من حياة أم مشاعل على لسانها. والفصل الخامس عشر يحسم الأحداث بين حسام ومشاعل. ثم تمشي الأحداث في الفصول التالية أيضا إلى الأمام وفي الفصل الأخير تمشي الأحداث ما بعد نقطة بداية الرواية. إلى أن تقرر العودة إلى أولادها.

تقسيم لأحداث إلى الفصول والأبواب عند شهلا العجيلي:

أحداث رواية عين الهر معقدة وقسمتها الكاتبة إلى عشرين فصلا مرقما. أحد عشر فصلا من البداية تتناول حكاية الساردة وبحثها عن أيوبة لقيتها في معرض المجوهرات قبل بضع سنوات، وتقرر أن تكتب هذه الرواية حول قصة أيوبة وتجعلها بطلا لروايتها.

ثم تبدأ حكاية شخصية أيوبة بداية من الفصل الثاني عشر، والثالث عشر، والخامس عشر، والسابع عشر والتاسع عشر. وكل هذه الفصول تبدأ دوماً بـ"قالت أيوبة"، ثم تنقل الساردة كل الحكاية على لسان أيوبة. وذلك بداية من حكاية طفولتها ومراهقتها وزواجها، والوصول إلى عمل ضم السبح ثم تصبح بائعة المجوهرات والخبرة بها. وهذه هي النقطة التي تلتقي الساردة فيها بأيوبة في معرض المجوهرات.

ثم يتطور الحدث إلى ذروته ويستترسل الفصول لنا عقدة الرواية أن القدر قد أوصل الشخصية من عمل راق في صالة المجوهرات إلى غرفة في جامع العادلية في حالة بائسة، كما تقول الساردة: "في الحقيقة، كان الفضول يستبد بي لمعرفة سبب تبدل حال المرأة، وشكلها، ولباسها."^(١)

إلى أن تحكي أيوبة ما جرى لها من المؤامرة من قبل السيدة الثرية وتم إلقاء تهمة السرقة على أيوبة من جانب هذه السيدة وأسرتها. بعدما اكتشفت أيوبة

(١) عين الهر، ص: ٢٥.

أسرار هذه هؤلاء السيدات الوسخة وحاولت النجاح من مكايدهن، وقبل أن تشكو أيوبة ضدهن عند كبار العمل، تقول: "وجدت نفسي متهمّة بسرقتها، وبإغواء ولدها، واستغلاله. يعني: ضربي وبكى، وسبقني واشتكى." ^(١) بجانب آخر، تتناول الفصول بين حكاية أيوبة وهي الفصل الرابع عشر، والسادس عشر، والثامن عشر، والعشرون- الأحداث من حياة الساردة والعقدة التي توجد في أحداثها وهي أنها ترسل الإيميلات إلى حبيبها وتسترسل في حكايات أيوبة خلال هذه الإيميلات وهو لا يرد عليها إلا بالتعليقات الموجزة وأحياناً لا يرد على الإطلاق، ثم تجد فجوة بينها وبينه في عدد من اللقاءات وعدم التفاهم، ولكنها لا تفهم كنه هذه العقدة إذ تقول: "إن نفسي تحدّثني بأن ثمة شيئاً فاتني إدراكه." ^(٢) ثم تأتي عليها لحظة الكشف عن هذه العقدة، فتكتشف خطأها أنها في الحقيقة كانت تستبدل هجاء الإيميل من **u** إلى **o**، وبالتالي تصل إلى شخص آخر وهو يرد عليها بغرابة، ولم تصل إلى حبيبها أصلاً. وتنتهي الأحداث بشكل مفتوح على عدم معرفة هوية صاحب هذا البريد الإلكتروني. وتستعجل الساردة في نشر هذه الرواية قبل أن يسرقها منها وينشرها هو.

أما رواية سماء قريبة من بيتنا فهي رواية أحداث الحرب والهجرة واللجوء والغربة وعذابات العودة إلى الحياة والمخاوف التي تلزمها. وكل الأحداث التي تجري في هذه الرواية وكل مهجر يلجأ إليه الإنسان يجمعها سماء واحدة، وهي نفس السماء التي تجدها جمان ملجأ لها في بيتها من مخاوف الليل حيث تسرد: "حينما يحطّ الليل على منطقة الراية تتحول الحديقة أمام سريري إلى مرتع للريح، أسمع أصواتاً تشبه النعيق، وهرهر قطط، وتتحوّل الأشجار إلى أشباح متعانقة، فأنطوي على نفسي في السرير، وأهرب بعيني إلى السماء، فأراها أكثر ألفة، أحملق فيها

(١) عين الهر، ص: ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٠.

أكثر فأكثر، فأجدها قريبة، ونجومها مثل قطع الحلوى غزل البنات، وأستطيع أن أتناولها بمجرد أن أرفع يدي، تشبه السماء فوق بيتنا!"^(١)

وعندما تجد جمان نفسها في عراء "مخيم الزعتري" تجد نفس السماء تقدم لها الحنان الوفير واللجوء من هذه الغربة، تقول: "كانت السماء أليفة جدا رغم الغربة الماكثة في الأرض... ما أشبهها بسماء الرقة قبل العاصفة وربما بعدها."^(٢)

كما تنتهي أحداث الرواية على نفس الرمز حيث تجد الساردة جمان نفسها أمام بناء المستشفى وتتأمل في أضواء بناء المستشفى، تنطفئ واحدة إثر الأخرى، ثم تنجذب إلى السماء وتحلق فيها، هنا تقول جمان: "صارت النجوم أكثر لمعان، وبدأ كل شيء محتوما، الألم والموت والشفاء. السماء هنا قريبة، قريبة جدا، ولا تحتاج إلى سلام أو حبال."^(٣)

فعنوان الرواية يأخذ مجراها بداية من أحداث الرواية مروراً بمآزق الحرب والهجرة واللجوء وصولاً إلى نهاية الرواية وتبقى السماء بكل معطياتها رمزا للأمن والألفة والسكينة سواء كان ذلك في البيت الأول للكاتبة أو في الملجأ أو أمام موتها المنتظر في المستشفى.

قسمت الكاتبة رواية سماء قريبة من بيتنا إلى عشرة فصول كاملة، كل فصل يحتوي على أحداث شخصية من الشخصيات الروائية إلى أن تكتمل صورة متناسقة الزوايا والأحداث بخيط من أنس الإنسان إلى بيته الأول والمآزق التي تبعده من هذا المكان، فتبدأ الأحداث في الفصل الأول بعنوان "ليالي الأنس" بهجرة أسرة بهجت بيك من حلب إلى دمشق وتبدأ من هنا قسوة الهجرة التي ترغب الإنسان على أن يهجر أحلامه التي بناها، وذلك ما نجد في حياة بهجت بيك الذي ترك وراءه إرث الثقافة الثرية الغنية من حيث الأدب والفن وما إلى ذلك وهاجر إلى دمشق، لكنه لم يتوقف عند هذا

(١) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٨٨-٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٣٥-١٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣٤٢.

الحادث بل أسس بيئة حلبية في بيته بشكل سهرات ثقافية مع أصدقائه الحليين الذين أيضا افتقدوا سهرات حلبية ووجدوا بديلا مناسباً لها في دمشق.

والفصل الثاني من الرواية يبدأ بعنوان "محطة بغداد النوتوراكسي" وهو حي جميل بحلب، فتذكر الساردة جمان أحداث بيت جدها لأُمها بما فيها من ذكريات حنونة تجاه هذه المدينة، والأشخاص الذين لم يتوقفوا عن سكب المحبة على الساردة حين كانت طفلة، فتركز على أحداث ماضية مع خالتها وجدها وذلك العصر الذي كَوّن شخصيتها وأثرت في الأحداث الجماعية والبناء الاجتماعي والتطور الحضاري في بلاد الشام.

بينما يشرع الفصل الثالث بعنوان "قصر البنات" الذي يضم أحداث أسرة الساردة من جانب أبيها وجدها لأبيها، وتقدم الساردة في هذا الفصل تاريخ أسرتها ودور هذه الأسرة في تعزيز البنى التحتية، كتوفير الكهرباء وغيرها. من جانب آخر تلقي الساردة الضوء على ما وصل إليه هذه البلاد إلى الدمار، والذي أوصل هذه البلاد إلى نقطة الصفر من حيث البنية التحتية.

تركز الساردة في الفصل الرابع بعنوان "سليل كرمهايم" على الحوار الأيديولوجي بين ناصر وجمان وينطلق هذا الحوار من أسئلة الحرب والسلام والآثار التي تركت هذه الحرب على نفسية الأشخاص المختلفين، فالبعض منهم يجعلون الفقد والحرمان واليأس شعاراً لهم، كشخصية جمان التي ترى اليأس والحرمان والجفوة في حالتها الصحية والمرض، وهذا الجانب السلبي يسيطر على شخصيتها سواء كانت الحياة تمشي إلى الأمام.

والجانب الذي تفقده جمان تكمله شخصية ناصر الذي ينظر إلى الحياة والبلاد بنظرة إيجابية متفائلة، بحيث يرضى بالقليل الذي تقدمه له البلاد ولا يشكو من الكثير الذي يقوم به هو تجاه البلاد فهو راض بالقدر، ويرى في كل حدث له خيراً.

ومن ثم يقدم لجمان هذا الخير والعطاء في أحداث الفصل التالي بعنوان "ممرات ضيقة" عندما تصاب بمرض السرطان حيث يصبح المرض معاناة موازية لمعاناة الحرب واللجوء اللامتناهية، فتجعل جمان موازية لأختها سلمى وجود اللتين

أصبحتا ضحية الحرب، وحينذاك نجت جمان من محالبها، لكنها تجد نفسها الآن على الشرفة التي تطل على عذاب الموت بحيث لا تقل عن معاناة الحرب التي يعاني منها المجتمع الإنساني.

لكثرة ما في هذه الرواية من الأحداث حول شخصيات متنوعة، خصصت الكاتبة الفصل السادس بعنوان "أحلام البرتقال" لبيان تأثير أحداث النكبة الفلسطينية على بعض الأسر خلال هذه الرواية كأُسرة يوسف بن يعقوب، وأُسرة نبيلة، وهما اضطرتا للهجرة إلى الأردن إثر النكبة. ويصير أكل البرتقال حلما بالنسبة للفلسطينيين إثر القصف الاحتلالي على بيارات البرتقال. وهو بالتالي رمز للدمار والحرمان. وبالتالي تناول هذا الفصل الأحداث في حياة نبيلة وزوجها الأول يوسف وابنهما يعقوب وكذلك زوجها الثاني الطبيب رشيد، بحيث عانى كل من هؤلاء من مشاكل مختلفة ولم ير أحد منهم ضوء السعادة في الحياة إلا قليلا.

ثم تنتقل الأحداث في الفصل السابع بعنوان "روليت روسي" إلى مراحل العلاج الكيماوي لجمان واكتماها، وهنا تستلهم جمان آمالها وتفاؤلها من خلال أحداث هانية وحوارات طويلة بينهما حول المرض والصحة والعودة إلى الحياة. ومن ثم يبدأ الفصل بـ "قالت هانية"، إشارة إلى نفوذها في تقوية شخصية جمان في مرحلة مرضها. وهنا أخذت الساردة رمز روليت روسي لمخاطر العودة إلى الحياة بعد رهان الحرب الطويلة المنهكة الأعصاب والأجساد، ونهبها العشوائي للأرواح كلعبة روليت روسي تماما.

والفصل الثامن بعنوان "ملح القراصنة" يركز على الأحداث في حياة سلمى بالمفارقة التي تتعلق بمغامرتها في البحر وهي تنجو من هذه المغامرات على أيدي أشباه القراصنة وتعطيها حياة جديدة، والجزء الأخير لأحداث هذا الفصل تفيد بالمفارقة الأبدية حيث يصبح "نسيب" زوج سلمى بين غرقى حادث السفينة عند الهجرة من سورية إلى السويد.

أما الفصل التاسع بعنوان "فارس قلعة يوركشاير" فيتناول الأحداث في حياة أخت الساردة "جود" التي بدأت حياتها المغمورة في التدلل والترفيه بينما أخذتها

نيران الحرب إلى منحى آخر، كما حل في حياتها محارب من سلالة أفغانية عائشة في شمال إنجلترا في منطقة يوركشاير، وتزوجت به رغما عن رضا أبيها، فهنا يتم التركيز من قبل الساردة على معاناة والدها في قرارات بناتها في حياتهن.

أما الفصل الأخير والعاشر بعنوان "كاميكازي" فيربط أحداث هذه الرواية بخيط رمز السماء إذا بدأت الأحداث في حياة جمان على متن الطائرة في السماء بلقائها لناصر، وهنا تنتهي الأحداث بموت هانية باختفاف طائرتها من على المحيط الهندي. وتفقد تلك الصديقة التي كانت رمزا للأمل في الحياة، إلى أن تجد نفسها بعد كل هذه الإعصارات في حضن السماء ونجومها وتعوض عن كل ما مرت به في حياتها.

أما رواية الصيف مع العدو فهي رواية ذاتية تدور حول حكاية الساردة لميس التي نزحت إلى ألمانيا إثر الهروب في بلدها سوريا. وتستعرض في حكايات عن أسرتها وأصدقائها خلال ثمانية فصول. فالفصل الأول بعنوان "جريمة صامتة" يتناول فترة طفولتها وطفولة صديقها عبود، وأحوال بيت عبود، ينتهي الفصل ب وفاة جدة لميس إثر إخافة عبود لها. خطت لميس مع عبود في إخافة جدة بتغطية وجه عبود بفردة جورب نائلون. لكنها لم تحسب خطورة هذه اللعبة. وإلى هذا يشير عنوان الفصل. وهذا الحادث وإثمه وضع نقطة حاسمة في صداقة لميس وعبود. كما يدخلون سن المراهقة وتتغير مدرسة كل منهما عن الآخر.

في هذه النقطة تستأنف الساردة حكاياتها في الفصل الثاني بعنوان "سجل عائلي" ويتجلى بهذا العنوان أنها تقدم تاريخ أسرتها، كيف تزوج جدها بجدها وعلاقتها بجدها وصديقات جدتها، وبأمها وخالها. وهو يحتوي على المفارقة في الأحداث حيث تخبر الساردة أنها الآن في ألمانيا بدون أي واحد من أسرتها فلا أحد ينتظر لها وهي أيضا لا تنتظر لأي أحد من أسرتها عكس ما كانت تعيش في السابق في أسرة كبيرة. وكيف تقضي أيامها مع أمها بالرياضة وتطور أسلوب المشي. والجملة الأخيرة التي تكون بمثابة ختام المسك على أحداث الفصل الثاني

وهي كالتالي: "انتهت رياضتنا اليومية مع دخول أيلول حيث يبذل العالم من حولنا جلده، وندخل في مزاج المدرسة، والبرد، وانتظار المطر."^(١)

أما الفصل الثالث بعنوان "رائحة الهجر" فيبدأ بألم ليس ومشاكلها مع زوجها، وينتهي بهم المطاف أن زوجها يرحل إلى يونان فتنتهي المشاكل والقلق اليومي، رائحة المطر كانت موجودة في حياة نجوى في وجود زوجها وأيضاً في غيابها. تنهي الساردة هذا الفصل بتعليقها كآآتي: "لقد صرنا حينها وحدنا في ذلك العالم على وجه الحقيقة. كان أبي من قبل بعيداً، لكنه كان موجوداً، ويمكن استعداده بشكل ما في أية لحظة، والحصول على دعمه، وعتابه، والانتقام منه، وكان يمكنني تهديد أمي بالانضمام إليه أيضاً، وحين مات أخلى سمائي من الشياطين والملائكة!"^(٢)

الفصل الرابع بعنوان "ليالي المقطورة القديمة" يتصل بالأحداث السابقة ويبدأ من نفس النقطة حيث تعلق الساردة على مغادرة والدها في أول أسطر هذا الفصل: "كنا قد تنفسنا بسفر أبي الصعداء، إذ هدأت المشاكل، وصار التزامنا بكل شيء أقلّ، بمواعيد الطعام، والنوم، والاستيقاظ وبالمناسبات الاجتماعية."^(٣) ثم تمهد للأحداث التالية لها علاقة بليالي المقطورة القديمة: "عشنا أنا وأمّي وجدتي في وئام فريد إلى أن جاء نيكولاس فتغيّر كل شيء، وكأن الدنيا قلبت علينا فصلا في كتاب، أو أنّ مركبة فضائية نقلتنا إلى مجرة جديدة."^(٤)

أثناء مكوث نيكولاس في الرقة، بقيت نجوى معه، اقتربا قريبين إلى أن خافت ليس أن أمها ستتركها وتغادر البلاد مع نيكولاس. لكنها لا تترك أمها العجوز ولا تسافر إلى أي مكان، بينما يذهب نيكولاس بعد إنهاء عمله، هنا تعلق

(١) صيف مع العدو. ص: ٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٠٦.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٠٩.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٠٩.

الساردة على نفسها وعلى نفسية. "عادت ماما ساهمة وغير مبالية: "صرنا كائنين مصابين بالفراغ، وتعادلنا مجدداً في أحزاننا!"^(١)

يليه الفصل الخامس بعنوان "يوم التقاحة" والذي يقدم استرجاع الأحداث الماضية بالنسبة للأحداث التي سبق ذكرها في الفصول السابقة، فهنا أولاً تذكر عن ميلاد خالها نجيب وعن طفولته وشبابه ومقتله! ثم تنتهي الأحداث في نهاية الفصل على مقتل نجوى أم لميس عند عبور جسر الفرات. وينتهي الفصل بتعليقها: "عرفت أن الله فعل بي مثلما فعلت بـ.. حرمتها من أمها، فحرمي منها!"^(٢)

الفصل السادس هو "رجال كارمن الثلاثة" يختلف هذا الفصل عن السابق في المكان وهو ألمانيا. وهذا الفصل كله في لحظة آنية حيث تخبر كارمن عن خيانة زوجها لها، وبعد الفصل بينهما حاولت أن ترتبط بعلاقتين متتالين ولكن لا تجد حظها، فهي لا تطيق قيود الحب والعشق في هذا السن المتأخر. تنشب الصداقة بينها وبين لميس بعد هذه الدردشة خلال أطول فصل يحتوي على أكثر من سبعين صفحة، وتنتهي الجلسة بقول كارمن كالتالي: "في هذا العالم رجال رائعون، لكنها لا يمكن أن نحظى بهم جميعاً في حياتنا، مثلما لا نستطيع أن نحصل على وجوه النرد كلها في رمية واحدة!"^(٣)

والفصل السابع والأخير بعنوان بيغ بانغ يأخذ الأحداث إلى نهاية وتنكشف العقدة ويكون ذلك بمثابة انفجار كبير صادمة بالنسبة للميس وإلى ذلك يشير عنوان الفصل. وتنتهي الرواية بلقاء لميس مع نيكولاس لأجل ترتيب الدراسة والمنحة في ميونيخ.

(١) صيف مع العدو ، ص: ١٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢٩٦.

انفتاح النص نحو البداية والنهاية للأحداث:

إن دراسة الاستهلال في الرواية من الموضوعات التي تساعد القارئ على الدخول في عالم الخيال ويعرفه على معالنه إلى أن يصل إلى نهاية هذه الأحداث مروراً بانعطافات ودوّارات في أحداث عالم الخيال. فالاستهلال هي "تلك الكلمات الأولى التي ترشد القارئ إلى مدخل الرواية أو على العكس من الممكن أن تؤخر ذلك."^(١)

وهذه البدايات تنقسم إلى قسمين رئيسيين:

١. تكون فيه الشخصية الروائية غير معروفة من القارئ أي مقدمة من الخارج، ومن ثم يأتي تعريفها، وهو النوع الذي ساد تقريباً حتى نهاية القرن التاسع عشر.^(٢)
 ٢. يفترض أن الشخصية معروفة من قبل القارئ بتقديمها باسمها الأول أو بالضمير. ويعتبر جينيت الضمير "أنا" حالة خاصة تجمع بين النوعين معاً "ما دمنا نعرف على الأقل أنه يدل على السارد."^(٣)
- وهي البداية التي تسود على الروايات المعاصرة ويتنوع كل كاتب في هذا السبيل أن يعرض بكورة أوراقه بأساليب شتى ومن مواضع مختلفة لشخصيات الرواية، حسب متطلبات الرواية ولإثارة تشويق القارئ.
- يعبر الدكتور طه وادي عن أهمية هذه البداية كالتالي: "ويحسن بعض الكتاب صنعاً، حين يضعون قراءهم مباشرة داخل الأحداث، حتى يندمجوا فيها دون وعي منهم. وبعد ذلك تعرفهم الرواية ما كان خافياً عليهم في البداية."^(٤)

(١) أنواع الاستهلال في الرواية/ أنواع الكلام (الملفوظية)، مها بياري، مجلة السيميائيات، المجلد ١، العدد ١، ٢٠٠٥، ص: ١.

(٢) عودة إلى خطاب الحكاية، جيار جينيت، ترجمة محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠، الدار البيضاء، ص ٨٩-٩٠، مأخوذاً من أنواع الاستهلال في الرواية/ أنواع الكلام (الملفوظية)، ص: ١.

(٣) المرجع نفسه

(٤) دراسات في نقد الرواية، ص: ٢٩.

انفتاح النص نحو البداية والنهاية للأحداث عند بدرية

البشر:

تستهل روايات بدرية البشر بطريقة داخلية، حيث رواية غراميات شارع الأعشى تبدأ بضمير المتكلم لشخصية الساردة مع اسم شخصية أخرى، كأنها شخصية معروفة لدى القارئ. فالمشهد الاستهلاكي كالتالي:

"- اصعدا إلى السطح وافرشا الفرش.

قالت لنا أُمي بعد الغروب، وهي تنهي صلاتها.

عَدَوْنَا بِأَجْهَاءِ سَلَمِ الْمَنْزِلِ نَتَسَابِقُ، أَنَا وَعَوَاطِفُ الَّتِي مَلَأَتْ دُلُو الْمَاءِ." (١)

حيث يسير القارئ في هذا المشهد مع الشخصيات وكأنه على معرفة بصاحبة الضمير، شخصية عواطف، إلى أن تتقدم الأحداث من جوانب شتى، وما قد جرى في حياة هاتين الشخصيتين بالإضافة إلى عدد من الشخصيات الأخرى، وذلك من قبل نقطة الاستهلال، وما يجري من أحداث بعد بدء الرواية.

ومن ثم تنتهي الرواية أيضا بـ "النهاية المفتوحة" لمصائر الشخصيات كما يميل معظم الكتاب المعاصرين إلى هذه النهاية. وبها تبقى الرواية طازجة حية حاضرة عند القارئ حتى بعد ما يتخلص من قراءتها. يبين الدكتور طه وادي أهمية هذه النهاية إذ يقول: "الأدب المعاصر يريد قارئاً إيجابياً واعياً، يشارك المؤلف في تخيل مسار القضية القصصية، وتصور ما يمكن أن توحى بها من دلالات قريبة أو بعيدة، لأن ذلك يعني أن رسالة الأديب قد وصلت إلى قارئه." (٢)

إذ تنتهي الأحداث في حياة عزيزة فاقدة أملها وكأنها ماتت بينما تطور وضحي حياتها وتحسنها من الصفر إلى الوفرة وكذلك تغيرت حياتها أولادها إلى الأفضل. أما الأحداث في حياة معظم الغراميات في شارع الأعشى تنتهي في حالة سيئة لا تختلف فيها واحدة عن الأخرى، فالضحكات التي استهلّت الرواية بها

(١) غراميات شارع الأعشى، ص: ٥.

(٢) دراسات في نقد الرواية، ص: ٣١.

انتهت بمأساة لسذاجة المراهقات الغراميات واعتمادهن على العالم الخيالي الغرامي السائد على المجتمع السعودي.

كما تستهل رواية هند والعسكر بطريقة داخلية حيث يسير القارئ مع السارد بضمير المتكلم وهو يصف منظرا صباحيا خارج النافذة، كما يصف مشهد إعداد القهوة، زما إن يصل القارئ إلى الصفحة الثالثة من هذه الأحداث إلا وهو يدرك جنس الساردة فهي أول "تلميذة" في أسرتها تحب فن نسيج الروايات.^(١) وبالتالي تنفتح طبقات هذه الشخصيات بمرور الفصول.

وانفتاح الرواية بمشهد المطر والجمال الطبيعي في الفترة الصباحية يرمز إلى بدء حياة الساردة البدائية البريئة وفطرة الإنسان الجميلة، يتبعه مشهد غليان القهوة على اللهب يوحي بمشاكل الحياة، منتهيا على شذاها الطيب ومذاقها الراقي وهي ترمز إلى نضج هذه الحياة والوصول إلى منفذ الخروج من المشاكل، كما نجد الساردة قد نجت من مشاكل حياتها ومصائبها فتخرج عبر الطائرة وتغادر أهلها وأسرتها إلى فضاء حياء جديدة تنتظر لها مع من تحبه وتحنأ به في بلد جديدة "كندا".

فانفتاح النص بمشهد إعداد القهوة ليس حدثا عاديا بل يوحي بنكهة الرواية وأحداثها في حياة الساردة، فيصير إعداد القهوة رمزا للكفاح والتعب والكد الذي ينتج إنسانا ناضجا يجد مخرجا من كل المآزق إلى الخير والنجاح.

أما رواية الأرجوحة فتستهل بالطريقة الداخلية، حيث تقول الساردة في أول الرواية: "تركت مريم مدينة الرياض، كما هي في شهر الصيف شاحبة ومحتقنة، مثل امرأة حبلى، لكن بالغبار."^(٢) وكأن القارئ يعرف كل هذه الشخصيات وتجري في تيار الأحداث كأن القارئ أيضا داخل هذه ويتعرف على أحوال هذه الشخصيات مع مرور الأحداث عبر فصول الرواية. وتنفتح رواية الأرجوحة بمشهد العواصف الرملية في المطار والتراب يغطي كل شيء ويخنقه كما تصف الساردة في

(١) هند والعسكر، ص: ٩

(٢) الأرجوحة، ص: ٧.

أول صفحة كالتالي: "الغبار يغطي كل شيء، عواصف ترابية تهب بلا انقطاع، في الصيف لا يهطل سوى التراب"^(١). ولا يمكن للضوء أن يصل إلى الأشياء بسس الغبار: "قبل أن ترتفع الطائرة في السماء، كانت الأنوار الخافتة للمطار تكافح طبقات التراب المنتشرة."^(٢) وهذا المشهد لا يدل على أحوال الطقس في الرياض فحسب، بل يدل على حالة مريم وصديقاتها وتفكيرهن تجاه الحجاب والعباء، وحقوق المرأة المسلمة، والقوانين الاجتماعية الصارمة التي تخنقهن. وكأنهن مغطاة بالتراب في القبر، ولذا مريم تسمي مدينة الرياض بـ "المقبرة. كما تعلق الساردة: "كانت تظن أن الرياض، بضجرتها وقيودها وعباءاتها السوداء، تستحق وحدها ذلك اللقب."^(٣)

بينما تجد مريم مشهداً آخر غي مطار جنيف وشوارعها مختلفاً عما وجدت في الرياض: "حين هبطت الطائرة، كان صباح سويسري جديد ينير السماء، بوجهه الصافي كمرآة، وصحوه الضاحك كوجه طفل لا يشغل باله الغد. وبدت خضرة الأشجار تملأ المكان. وتحتفل بالصحو إثر مطر خفيف غسل إسفلت المطار."^(٤) وهنا تظهر الحالة الأخرى التي تشعر بها مريم وصديقاتها في هذه البيئة من الراحة والحرية وعدم المبالاة بالحجاب في هذه المدينة. وكأنهن تركن أعباءهن في الفضاء بين الرياض وجنيف وحين وصلن إلى جنيف قد خففت أوزانهن من كل هذا.

وهذه الحرية تنبت في نهاية الرواية في حياة كل شخصية وهي تترك أعباءها في الحال دون أن تقلق في مشاكل الغد، أما مريم فهي جاءت إلى جنيف بحثاً عن زوجها الذي هرب منها لكنها تحاول أن تخرج زواجها من طوفان الفاصل بينهما، وتأتي هنا إلى جنيف بحثاً عن زوجها، وعندما تتيقن من مغادرته من جنيف إلى

(١) الأرجوحة ، ص: ٧.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٧.

(٣) المصدر نفسه ، ص: ٨.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٧.

باريس، تنوي العودة إلى الرياض لأن أولادها بانتظارها. وعندما تكون جالسة على متن الطائرة، تلمح شبح زوجها مشاري. تفكر مريم أن تهرول إليه وتعانقه فرحا وتنسى كل ما حدث بينهما من المشاكل، لكنه يغيب فجأة. "هضت مريم، حملت كتابها ولم تحاول أن تتلفت في المكان بحثا عن مشاري." ^(١) واكتفت بما أخذت عبء الجري وراءه تحررت نفسها عن هذا البحث.

وأما سلوى فاختارت أن تبقى في جنيف بضعة أيام أخرى وأن تقضي حياة فاسدة أعجبت بها من شرب الخمر والرقص واللهو، وبدأت تأخذ الأموال من الرجال عوضا عن قضاء الوقت معهم. وأما عناب فهي أسوأ حالة من سلوى وتركنا حياة العفة والكرامة، بل اختارتا الحرية بشكل أقبح.

أما رواية زائرات الخميس فتبدأ أيضا بطريقة داخلية حيث يتابع القارئ ما يفعل حسام ومن مشاعل، إلى أن يتعرف القارئ على هؤلاء مع مرور الأحداث. ولا تقدم الكاتبة تعارف هؤلاء الشخصيات في بداية الرواية. بل تفتح الطوابق في الفصول التالية، إلى أن تنتهي الرواية بنهاية مفتوحة إلى الأمل والخير.

البداية والنهاية عند شهلا العجيلي:

تبدأ رواية عين الهر بالطريقة الداخلية بتعليقات الساردة الناقدة دون معرفة هويته أو هويتها إلى أن تصف نفسها بالموثوث في الفقرات التالية، ^(٢) تكشف هذه التعليقات عن زيف العلاقات ومحاولات الساردة دوما أن تلتزم بحياة روتينية مهما كانت صعبة وتحاول أن تستلهم حياة الآخرين لرواياتها وهذه هويتها وعملها كالكاتبة، ثم تعلق على جو عام لهذه الرواية كالتالي:

"كنت أتملّص من منعطفات حياتي بالتلهي بمنعطفات حيوات الآخرين. لطالما ظننتها هواية، وإذ بها طريقة للنجاة!" ^(٣) وهذا ما يجد القارئ في نهاية الرواية أن

(١) الأرجوحة. ص: ٧.

(٢) ينظر: عين الهر، ص: ٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٦.

الساردة تعاني من زيف العلاقات والتنقل بين المدن لأجل العمل الجديد وتحب المجوهرات وتقدر لها، وهذا ما تجد في حكاية أيوبة من معاناة مستمرة مع منعطفات الصعود والهبوط. وتصبح حكاية أيوبة مزيجاً بمشاعر الساردة، كما تقول: "كانت أيوبة تحكي، وأنا أضوع روايتي بمشاعرنا معا، وبلغتنا معا."^(١)

ومن ثم تنتهي الرواية مفتوحة لما سيحصل لشخصيات الرواية بعدما تصيبها فشل وزيف في الأحداث الأخيرة، كالتالي: "عموماً، لم أكن أتوقع أن خطأ فنياً، وأن آخر، لا أحد منا يعرفه يتلّهى بمصائرنا أنا وأنت، وأيوبة. ها قد كشفت أوراقنا، وفوتنا على أنفسنا قصص الحب!"^(٢)

مع ذلك يبقى خيط الأمل في أيدي كل من الساردة وأيوبة، إذ تقول أيوبة عند استماع الأذان بعد انتهاء حكايتها: "ما دامت قولة الله أكبر تتردد، اعلمي أن العالم بخير!"^(٣) بينما تقول الساردة آملة: "الآن على أن أسرع في نشر روايتي، قبل أن يسبقني ذلك الرابع، فيهتك سترها."^(٤)

بينما تستهل رواية سماء قريبة من بيتنا ببداية داخلية حيث تبدأ الأحداث بوجود الساردة دون أن يكون القارئ على معرفة من هويتها إلى أن يسير مع الأحداث فيدرك أحوالها. كما يوجد انفتاح النص من هجرة أسرة بهجت بيك، يوحى هذا الانفتاح إلى أحداث الرواية بشكل مجمل وهي معاناة الحرب وهجرة الشخصيات الروائية سواء كانت المهجرة الداخلية في بلد واحد: من الرقة إلى حلب ومن حلب إلى دمشق؛ أو من بلد إلى بلد آخر من فلسطين إلى الأردن ومن سوريا إلى الأردن.

وهكذا نجد رواية صيف مع العدو تستهل بالبداية الداخلية حيث يكشف القارئ عوالم الساردة لميس مع مرور الوقت كأنه على معرفة بها. حتى اسمها لا يرد في

(١) عين الهر، ص: ٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٥٥.

بداية الرواية. ويكتشف القارئ سن الساردة في الفصل الثاني. فيذوب القارئ في حكايات طفولتها وتأثير الحروب في بلدها على شخصيتها وعلى أسرته، وأسباب الهجرة وأحوالها المروعة.

توظيف الحلم في تنبؤ الأحداث:

إن الحلم يؤدي دورا بارزا في تنبؤ الأحداث في الرواية. والتنبؤ "هو أن يتخيل شخصية ما أن ثمة شيئا تتمناه أو نخشاه سوف يحدث." ^(١) وهو أحد التقنيات التي تشوق القارئ ويجعله يتخيل المسار الروائي. فالأحلام يقدم للقارئ ما يجري في لا وعي الشخصية كما ينبؤ عن مصير الأحداث.

تشاهد ساردة رواية هند والعسكر من خلال في الحلم "سوق الديرة القديمة" التي زارتها في صغرها مرات عديدة، فتقول: "جدران السوق ودكاكينها في الحلم مهتمة، وبيوت الناس تنكشف للمارة. مشيت في الحارة نحو السوق، ركضت نحو سرداب كبير شاهدت النساء يهرعن إليه، هؤلاء النسوة لا يشبهن نساء الرياض، بل يشبهن النساء السود الأفريقيات اللاتي يعملن خادومات في بعض بيوت الرياض الكبيرة." ^(٢)

وتسرد الساردة أن هؤلاء النسوة يدخلن إلى السجن ثم تخرج كل واحدة تلو الأخرى من السجن دون هند وهذا ما يجعلها تيأس من حالتها كسجينة إلى يقدم حارس السجن مساعدته لإخراجها من السجن وعندما تمسك يده تنكشف عنها ستائر النوم والحلم.

يأخذها هذا الحلم من البحث عن طريق الحياة بفن الكتابة، مروراً بفترة الحزن الأسرية ومرحلة اليأس المؤقتة والانتظار إلى الفرج، كما تقول: "إذن لا أمل لي في الخروج من هنا" ^(٣)، إلى أن تجد يد العون من تساعد لها للخروج من سجنها، وهو يد أخيها فهد، ومؤانسة الوليد.

(١) دراسات في نقد الرواية، ص: ٣٤.

(٢) هند والعسكر، ص: ١٠٨-١٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٠٨.

في موضع آخر أيضا تذكر حلمها شبه الخواطر يرمز إلى حلمها الأكبر بأن تجد الحرية وتحلق في سماء الكتابة والأعمال والحياة الشخصية، وذلك على هيئة الطائر الريشي، كما تسرد هذا الحلم:

"أشعر بأني طفلة تتزحلق على الغيم، وتسقط في ندفه، ثم تطير إلى غيمة أخرى خارج مدار هذا الكون. هبت نسائم باردة على يدي العاريتين، نبتت على زندي منابت كأنها نمت للتو وخرجت من جلدي، مررت بيدي على زندي، شعرت بأن ريشا أبيض قد نما فوق جسدي، ريش ناعم طويل يدفني ويعدني برحلة تخليق ناجحة." (١)

قصة رمزية داخل الرواية:

قصة رمزية داخل الرواية عند بدرية البشر:

في رواية زائرات الخميس نجد أن الكاتبة استخدمت قصة رمزية لبيان أحوال غباءة حسام مع زوجة غير جادة في علاقتها معه. فالقصة الرمزية مفادها بأن الشاب يخبر أسرته عن شجرة الأمنيات، فيأخذ أمه وأخته وزوجه إلى وسط الصحراء حيث توجد هذه الشجرة ثم يغادر بعذر عمل ما سيصطحبهم بعد فترة، ثم يعود من جانب آخر ويختفي وراء الشجرة. فتأتي أخته وتقول للشجرة بأنها تحب شابا فلانيا وتريد الزواج به. ثم تأتي أمه وتقول للشجرة بأنها تريد الزواج براعي الأغنام وتريد أن يوافق ابنه على هذا الزواج. ثم تأتي زوجته وتقول بأنها تحب رجلا آخر وهو يحبها فتريد أن يصبح زوجها كفيفا كي لا يراها تسامر عشيقها. لاحقا عندما يعودون، يزوج أخته بذلك الرجل، ويحتال على أمه كي تترك فكرة الزواج براعي الأغنام بنفسها. أما زوجته فتخبرها بأنه يسافر ويدهمها

(١) هند والعسكر ، ص: ١٢٠-١٢١

وهي تسامر عشيقها في الليل ويقتلها.^(١) ويستفيد حسام من هذه القصة في أن يترك غباءه، ويتبع قضية مشاعل أين تذهب تلتقي بمن كي يخرج عن حياة لاشك إلى اليقين.^(٢)

قصة رمزية داخل الرواية عند شهلا العجيلي:

في رواية عين الهر، تسرد الساردة زيارة أحد الشعراء إلى مدينة ما، لتقام له أمسية شعرية. يشترط الشاعر أن يقام هذا الحفل في مكان شعبي وليس في مكان خاص. يقام هذا الحفل في صالة السينما الكبير تشهد جما كبيرا من الجماهير، رغما عن أنوف كبار المدينة وسلطتها خوفا عليهم. وهم في الحقيقة الجماهير الذين يحبون مثل هذه الأمسيات، غير تلك التي تقام لمصالح سياسية.

هنا يرحب المضيف الأديب بالضيف ويحكي قصة رمزية إشارة إلى إخلاص الناس للذين يقدمون لهم الخير الحقيقي بأي شكل كان، فيحكي كالتالي:

"كانت زوجة الخليفة تطلّ من شرفتها على شاطئ النهر، وإذ بها ترى الناس يتجهون زرافات ووحدانا نحو مكان واحد، ويتجمعون فيه، فسألت: ما الخبر، فقالوا لها: إنه الشاعر فلان، والناس يتسابقون لسماع شعره، فقالت: والله إنه العزّ، وليس ما نحن فيه، فالناس تساق إلينا بالسياط!"^(٣)

كما وظفت شهلا العجيلي قصة رمزية في رواية سماء قريبة من بيتنا في أكثر من موضع، كما ذكرت قصة امرأة باسم أم ماري وهي تحكي قصة مفادها أن الله لا يتركنا أبدا غير أن الإنسان أحيانا لا يفهم أين هو ولا يجده في عون له لقلّة فهمه ونقصان إيمانه.

فكانت هناك امرأة صالحة تقية تمشي على الشاطئ فتجد وراءها أثر أربع أقدام فيقال لها أن الرب معك، ثم بعد فترة في أيام ضعفها تمشي على الشاطئ

(١) ينظر: زائرات الخميس، ص: ١٠١-١٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١١٧.

(٣) عين الهر، ص: ٩٠.

فتجد وراءها أثر قدمين فتشكو إلى ربها على أنه تركها في أيام ضعفها فيقال لها بأنه ربك وهو يملكك، وهو لم يتركها أبداً.^(١) فهذه القصة تقدم التفاؤل وقوة الإيمان للشخص المكروب الذي لا يجد ملجأ في ابتلائه ويستعجل في شكواه.

كما تقدم الكاتبة قصة رمزية أخرى على لسان شخصية ناصر والذي يقول لجمان ذات مرة بأن من رحمة الله أنها أصيبت بالمرض لا هو، ثم حكى حكاية رمزية مفادها أن عجوزاً كان يهرب التبغ والسجائر وكان معه ابن أخيه اليافع، وعند نقطة الشرطة ينكر العم عن ملكية هذه المحرمات ويقر أنها تابعا للشباب، تحجزه الشرطة وهو يفور غضبا على عمه. لكن عمه يستخدم كل معارفه للإفراج عن ابن أخيه، وبالتالي يكون مع أسرته على مائدة العشاء. يعاتب الشاب عمه، فيرد عليه: "يا بني! أن تدخل أنت السجن فأعرف كيف أخلصك، أفضل من أن أدخله أنا فلا تعرف كيف تخلصني!"^(٢)

تدل هذه القصة الرمزية على أن اختيار الرب لما يحدث في أقدار الإنسان فيه خير، قد لا يدركه الإنسان لقلة حكمته. كما جعلت الكاتبة مرض السرطان رمزاً للحرب ومعاناتها اللاهوائية.

أما رواية سجاد عجمي فأحداثها في العصر العباسي رمز لما جرى في سوريا من الدمار والفساد في القرن الحادي والعشرين ليس إلا على أساس العنصرية الدينية وغيرها من الأسس ما أنزل الله بها من سلطان بعدما رأت سوريا الحديثة من الرفاهية والازدهار والرقى وهي السبل التي لا يعجب بها القوى العالمية للشعوب الإسلامية والبلاد العربية.

فالمهارات التي اكتسبها شخصيات مختلفة في الرواية من صناعة السجاد والنسخ والوراقة والعزف والخزف والآداب ومشاركة النساء في تطوير البيت والمجتمع

(١) ينظر: سماء قرية من بيتنا، ص: ٢٤١.

(٢) المصدر نفسه ، ص: ٢٣٨.

كلها تدل على وصول الحضارة إلى رقيها، ترمز بشكل أدق للحضارة التي شاهدها الناس في سوريا الحديثة في القرن الحادي والعشرين مزيجاً من التراث القديم الأصيل والتكنولوجيا الحديثة، لكنها نالت حتفها للأسف وصارت البلاد أنقاضاً وركاماً.

ميتا رواية:

إن مصطلح ميتا رواية أو ما وراء القص يدل على إشارات عملية كتابة الرواية داخل الرواية، أو الإشارة إلى السارد كونه كاتباً روائياً. فهو يدل على روائية الرواية، أو تخيلية الرواية.^(١)

ميتا رواية عند بدرية البشر:

في رواية هند والعسكر توجد تقنية ميتا رواية بشكل الإشارة إلى قرب الساردة من عالم الأدب والروايات والكتابة دون الإشارة الصريحة بأنها كاتبة هذه الرواية، كالتالي:

"فن الرواية مهارة توارثها أهل بيتي وكنت أول تلميذة تحب أن تصغي وتتعلم فنّ نسج الحكايات وإعادة كتابتها من جديد على الورق. جربت مرات نشرها في الصحف باسم مستعار. في البداية منعني قلة ثقتي بنفسي من إعلان اسمي، ثم خفت من ثورات غضب أخي إبراهيم المتدين الذي ما إن سيلمح اسمي منشوراً في الصحف حتى يشن حملات حصاره على حياتي. دارت بيني وبينه معارك كثيرة بسبب كتابتي في الصحف، لم ينتصر فيها أحد غير الحكاية."^(٢)

(١) ينظر:

Metanarrative and Metafictional Commentary Metanarrative and Metafictional Commentary. Monika Fludernik. Poetica, Vol. 35, No. 1/2 (2003) Pg: 11.

نقلاً عن: الخطاب على الخطاب وما وراء القص: دراسة سردية من خلال ثلاث روايات مختارة، زين العابدين، ورمثة شاهد، مجلة المصباح، إسلام آباد، المجلد ٣، العدد ٣، ٢٠٢٣، ص: ١٦.

(٢) هند والعسكر، ص: ٩.

مبتنا رواية عند شهلا العجيلي:

تتناثر تعليقات ما وراء القص عند شهلا العجيلي في رواية عين الهر، وهي التقنية التي تصوغ قالب الرواية المذكورة وذلك بأشكال متنوعة كالتالي:

فالساردة تشير إلى استلهاهم شخصية أيوبة لأحداث هذه الرواية وإعجاب هذه الشخصية لكونها الروائية: "قلت لها بأنها قد ألهمتني فكرة رواية، إذ شعرت أنّ وراءها شيئاً غير عاديّ يحضني على استكشافه، سرّْتُ كثيراً، وأعربت عن إعجاب شديد، كوني أكتب الرواية!"^(١)

في موضع آخر تبين الساردة أهمية شخصية أيوبة وطاقاتها الإيجابية في إكمال هذه الرواية عكس حبيبها: "سرقْتُ أيوبة الوقت كله، وتحوّلت إلى حدث هامّ في حياتي، يحاول التغلّب عليك، فبها سأخرج برواية، أما معك، فربّما لن أخرج أبداً!"^(٢)

كما تمدح الساردة أسلوب الخطاب الحكائي لدى أيوبة، وتشير إلى التقنيات الروائية التي تستخدمها شخصيتها أيوبة كتيار الوعي، إذ تقول: "وحيثما تحكي أيوبة، تتحول إلى أخرى، مدهشة، مفعمة بالحكمة، والنضج. تحكي من قلبها لا من ذاكرتها، تسرد كل شيء، وكأنها تتعمد التزام تيار الوعي، تُحدّث عنها، وعن الآخرين الذين تفترض أنني أعرفهم، وتستطيع أن تأخذني معها حيث تشاء، فأروح، وأغدو، وكأنني خرجت تَوْاً من بطن الكتاب!"^(٣) فهنا تعلق الساردة على سلاسة الرواية وجريان الأفكار والأحداث بأسلوب جزل.

وأيضاً تعلق الساردة لوجود الرجل المجهول في هذه الرواية مخاطبة إياه: "يبدو أنك بدأت تتقن اللعبة! إنها المراوغة، هي فقط التي ستجعلك قطبا في هذه الرواية."^(٤) وفي نهاية الرواية تصرّح الساردة بنهاية هذه الرواية ومعها نهاية إحدى الشخصيات متسائلة ومخاطبة ذلك الشخص المجهول في لا وعيها كالتالي: "فمن

(١) عين الهر، ص: ٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٧١.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٨٨.

أنت الذي اكتشف. ت كل شيء؟ وهل ستكون نواة لرواية أخرى، أم أنك ستنتهي مع هذه الرواية؟" (١)

كما تنهياً الساردة لنشر هذه الرواية بسرعة خوفاً على سرقتها وضياع كل التعب المضني في سبيل إنجازها، فتقول: "الآن عليّ أن أسرع في نشر روايتي، قبل أن يسبقني ذلك الرابع، فيهلك سترها." (٢)

وحدة الموضوع:

إن وحدة الموضوع في الرواية هي: "يشكل كائناً عضوياً نامياً متآزرًا، بحيث لو حذف منه جزء، أو تغير موقعه في النسق التعبيري، اختلت كل الأجزاء، ومن هنا لا يمكن للجزء أن ينفرد بأداء وظيفة معينة مستقلة عن الأجزاء الأخرى، لأنه يستمد وظيفته وتأثيره من تفاعله، وعلاقته ببقية أجزاء الحدث التي تكوّن بناء الرواية" (٣). ويتحقق ذلك عندما نجد الرواية أحداثاً متعددة ومتشعبة نحو اتجاهات مختلفة، ثم تعود هذه الأحداث لتصب في حدث كلي محوري واحد.

وحدة الموضوع عند بدرية البشر:

في رواية غراميات شارع الأعشى نوعان من الحياة النسوية تمشي جنباً إلى جنب من بدء الرواية إلى نهايتها، كل نوع من الحياة تأتي بثمارها وفق القرارات التي اتخذتها شخصياتها، والمصير الذي سارت عليها الشخصيات صالحاً كان أم طالحاً. تتمثل النوع الأول الشخصيات الإيجابية منها: وضحي وأم جزار وعطوى.

(١) عين الهر، ص: ١٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥٥.

(٣) بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية، د. عبد الفتاح عثمان، مكتبة الشباب القاهرة، ١٩٨٢، ص: ٤٤. نقلاً

عن الاتجاه الاجتماعي بين محمد عبد الحليم وكركشن جندر. ص: ٢٥٥.

والنوع الثاني من الحياة التي تداولتها الرواية تتمثلها الشخصيات السلبية التي اتخذت قرارات خاطئة وسارت على طريق عاطفي بعيد عن الحياة الواقعية، من هذه الشخصيات عزيزة، وعواطف، وفلوة.

فموضوع الرواية يجمع النوعين من الحياة على أساس اختيار القرارات الصائبة والخاطئة ويتجلى ميل الكاتبة إلى إبراز وتفضيل الحياة الواقعية الإيجابية التي تأتي دائما بنتائج منشودة على الحياة الرومانسية الغرامية التي لا تكون نهايتها إلا دمارا محتوما. وأيضا في رواية هند والعسكر، قصص استرجاعية الخارجية في ما يبدو أحداث لا تمت بصلة بأحداث الرواية المركزية لكنها تنتهي بنفس النتائج التي تنتهي بها القصة الرئيسة، فهي تشير إلى وحدة الموضوع في مجريات أحداث وحكايات مختلفة، مما يجعل الرواية ذات موضوع متماسك واحد وهو استمرار حياة المرأة جيلا بعد جيل إلى انفتاح الحياة إلى عالم أكثر أمانا وحيوية ونشاطا وهدوء.

أما وحدة الموضوع في رواية الأرجوحة فهي تتجلى في قصص الصديقات الثلاث إذ يختلف الحوادث في حياتهن لكن تجمعهن محورا واحدا بأنهن يبحثن عن الرجال في حياتهن فزوج مشاري غائب، وغادر سلطان العاجي عن سلوى وطلقها أيضا. أما عناب فهي تقضي وقتها في اللهو واللعب بعد ما تركه زوجها المسن الذي تزوج بها وفي بالكاد دخلت في سن المراهقة. وكل واحدة منهن تشعر بالحرية في جنيف، الحرية التي لا يتمتعن بها في مدينتهن الرياض. فالرواية من البداية إلى النهاية تتخيط بتساؤلات الصديقات الثلاث في حرية المرأة وحقوقها المتساوية بالرجال، وهكذا تنتهي الرواية ولا تجد مريم الرد على هذه الأسئلة المحيرة.

وعنوان "الأرجوحة" هي تلك المشاعر التي لا تتحقق إلا لفترة وجيزة مثل الأرجوحة تماما، حيث يتمتع الإنسان على الأرجوحة لدقائق ثم لا محالة يغادرها. عبرت الكاتبة عن هذه الفلسفة أن مشاعر الحب الجسدي والروحي لا تبقى طويلا، لكن الأسرة هي مثل ثبات الأرض واستقرارها وهي التي تقدم الأمن للمرأة بشكل جيد سواء أكان ذلك في حياة مريم التي تعود إلى أولادها في نهاية الرواية، أم كان في حياة سلوى التي تشعر بأمن في بيتها منذ طفولتها، أم بشكل عكسي في

حياة عناب حيث يفقد هذا الأمن في طفولتها ومن ثم تتعرض للاعتداء، وهكذا فرواية الأرجوحة رواية متماسكة بخيط وحدة موضوعية.

في رواية زائرات الخميس خيط الوحدة التي تجمع كل الشخصيات والأحداث هو رافات مجالس النساء التي تشمل على الثرثرة والعشاق والشباب والمراهقات والفساد في الخلق بين البنات ولا تؤذي حياتهن إلا إلى الفساد وضياع الأوقات. وهذه المجالس هي التي تفسد حياة البطلة مشاعل. وفي إحدى المواضيع تدرك مشاعل تفاهة هذه المجالس وأن تنفكع أن هذه التفاهة لكي تصل إلى نقطة النضج، كالتالي: "فكرت أنه يلزمها أن تنكر حياة النساء الضائعات في صور الحقائق والأحاديث الفارغة التي تقود إلى التورط في العبث والضحك. عليها أن تكون عاقلة وناضجة."^(١)

وحدة الموضوع عند شهلا العجيلي:

في رواية سماء قريبة من بيتنا يوجد خيط التماسك خلال جميع الفصول وأحداثها، وهو خيط المعاناة التي لا مفر منها سواء كانت في حالة الحرب أو الهدنة والأمن والصحة والمرض والفرج بعد الكرب كما مر في موضوع تقسيم الأحداث إلى الأبواب والفصول. فالشخصيات التي تهرب من الحرب تنال هتفها في غير بلاد الحرب كشخصية أم نبيلة، ونسيب. أو تجد جزءا من معاناتها في المهجر كشخصية جمان حيث عانت من مرض السرطان.

والعودة إلى طريق السلام والبناء من تحت الأنقاض، كالعودة من مرض السرطان إلى الحياة بما فيهما من مخاطر الموت من جديد، كما تعلق الساردة: "الارتكاس أكثر ما يخاف منه مريض السرطان، يخاف من أن يفلت جبل الحياة من يديه بعد أن ذاق طعم النجاة. الحياة بعد انتهاء العلاج لها وجه آخر، وجه أم عادت من سفر طويل."^(٢) فيكون هذا الطريق محاطا بحفريات اليأس والخوف متجها إلى الأمل.

(١) زائرات الخميس، ص: ١٥٢.

(٢) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٢٥٧.

رواية سجاد عجمي رواية عدة شخصيات مرتبطة بعضها بعضا وكل الأحداث في حياتهم مرتبطة في نهاية المطاف بالاستقرار السياسي والأمني في البلاد وهو الذي يضمن على حفاظ التراث ورمز هذه الثقافة هو صناعة "سجاد عجمي" بما فيه ألوان صادقة وخيوط الصوف القوية، والجهد المضني للأيدي المهرة، مع غيرها من الحرف، ودور المرأة في تعزيز بناء البيت والمجتمع. هذا السجاد يوجد لدى كل كبير وصغير، الملوك والرؤساء، في البيوت والقصور. والذي يحاول أن يفلت من سحره، يدركه سحره الشرقي حيث كان.

أما رواية الصيف مع العدو فقصص شخصياتها من الأجيال المختلفة تقدم صورا مختلفة من النساء فأن كاتبتنا تميل إلى النزعة النسائية، وتعتبر كل شخصية نسائية كيانا في ذاتها وفي بيتها أحوال مختلفة من الحرب والسلام، والدمار والبناء، والعناد والتضحية، والكره والحب وما إلى ذلك من ثنائيات كثيرة من النار والماء والتي كلها في نهاية المطاف تتمسك بخيط واحد وهو الحرب وتأثيرها على ذات المرأة التي لا أهل لها ولا ملجأ لها في بلدها بعدما أكلت نيران النزاعات السياسية بعض الشخصيات من أسرته، وبعضها هربت بسبب المشاكل الأسرية وبعضها صارت تضحية لألغام قاتلة عند الخروج من المدينة. والبلد الذي كان يحتوي على مواطنيها ويحتضنها لم يعد صالحا لهذه المهمة فصار اليتيم مضاعفا. فالفارقة هنا بأن الإنسان الآن يلجأ إلى بلد أجنبي وأناس أجانب بقدر مناسب من الرحاب الذي يمكن من خلالها الاستمرار بالحياة ودوام عليها.

الفصل الرابع:

دراسة اللغة والأسلوب في روايات الكاتبتين

اللهجات:

اللهجة السعودية عند بدرية البشر:

في رواية الأرجوحة ترد بعض الحوارات في اللهجة السعودية بين الحوار باللغة الفصيحة كما نجد في الحوار بين عنب ومريم وسلوى على المطار، فأولاً تبدأ عنب حوارها باللغة الفصيحة، حيث تقول لمريم: "نحن ذاهبتان للفتور، هل تأتين معي؟"^(١) ثم تعلق الساردة على نبرة عنب ولهجتها الخاصة عند أداء الكلمات والتي تختلف عن بنات الرياض: "قالتها عنب بلهجة أهل الرياض العريقة، على عكس فتيات الجامعة اللاتي ترتحن لهجتهن في لهجة عصرية مائعة، فتصبح لهجة خدرة، وناعمة."^(٢) ثم يتحول حوارها فجأة إلى اللهجة السعودية دون اللغة العربية الفصيحة كالتالي للإشارة إلى صميميتها مع البنات: "عنب التي بادرت بالحديث معهما بحميمية قالت: حضرنا البارحة عرس منيرة بنت ممدوح وش عرس، ما خلص إلا الصبح، مليون بنات، ورقص."^(٣)

كما وردت بعض الجمل بالإشارة إلى أنها قيلت باللغة الفرنسية لكنها وردت في النص بالكلمات الفرنسية والعربية، كما نجد في الأحداث في المطعم حيث تجاوزت سلوى طابور المطعم "فصرخت النادلة في وجهها بالفرنسية وأشارت إلى الطابور: مدموزيل مدموزيل قفي في الطابور."^(٤) فجمعت الساردة "مدموزيل" وفي كلمة فرنسية تعني "السيدة، وقفي في الطابور في خطاب واحد.

(١) الأرجوحة، ص: ٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٥٥.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٣٨.

اللغة الإنجليزية عند بدرية البشر:

وأيضاً ترد بعض الجمل باللغة الإنجليزية على لسان شخصيات مختلفة كما ورد في الحوار الذي جرى بين يوسف وسلوى عبر الهاتف وتعلق عليها الساردة: "يوسف هو من يكلمها الآن. تختلط كلماته ببعض كلمات إنكليزية: من، يوسف؟

Yaaah

كيف حالك؟

"Not bad."^(١)

في رواية زائرات الخميس أيضاً ترد بعض الحوارات أو الجمل على لسان شخصيات مختلفة باللهجة السعودية، كما توصي إحدى صديقات أم مشاعل عندما تمر مشاعل من مشاكل أسرية كالتالي: "يا بنتي لو كل حرمة ما صبرت على رجلها كان شفتي كل الحريم مطلقاً." ^(٢)

اللهجة الشامية عند شهلا العجيلي:

ورد الحوار باللهجة الشامية عند شهلا العجيلي في رواية سماء قريبة من بيتنا بين جمان وأبوها عبر الهاتف وهو يستفسر عن أحوالها: - إيه جمان، حبيبتي كيفك؟ خلّصتِ (نعم يا جمان، كيف حالك يا حبيبتي؟ هل انتهى؟)

- بابا، لماذا تخيلتم عني!

- شو؟ لا أسمع! (ماذا؟ لا أسمع)

- بابا أنا بخير، الحمد لله، خلّصت جلسات. (انتهت الجلسات)

- خلاص، الحمد لله، الحمد لله، ربنا رحمننا، صار كل شيء من التاريخ، انسي.

- بابا تعبانة.

(١) الأرجوحة، ص: ١٤٨.

(٢) زائرات الخميس، ص: ١٣٠.

- معليش، طبيعي، عملية الزائدة يبقى أَلها لسنة، فكيف بكل هذه العلاجات، والله ستعودين مثل الحصان، ست الصبايا.
- كيفكم؟ (كيف حالكم؟)
- نحن بخير، الأمور ستحسن، ستفرج إن شاء الله. ماذا يقولون عندكم؟
- يقولون الوضع أفضل.
- أكيد أكيد "تيمورلنك" مرّ، "غورو" مرّ...
- إن شاء الله إن شاء الله بابا. عندكم أكل؟
- إيسيسيه، عندنا كل شيء، ممكن أن نرسل لك إذا اردت. جود تتناول السماعة:
- جمان كيفك؟
- تعبانة!
- المهم خلصنا، ستستعيدن عافيتك بالتدريج.
- خائفة من أن يعود.
- لن يعود، كلهم شُفوا، كل الذين في مثل حالتك: أبو فرح، ورهف، وكلوديا... السرطان انتهى ولم تنته الحرب.^(١)
- في موضع آخر تقول هانية: "أنا نص عربية، نص أميركية."^(٢) (أنا نصف عربية ونصف أميركية)
- بينما تخلو رواية سجاد عجمي عن اللغة العامية واللغات الأجنبية.

(١) سماء قرية من بيتنا، ص: ٢٧٥-٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٩٩.

اللغة لأجنبية وترجمتها عند شهلا العجيلي:

تقدم ساردة رواية سماء قريبة من بيتنا شعرا باللغة الإنجليزية على لسان مارتن لوثر كينغ وهو يلقيه على الجماهير، ولكن الكاتبة تقدم هذه الأبيات مترجمة إلى العربية غير الشطر الأول في كل مقطع كالتالي:

"I have a dream

لدي حلم ...
في يوم ما أن هذه الأمة ستنهض،
لتعيش المعنى الحقيقي لعقيدها.
نحن نعدُّ هذه الحقائق بدهية،
أن كل الناس خلقوا سواسية.

I have a dream

لدي حلم ...
في يوم ماء على تلال جورجيا الحمراء
أبناء العبيد السابقين، وأبناء المستعبدين السابقين
سيكونون قادرين على الجلوس معا على مائدة الأخوة.

I have a dream

لدي حلم ...
في يوم ماء ، كل واد سيصبح مرتفعا
كل تل وجبل سينخفض
كل الأماكن الوعرة ستنبسط
والأماكن المتلوية ستستقيم"^(١)
في موضع آخر تقدم الساردة أبياتا إنجليزية على سهيل بدران وصديقه جون
في حالة السرور كالتالي:

(١) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٦٣-٦٤.

**When Johnny comes marching home again
Hurrah, Hurrah,
Well give him a hearty welcome then
Hurrah, Hurrah**

حين يعود جون للبيت ماشيا مشية العسكرية، مرحى! مرحى!

سنستقبله بمحبة غامرة، مرحى! مرحى!"^(١)

هنا لا تقدم الساردة نصا إنجليزيا فحسب بل تقدم ترجمتها إلى العربية أيضا. في رواية الصيف مع العدو ورد بعض النماذج من اللغة المهجينة إذ تدور الرواية حول عدد من شخصيات ألمانية، ففي حكاية كارمن على لسانها عن صديقها غونتر وهو لا يريد أن تغادره كارمن فعندما تجلس بسيارته يأتي عند جانبها ويكتب على الزجاج المغطى بالندى: "**Bleibe bei mir**) ابقى معي، وتحتها (**bitte**) أرجوك!"^(٢) فنجد هنا الكلمات التي كتب على الزجاج باللغة الأصلية مع ترجمتها إلى العربية.

اللغة الفصيحة:

من جمال اللغة عند الكاتبة بدرية البشر في غراميات شارع الأعشى أنها تستخدم صورا بلاغية في روايتها منها الاستعارة، إذ تقول في صورة غضب متعب على أخيه الصغير لعدم مسؤولته: "والغضب يزيد ويرعد في جوفه"^(٣) على سبيل الاستعارة المكنية.

كما تقدم صورة حديث ليلي كالتالي: "أطفئ النور أنا أيضا، ويمضي الليل ساحبا رداءه فوق حديثنا الخافت الطويل. كل منا يلقي بمرساته من قلبه إلى بحر الآخر، ونلتفظ ما يخرج لنا الحديث من أصداف ولآلئ والأحجار."^(٤)

(١) سماء قريبة من بيتنا، ص: ١٥٧.

(٢) صيف مع العدو، ص: ٢٥٩.

(٣) غراميات شارع الأعشى، ص: ٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٠٧.

ولا تفوت من الكاتبة أن تحسن لغتها الأدبية باستلهاهم التراث الشعري في أماكن مختلفة كما يرد في رواية غراميات شارع الأعشى:

كما جاءت بشعر المتنبي في موضوع زواج حيث تسأل عزيزة أخاها إبراهيم عن عدم زواجه بصديقه المصرية، فيجيب بهذا البيت:

"مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ بَجَرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّنُنُ"^(١) (٢)

وفي رواية هند والعسكر تستلهم الكاتبة من التراث الديني حيث تقتبس من آية القرآن الكريم وتضعها كالجوهر في الخاتم:

"عاشت عموشة النحيلة تعاند الموت وتتصدى له لتكون لنوير فيما بعد ضوء عينيها، وعصاها، تتوكأ عليها وتحشُّ بها على أحزان عمرها الطويلة."^(٣) مستلهمة الآية الآتية: "قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى"^(٤)

كما تقدم ساردة رواية هند والعسكر صور بلاغية ولغة فصيحة جميلة أثناء الوصف والسرد كما لاحظنا، ومنها:

"تطلق بوابة الفجر غيماتاً لترعى في حقل السماء الأزرق وتحيله إلى بياض تتلحف الشمس شرشف الغيم وتستريح يفور الغيم كبخار في آنية السماء، ترح الغيمات الصغيرة مثل فقاعات الصابون تتفافز."^(٥)

في رواية الأرجوحة ترد الصور الشعرية البلاغية بالكثرة كما ورد مشاعر مريم وأنها تريد إزالتها وإزالة رتابتها عن حياتها خلال سفرها إلى جنيف، فتعبر عن هذا الشعور في صورة بلاغية كالتالي: "أسبوع واحد قد يكفي لترطيب روحها التي

(١) ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م، ص: ٤٧٢.

(٢) غراميات شارع الأعشى، ص: ٢٣٧.

(٣) هند والعسكر، ص: ١٠٤.

(٤) طه: ١٨.

(٥) المصدر السابق، ص: ٧.

جفت، ويقشر عنها جلد الرتابة المميت. قد يعود إليها توازنها الذي انسكب
زئبقه مع مطالب صغار لا تنتهي.^(١)

في موضع آخر، تقدم الساردة صورة الحرية التي تشعر بها الصديقات الثلاث
في جنيف وهن يلتقين ببعضهن البعض بعد عشر سنوات: "شعرن بطعم حرية
شجية تنسكب في فناجين قهوهن."^(٢)

في موضع آخر، عبرت الكاتبة عن مشاعر سلوى وهي خرجت من بيتها بعد
أن يحاول أخوها من أن يمنعها من الذهاب إلى زوجها، وعند الخروج لا تريد أن
تبقى في المزاج المعكر بسبب أخيها بل تعود في حالة السعادة، وتعبّر عن تغيير
الحالة المعكّرة إلى السعادة والفرحة كالتالي في الأسلوب التالي: "ضغطت زرا في
عقلها، وخرجت ممسحتان من الجلد كما في زجاج سيارتها الأمامية، رأتهما
بوضوح، ومسحتا الصورة 'الحادثة'. ووضعتا بدلا منها صورة سلطان ضاحكا
وهي تخبره بالقصص والنكات."^(٣)

وفي مكان آخر تعلق الساردة على نشاط سلوى استعدادا لتقديم الحكايات الممتعة
من حياتها لصديقتيها بصورة بلاغية: "دارت عجلة مولّد نشط في رأسها. فتلت خيوط
غزلها، وأمسكت لوح نسيجها، وبدأت تنسج الحكاية من جديد."^(٤)

وأیضا تصف الساردة منظر سقوط قطرات المطر على الرصيف في الضوء بصورة
شعرية جميلة كالتالي: "وتلاحظ كيف يلمع وجه الرصيف كلما مسحه الضوء وتتكاير
قطرات المطر من فجواته فتبلل أجنحة شالها الأحمر، فترفع طرفيه، قليلا، ثم ترنو بعينيها
نحو الشمس وقد شقت لحاف الغيم الأبيض وخرجت تبتسم لها في حنان. شعاع

(١) الأرجوحة، ص: ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٨٢.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٠١.

الشمس يطل كعينين محتبتتين خلف شرشف أزرق، تخيلت أن للشمس عينين زرقاوين، وبشرة بيضاء: كما هي عيون السويسريين.^(١)

وفي رواية زائرات الخميس أيضا نجد صورا بلاغية كما شبّهت الكاتبة القهوة أكوابها المختلفة بأحوال المراهقات في أمسيات الخميس كالتالي: "تدور القهوة مسكوبة في فناجين صغيرة صغر حقلهن الذي تدور فيه حكاياتهن. ثم يأتي الشاي في فناجين أكبر وشفافة كقلوبهن التي تكشف أسرارها. ثم تعود القهوة مرة أخرى بمرارتها التي تشبه حكاية قيلت للتوّ فشعرن معها بأسف طفيف لكنه معتاد."^(٢)

ثم في موضع آخر تشبه وجه مشاعل بطبق الحلوى دون المشاعر كالتالي: "بدا وجه مشاعل مثل طبق حلوى الملهية؛ باردا وساكنًا."^(٣) في موضع آخر تقدم خوف قلب مشاعل بصورة بلاغية كأنها طفل خائف يتشبّث بأمه عندما استيقظت ذات ليلة خائفة من الكابوس، فتشبه خوف قلبها كالتالي: "قلبها الضعيف الخائف كان يتشبّث بها وهي لا تعرف كيف تعيده إلى موقعه في صدرها."^(٤)

اللغة الفصيحة عند شهلا العجيلي:

اللغة الفصيحة الجميلة من مزايا الأدب، ومن هذه الأساليب نرى في رواية الصيف مع العدو، حيث تتعلم لميس فن الفروسية في نادي (أبو ليلي) وأثناء التدريبات للمسايفة تنهار لميس ولا ترى أنها ستتمكن من المسابقة بين كل الناس، فتعبر عن مشاعرها بأسلوب جميل إذ تخشى من هذا التحدي لأنها محاطة باليأس فتقول: "لقد أشفق عليّ وهو يرى دمعة التحدي في عينيّ وقد غلبها اليأس."^(٥)

تقدم شهلا العجيلي في رواية عين الهر مثلا عربيا كالتالي: "وجدت نفسي متّهمة بسرقتها، وبإغواء ولدها، واستغلاله. يعني: ضربني وبكى، وسبقني

(١) الأرجوحة، ص: ١٠٨.

(٢) زائرات الخميس، ص: ٣٩-٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٤٦.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٩٥.

(٥) صيف مع العدو، ص: ١٢٩.

واشتكى!"^(١) واستخدمت مثلاً آخر كالتالي: "حينما عدتُ إلى عمان انشعلت كثيراً بتنسيق عملي، وبرامجي، وما زاد الطين بلّه، هو عبث فيروس بملفاتي الإلكترونية."^(٢) وكذلك تستلهم كاتبة رواية عين الهر اقتباساً شعرياً أثناء السرد فتقول: "قصدت الهرب ممن يبحث عني. ولكن هذه المرة، كنت موقنة بأنك كالليل الذي هو مدركي!"^(٣) وتقتبس الساردة جزءاً من ضرب المثل العربي "في الصيف ضيعتُ اللبن" على اقتناص فرصة اللقاء أخيراً بأَيُوبة عندما تجد عنوانها فتقول: "إذ يبدو أنني في هذا الصيف لن أضيّع اللبن."^(٤)

كما وظفت شهلاً العجيلي ضرب الأمثال في رواية سجاد العجمي في شكل الحوار على لسان الشخصيات كما يرد في الحوار بين سعد وحزر عندما يذم الآخر الولاة فيقول له سعد: "لا تهرف بما لا تعرف، ودع الأمر لوليّ الأمر."^(٥) فهنا "لا تهرف بما لا تعرف" أي لا تقل كثيراً ولا تبالغ في ما لا تعرف جيداً. وأحياناً تقدم ضرب المثل خلال السرد كما تقول الكاتبة: "وفي حين كانوا في حيص ويص، كانت ريا تجلس مطمئنة بين يدي القائد سعد."^(٦) في حيص ويص أي في الشدة والاختلاط.

في رواية الصيف مع العدو توظف شهلاً العجيلي الأمثال على لسان شخصيات مختلفة كما تقول لميس عندما تسقط من فوق الحصان وأصيبت بعشر غرز الجراح في رأسها، تقول: "بعدها صرت تلك التي يقولون عنها فارسة لا يشقّ لها غبار. أبو ليلى يقول: الفارس لا يصير فارساً إذا لم يقع مئة وقعة!"^(٧)

(١) عين الهر، ص: ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٦.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢١.

(٥) سجاد عجمي، ص: ١٠٩.

(٦) المصدر نفسه، ص: ١٠٤.

(٧) صيف مع العدو، ص: ١٢٧-١٢٨.

كذلك تحسّن الكاتبة لغتها الجميلة بتضمين الآيات القرآنية والاقتباس من الأدب العربي في شعره ونثره كما تحكي رحلتها الجامعية مع جدتها فسهرن الليلة وتسامرن وتشير إلى هذا بقولها: "إذ أحيينا ليلة القدر ههنا حتى مطلع الفجر." (١) هنا تشير الكاتبة إلى جمال تلك الليلة وسحريتها في قلبها، فقضتها بحيوية ليلة القدر الذي يعبر فيها الناس حتى صلاة الفجر وتستلهم سورة القدر: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ". (٢) وفي موضع آخر تقتبس من بيت طرة بن العبد كالتالي: "فلا يسعني سوى أن أقول: ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا." (٣) (٤)

وتقتبس الساردة من شعر محمود درويش عندما تودع الساردة حلب كالتالي:
 "وإلى اللقاء إذا استطعتُ
 وكلُّ من يلقاك يخطفه الوداعُ
 وأصبْتُ فيك نهاية الدنيا، ويصرعني الصراعُ
 والقرمطيّ أنا. ولكنّ الرفاق هناك في حلبٍ
 أضاعوني وضاعوا." (٥)

ويرد الاقتباس من الآية القرآنية عندما تبيع إحدى المشتريات مجوهراتها عند أيوبة، فتقول أيوبة: "بضاعتنا رُدّت إلينا." (٦) كما ورد في سورة يوسف على لسان إخوة يوسف عندما رد سيدنا يوسف متاعهم إليهم إحساناً لهم.

(١) عين الهر، ص: ٢٤.

(٢) سورة القدر: ١-٥.

(٣) ديوان طرفة بن العبد، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثالثة ٢٠٠٢. ص: ٢٩.

(٤) المصدر السابق، ص: ١٤١.

(٥) المصدر السابق، ص: ١٣٩.

(٦) المصدر السابق. ص: ١٢٨.

في رواية سماء قريبة من بيتنا ترد الكاتبة أساليب قرآنية باستخدام تقنية التضمين كالتالي: "بكى الشاب بكاء مكتوما، وأصوات تتمم بـ "إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" (١). (٢)

هكذا تعبر الساردة عن شدة هلعها بتعبير قرآني كأنها فعلا تشعر بموتها: "وفي ليلتي الأولى التي أعلنت فيها لنفسي عن المرض، التفت الساق بالساق من الفزع، وعشت هذه الصورة حقيقية، ساقاي لا انفصالان عن بعضهما من الخوف، أحاول فصلهما، لكن بلا طائل." (٣) كما ورد في القرآن الكريم: وَالتَّكَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٤).

كما ورد أسلوب الاقتباس والتضمين في رواية سجاد عجمي بالكثرة، فعلى سبيل المثال تقول لبانة لريا عندما تقرر الثانية الذهاب إلى الحفل: "تذكرني فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله لكم فيه خيرا كثيرا" (٥). (٦) بإضافة "لكم". كما تقول "لبانة" عن مهنتها وبأنها لا تكتب القرآن الكريم بالأجزاء بل تكتب في شكل المصحف ثم تقول "إذ قال الله عز وجل: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ" (٧). (٨) كما تعلق الساردة على أجواء الدير في ليلة مطرة: "وفي حين كان سنا البرق يخطف أبصار الساهرين، عادت اشموني إلى قلايتها تتلو صلواتها على بعد فراسخ قليلة من ريا." (٩) تضمينا للآية القرآنية: "يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ" (١٠).

(١) البقرة: ١٥٦.

(٢) سماء قريبة من بيتنا. ص: ٢٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤٦.

(٤) القيامة: ٢٩.

(٥) ينظر: النساء: ١٩.

(٦) انظر: سجاد عجمي، ص: ١٩.

(٧) القيامة: ١٧.

(٨) المصدر السابق، ص: ١٢٩.

(٩) المصدر السابق، ص: ١٤٣.

(١٠) النور: ٤٣.

كما ورد اقتباس الآية في رواية الصيف مع العدو وهي مكتوبة على شهادة قبر نجيب، إذ تصف لميس: "وصار القبر رخاميا بشهادة كتب عليها: "وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا!"^(١)"^(٢)

في موضع آخر، عندما يضطر أهل الرقة إلى النزوح بسبب الظروف العسبية، ويخاف الناس من الألغام الذي وضعها داعش عند الجسر لمنع الناس من المدينة، هنا يقول الدكتور رياض مشجعا الناس: "سنخرج بهدوء، كل على مسؤوليته الشخصية، ومن سيبقى سيكون ذلك على مسؤوليته أيضا. تنتظرنا قوارب وممرات آمنة مع الأكراد، لكن الخروج الفردي أخطر: "قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا!"^(٣)"^(٤) فنقل الدكتور رياض الآية القرآنية لتشجيع الناس على ترك الخوف.

نوع السارد:

السارد العليم:

السارد العليم "هو السارد الذي يتخذ لنفسه موقعا ساميا يعلو فوق مستوى إدراك الشخصيات، فيعرف ما تعرفه وما لا تعرفه، ويرى ما تراه وما لا تراه، وهو المتحدث الرسمي باسمها فلا يسمع القارئ إلا صوته، ولا يرى الأشياء إلا من خلال وجهة نظره."^(٥) وهو قد يكون السارد بضمير الغائب وأيضا قد يكون السارد بضمير المتكلم.

فالساردة في رواية غراميات شارع الأعشى تتصف بنوعية السارد العليم لأنها تحكي الأحداث التي تجري حولها وحول أسرتها مع تلك الأحداث التي تكون قد جرت بعيدة عنها مع شخصيات أخرى كحكايتها لشخصية وضحي وعطوى وضاري ومتعب وأم جزع.

(١) الزمر: ٧٣.

(٢) صيف مع العدو، ص: ٢٠٢..

(٣) التوبة: ٥١.

(٤) المصدر السابق، ص: ٢١١.

(٥) الراوي والنص القصصي، د عبد الكريم الكردي، مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م، ص: ١٠١.

نقلا عن: الاتجاه الاجتماعي بين محمد عبد الحليم وكرشن جندر. ص: ٣٢٣.

في رواية غراميات شارع الأعشى الساردة عزيزة تصف خاطر أخيه متعب بما يلي: "عرف أن ضاري لن يكون مثله ابن صحراء متقشفاً، فقد جاء المدينة صغيراً، وابن المدينة يتعلم مبكراً كيف يلهو فليس وراءه قطع غنم يرعاه منذ الصباح، ولا بطن يقرقر من الجوع في المساء."^(١) فهي ساردة على علم بما جرى في قلب أخيه مما جعله ساردة عليمة لهذه الرواية.

في رواية هند والعسكر نجد الساردة تعرف عما يجري في بواطن شخصيات أخرى كالتالي: "شعر أنه ورط نفسه في فكرة هوجاء. لعن الساعة التي جاء فيها إلى هنا. لم يكن يومه مناسباً لصيد الغزلان، فلماذا أطلق بندقيته على أول غزال مار؟" ثم تعلق الساردة وتشير إلى ما خطر ببال عبد المحسن في نية هروبه من الزواج بسلمى، فتقول: "علق أمله الأخير على أن يكون الشيخ غائباً."^(٢)

وفي موضع آخر تقول الساردة بمعرفتها عما يجري داخل الشخصية: "أصاب الأم الرعب من فكرة أنها قد تفقد ابنتها وابنها في فضيحة مدوية. لو أن أحداً غيرها شك بامرئها! تعرف أنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً، لا تستطيع إخبار إخوتها، لكنها لا ترضى بما حدث، فلتزمت الصمت رعباً وخوفاً وغضباً."^(٣)

في رواية الأرجوحة يتجلى السارد العليم في عدة أماكن حيث يدرك ويعرف الشخصيات وما تعرف أيضاً كما تعلق على أحداث الاعتداء في حياة عناب تدرك ما أدركت عناب من خلال تجاربها: "أدركت منذ ذلك اليوم أن لوغها الأسود جعلها بلا قيمة"^(٤) إلخ. وأيضاً تعلق الساردة على ما كانت سلوى في طفولتها عن أسرتها وبيتها كالتالي: "كانت سلوى تظن وهي طفلة أن بيتهم الكبير هو العالم."^(٥)

(١) غراميات شارع الأعشى، ص: ٦٨.

(٢) هند والعسكر، ص: ١٢.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٠٠.

(٤) الأرجوحة، ص: ١٢٤.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٤٨.

في رواية زائرات الخميس نجد الساردة تخبر عن النوايا الداخلية لدى شخصية حسام بأنه من عادته أنه يغازل عدة بنات في وقت واحد، ثم يغازل هيفاء أيضا فعندما تحدث إليها "أخبرها باسمه الحقيقي لا لأنه يرغب في أن يكون صادقا، بل لأنه تعب من اختراع أسماء غير حقيقية يتورط أحيانا بنسائها".^(١)

فالراوي العليم هنا يعرف بواطن شخصية الحسام لما يفكر فيه وما لا يفكر فيه أثناء الاتصال كما يقول عبد الرحيم الكردي: "الراوي العليم بكل شيء يتميز بقدرته العالية على استبطان الشخصيات والغوص في داخلها وأسرارها الدفينة، كما أنه قادر على كشف الأسباب والعلل والروابط التي تصل بعضها ببعض الآخر".^(٢)

في رواية عين الهر تعلق أيوبة على بواطن الشخصيات الأخرى وعدم تثقفهن وجهالتهن، عندما تخبرهن أن الزمرد الأصفر المسمى بـ "هدية الشمس" مستوردة من مدغشقر كالتالي: "كنت واثقة من أنها لا تعرف أين هي مدغشقر، بل لم تسمع بها، فهنّ على الرغم من كلّ الأبهة المحيطة بهنّ لا يفرّقن بين الواحد والعصا، فتعليقاتهنّ، وأحاديثهنّ تنمّ على جهل مدقع، وسطحية".^(٣)

كما تعلق ساردة رواية سماء قريبة من بيتنا على بواطن شخصية سلمى وتقيم باليقينية على أجمل فترة من حياتها كالتالي: "أنا على يقين تامّ بأنّ الساعات الأجل التي قضتها سلمى في حياتها، هي ساعاتها مع القرصان إبراهيمو، منذ أن حكّت لي حكايتها صرت أناديها بالقرصانة سلمى".^(٤) فتعلق الساردة جمان "أنا على يقين تامّ" دون أن تلفظ سلمى بهذه الأفكار، تجعلها ساردة عليمّة ببواطن شخصيات أخرى.

(١) زائرات الخميس، ص: ٤٣.

(٢) الراوي والنص القصصي، ص: ١٠٨.

(٣) عين الهر، ص: ١٤٦.

(٤) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٣٠٣.

في موضع آخر حينما تحكي سلمى حكاية مغامرتها في البحر والنجاة من أمواجه والوصول إلى سفينة، توبخها أختها جمان وتصفها بالتهور. ثم تعلق جمان على مشاعر سلمى وأفكارها دون أن تبوح بها سلمى كالتالي: "وقتها ابتسمت ابتسامة المنتصر. كانت فخورة بنفسها، إذ تعلم أن أحدا منا لن ينال في يوم ما حظوة مغامرتها تلك." (١)

في رواية سجاد عجمي لشهلا العجيلي يظهر علم السارد بما يجري في نفس الشخصيات خلال الحوار حيث تريد الكلمات بين شغ فمة أن تقول كلاما عن قلبها لسعد لكنها لا تتمكن من قولها لكن السارد يعبر عما يجري في قلب ريا كالتالي: "لعل الأخرى أن تقول: ما الذي لا يمنعك عنا...! وأرادت أن تقول: يا سيد الناس، فأرضيت وقالت: يا سعد!" (٢).

السارد الناقد:

وهو أيضا يسمى السارد المعلم أو السارد الواعظ، وهو: سارد لا يكتفي بنقل جميع جوانب الحدث، ولا يكتفي بتخليصه أو تمثيله بأسلوبه الخاص، بل يتدخل تدخلا مباشرا ليظهر بهجته بالحدث، أو ضيقه به، أو سخريته منه، أو عدم تصديقه له، أو يعمل على التقليل من شأنه والدعوة إلى هجره والتحذير من مخاطره، أو يدعو إلى الاعتبار به والاتعاظ بما حدث لفاعليه. (٣)

في رواية الأرجوحة نجد بعض تعليقات الساردة حيث لا تقدم الأحداث فحسب بل تعلق عليها بأن التشدد على الذهاب والإياب في سكن الجامعات للبنات لا يرضي البنات حيث تسكن صديقات سوسن وزميلاتها، ثم تعلق الساردة على هذه القوانين الصارمة ناقدة تصرفات بعض الآباء الذين يحبون هذه القوانين، وبعض الآباء لا يرسلون بناتهم رغم كل هذا الأمن، كالتالي: "ذلك

(١) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٢٩٢.

(٢) سجاد عجمي، ص: ١٠٤.

(٣) الراوي والنص القصصي. ص: ١٠٩. نقلا عن: الاتجاه الاجتماعي بين محمد عبد الحليم وكرشن جندر، ص:

التشدد يرضي المحافظين من الآباء ولا سيما النجديين منهم، يمنح السكن الجامعي ثقتهم، فلا يعترض أحد منهم على صرامة قوانينه مهما أسرفت في تشدداتها. ورغم هذا يرفض بعضهم طلبات بناتهم متابعة دراستهن في جامعة تبعد مئات الكيلومترات عن موطنهن، والإقامة في سكن طالبات بعيد عن رقابة الأهل.^(١) وهذا الأمر يحرم البنات من الدراسة المرجوة.

وأيضا تظهر الساردة ناقدة بتلخيص أسلوب سلوى لبيان قصصها المأسوية بطريقة مضحكة عندما تعجبت مريم من أمرها بأنها تجعل قصة مؤلمة كأنها قصة طريفة.. هنا تعلق الساردة وتشرح الأمر عند سلوى كالتالي: "كل القصص بالنسبة إليها قابلة للضحك والسخرية حتى ولو كانت مكمنة بالألم."^(٢)

في موضع آخر تشرح ساردة رواية الأرجوحة فوائد الصمت عندما يعمن الإنسان في جمال الطبيعة وكيف يمكن للإنسان أن يتحدث إلى نفسه في ذلك الحين والطبيعة أيضا تتحدث إلى الإنسان، تشرح الساردة هذا الأمر للقارئ مباشرة مخاطبة إياه من خلال تجارب مريم في طبيعة جنيف، كالتالي:

"الصمت هنا ميزة مفضلة على الكلام. الطبيعة وحدها التي تؤنسك. تثثر معك. تستفزك. تتحرش بك. ألوانها تجتمع في شجرة واحدة: البرتقالي، والأحمر، والأصفر، والبني. تتحدى ذاكرتك إن كنت قد رأيت مشهدا مثل هذا من قبل في صحرائك. يدخل في المشهد لون الغيم الأبيض. زرقة السماء تتقافز أمام عينيك. تسألك عن رأيك، هل أعجبتك؟ هل سبق أن رأيت مشهدا في مثل جمالها؟"^(٣)

كما تعلق ساردة رواية عين الهر عند شهلا العجيلي على قصتها ناقدة لها: "أسوأ حب هو الذي يياغتك متأخرا: بعد أن تكون قد أغلقت باب العمر وراءك، أو أشرعته على منافذ أخرى! هو حبك الذي ليس بإمكانك أن تلبيه،

(١) الأرجوحة، ص: ١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٣١.

لأن مصائر الآخرين متعلقة بك. هو الحب الذي معه تكتشف شيئاً من تناقضات الأقدار." (١)

كما تقدم الساردة على أحداث حياتها قائلة: "بعض الناس، وأنا منهم لا يستطيع العيش بهدوء، ولا يناسبه الاستقرار، فلا بد من أن يلتزم قضية تؤرقه، وإن لم يجد فسيخترعها." (٢)

كما تستفسر في مكان آخر وتظهر استغرابها كالتالي: "كم يدهشني أولئك الذين يحبون مرة واحدة وإلى الأبد!، يدهشني صبرهم، واكتفاؤهم، وقناعتهم بالحب الأول! ليس المهم أن يكون المرء الحب الأول، بل المهم أن يكون الأخير! فهل سأكون الأخيرة؟ وهل ستكون الأخير؟" (٣)

في رواية الصيف مع العدو نجد الساردة لميس في صورة ساردة ناقدة في عدة أماكن، فمثلاً أثناء حكايات كارمن لها عن حياتها، تقول كارمن بعض الأشياء التي لا تعجب بها لميس فتعلق على كلامها ناقدة:

"حزّت في نفسي عبارات كارمن المتعلقة بنا! كيف تجرأت على قولها، من غير أن تحسب حساباً لمشاعري! وشعرت بالإهانة، واهتنقت بعبراتي، وأردت أن أمضي، لكن بما أنه لا خيار لي، فيجب أن أخترع مسوغاتي: إن كارمن تتكلم بموضوعية، وتكاشفني بدواخلها، ولم تقصد إهانتني. إنها طيّبة ومعدّبة، والأهم أنها صديقة قديمة، زارت بيتنا، وعرفت أمي وجدتي و(عبود). لا أحد في جغرافيا الراين كلها عرف عايلتي سواهما هي ونيكولاس!" (٤)

كما تعلق الساردة على قول كارمن ومخاوفها واشتمئزازها من أنها لا تصدّق بأنها عرفت يوماً رجلاً كان مصيره القتل! حين تحدثت عن صديقها "غونتر"، هنا تعلق لميس عما شعرت عند استماعها لهذا القول: "بقيت أنا مسمّرة تحت وطأة

(١) عين الهر، ص: ٥.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٧.

(٤) صيف مع العدو، ص: ٢٥٢.

كلمتها الأخيرة، فلماذا لو عرفت كارمن أنها تتحدث الآن إلى قاتلة جدّتها، بل لو عرفت أنها استقبلت القاتل الأكبر عبّود واهتمّت به وسهّلت حياته في كولونيا! مع ذلك أعتقد أن كارمن تحتاج بالفعل مصحّحاً نفسياً." (١)

السارد المتصف بـ "الرؤية مع":

هو الذي لا يعلم أكثر مما تعلمه الشخصيات الأخرى في الحركة السردية، كما لا يستطيع أن يوضح ويفسر ما في نفوس الشخصيات الفنية قبل أن تتوصل الأحداث إلى نتيجة ما، ويمكن القيام بالحكي في مثل هذه النوعية من القصص والروايات. (٢)

فعند بدرية البشر في رواية غراميات شارع الأعشى نجد الساردة عزيزة وهي تقدم أحداثاً تدور في أسرتها وهي جزء منها وأحداث شخصيات شاهدتها كما بدأت الساردة بسرد الرواية بمشهد تفرش فيها الفرشات على سطح البيت عند المغرب (٣) وأيضاً تقدم الساردة أحداث النساء اللاتي يثرثن أمامها في مجلس القهوة كعادتهن كل مساء.

كما نجد عند شهلا العجيلي ساردة رواية سجاد عجمي تقدم فصلاً كاملاً عن الحديث الذي يجري بين لبانة ومحبوبة وفي نهاية تقدم الساردة النتيجة التي وصلت إليها بعد كل هذا الحوار، كالتالي: "مع نهاية الحديث، كان جسر من الألفة قد مُدّ بين المرأتين، محبوبة لتي اعتادت سماع حكايات الناس، ولبانة التي بدأت السطر الأول في حكايتها." (٤)

وفي رواية الصيف مع العدو تقدم الساردة أفكارها بالرؤية مع لأنها سوف تخبر عن شيء لا تعرفه بالضبط عن نيكولاس: "لم أعرف إذ ما كان نيكولاس قد

(١) صيف مع العدو ، ص: ٢٧٧.

(٢) بناء الرواية، سيزا قاسم. ص: ٣٢٨. نقلاً عن: الاتجاه الاجتماعي بين محمد عبد الحليم وكرشن جندر، ص:

٣٢٨.

(٣) ينظر: غراميات شارع الأعشى. ص: ٥-٦.

(٤) سجاد عجمي، ص: ١٧.

حكى لنجوى شيئاً عن حكاية عائلته المرة.^(١) ثم تعلّق كسارده ناقدة: "لعله لم يفعل، فهو متحفّظ فيما يخصّ آلامه الشخصية، أو لأنه كان يعدّها أبسط من أن تذهب معه نحو هذا العمق الذي لن يعينها، أو لعله أراد الاحتفاظ بها كبهجة أنثوية من عالم بعيد لا يمتّ لهذه الفانتازيا بصلة!"^(٢) فهي تخمينات من قبل لميس لما يفكر فيه نيكولاس دون أن تعرف بالضبط ما هي دوافع عدم ثرثرته عن تاريخ أسرته.

كما ورد في رواية الصيف مع العدو كلاماً طويلاً على لسان كارمن - سيأتي تفاصيله تحت عنوان الأسلوب المباشر في هذا الفصل - فلميس نقلت هذا الكلام كسارد شاهد دون أي تدخل في وعي كارمن أو في مشاعرها.

(١) صيف مع العدو، ص: ٢٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٧٤.

أسلوب السرد:

في العمل الروائي أساليب سرد الكلام المتداولة هي خمسة:

١. الأسلوب المباشر

وهو نوع من الخطاب يتم فيه اقتباس منطوق الشخصية وأفكارها كما يفترض أن الشخصية قد كونتها^(١)، وكما يقول ليش وشورت بأن دور السارد يقتصر في هذا الأسلوب على تقديم أحاديث الشخصيات وأفكارها بعبارات يشير فيها السارد إلى بدء الحديث أو الفكر أو كيفيته دون التفاصيل.^(٢) مما يعني أن كلام الشخصية لنفسها أو لغيرها من الشخصيات يبقى كما هو، ويقدم السارد هذا الكلام بقوله مثلاً: قال وقلت أو سأل فلان وأجاب فلان مصحوباً بعلامة الترقيم.^(٣)

الأسلوب المباشر عند بصرية البشر:

تعرض الساردة حوارات بين شخصيتين بأسلوب مباشر بعض الأحيان بشكل الأسئلة والأجوبة والتي تساعد على فهم الشخصيات ومواقفها كما ورد حوار بين الساردة وقريبتها الصبية من القرية وتضيء صورة البنت الساذجة الغبية في هذا السن وهما في السوق:

تركنا أمي وأم راشد واتجهنا نحو صوقي الملابس الجاهزة. لاحظت أن حصّة كانت تمشي وهي تمسك طرف عباءتي بيدها خائفة، قلت لها:
-وش فيك؟ (ما بك؟)

(١) المصطلح السردى. ص: ٦١.

(٢) ينظر: أساليب استحضار الأفكار في رواية الطريق لنجيب محفوظ وفقاً لنظرية ليتش وشورت، زهرا أفضلي، فرامرز ميرزائي، جعفر جعفرزاده، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ٣٧، شتاء ٢٠١٦ م. ص: ١٣.
Style in Fiction (A Linguistic Introduction to English Fictional Prose), Geoffrey Leech & Mick Short Second edition 2007, Printed in Malaysia, Pg no: 271.

(٣) أساليب استحضار الأفكار. ص: ١٣.

قالت:

- أخاف أن يخطفوني.

- من هم؟

قالت:

- هذولا الرجاجيل الغريبين، شوفي وشلون يناظروننا. (هولاء الرجال الغرباء، انظري كيف ينظروننا إلينا).

ثم عادت وسألني بخوف:

- وين راحت أمي؟ (أين ذهبت أمي؟)

قلت:

إنهنّ في سوق الحرّيم، ونحن الآن في سوق البنات.^(١)

وخلال الحوار تعلق الساردة على مشاعر الصبية: "أصاب حصة شعور خليط بين الفرح والخوف، فهي مرّة تضحك دونما سبب، وتعلق على وجوه الناس، وتهزأ بالأطفال، ومرّة تلتصق بي، ومرّة تقول:

- يمه شوفي ذا الرجل مطوّل شواربه كنّه جنّي." ^(٢) (يا الله انظري إلى هذا الرجل طويل الشوارب كأنه غول).

تعرض الساردة تفكير الشخصيات عن طريق الأسلوب المباشر: "فكرت في نفسي: "هل كانت ليلي تغطي وجهها عن قيس؟" ^(٣)

في مكان آخر تقدم الساردة أفكارها بالأسلوب المباشر عندما تقع الساردة في موقف محرج مع فلوّة في السوق وعندما تعود الساردة إلى بيتها تفكر كالتالي: "قلت في نفسي إنها لا بدّ أنها تضحك مني الآن." ^(٤)

كما نجد الحوارات بالأسلوب المباشر في رواية هند والعسكر كالتالي:

(١) غراميات شارع الأعشى، ص: ١١١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١١١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٩٨.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٦٤.

"أنهى وليد مكالمته، ثم حياني وقال:

- هل تعرفين أن مديرتك سارة هاتفني اليوم؟

قالت شذا:

- انتبه، إنها تأكل الشباب الحلوين، تفرمشهم لحما وترميهم عظما.

ضحك وليد وقال:

- وما له؟ صحتين (بالصحة والعافية)

قالت شذا:

- طيب وصيها عليّ طالما أنك مبسوط، يمكن أحصل على ترقية.

ضحكت أنا، فنظر إلي وقال:

- وأنت يا هند، ألا تريدين ترقية لأوضي بك عند سارة؟

- لا، شكرا. ^(١)

أما الأسلوب المباشر لتقديم أحاديث الشخصيات الروائية في رواية الأرجوحة

لبدرية البشر، فيرد في شكل الاتصال الهاتفي كالتالي: "رن هاتف سلوى:

- وينك يل عناب... ياختي تأخرتي، هاه شوفينا شفتينا؟ هذان رفعت

يدي. ^(٢) فطبعا عرفنا أن القائلة هي سلوى دون لأت تعلق الساردة على هوية

القائلة غير أن جوالها هو الذي يرن.

استخدمت الساردة أسلوب المباشر لعرض الأحاديث كأسلوب رئيس لهيكل

رواية عين الهر، إذ تحكي أحداث رواية شخصية أيوبة على لسانها، وكلما تبدأ

بفصل عن حكاية أيوبة تصرح بـ "قالت أيوبة" كما يلي: "قالت أيوبة: أُمي

مسؤولة بشكل كبير عما يحدث لها ولنا. ^(٣)

(١) هند والعسكر، ص: ١١٥.

(٢) الأرجوحة، ص: ٥٠.

(٣) عين الهر، ص: ٧١.

وفي رواية زائرات الخميس يرد الأسلوب المباشر لبيان قصة طويلة على لسان شخصية روائية، كما وردت قصة حياة أم مشاعل الطويلة تبلغ مساحتها إلى أكثر أربع عشرة صفحة^(١).

الأسلوب المباشر عند شهلا العجيلي:

يوجد هذا الأسلوب لتقديم الأفكار في رواية عين الهر كما يلي: "حينما خرجا بفاتورة "دم الحمام" مع العقد الذي سيحملها بعد أيام، سألت نفسي: من أين يأتي الناس بالمال! كم يملك هذا الرجل ليشتري في يوم واحد عقدين بمئات الألوف من الليرات!"^(٢) وفي موضع آخر تتساءل الساردة: "تساءلت في نفسي: مم هي مصنوعة هذه العائلة؟"^(٣)

في رواية سماء قريبة من بيتنا ترد الحوارات بأسلوب مباشر بعدد ضئيل كأول لقاء بين جمان وهانية في المستشفى:

"- أنت عربية؟ قلت

- أمريكية. قالت

- كان عليك أن ترسمي الـ **M16**، إذن لا الكلاشن.

قطّبت حاجبيها ثانية، ثم ضحكنا وهي تقول: هذه كلاشنكوف صينية مطوّرة، اسمها نورينكو، أنا نص عربية، نص أمريكية."^(٤)

وكذلك ورد حوار بين سلمى وجمان حول مرضها بأسلوب مباشر كالتالي: "سلمى كلمتني في التلفون. قالت لي: جمان، لا تخافي، ستمضي الأمور على خير. كوني كأولئك النساء اللواتي يسحقن الألم بأقدامهن ويمضين. إنهن حولي يواجهن القنص والصواريخ والقنابل....

- لكنهن لسن مصابات بالسرطان! قلت

(١) ينظر: زائرات الخميس. ص: ١٣٦ - ١٥٠.

(٢) عين الهر، ص: ١٢٧

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤٥

(٤) سماء قريبة من بيتنا، ص: ١٩٨

- حولك نماذج للشفاء كثيرة. قلت
 - أشعر بأنني "ماما" في أيامها الأخيرة. قلت
 - لم يكن لها دواء. حالتك مختلفة. قالت
 أنا وحدي، أنتم لستم معي. قلت^(١)
 في رواية سجاد عجمي يرد الحوارات بالأسلوب المباشر بين سعد ومالك
 الأشجعي عندما ذهب سعد وحارثة عند مالك كالتالي:
 "ارتقى سعد وصاحبه التلعة، محاذيين الرجل، وراح سعد يجيل بصره في حمرة
 الأرض التي لم يجد لها حدودا:
 -أكلّ هذا الملك لك؟!
 ردّ مالك بفتور:
 - بل هي أمانة لله عندي!
 ردّ سعد: ... إلى آخره.^(٢)
 كما يرد أحيانا حوارا بين ثلاث شخصيات بأسلوب مباشر مع وسائط
 السارد.^(٣) وأحيانا يكون الحوار المباشر طويلا بين شخصيتين ويصل مداه إلى
 ثلاث صفحات كما نجد الكلام بين سعد وجرز.^(٤) كما ورد حوار مباشر طويل
 بين مالك الأشجعي وسعد.^(٥) بينما يطول كلام شخصية ما خلال الحوار ويصل
 مدى هذا الكلام إلى أربع صفحات كما نجد كلام لبانة في الحوار بينها وبين ريثا
 حيث تحكي لبانة عن حياتها.^(٦) كما يرد أحاديث نفس الشخصيات أيضا
 بالأسلوب المباشر كالتالي: "ما لا ترجوه في الليل، يدقّ بابك في الصباح! هذا ما

(١) سماء قريية من بيتنا ص: ١٥٣.

(٢) سجاد عجمي. ص: ٤١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٤-٢٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٠٧-١١٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٤١-٤٤.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ص: ١٢٤-١٢٧.

كانت خود تحدّث به نفسها، حينما ولجت مع ربيّ دار سُعدى الواشمة، فوجدت في وجهها المرأة التي قلبت حياتها رأساً على عقب.^(١) كالساردة على علم بما يجري في نفس خود عندما رأت ربحانة في محل الواشمة.

ومن نماذج الأسلوب المباشر في رواية الصيف مع لعدو الحوار بين لميس والعنصر من داعش وهو كان صديق لميس في الطفولة كالتالي:

- فوّاز ما الذي جرى لك!

- اسمي سيف الله، وليس عليك أن تكلمني، ولا أن تمشي وحدك في الشارع بدون محرم.

- ماذا تعني محرم؟

- أبوك أو أخوك أو عمك أو خالك..

- فوّاز! انخبلت يوال، ألا تعرف أنه ليس لي أي من هؤلاء...

- ادخلي إلى البيت أنت تستحقين الرجم^(٢)

وأحيانا يبلغ مساحة القول المباشر على لسان شخصية ما إلى كم كبير من الصفحات كما تنقل لميس كلام كارمن الطويل وهي حكايات حياتها. وتبلغ مساحتها حوالي ثلاثين صفحة لا يقطع كلامها إلا بعض التعليقات المبعثرة من قبل الساردة لميس أو بعض التداخلات من قبلها مخاطبة كارمن.^(٣)

وأحيانا يرد الحديث التخيلي الذي لا وجود له إلا في مخيلة الساردة فهي تسمع هذه الحدث من قبل الفرس في قلبها ثم تنقلها بالأسلوب المباشر كالتالي: "حين تركض بي الفرس، أو أركض بها، أسمعها تقول: "سلميني نفسك الآن! وتذهب بي وكأنها ترعاني، أو تريد أن تريني العالم بطريقة عجيبة."^(٤)

(١) سجاد عجمي ، ص: ٢٨.

(٢) صيف مع العدو، ص: ٢٠٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٤٩ - ٢٧٧.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٢٨.

ففي قول: "سَلِّمِني نَفْسَك الآن!" ليست الفرس هي القائلة الحقيقية إلا تخيل لميس من خلال مشاعر الفرس. لكنها تقدم هذا القول بطريقة مباشرة.

٢. الأسلوب غير المباشر:

وهو نوع من الخطاب يتم فيه إدماج ما تتلفظ به شخصية أو تفكر فيه في ذلك الذي تتلفظ به أو تفكر فيه شخصية أخرى من خلال الانتقال الخلفي للأزمنة أو التحول من ضمير الشخص الأول إلى ضمير الشخص الثالث.^(١) واللهجة هنا لهجة السارد والأسلوب أسلوبه، والضمائر ضمائر الغائب إلا الفكر، فكر الشخصية زصوت صوته.^(٢) وهذا هو الكلام الذي يقدمه السارد نيابة عن الشخصية مصرحا بأنه منها. يفيد هذا الأسلوب في جريان السرد كما يحدث في حالة الحوار.

الأسلوب غير المباشر عند بدرية البشر :

في رواية غراميات شارع الأعشى يرد هذا الأسلوب كالتالي: "قالت إن سعدا قد طلب منها أن تغطي وجهها عنه، لأنه حرام."^(٣) وفي موضع آخر: "قالت وضحي لأمي إنها تعرف علاجا جرّته للعيون ستحضره لي. شرحت أُمّي له بأنه مسحوق عشبة أعدتها وضحي لعيني، وسمعت صوت أبي المتوتر، وقلما سمعته غاضبا"^(٤) وفي رواية الأرجوحة لبدرية البشر تقدم الساردة أفكار مريم وهي تتساءل نفسها عن التغيرات التي حدثت في شخصيتها عبر الزمن كالتالي: "تتساءل ما الذي جعل منها هكذا، غريبة ووحيدة؟ هل هو قدرها لظانها آمنت ذات يوم بظان للمرأة حقوقا لا تختلف عن حقوق الرجل. إلخ."^(٥)

(١) المصطلح السردى، ص: ١١٢

(٢) السرد في الرواية المعاصرة، عبد الكريم الكردي، مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، ص: ٢١٨.

وأساليب استحضار الأفكار. ص: ١٥.

(٣) غراميات شارع الأعشى، ص: ٩٨.

(٤) المصدر نفسه، ص: ١٣.

(٥) الأرجوحة. ص: ١٠.

الأسلوب غير المباشر عند شهلا العجيلي:

ورد بعض الكلام في رواية عين الهر بأسلوب غير مباشر كالتالي:
"الآخر الفرنسي الذي كان يجلس وراء مكتبك أخبرني بانتهاء تمثيلك الثقافي في حلب." (١)

"إن نفسي تحدثني بأن ثمة شيئا فاتني إدراكه." (٢)
"طلب أن أحمل إلى بيته أجمل المجموعات وأحدثها." (٣)

في رواية سماء قريبة من بيتنا، يرد بعض الأقوال بأسلوب غير مباشر وهي تكون ضمن سرد الأحداث والوقائع كما ورد عن هانية في المستشفى كالتالي: "حينما أنهت إجراءاتها، لم تجد مقعدا فارغا سوى الذي يقابلي، فسألني إن كان يخص أحدا." (٤)

في موضع آخر تقدم الساردة كلام إحدى النساء في المخيم عن أحوالها كالتالي: "قالت إحداهن إن بيتهم قريب، وراء الحدود، في درعا، وقريتهم اسمها الغارية الشرقية، قريبة من الطريق الدولي إلى الأردن، وقد هربوا من القصف المستمر بين المسلحين المعارضين والدولة." (٥)

في رواية سجاد عجمي ورد الأسلوب غير المباشر في مشهد مجلس إياد السلمي كالتالي: "أدار إياد السلمي عجلة الحديث نحو شأن نزوله إل الرقة، وأعلم سليمان ابن أخيه، وبعض قرابته بأن أوان ذلك قد أزف." (٦)

أما رواية صيف مع العدو فيتجلى فيها الأسلوب غير المباشر في عدة أماكن عندما تسرد الساردة أحاديث شخصيات أخرى. فمثلا تخبر جدتها روايات كثيرة

(١) عين الهر، ص: ١٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٤٣.

(٤) سماء قريبة من بيتنا، ص: ١٩٨.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٣٨.

(٦) سجاد عجمي، ص: ٣٨.

حول أصول أسرتها، تنقلها الساردة عن طريق الأسلوب غير المباشر للسلاسة: "تقول إن نساء عائلتها خرجن من وراء مشريّات الحرّيم وطيات اليشمك في قصر يلدز، وإن رجالها الأثرياء هم الذين مؤلّوا السلاطين العثمانيين أيّام إفلاسهم، وأقاموا بثرواتهم جوامع القسطنطينية وأسواقها وقصورها."^(١)

كما ورد هذا الأسلوب في نقل الحوار بين الجدة ونيكولاس ولميس وعبود كالتالي في موضوع إرشاد الضيوف الأجانب على الثقافة والتاريخ للرقّة: "طلبت (الجدة) إلينا أن نذهب معه. عرض (نيكولاس) أن يعطينا مقابل الجولة مئة ليرة، وأن يفعل ذلك كلما اصطحبناه، فرفضت ماما (الجدة) باستنكار، وقالت هذا واجبنا تجاه الضيوف."^(٢) كما تنقل كلام مدرّجها في الفروسية بالأسلوب غير المباشر كالتالي: "قال لي إنه يدرب بعض الشباب، وإنهم في طريقهم لتأسيس ناد للفروسية، ويمكنني الانضمام إليهم إذا أردت، ومجاناً، ولا توجد لديهم فتيات!"^(٣) هكذا تنقل لميس كلام كارمن تخاطب به إياها: "قالت كارمن إنها الآن بحاجة فقط إلى مكان بإضاءة جيّدة للكتابة، وإنه بعد أن أعود من جولتي في المدينة سنتنظري مفاجأة، وعليّ ألا أتأخر عن السادسة، حيث سنتناول عشاءنا في المنزل."^(٤)

(١) صيف مع العدو، ص: ٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١١١.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١١٩.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٢٧٧.

٣. الأسلوب المباشر الحر:

هو نوع من الخطاب يتم فيه إطلاق الملفوظات الخاصة بالشخصية وكذلك أفكارها، كما يفترض أن الشخصية قد نطقت بها بدون وسيط سردي.^(١) وفي هذا الأسلوب، يختفي السارد نهائياً، ويترك المسرح للمتحاورين دون تدخله بقوله: قال أو سأل أو أجاب. يقول ليتش وشورت: "يختفي صوت السارد فيه تماماً وتظهر فيه أفكار الشخصيات مباشرة دون وسيط بطريقة مسرحية خالصة.^(٢)

الأسلوب المباشر الحر عند بدرية البشر:

يرد هذا الأسلوب في وسط الحوار في كثير من الأحيان حيث يترك السارد الإشارة إلى القائل، فيظهر أن القارئ موجود ويسمع الحوار فلا يحتاج السارد إلى ذكر أسماء الشخصيات أمامه، كما ورد في رواية غراميات شارع الأعشى أثناء الحوار الروتيني كالتالي:

- السلام عليكم يا أبو محسن.
- أم جزاع! يا هلا والله ومرحبا، استريحوا استريحوا.^(٣)
- وفي رواية هند والعسكر تفيد هذا الأسلوب في تعزيز موقف العجلة في حياة شخصية عموشة، وقول شيء بالعفوية وبدون إرادتها عند تلبية النداء كالعبيد رغم تحرير هؤلاء بعد إصدار قانون تحرير العبيد، كما تسرد الساردة:
- "ظلت الفتاة الصغيرة ذاتها، يقف شعر رأسها وترتجف خوفاً كلما ناداها أحد من الأعمام والعمات، فتهد واقفة من دون إرادتها.
- سَمِّ يا عمي، سَمِّ يا عمتي."^(٤)

(١) المصطلح السردى. ص: ٩٢.

(٢) السرد في الرواية المعاصرة، عبد الرحيم الكردي. ص: ٢٢٣. وأساليب استحضار الأفكار، ص: ٦. و Style

in Fiction، ص: ٢٧١.

(٣) غراميات شارع الأعشى، ص: ٨٤.

(٤) هند والعسكر، ص: ٢٢.

وفي رواية الأرجوحة يرد الحوارات الهاتفية بالأسلوب المباشر الحر دون
مداخلات السارد، كالحوار التالي بين سلوى وأختها "حصّة" من الرياض:

"- سلوى وش الأخبار؟

- ممتازة.

- متى ستعودين؟

- لا أعرف، سلطان سيترك جنيف غدا، لكنني أفضل البقاء أسبوعا آخر.

- يا ليتك يا سلوى تعجلين ترجعين، بندر أخوك كل يوم وهو يسأل عنك!

- والله مانيب راجعة لين يخلص آخر قرش عندي!

-وكم باقي معك؟

- ما معي ولا قرش لكن سلطان قال بيعطيني فلوس، على قد فلوسه اللي

يعطيني إياها أجلس." (١)

وعندما طال هذا الحوار، وجدنا تدخل السارد في هذا الحوار بأسلوب المباشر

كالتالي: "قالت حصّة"، و"ردت سلوى بمرارة" (٢).

الأسلوب المباشر الحر عند شهلا العجيلي:

جاءت ساردة رواية عين الهر بأفكارها خلال السرد: "كم أكره حالي حينما

أبكى! لماذا كلما حاولت الدفاع عن نفسي، غلبني البكاء! فعلا، البنات

مسخمت" (٣).

كما تستخدم هذا الأسلوب للحوارات المسترسلة بشكل الأسئلة والأجوبة

كالحوار التالي بين أيوبة الساردة والمشتري:

(١) الأرجوحة، ص: ٧٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٧٦-٧٧.

(٣) عين الهر، ص: ٦٩.

- "دم الحمام" التي أمامك سيدي جاءتنا من جنوب "سيريلانكة"، لكننا نختناها هنا في ورشتنا، لن تجد نختا متقنا كنحت ورشتنا في الشرق الأوسط كله، إنه نحت "البريان" النموذجي.

- أليس البريان هو الألماس؟!!

- نعم! هذا هو الشائع. "البريان" هو شكل النحت الأكثر انتشارا، وهو يلائم الألماس بشكل مدهش، حتى جرت العادة على الظن أن كل بريان هو ألماس، ولكن في الواقع يمكن نحت أي حجر وفق هذا الشكل.^(١)

في رواية سماء قريبة من بيتنا يرد كلام الشخصيات بأسلوب مباشر حر دون التصريح بأفعال القول كالحوار بين جمان وطبيبها بعدما حملت إليه تقاريرها الطبي كالتالي: "رفعها على اللوحة المضئية، وارتسمت أمارات انزعاج مشوب بصدى ابتسامة:

- سرطان؟!!

- ربما التهاب.

- بل سرطان.

- ربما، لكن حتى لو كان ورما خبيثا، لا تقلقي، فالعلاج متوافر هنا، ونسبة الشفاء عالية: ٩٠-٩٥%

- جراحة؟

- لا جراحة، علاج كيماوي فحسب، سنبدأ بصورة طبقية، وبعدها أحيلك لإجراء خزعة تكشف نوع الورم.^(٢)

في موضع آخر يرد الحوار بين جمان وناصر حول ذكرياتهما من الأماكن المشتركة بأسلوب مباشر حر كالتالي:

(١) عين الهر، ص: ١٢٥

(٢) سماء قريبة من بيتنا، ص: ١٤٥

- "كان ناصر يقول، وأنا أعطيه المزيد من الأدلة على أنا نتكلم على المكان ذاته، ونضحك ، نضحك غير مصدقين الصدفة التي ألقت بيننا.
- هل تعرف بيت الكيالي، إنهم جيرانكم.
- تقصدين السيدة رثيفة ؟ إيه، إيه!
- رثيفة هي نانا أم بشار ، أخت جدي. أما جدي فهو في العمارة الكبيرة في صدره الحارة، والتي تواجه الحديقة تماما، عمارة جوزيف نصور.
- لا، لا، لا أصدق، تحتكم عبدو العجلاني....
- نعرف عبدو أيضا! مو معقول!
- كنا ننفخ عنده إطارات دراجاتنا قبل الخروج بها للتريّض في الحديقة.
- ماذا حل بها؟
- من؟
- السيدة رثيفة!
- ماتت. أصيبت آخر ايامها بجلطة دماغية، ثم ماتت.
- لا حول ولا قوة إلا بالله! وإبنها بشار، ألم يكن يسكن وزوجته معها؟
- صحيح تركو البيت، وسكنو في حلب الجديدة، بيتهمكان مستأجرا على القانون القديم.
- وبيتكم، بيت جدك أقصد؟
- بيت جدي تمليك، وما تزال تعيش فيه. الحارة آمنة في هذه الظروف، لذا خالتي وعائلتها انتقلو للإقامة معها الآن، فبيتهم في "الموكامبو" منطقة ساخنة."^(١)
- كما يرد الحوار بين جمان وابن مريضة السرطان في المستشفى حول أمه عندما تحدث عن وليمة أعدتها بالأمس لأقرباء، ذهلت جمانة، وسألته:
- "- هل شفيت والدتك؟
- منذ سنوات ثلاث، الحمد لله

(١) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٤٩-٥٠.

- الحمد لله
- تعاني فقط من آلام المفاصل بسبب كيماوي.
- الحمد لله^(١)
- كذلك في رواية سجاد عجمي ورد الحوارات بأسلوب مباشر دون وسيط السارد كما ورد في بداية الفصل الثالث بين صديقَي عمر حول حالة عشقه، كالتالي:
- "- ما بال عمر يا سخيّل؟
- امرأة، حلّت، أخذت قلبه، ثمّ ارتحلت.
- لا بدّ من أنّها قادرة، فلم أره في حبّ امرأة قبلاً، على هذه الحال!
- ليست المرأة وحدها، بل معها طفلها.
- إذن، ربّة بعل هي، ويحك يا عر! أفيدوق من الهوى مرّة رجُلٌ أذاق نساء الرقّة حلاوته! بالله خبرني من هي؟
- امرأة كانت على سفينة قادمة من بغداد، نزلت في المرفأ، وباتت ليلة في نُزل (محبوبة)، ثمّ طعنت فجراً مع أول قافلة إلى دير زكّا، ولا علم لنا غير ذلك بأمرها، حتّى عمر ذاته لا يعرف عنها سوى ما رآه منها في تلك اللحظات العابرة.
- لا بأس عليه يا سهيل، فلا يضير الرجل حبّ امرأة لا يعرفها!
- لكنه عقد العزم على معرفتها، فمن يومها الذي مضى عليه أسبوع، صاحب عمر الملاح، يبحث بين حكايته عن خبر المرأة التي سلبت لَبّه^(٢).
- فهذا المشهد الحواري يلقي ضوءاً على أحوال شخصية عمر بأسلوب مباشر حر. ولا يشير إلى هوية الشخصية الأخرى مع سهيل.

٤. الأسلوب غير المباشر الحر:

وهو نوع من الخطاب يعرض ملفوظات الشخصية وأفكارها، ويطلق عليه أيضاً المونولوج المسرود، الأفكار والكلام المعروض، والكلام الطليق^(٣). وبهذا

(١) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٢٤٩.

(٢) سجاد عجمي، ص: ١٢.

(٣) المصطلح السردى، ص: ٩٣.

الأسلوب يتمكن الروائي من المداخلة بين حديث الشخصية وحديث السارد، فيصبح الكلام مزيجاً بين صوتين، مما يجعل تمييز هذا الأسلوب صعباً في الفن القصصي.

الأسلوب غير المباشر الحر عند بدرية البشر:

نجد في رواية غراميات شارع الأعشى نموذجاً نادراً لهذا الأسلوب كالتالي:
 "و حين سألتها عن سر تبدل سعد، قالت لي إنه صار يذهب مع جماعة في
 حي سكيرين ويتعلم منهم الدين الصحيح، ويقول لها أيضاً إننا نعيش فتنة كبيرة
 ونعيش في ضلال مبين سيعاقبنا الله عليه عاجلاً." (١)

وفي رواية الأرجوحة أيضاً وردت بعض لمسات الأسلوب الغير مباشر الحر
 حيث تسرد الكاتبة أحوال سلوى وأثناء ذلك تعبر عن مشاعر سلوى على لسانها
 ولكن خلال جملة واحدة والذي يدل على تصرف السارد بقدر كبير كالتالي:
 "وقررت أن تأخذ من الحياة كما تقول، كل شيء." (٢)

وفي رواية زائرات الخميس نرى حديث الشخصيات بالأسلوب غير المباشر في
 عدة أماكن، فعلى سبيل المثال عندما تسمع مشاعل فلسفة أمها في ترك طفليها-
 أي مشاعل وأخوها عبد الرحمن- عند أبيهما وزوجته، حينها تقدم الكاتبة مشاعر
 مشاعل وأفكارها فيما سمعت من أمها بمزيج من كلام مشاعل والساردة كالتالي:
 "لم تشعر في قلبها بأنها صحيحة. فلو كانت صحيحة أو حكيمة لما تعذبت هي
 وأخيها؛ لم على طفلين أن يتعذبا؟ هل لأنهما قطعة صغيرة من قلب كبير؟" (٣)
 فورد هذان السؤالان الأخيران من تساؤلاتها بالأسلوب غير المباشر.

في موضع آخر، نجد هذا الأسلوب عندما يتبع حسام هيفاء ومشاعل إلى
 مطعم صيني، وعند الدخول وراءهما يفكر ويتذبذب من موقفه ويجد عنده

(١) غراميات شارع الأعشى، ص: ٩٩.

(٢) الأرجوحة، ص: ٦٠.

(٣) زائرات الخميس، ص: ٥٦.

تساؤلات، لا يظهر جليا هل هي تساؤلات من السارد أم على لسان شخصية حسام كالتالي:

"ماذا لو دخل؟ ماذا يمكن أن يجد؟ من هما تلك السيدتان اللتان خرجتا من منزل أمها؟ ماذا تفعلان داخل المطعم؟ وقف على يمين رأسه محامي، وعلى يساره مدّعي؛ هل اشتهدتا طعاما صينيا فخرجتا لتناوله؟ لماذا قالت دعت له بالهداية عندما حدّرها من الخروج دون علمه طالما أنها تخرج دون علمه؟ ماذا لو دخل وشاهد سيدتين ليست بينهما مشاعل؟"^(١)

في موضع آخر، نجد الكلام بالأسلوب غير المباشر الحر حينما تسأل أم مشاعل ابنتها لم لا تطلبين رؤية زوجك؟ فتخاف مشاعل من مواجهة حسام لأن الأمر ليس واضحا بينهما رغم أن الأحوال الأخيرة فسدت بسبب هيفاء ولكنها لا تصلح الأمور بسبب شخصيتها الضعيفة، وتخاف من أن حسام يفضح أمرها أمام أمها رغم أنها كانت في فخ:

"الرعب والحيرة يلازمانها. ماذا سيفعل هو؟ هل سيأتي لمواجهتها؟ هل سيطلب منها مفاصلته؟ هل تعترف له بـم فعلت؟ ماذا تقول له؟ هل تقول إنها نزوات مجلس النساء؟ أحاديث تطير في الهواء بلا معنى بلا أثام حقيقية؟ هل تقول إنه الشيطان الذي أغواها؟ هل تقول إن السبب هو حبسه الزائد لها وشكّه فيها؟"^(٢)

إن هذا الأسلوب يكمن سره في "المرج بين أحاديث الشخصية أو الأفكار وبين أفكار السارد وأساليبه ورؤيته، بحيث يأتي كلام السارد مع فكر الشخصيات مصوغا بضمير الغائب الدال على الشخصية المفكرة ذاتها."^(٣)

(١) زائرات الخميس ، ص: ١١٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص: ١٣٢ .

(٣) السرد في الرواية المعاصرة، ص: ٢٢٠ . وأساليب استحضار الأفكار، ص: ٧ .

الأسلوب غير المباشر الحر عند شهلا العجيلي:

في رواية عين الهر عند شهلا العجيلي تقدّم الساردة تيار أفكارها عند رؤية جناح فحص الجواهر في معرض المجوهرات فتفكر في بعض مخاوفها ثم تصل أفكارها إلى نتيجة أن لا تزور هذا الجناح بتوظيف هذا الأسلوب غير مباشر الحر كالتالي: "لم أجرؤ على التجربة، خشيتُ أن أكون قد دفعتُ في أشياءي فوق ما تستحق! فتجارة الجواهر من أوسع ميادين الغشّ، والربح فيها أكثر من مائة بالمائة، وليس ثمة ضمانات. ثمّ إنّ أشياءي ستبدو تافهة، إذا كنّا نتحدّث عن جواهر بمئات الآلاف من الدولارات. إذن فلا أكتفِ بالتجوال والمعرفة!"^(١)

كما تقدم أفكارها في موضع آخر عن طريق الأسلوب غير المباشر الحر: "قررت أن أسلك أقصر الطريق، فقلت لها بأنّها قد ألهمتني فكرة رواية، إذ شعرت أنّ وراءها شيئاً غير عاديّ يحضّني على استكشافه، وفي الوقت ذاته أستعيد علاقتي بالأمكنة هنا، وأطلع من جديد، وأعرف."^(٢)

كما نجد نموذجاً آخر لتقديم الأفكار المزيجة بين الشخصية والسارد، حيث تسمع أيوبة أصوات مجلس الذكر وهي قد خلصت من أعمالها المنزلية، وهي تسمع هذه الأصوات طويلاً، ولا تستطيع أن تقرر: هل تذهب فوق السطح لتستمع إلى هذا المجلس أم تبقى داخل المنزل، فتقدم هذه الأفكار بين الاختيارين وتقول: "أنهيت ما يدي، ولم تنقطع الأصوات بعد. ماذا أفعل! صعدت إلى السطح لأزاول عاديّ."^(٣)

فتقدم أفكارها بين الخيارين "بماذا أفعل" ثم لا تسترسل في هذه الأفكار، بل تسرد ما اختارته بين الخيارين وهو الذهاب إلى السطح. "لطالما خشيت من شكوكي! شكوكي تلك التي تتجلى أمامي بلا مقدمات، كرؤوس شياطين صغيرة،

(١) عين الهر، ص: ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٨٠.

رباه أهذا الحدث نعمة أم نقمة!"^(١) في موضع آخر تقول: "هل نحن في حلب، أم في ألف حلب وحلب!"^(٢)

وكذلك ورد هذا الأسلوب حين شعرت الساردة بالحيرة والدهشة فتستخدم هذا الأسلوب كالتالي: "من هذا الذي كان يرسل إلي "إلي ميلات" المغومة ، هذا الذكي، العايب، الشرير، ربما كانت امرأة، وقد يكون ولدا من المهووسين بالانترنت! لكن لا، ليس ولدا، هو شخص مثقف، ولدي حس أدبي رفيع، فهذا واضح من إي ميلاته التي كان يتدخل بها ببراعة، والتي غدت خيطا لا ينسل من نسيج قصتنا كلها، فمن أنت الذي اكتشفت كل شيء ؟ وهل ستكون نواة لرواية أخرى، أم أنك ستنتهي مع هذه النهاية؟"^(٣)

أما رواية سماء قريبة من بيتنا فيرد فيها كلام الشخصيات بأسلوب غير مباشر حر حيث يمزج أفعال جمان بأفكارها الداخلية وكيفية إقناعها لنفسها على تكييف أفكار جديدة في حياتها وتصرفاتها كالتالي: "قَبْلَتِه فِي خَدِّه قَبْلَةَ امْتِنَان، وَأَمْسَكَتْ دُمُوعِي، إِذْ عَاهَدْتُ نَفْسِي بَعْدَ الْبُكَاءِ الطَّوِيلِ الَّذِي ارْتَكَبْتَهُ فِي أَيَّامِ الْأَوَّلَى، أَلَا أَبْكِي أَبَدًا، وَلَا أَتَفْجَعُ، وَأَنْ أَتَوَقَّفَ عَنْ رِثَاءِ شَبَابِي، فَمَا يَجْدُرُ بِالْدُكْتُورَةِ جِمَانِ بَدْرَانٍ، وَهُوَ أَنْ تَنْتَقِلَ مِنْ مَسْتَوَى الشُّكْوَى إِلَى مَسْتَوَى الْاِمْتِنَانِ، وَإِنْ تَوَجَّهَ قَدْرُهَا مِثْلَ فَارِسِ اخْتَارَهُ اللَّهُ لِيَتَبَارَزَ مَعَ خَصْمٍ مُحْتَمٍ، وَعَنِيدٍ. أَمْتُتُ أَنْ أُرْسِلَ اللَّهُ نَاصِرًا، يَمْدُ لِي يَدِيهِ فِي هَذِهِ الظُّلْمَةِ، الَّتِي بَدَأَتْهَا سَتَاخِذٌ وَقْتًا طَوِيلًا لَتَنْقَشِعَ."^(٤)

في موضع آخر يمتزج سرد جمان وأفكارها وتساؤلاتها كالتالي: "حينما يرن هاتف أحدهم، ويجيب وأسمع صوته، تعطيني دهشه. هل يرد الموتى على التلفون! لكنه لم يمت بعد."^(٥)

(١) عين الهر ، ص: ١٣٩

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٤٣

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٥٤-١٥٥.

(٤) سماء قريبة من بيتنا، ص: ٢٤٠.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٢٤٩.

في رواية سجاد عجمي يرد الأسلوب المباشر الحر بالندرة كما ورد في مشهد البنات حيث تخبرهنّ خود أخبار الوالي كالتالي: "كانت خود تخبرهن ببحر الوالي الذي مضى، وكان آخر ما تزوّد به من زاد الرقة عروس، هي ابنة صيلم الدارميّ المضريّين".^(١) حيث يختلط صوت السارد بصوت خود ولا نحسم الأمر في القائلة.

٥. التقرير السردى:

هذا الأسلوب أسلوب أخير من الأساليب الخمسة وهو: "تقرير السارد أو روايته مستخدماً كلماته نفسها أو ملفوظات وأفكار إحدى الشخصيات".^(٢) فيلخصها السارد ويوجزها فلا يبقى من كلمات الشخصية إلا نخبه. وهو أكثر ألوان استحضار الأحاديث والأفكار شيوعاً في الروايات العربية^(٣).

التقرير السردى عند بدرية البشر

وفيفيد أسلوب التقرير السردى في تجنب قول طويل كما تقدم ساردة رواية غراميات شارع الأعشى عند تقريراً لقرارات ضاري في شأن حرمان أختها عن دخولها إلى البيت إذ تقول: "فقد قرر ضاري أن يجرمها من دخول منزلهم وسيطرد أولادها ويتبرأ منهم وسيخبر كل من يسأله عنها أنها ماتت. قال لها، وهي تخرج مع رياض إلى منزل أهل رياض.

– أنت خلاص ميتة، ميتة لا ترجعين لهذا البيت أبداً".^(٤)

في رواية هند والعسكر ورد أناشيد العصافير المتكررة بالتقرير السردى مثل التقرير لكلام الشخصية، كالتالي: "ظلت العصافير تغني نصف ساعة متواصلة تقريباً، العصافير تغني نصف ساعة من دون لحظة صمت ولا يخطئ عصفور دوره".^(٥)

(١) سجاد عجمي، ص: ٢٣.

(٢) المصطلح السردى. ص: ١٥٣.

(٣) السرد في الرواية العربية. ص: ٢١٨. وأساليب استحضار الأفكار. ص: ٦.

(٤) غراميات شارع الأعشى، ص: ١٨٥.

(٥) هند والعسكر، ص: ١٢٠.

في رواية زائرات الخميس نجد أسلوب تقرير سردي لإيجاز كلام طويل، كالكلام الذي دار بين هيفاء وحسام عبر الهاتف موجزا بمحتواه الرئيسي بدلا من كل الحوارات دون جدوى: "ملأت الأحاديث الأولى فراغا من الفضول بينهما وأسئلة لا تجد إجابات حقيقية؛ فهي تهرب وهو يسعد بملاحقتها. ومثل غبار تثيره غزالة عصبية راح حسام يشعر بالحماسة والرغبة تشتعل في داخله لمطاردتها." (١)

في موضع آخر توجز الكاتبة درس المواعيط الطويلة ألقته الأخت مها، وتقدم ملخصه كالتالي: "راحت تلقي عظة طويلة مليئة بقصص ضالعة في العذاب مفادها أن المرء في القبر سيواجه أسئلة عظيمة، ولن ينجو من عذابه إلا من يحفظ الدرس من ربك ومن هو نبيك؟" (٢).

التقرير السردى عند شهلا العجيلي

واستخدمت كاتبة عين الهر هذا الأسلوب في روايتها لفائدة تلخيص ما سمعته في تلك الجلسة وربما كانت ساعات طوال، فتقول: "كان غزلا رقيقا، نعم، غزل بالحبيبن وبالمحبوبة، ثم شيء من ذكر الله، والرسول، ومكة، وليلى، والخمر، والكأس، والعشق، والوصال، والفراق." (٣)

في رواية سماء قريبة من بيتنا يرد تخلص اللغة المسرودة من كلام الشخصيات عن طريق أسلوب التقرير السردى في مواضع شتى كالحديث الطويل الذي يجري في جلسات ثقافية في بيت بهجت بيك: "يللمون تفاصيله من ثنايا الجلسات والأحاديث، التي كانت السياسة تطفئ على معظمها، ويليهما مباشرة الحديث عن الطبخ وفنونه، إذ يجمع الحليون، كما يجمع غيرهم، على أن المطبخ الحلبي لا يتفوق عليه في اللذة والإتقان والتنوع، مطبخ في العالم على الإطلاق." (٤)

(١) زائرات الخميس، ص: ٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٦٣.

(٣) عين الهر، ص: ٨١.

(٤) سماء قريبة من بيتنا، ص: ١١-١٠.

كما يوجد هذا الأسلوب عند تقديم نبذة الاتفاقية بين الشرطيّ وجمان كالتالي:
 "ووصلنا إلى صيغة تسوية، تفيد بأن يترك لنا الكاميرا، ويأخذ بطاقتي الشخصية، فأمر
 بمقر الأمن لآخذها من هناك، ممّا يعني تحقيقاً." ^(١) كما يرد تقرير سردي لاختصار
 الكلام كالتالي: "يسمع نشرة الأخبار، يكفي بالموجز، وينقل إلى موجز الموجز." ^(٢)
 كما تقدم الساردة كلام نبيلة لابنه يعقوب عن أبيه موجزة بأسلوب التقرير
 السردى كالتالي: "كانت تحيطه دائماً بذكريات أبيه، الوهمية في غالبها، وهذا أقصى
 ما تستطيع: أبوك فعل كذا، قال كذا، طلب إليّ كذا، لو كان أبوك معنا لتصرف
 كالآتي، ولم تتعب نبيلة من التسويغ، والتعليل والفرضيات." ^(٣)
 ورد أسلوب التقرير السردى لبيان الكلام الكثير الذي جرى من الليل إلى
 الفجر بشكل موجز في رواية سجاد عجمي حيث تلخص الساردة الحديث بين
 لبانة ومحبوبة بين الأخبار التي فاتت من لبانة في السنوات التي عاشت خارج الرقة،
 وبين أخبار لبانة التي فاتت من محبوبة كالتالي: "وها هي تعود لتجد نزلاً جميلاً
 تديره امرأة، لتعرف منها أحوال البلاد، وأخبار العباد، مذ غادرتهم." ^(٤)
 ثم تتابع الساردة في تقرير سردي بشكل جميل كالتالي: "لم تنم لبانة تلك الليلة،
 وبقي قيس الصغير في حجرها يتململ من حديث أمه مع محبوبة إلى الفجر. كانت
 لبانة في شوق لتلقي أباه وإخوتها الذين لم تسمع عنهم خبراً كلّ ذلك الوقت." ^(٥) ثم
 ينتقل هذا التقرير السردى بسلاسة إلى أسلوب غير مباشر الحر حيث لا يُفَرَّق بين
 كلام السارد وكلام الشخصية كالتالي: "محبوبة طمأننتها أنهم بخير، فأوها يتردد
 على النزل كلما نزل من دير زكا، حيث زراعته، إلى الرقة، وإخوتها امتلكوا زراعة في

(١) سماء قرية من بيتنا ، ص: ١٥٧

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٨٥

(٣) المصدر نفسه، ص: ٢١٤

(٤) سجاد عجمي، ص: ١٥.

(٥) المصدر نفسه، ص: ١٦.

الرقعة السوداء، جنوبيّ الجسر، وأكثرهم يقيم فيها." ^(١) ثم يعود المشهد عند ختام الليلة والكلام الطويل إلى الحوار المباشر لوضع النقطة على كل الثثرة كالتالي:

"- ما لكِ سكنتِ يا لبانة؟ ها قد حكيت لك الحكاية من أولها إلى آخرها!" ^(٢)

ثم تسأل ريجانة عن أحوال لبانة وتجيئها الأخرى في شكل الحوار.

(١) سجاد عجمي ، ص: ١٦ .

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٦ .

الباب الرابع

**أوجه الاتفاق والاختلاف في روايات الكاتبتين
بشمل:**

الفصل الأول: أوجه الاتفاق والاختلاف في

أفكار المرأة وقضاياها في روايات الكاتبتين

الفصل الثاني: أوجه الاتفاق والاختلاف في

العناصر الفنية في روايات الكاتبتين

الفصل الأول:

أوجه الاتفاق والاختلاف في أفكار المرأة وقضاياها في روايات الكاتبتين

إن الكاتبتين تنتميان إلى الصعيد الأدبي النسوي: بدرية البشر من السعودية بينما تنتمي شهلا العجيلي إلى سوريا وتعيش حالا في الأردن. بدرية البشر من مواليد الستينيات، بينما ولدت شهلا العجيلي في السبعينيات. تخصصت بدرية البشر في علم الاجتماع بينما تخصصت شهلا العجيلي في الأدب العربي الحديث. تمتهن بدرية الصحافة والإعلام، بينما تشتغل شهلا بالسلوك الأكاديمي. بدأت كلاهما رحلتهما بكتابة القصة ثم بدأتا بكتابة الرواية في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. كتبت الكاتبتان روايتهما حول واقع المرأة في بلديهما. حصلت شهلا العجيلي على جائزة تشجيعية منذ أولى رواياتها "عين الهر". بينما تم ترشيح روايتي سماء قريبة من بيتنا وصيف مع العدو لشهلا العجيلي في القائمة القصيرة للجائزة العملية للرواية العربية. وتم ترشيح رواية "غراميات شارع الأعشى" لبدرية في القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية. تسير الكاتبتان في درب تأليفهما وفق المنهج الواقعي غير أن كلا منهما تضع لونا الخصوصية في واقع المرأة، وهذه الخصوصية تكون ثمرة نظرتهما إلى تصوير المرأة وقضاياها وتكوين الروايات الفنية. وستجلى هذه الخصوصية في الفصلين التاليين حيث تتبلور أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف في قضايا المرأة وفي العناصر الروائية الفنية.

إن قضايا المرأة عند بدرية البشر ثمار الأحوال الاجتماعية والتاريخية الخاصة من أهمها اكتشاف النفط، وقانون تحرير العبيد والإماء، وتعميم التعليم للبنات، ووجود فرص العمل للمرأة في القطاعات المختلفة، والبيئة المحافظة. بينما تنشأ قضايا المرأة عند شهلا العجيلي تحت الأوضاع الاجتماعية والتاريخية والسياسية الخاصة بسوريا مثل، تأميم الأراضي، والحروب واحتلال داعش، وغيرها.

١: قضية الزواج

تناولت الكاتبتان قضية الزواج من نواحي شتى كالتالي:

١. ظهر الزواج عند الكاتبتين في رواياتهما بشكل مأساوي كثيرا وقلما توجد السعادة بين الزوجين. أما الصورة الجميلة من الزواج فتظهر ندرة بحيث يجد القارئ أن الزوج والزوجة يعيشان معا بسعادة كبيرة ويساندان بعضهما في الظروف العويصة. نجد هذه الظاهرة عند بدرية في روايتها غراميات شارع الأعشى في صورة زواج أم عزيز ووالد عزيز كما يوجد نفس التألف والمؤازرة بين الزوجين عند شهلا في روايتها سماء قرية من بيتنا، وهنا السيد بهجت وزوجته حيث يضطران إلى ترك القصر فيغادران معا سندا وعونا لبعضهما في هذه الرحلة.

٢. ألقى بدرية الضوء على زواج القاصرات في رواية الهند العسكر من خلال شخصية أم هند "هيلة" التي تزوج بها ابن عمها عثمان في التاسعة من عمرها، وهذا الحادث أثر في حياتها الزوجية وتربية الأولاد والبنات طوال السنين. وهذه الظاهرة لا توجد في روايات شهلا العجيلي.

٣. تشير بدرية البشر في رواية هند والعسكر إلى قضية الزواج قسرا حيث يتم تزويج هند بابن عمها منصور إثر معرفة أمها بأنها تقع في حب رجل غريب عن عائلتها. وهكذا نجد عند شهلا العجيلي تقدم قضية الزواج الإجباري حيث يتم تزويج ريا بابن عمها حسن الأشجعي، وهي قبل ذلك تزوجت بحسن سعداوي جمعهما حب سنين، لكنه كان من أسرة أدنى من أسرة ريا، فلم يهضم الأهل هذا الزواج ومن ثم ضغطوا على حسن السعداوي لكي يطلقها في بداية يوم زفافه ثم جُنَّ. كان ريا تزوره كثيرا في مستشفى المجانين سرا، وعندما عرفت أسرتها زوجها بحسن الأشجعي.

نتيجة كلا الزوجين هي عدم وجود الحب والألفة بين الزوجين وعدم التفاهم في الأمور. من ناحية الأولاد نجحت هند في تأسيس علاقة جيدة مع ابنتها، أما ريا فلا تتمكن من توطيد علاقتها بأولادها بالحب، رغم أنها تؤدي

واجباتها تجاههم وتقوم برعايتهم. وفي النهاية هند تتخلص من زوجها وتعود إلى بيت أمها، أما ريا فلا تستطيع ذلك وتقع في حب رجل آخر "سعد"، وهذا أسوأ ما في الأمر.

٤. تناولت بدرية البشر في رواية الأرجوحة إلى قضية زواج بالمسيار عند الأغنياء في السعودية، حيث يكون سلطان العاجي معروف بالمغازلة والعشيقات. وهو متزوج بابنة خاله، ولديه أسرة مرموقة، يقع في حب سلوى ولكنه لا يستطيع أن يتزوج بها أمام أسرته فيلتجئ إلى حيلة الزواج بالمسيار، ويقدم مهرا كبيرا لإسكات أسرة سلوى. هو يسافر كثيرا فتبقى في بيت أمها، وعندما يعود من الخارج ومن أسرته وزوجته، يطلبها عن طريق السائق والسيارة في أوقات محرجة إلى بيتهما مثل قبيل الفجر، فيصعب لها الخروج كل مرة مثل السراق، لكن ليس بيدها حيلة أخرى. تصل هذه المشكلة إلى الذروة عندما يراها أخوها بندر تخرج عند الفجر، ويغضب كثيرا. وفي اليوم التالي يصل إلى أسرة سلطان العاجي يطلب طلاقا لأختها. فهذا النوع من الزواج لا يأتي بالكرامة لا للرجل حيث يصبح فضيحة في أسرته، ولا تكون شرفا وكرامة بالنسبة للمرأة. وتواجهت هذه القضية عند بدرية والسبب في ذلك أن صورة هذا الزواج شائع في المجتمع السعودي. ولم توجد هذه القضية عند شهلا لأن هذا الشكل من الزواج معدوم في سوريا.

٥. تناولت شهلا قضية الزواج السري في رواية سماء قريبة من بيتنا مرتين: فالأول إشارة إلى زواج وزير كبير بمغنية مشهورة، يُقتل حينما يتسرب هذا الخبر، تراث المغنية منه أموالا طائلا وحينها تصبح أسرة الوزير ضدها وتحاول قتلها. ففي نهاية المطاف هذا الزواج السري لا يأتي بالخير. ثم يرد الزواج السري في حياة مدير السكة الحديدية، حيث يفضح أمره عندما يجد ابنه الكبير زوجة والده السرية وابنته صدفة، ينهار إثر هذا الخبر ويهدد والده بإخبار الأسرة عن زواجه السري. فالمرأة هنا أيضا تعاني من عدم تكريمها في أسرة زوجها.

٦. وجدت عند بدرية البشر في رواية هند والعسكر قضية العلاقات السرية للزوج مع امرأة أخرى، كما نجد في حياة هند أنها منذ حملها وخاصة عندما يعرف

زوجها منصور أن الجنين أنثى يهجر هند بين فينة وأخرى ويميل قلبه إلى علاقة سرية مع النساء. كما وجدت عند شهلا العجيلي في رواية صيف مع العدو بأن والد عبود يتزوج بأمه في يوغوسلافيا برغبة منه، وهي امرأة جميلة ومهذبة وتعتني بكل شيء حول زوجها وبيته وتحسن تربية ولدهما، لكنه يبدأ يميل إلى ممرضة الأغنام في مكان عمله، وينتهي الأمر بزواجه بتلك المرأة، وعودة أم عبود إلى بلادها ودمار شخصية الولد "عبود". في جانب آخر تقدم شهلا نفس القضية في رواية عين الهر حيث لا يهتم والد أيوبة بأمها وتعاني منه بالعنف الأسري، ويكون لديه علاقة سرية مع صاحبة صالون التجميل، تخجل بهذا السبب ابنته. فهذه العلاقات السرية لا تفسد الحياة الزوجية فحسب، بل تؤثر في نفسية الأولاد والبنات سلبيًا في روايات كاتبتي

٧. قدمت بدرية البشر قضية الزواج برجل عجوز لأجل المال في رواية زائرات الخميس خلال شخصية أم مشاعل، هي امرأة مريحة وثرثرة ولا تستحي من قول أي كلام فاضح أمام صديقاتها وعندما يموت زوجها الثاني والثالث، وتريد الزواج فتعرض عليها الخطابة رجلا عجوزا جدا بالإشارة أنه لا يناسبها فهي في الأربعينات من عمرها، فتسألها أم مشاعل بمرح عن ثروته، وعندما تعرف عن ثروته، توافق على الزواج. بينما لم تشر شهلا العجيلي إلى هذه القضية في رواياتها. وتوجد هذه القضية عند بدرية دون شهلا العجيلي لسبب أن المرأة ترعب في مال العجوز مع كبر سنه لترضى بالزواج معه في السعودية. بينما لم تشر شهلا العجيلي إلى هذه القضية في رواياتها لأن هذا الشكل يقل في سوريا.

٨. تلمح بدرية البشر في رواية زائرات الخميس إلى زواج المطلقة بالرجل العازب، وهما مشاعل وحسام ونظرة أسرة حسام تجاه مشاعل المرأة المطلقة ولا يستلم هذا الزواج بركة أسرة حسام إلا بعد جهد جهيد بما يشمل تركه لبيته لأشهر ثم عندما يعود إلى البيت توافق أمه رغما عنها. وبعد الزواج أيضا لا تنظر أم حسام إليها بنظرة الكرامة. وكذلك تلمح شهلا العجيلي إلى هذه القضية في رواية سماء قريبة من بيتها بأن أم جمان حينما تزوجت بوالدها كانت مطلقة،

فوقع قبل الشاب على الشابة المطلقة وقررا الزواج، هنا أيضا لا توافق أم الشاب، لكن أخته تلعب دورا هاما في إرضاء أمها لزواج أخيها.

٩. يتواجد عند بدرية البشر في رواية زائرات الخميس سبب الفساد بين الزوجين وهو الكذب في كل صغير وكبير بين مشاعل وحسام رغم زواجهما بالحب، وهذا الكذب يولّد عند حسام شك في كل ما يصدر من مشاعل ويزداد الأم سوءا بسبب سوء التفاهم والأشخاص الذين ينوون الإفساد بين الزوجين، فيتهي الأمر بدمار البيت. ولا تتواجد هذه الظاهرة في روايات شهلا العجيلي.

١٠. أبرزت بدرية البشر في رواية الأرجوحة قضية العنف الأسري حيث يضرب عبد الرحمن زوجته سلوى على الخلافات البسيطة ويصل الأمر إلى كسر العظام. وفي رواية غراميات شارع الأعشى ذكرت أشكالا مختلفة للعنف الأسري مثل عنف الإخوة على هيلة وجرحها من الشعر عندما كانت تسترق إلى دروسهم خارج ديوان الرجال. وأيضا العنف الذي تعاني منها أخت هند من قبل أخيها الذي يجرحها إلى غرفتها عندما يتم القبض عليها في قضية هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والصورة الأخرى من العنف هي عنف الأم على البنت في رواية هند والعسكر حيث تقرر هيلة ابنتها هند بشدة على فخذ لإخافتها من الرجال.

بينما أبرزت شهلا العجيلي قضية العنف الأسري بين الزوجين حيث يضرب والد عبود أمه، وكذلك في رواية عين الهر يضرب والد أيوبة أمها. في كلا الحالتين الزوج يعتدي بالضرب غير أن شهلا صورت كلتا المرأتين برقتهما وجمالهما. وفي حالة أم أيوبة تشير الكاتبة إلى سبب تحمل العنف الأسري هو أنها بحاجة إلى الزوج لأجل نفقات بناتها في الدراسة والأكل والشرب والمأوى.

١١. تناولت بدرية البشر سبب آخر لدمار الزواج وهو عمل المرأة خارج

البيت، ففي رواية الأرجوحة تعبر بدرية البشر إلى أن مريم تفضل العمل المضني الذي يأخذ منها ساعات كثيرة ولا تجد وقتا لزوجها، لا في الليل ولا في النهار لأن مواقيت ذهابها وإيابها ونومها واستيقاظها تختلف عن زوجها مشاري،

والذي يؤثر على حياتهما الزوجية، ويزداد البعد بينهما مع الوقت والذي في نهاية المطاف يأخذ زوجها إلى وديان أخرى.

بينما تناولت شهلا العجيلي قضية تفضيل المهنة والعمل على الزواج، كما نجد في رواية سماء قريبة من بيتنا بأن وليد وجمان يحبان بعضهما بعضا ويقرران الزواج بعد إكمال دراسة جمان، لكن ما إن تصل جمان إلى نهاية دراستها إلا وترى أن حب وليد وأحلامه لتكوين البيت بسيطة وهو لا يدرك أهمية عملها. وهكذا تنفصل جمان عن وليد وهو ينتظر لها منذ سنتين. وبعد سنين عندما تنضج أفكار جمان فتندم على ما تركت حبا صادقا وزوجا وفيا.

١٢. هناك أسباب أخرى للطلاق عند شهلا العجيلي في روايات مختلفة ففي رواية عين الهر يتم طلاق أيوبة من الزوج الأول بسبب الفرق الشاسع بين أعمارهما وعندما يتزوج ثانية وتصبح الثانية حاملا فلا تبقي حاجة أيوبة فيطلقها. والطلاق من الزوج الثاني يكون على أوامر الشيخ الكبير لجماعتهم لأن الزوجة الأولى تكون ابنة الشيخ الكبير، ولا يريد أن تصبح أيوبة ضرة لابنتها. أما تهديد الطلاق التي تعاني منها أم أيوبة بالإضافة إلى العنف هو عدم إنجاب الولد وكثرة إنجاب البنات.

وفي رواية سماء قريبة من بيتنا يتم طلاق أم جمان من الزوج الأول بسبب عدم تفاهم بين الزوجين حيث يريد الزوج وهو القبطان البحري أن تكون أم جمان معه في كل رحلة بحرية، هو يحبها كثيرا ولا يستطيع البقاء بدونها ولو لليلة، وهي لا تطيق جو الرحلة البحرية وتمرض كثيرا، وهي تراه أنانيا في حبه لها، ولا تمضي سنة واحدة إلا ويتم الطلاق بينهما.

١٣. تشير شهلا العجيلي إلى إيجابيات الزواج بالأجنبية وسلبياته في رواية صيف مع العدو، حيث يتزوج والد عبود بالمرأة اليوغوسلافية عندما يبتعث هناك للدراسة ويحبها في الجامعة. هي تحسن في تربية الولد من الناحية الخلقية وتحسن في تربية البيت لكنها تحول عقائد الولد إلى النصرانية لأنها نصرانية. وهذه الظاهرة تنعدم في روايات بدرية البشر.

٢: قضية السلوك بالإماء

أشارت بدرية البشر في رواية هند والعسكر إلى أحوال الإماء عند التحرير في سياق قانون تحرير العبيد والإماء، حيث أسرة نوير عبيد عند أسرة عبد الرحمن (والد هند) وعندما يعتقها إثر القانون فلا تجد الأسرة ملجأ ولا عملاً غير بيت عبد الرحمن، فتتوسل نوير إلى مالكة أن تتركها تخدم في بيته عوضاً عن المأكل والمشرب والمأوى، فابنتها عموشة تعمل في بيتهم في حالة أسوأ من الإماء في أصعب أحوال، فلا تفهم معنى "الحرية"، إلا عندما يذهب أولاد عموشة إلى المدرسة بالزيّ مثل سائر الأولاد فتفهم معنى الحرية بعض الشيء.

أما شهلا العجيلي فتقدم أحوال الإماء عند التحرير بشكل أفضل، كما نجد في رواية سجاد عجمي، إذ تعيش الأمة "محبوبة" تخدم أسرة مالك الأشجعي وتربي أولاده، وعندما يعتقها يعطيها مالا كثيراً تؤسس به نزلاً وبعد فترة تصبح من بين ثريات المدينة. فهي تصور أحوال الإماء عند التحرير بشكل أفضل بينما تكون حالة الإماء عند التحرير عند بدرية أسوأ.

أما حالة العبودية فتعبر عنها بدرية في رواية الأرجوحة بأن المالكة تساعد في زواج الأمة عناب بالعبد السائق، وتسهل في إعداد أثاث البيت لهما، أيضاً تساعد في دراسة أولاد العبيد. غير أن حالة العبودية منعدمة عند شهلا العجيلي. والسبب في ذلك هو اعتماد السعوديين على العبيد والإماء في الأعمال المنزلية، بينما تقل أو تنعدم هذه الظاهرة في سوريا.

٣: قضية اغتصاب البنت والاعتداء عليها

تقدّم بدرية البشر في رواية هند والعسكر قضية الاعتداء على البنات واغتصابهن، حيث تتعرض الأمة عموشة في طفولتها ومراهقتها للتحرش الجنسي من قبل الرجال الكثيرين، ويغتصبها شاب، لكنها لا تتمكن من إخبار أمها خوفاً من عقابها لها، ومن ثم تصاب بالرهاب من الرجال بسبب هذه الأحداث المؤلمة. وأيضاً تتعرض هند للتحرش الجنسي وهي تلعب في

الشارع أو حتى بعض أقاربها يتحرش بها ويقوم بمحاولات الاعتداء وهي أيضا لا تستطيع إخبار أمها بالحوادث خوفا من ضرباتها. وفي رواية الأرجوحة أشارت الكاتبة إلى أن الأمهات من طبقة الإماء السود لا يهتمن ببناتهن في أوقات الظهيرة ومن ثم تتعرض ابنة زيتونة "عنان" لوحشة شخص من أسرة مالكة فيغتصبها في ظلام ديوان الرجال. بدرية البشر أيضا تشير إلى مصير بنت مغصوبة حيث يتم تزويجها مجانا برجل فقير كبير السن وهو مدمن على المخدرات فلا يستطيع أن يدفع لها مهرا، وأمها توافق على هذا الزواج لكي تتخلص من ابنتها الحامل إثر الاغتصاب.

أما شهلا العجيلي فلا توجد في رواياتها قضية الاغتصاب لكنها تقدم حوادث التحرش في رواية صيف مع العدو، حيث لميس تتعرض للتحرش من قبل الجار الشاب العازف، حيث يدعوها بطريقة ما إلى غرفته ويغلق الباب. أمها أيضا لا تهتم لابنتها كثيرا بسبب انشغالها مع أمها أو شجاراتها مع زوجها.

٢: قضية فقدان الأم

أثارت الكاتبتان قضية فقدان الأم وتأثيرها على البنت أو الولد، كما أشارت بدرية في رواية الأرجوحة حرمان مشاعل وأخيها الصغير من الأم حيث ترسلهما إلى والدهما وزوجها السابق، وهنا يتعامل الوالد وزوجته مع الأولاد بالقسوة. وطوال السنين يبقى السؤال في رأسها عن سبب تركهما من قبل الأم، لأنها تركتهما لأجل الزواج الثاني. هكذا تعاني بنت حمود "لينا" من فقدان الأم في رواية الأرجوحة. لكنها تلتقي بها بين فترة وأخرى.

أما شهلا العجيلي فتتناول قضية فقدان الأم أو الأب في رواية سجاد عجمي حيث تتحدث لبانة وعمر عن تجاربهما مع فقدان الأم، الأولى فقدتها في الشباب بينما فقدتها عمر وهو في السادس من عمره وكان ينام مع والدته. وأيضا في رواية صيف مع العدو نجد والدة عبود تضطر إلى الذهاب إلى بلدها إثر زواج والده. يصعب الأمر على عبود ويتدهور حالته إلى ولد مشاكس. تعني به جدته إلى أن تتوفى. هكذا في رواية سماء قريبة من بيتنا تغادر زوجة

ناصر الأمريكية إثر مشاكل نفسية، ولديهما بنت في سن المراهقة تحتاج إلى حنان الأم، فيرسلها ناصر إلى أمه لأنه يسافر كثيرا بسبب أعماله. فالحل الذي تقدمها بدرية وشهلا هو أن الجدة تعتني بالأولاد البنات فشخصيتها تتحلى بالحكمة والحنان.

كما أشارت شهلا في رواية صيف مع العدو إلى فقدان البنات للآباء لأسباب سياسية، حيث يُقتل صديق خال لميس لأنه كان من معارضي الحكومة، ولديه ابنة من الرابعة وهي تنشد أناشيد تمدح الحكومة، دون أن تدرك بأنها قاتل والدها وسبب في الحرمان منه.

٥: قضية التعامل مع البنات

أبرزت بدرية البشر قضية التعامل مع البنات والنظرة إليهن بطرق مختلفة في رواية هند والعسكر، فتكره أم الهند بناتها وتفضل أبناءها وتتعامل معهن بسوء وخشونة. وهكذا منصور زوج هند يستاء من أن جنين هند أنثى، وعندما تنجب بنتا يفر من البلد إلى البحرين لأسبوع. وفي رواية غراميات شارع الأعشى تعاني عطوى من تعامل قاس من قبل زوج والدتها فلا يعطيه طعاما بل يطلب منها أعمالا شاقة طوال اليوم كأنها ولد كبير فتصير نحيفة جدا. في جانب آخر تتعامل أم جزاع بمعاملة حسنة مع عطوى عندما تصل إلى الرياض. وعند موتها تترك بيتها وتجارتها لعطوى. وهكذا شخصية والد عزيزة يحب بناته كثيرا ويتعامل معهن معاملة حسنة، ويخبرهن أيضا بأنهن قريبات إلى قلبه.

أما شهلا العجيلي فعبرت في رواية عين الهر نظرة سوء والد أيوبة تجاه بناتها ويهدد زوجته بالطلاق لأنها لا تنجب صبيا. أما أم أيوبة فهي تهتم بدراستهن، وتنصحهن بالدراسة والجهد، بينما تقدم نظرة جيدة للبنات في رواية سماء قريبة من بيتنا، حيث يحسن والد جمان تربية بناتها الثلاث ويعلمهن.

٦: قضية الفساد الجنسي

قدمت الكتبتان قضية الفساد الجنسي بين النساء، أما بدرية البشر فقدمت في رواية غراميات شارع الأعشى، ورواية الأرجوحة الفساد الجنسي بين النساء في مسكن البنات اللاتي يشتغلن كلهن في الغناء والموسيقى والرقص في حفلات الزواج، وليس لديهن من ينصحنهن. بينما قدمت شهلا العجيلي قضية الفساد الجنسي في رواية عين الهر بين النساء الثريات من البيوت الكبيرة واللاتي يعشن حياة البذخ والحفلات، لا يوجد الرجال حولهن. وهذه الظاهرة تشترك بين المنحرفات من الطبقة الوسطى والسفلى عند بدرية، وبين الطبقة العليا عند شهلا.

٧: قضية المجون

تناولت شهلا العجيلي قضية المجنون بمختلف الأشكال ففي رواية سجاد عجمي شخصية "محبوبة" أنها تقترب من مالکها السابق وأخيه في طهر واحد وتنجب بنتا فلا تدري من والد ابنتها. كما تعبر عن هذه القضية خلال شخصية خود التي تحب رجلين في آن واحد وهما ابن عمها عمر، والجندي الحارثة. وأيضا في شخصية ريتا التي تزوجت قسرا بابن عمها حسن الأشجعي، وعندما يصل قائد الجيش إلى الرقة يقع في عشقها رغم أنها حامل من الطفل الخامس، وعندما ترى اهتمامه البالغ تجاهها تحاول أن تتجنب عنه، لكن لا يمضي أيام كثيرة إلا وتقع في حبه أيضا. ولا يرد قضية المجون في روايات بدرية البشر.

٨: قضية العنوسة

تبرز شهلا العجيلي قضية العنوسة وأسبابها في رواية سجاد عجمي وهي عدم التكافؤ في الحسب والنسب، عدم اطمئنان الأسرة على أسرة الخطيب أقل درجة من أسرة البنت كما يوجد في حالة شخصية خود والحارثة، وفي حالة شخصية ريتا وحسن السعدي الذي كان من موالى بني الأشجع دخل الإسلام تاركا المجوسية. وفي رواية صيف مع العدو أشارت إلى سبب آخر هو انتماء الخطيب إلى جماعة

المعارض عن جماعة والد البنت، فخال لميس "نجيب" يحب "عروبة" ابنة كبير في الحكومة، وعندما يعرف والدها عن رغبتها فيمنعها، وحتى بعد مقتله تبقى عانسة وفاء لحبها له. وهكذا في رواية عين المر تشير الكاتبة إلى نفس السبب للعنوسة وهو الوفاء بالحب، وذلك عند شخصية أوديت التي أحبت رجلا مطلقا لم يستلم شهادة طلاقه من بعد، تحرب مع ذلك الحبيب لكي يخرجها عن البلاد ويتزوجا. لكن أسرة أوديت تدركها ثم يتم إرسالها إلى مركز التأهيل النفسي تابعا للكنيسة لعام، وأثناء ذلك يضغطون على الرجل فيهرب من البلد ويغيب، عندما تخرج أوديت من المركز تبدأ بالعيش في حلب، وحتى الممات في الستين من عمرها تبقى عانسة وفاء بحبها. أبرزت شهلا العجيلي هذه القضية لسبب عدم التكافؤ في الحسب والنسب وكثرة الهجرة والفقر في سوريا. بينما لم تتواجد هذه القضية في روايات بدرية بشر .

٩: قضية تأثير الحرب ومعاناة المرأة النازحة

تلقي شهلا العجيلي ضوئا على قضية معاناة المرأة النازحة إثر الحرب في رواية صيف مع العدو حيث توجد شخصية لميس النازحة في ألمانيا وهي فقدت أسرتها كلها أثناء الحرب، فهي تجد نفسها دون حماية، من جانب آخر تتعامل معها النساء الألمانيات بالدونية. وفي رواية سماء قريبة من بيتنا تعاني جمان بالهجرة من سوريا إلى الأردن بعيدة عن أبيها وأختيها، فتعاني من الوحدة بعيدة عن الأسرة ومن جانب آخر تشعر بالذنب تجاههم لأنها تركتهم في الحرب وهي لا تستطيع فعل أي شيء لأجلهم. ثم تعاني بمرض السرطان وتشعر بالوحدة بشكل أشد. وعندما تزور جمان المخيمات لأجل الدراسات الاجتماعية فتعرف عن مشاكل النازحات لم يجدن ماء ولا كهرباء ولا مأكل، وتنجب النساء في المخيمات حيث الخدمات ناقصة. أما بدرية البشر فلا يعاني مجتمعها بالحروب.

١٠: قضية تمكين المرأة المطلقة أو الأرملة

قدمت بدرية بشر حلول معاناة المرأة من خلال الزواج الثاني كما نرى في رواية زائرات الخميس خلال شخصية أم مشاعل، ومشاعل. ومن خلال تمكين المرأة بالعمل والتجارة كما توجد شخصية وضحي الأرملة في رواية غراميات شارع الأعشى فهي لا تلجأ إلى التسول والتكسب عن طرق غير شرعية بل تختار سبيل التجارة للأكل الكريم لأولادها، ويساعدها أناس من مجتمعها مثل أسرة عزيزة، وأم جزاع.

وكما نجد عند شهلا العجيلي أحوال المطلقة المتمكنة في رواية عين الهر حيث تساعد جماعة صوفية البنت المطلقة "أيوبة" بمهارة إعداد المسبحات، ويأتي رجل من الجماعة يأخذ منها بضائعها لبيعها في المحلات الكبيرة، فلا تحمل عناء الذهاب والبيع في المحلات الكبيرة بل تجلس في محلها الصغير وتبيع هنا للمشتريين. ولاحقا يتحول عملها إلى محل المجوهرات.

١١: قضية التخلص من سلطة الرجل

مثل رواية نسوية نمطية يجد القارئ عند كل من بدرية البشر وشهلا العجيلي أن الشخصيات النسائية تخرج من سلطة الرجل إما بالطلاق أو الانفصال قبل الزواج أو غياب الزوج، أو موته. فعند بدرية البشر في رواية زائرات الخميس نجد شخصية مشاعل أربع مرات وأم مشاعل مرتان تتركان أزواجهما. وفي رواية هند والعسكر تترك هند زوجها منصور. وفي رواية غراميات شارع الأعشى يغيب زوج وضحي في البراري، ويفر زوج أم جزاع ويسلب منها ابنها جزاع. وفي رواية الأرجوحة تنجو مريم من طيف زوجها مشاري، وسلوى تكف عن الجري وراء زوجها الثاني السابق، وتمشي وراء الملذات والمال.

أما شخصيات شهلا العجيلي التي تتخلص من سلطة الرجل وتميل إلى التمكين هي شخصية جمان في رواية سماء قريبة من بيتنا التي تفضل عملها على الزواج وتكوين الأسرة وترفض حبیبها الذي ينتظر لها منذ سنتين كي تكمل رسالة ماجستير، ولما تنتهي بالدراسة وتبدأ بالعمل ترى أن الزواج

وتكوين الأسرة مع زوج حبيب أحلام تافهة وأحلامها المهنية أكبر منها بكثير. وفي رواية صيف مع العدو ترفض لميس دعم عبود الشامل في ديار الهجرة. أما رواية سجاد عجمي فتتخلص لبانة من حب سليمان وتترك تتبعه وكتابة الرسائل إليه بسبب بعض إساءات الظن، وهكذا تسيء ربا الظنّ بسعد بعد إشاعة أنه قتل أربع بنات من أهل الرقة ثم رماهن عند الفرات. وأيضاً تتخلص حُود من الجري وراء عمر الذي يقع في حب لبانة، رغم أن جزءاً من قلبها لا زال يحبه. وفي رواية عين الهر الساردة تريد أن تنتقل من حلب إلى عمّان لتتابع مهنتها، بينما حبيبها في حلب وهو لا يريد أن تنتقل إلى عمّان إلى الأبد، فهذا يعني انتهاء علاقتهما، لكن الساردة تأخذ قرار الهجرة إلى عمّان.

١٢: قضية الخروج والهجرة من البلد

في روايات بدرية البشر وشهلا العجيلي، توجد ظاهرة الخروج من البلد حلاً للمآزق عند شخصيات المرأة. كما تخرج هند من السعودية إلى كندا في رواية هند والعسكر لتبدأ بتجربة جديدة من الحياة بمساعدة أخيها فهد. وفي رواية الأرجوحة تلجأ سلوى وعنّاب إلى جنيف بمغادرة السعودية. أما في روايات شهلا العجيلي فبعض شخصياتها تهاجر إلى البلاد العربية وبعضها إلى البلاد الغربية وبعدها إلى مدن أخرى داخل البلد. ففي رواية عين الهر تنوي الساردة النقل من حلب إلى عمّان لأجل العمل هناك، وأيضاً في رواية سماء قريبة من بيتنا تنتقل جمان من حلب إلى عمّان إثر الحروب وتهديد اغتيال الأكاديميين. بينما تهاجر لميس من الرقة إلى ألمانيا بسبب فقدان الأسرة إثر الحرب. أما رواية لبانة في رواية سجاد عجمي بتهاجر من الرقة إلى بلدتها دير زكا إثر الفساد في الرواية.

١٣: قضية النظرة السلبية تجاه بعض مهن المرأة

لمحت الكاتبتان إلى عدم قبول بعض مهن المرأة. فعند بدرية البشر في رواية هند والعسكر تعاني هند من قبل زوجها منصور في نشر قصصها ومقالاتها في الصحف باسمها فتستخدم اسماً مستعاراً للنشر، وتخفي أوراقها عن زوجها،

وهكذا عندما تعمل في المستشفى وتخيفها أمها بأن منصور لن يسمح لها بالعمل في المستشفى.

أما شهلا العجيلي فتم الإشارة إلى نظرة سلبية تجاه عمل صاحبة بيت التجميل لعلاقتها بالدعارة في رواية عين الهر. وإلى العزف والغناء في رواية سجاد عجمي، وبشكل عام توجد نظرة سلبية تجاه تمكين المرأة عند أم حود التي تمنع ابنتها من أن تشتغل في أي عمل حتى ولو يكون تدريس القرآن الكريم للصغار داخل بيتها.

الفصل الثاني:

أوجه الاتفاق والاختلاف في العناصر الفنية بين روايات الكاتبتين

١. أوجه الاتفاق والاختلاف على مستوى الشخصية

إن الشخصية عند الكاتبتين بشكل عام هي امرأة وخاصة في الشخصيات الرئيسة، لأن روايات كلتا الكاتبتين هي روايات نسوية. ومزايا الشخصية عند بدرية البشر في دور الأم الخشنة مثل أم هند في رواية هند والعسكر، وأم مريم في رواية الأرجوحة، ودور الأم غير الجادة في التربية فهي أم مشاعل، ومشاعل في رواية زائرات الخميس. أما الأم في روايات شهلا العجيلي فهي في رواية سماء قريبة من بيتنا أم عبود وهي أم حنون ومربية جيدة.

ودور الجدة عند بدرية البشر في رواية الأرجوحة مثل أم مريم فهي غير فعالة في تربية الأحفاد والحديث إليهم. وأما الجدة في رواية زائرات الخميس فهي جدة فعالة نشطة كأم حمود التي تربي حفيدتها لينا المراهقة. أما دور الجدة عند شهلا العجيلي، فهو دور فعال في تربية الأحفاد والحفيدات، ففي رواية صيف مع العدو نجد جدة عبود، وجدة لميس وهما تقومان دورا فعالا في تربية الأحفاد وتثقيفهم وأيضا في رواية سماء قريبة من بيتنا جدة ابنة الدكنور ناصر، هي تربيها وتقوم بتثقيفها.

دور الأخت عند بدرية البشر في رواية غراميات شارع الأعشى دور فعال مثل عزيزة في حياة عواطف في مساعدتها للقاء بالحبيب. بينما دور الأخت عند شهلا العجيلي في رواية سماء قريبة من بيتنا دور أكثر فعالية حيث تساعد أخت "بدران" والد جمان، في إرضاء الأم لزواجه بامرأة مطلقة يحبها.

أما شخصية البنت في روايات بدرية فهي بنت صالحة مثل أم مشاعل التي تخدم أمها في مرضها. وشخصية البنت عند شهلا أيضا صالحة وفعالة مثل أخت جمان التي ساعدت في إطلاق سراح والدهما من سجن الداعش.

أما شخصية الصديقة عند بدرية البشر فدورها سلبي في رواية زائرات الخميس إذ تُفسد هيفاء العلاقات بين صديقتها مشاعل وزوج مشاعل بألاعيبها حسدا منها. وأيضا دور الصديقة سلبي في رواية هند والعسكر حيث تشجع موزي صديقتها هند على اللقاء بالشباب خفية عن الأسرة. بينما تقوم الصديقة بدور إيجابي فعال في رواية غراميات شارع الأعشى. وهي مزنة فعندما تذهب إليها صديقتها عزيزة لتستشير في أمر الهروب عن البيت، تنصحها مزنة أن لا تفعل ذلك لأنها ستشعر بندم وسوء لأنها تخدش سمعة والديها وترتكب خطأ في حقهما. ولا توجد شخصية الصديقة في روايات شهلا العجيلي.

أوجه الاتفاق والاختلاف في شخصيات رئيسية

إن شخصيات رئيسية عند بدرية البشر كلها نساء، وكلهن ترتقي من مستويات مختلفة وتتلور في سياقات أسرية واجتماعية واقتصادية إلى نهاية الرواية. فبعضها شخصيات إيجابية مثل هند، ووضحي ومريم، وعموشة، هي النماذج البشرية تعرف كيف تبحث عن سبل التطور مع وجود الصعوبات في الحياة. وبعضها الآخر شخصيات سلبية، مثل عناب وسلوى وعزيز، وذلك لاختيارهن للخيارات المساوية الفاسدة لمجرى حياتهما. وبعض الشخصيات الأخرى بدأت سلبية مثل شخصية مشاعل وراحت تنمو في تدمير نفسها إلا أنها تنمو إلى التحسن والخير في نهاية الرواية.

أما الشخصيات الرئيسية عند شهلا العجيلي فمعظمها نساء وبعضها رجال أيضا. أما الشخصيات المتطورة الإيجابية في روايات شهلا فهي أيوبة، والساردة بدون الاسم، ولميس، وهذه النماذج البشرية لا تقف ولا تئس بوجود أزمات الحياة.

أما الشخصيات بين الأمل واليأس تجاه الحياة هي جمان بدران، تعاني من مرض السرطان في الغربة والوحدة. أما الشخصية الرئيسية المتوترة التي لا تخرج من يأسها ولا تنظر إلى إيجابيات الحياة هي ريا التي راحت حياتها بكاء على حبيبها، وما استطاعت أن تتكيف مع حياتها الزوجية وأولادها، ثم تقع في حب مستحيل الذي يتعكر في نهاية المطاف بالظنون. وهناك شخصية لبانة وسليمان، تلعب

بهما جارية الآخر لعبة أقدارهما دون أن يدركا ما حل بهما، ويترك كل منهما الآخر ويرتحل.

أوجه الاتفاق والاختلاف في شخصيات ثانوية

إن الشخصية الثانوية عند بدرية البشر تساعد في صعود الشخصيات أو هبوطها، وهذه الشخصيات من النساء ومن الرجال أيضا. فالشخصيات الثانوية التي تتسم بالإيجابية الفعالة من أهمها: فهد، ومتعب، أم جزاع، ووالد عزيزة، ووالد سوسن. أما الشخصيات التي تقوم بدور سلبي من أهمها: أم مريم، وأم مشاعل، وهيلة (أم عزيزة)، ومنصور (زوج هند)، وإبراهيم (أخو هند)، وضاري. أما عطوى فهي شخصية ضعيفة رغم أن الحياة أعطتها فرصا كثيرة للنجاح والتطور لكن في نهاية المطاف تقع في الأيدي القذرة، ولا تستطيع أن تخرج من هذا الموقف باختيار حياة كريمة بما تركت لها أم جزاع من الميراث والتجارة.

إن الشخصيات الثانوية عند شهلا العجيلي أيضا نساء ورجالا، وهي تقوم بدور إيجابي أو سلبي في مصير الشخصيات الرئيسية أو في مصير الشخصيات الثانوية بشكل مادي أو معنوي. فالشخصيات بالدور الإيجابي هي: نيكولاس، وسهيل بدران، وناصر العامري وأوديت، وهانية، وسلمى، وجود، وجدة لميس. أما الشخصية بدور شرير فهي رجل تاجر وهو في الحقيقة لصّ ويدعي بحب أيوبة كي يسرق بعض المجوهرات من المحل. وأيضا شخصية سعد قائد الجيش الذي يزعم ربا بحبه لها وهي امرأة متزوجة وأم أربعة أولاد وحامل بالخامس. وفي جانب آخر، هو يناع أهل الرقة لأجل استقرار الأمور لكنها تخرج عن السيطرة، ويسيء الظن بريا ويكسر محلها للخزف.

٣. أوجه الاتفاق والاختلاف على مستوى الزمان:

الزمن الخارجي عند الكاتبين

إن الزمن الخارجي عند بدرية البشر تتجلى خلال الإشارات التاريخية مثل الإشارة إلى جائحة الطاعون والذي كان في الربع الأول من القرن الماضي، أو قانون تحرير العبيد تم إصداره في السبعينات. لا توجد ذكر السنوات هذه

الأحداث. والزمن الخارجي لرواياتها يكون بشكل عام في إطار الربع الأخير من القرن الماضي بشكل عام. وتترافق هذه الفترة بحياة الكاتبة.

وهكذا توجد إشارات إلى أحداث الزمن الخارجي في روايات شهلا العجيلي، مثل قانون التأمين في عام ١٩٦٣، أو بأن الساردة لقيت بصديقها في ٢٠٠٠م وغيرها. ومن ثم يوجد عندها ذكر تحديد الأعوام للأحداث. وبشكل عام تدور رواية عين الهر في الفترة ما قبل الحرب في سوريا، بينما تتناول رواية سماء قريبة من بيتنا، وصيف مع العدو أزمدة الحرب في سوريا والهجرة أي العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين بينما تصل الأحداث عن طريق الاسترجاع إلى القرن الماضي. أما الزمن الخارجي في رواية سجاد عجمي فهو العصر العباسي بدون تحديد الأعوام.

الاسترجاع الخارجي عند الكاتبتين

الاسترجاع عند بديرة البشر عن طريق الذكريات ولأجل ذكر الأحداث الخارجية من إطار بداية الرواية مثل الطفولة، أو بيان أحوال شخصية جديدة. ولهذه الذكريات توجد تحفيزات المكانية أو الشخصية حيث يثير بعض الأشياء في المكان الحالي الذكريات القديمة مثل اللقاء بشخص، أو رؤية مكان ما أو صوت ما. وأحيانا يوجد استرجاع بعيد في استرجاع قريب. في روايات شهلا العجيلي أيضا توجد تحفيزات الذكريات مثل صوت ما، أو شخصية ما أو مكان ما.

الاسترجاع الداخلي عند الكاتبتين:

الاسترجاع الداخلي عند بديرة البشر وشهلا العجيلي يوجد لبيان تفاصيل الأحداث المذكورة سابقا، أو بعض جوانبها. وهنا أيضا يوجد الاستدكار عن طريق تحفيز ما. كما يوجد استخدام الاسترجاع الداخلي عند شهلا العجيلي لبيان بعض الشخصيات الأخرى.

الاستباق عند الكاتبتين:

إن استخدام الاستباق نادر عند الكاتبتين، أما الاستباق عند بديرة فورد عن معلومة ستقع في المستقبل في رواية غراميات شارع الأعشى للإشارة إلى أن مزنة رأت شخصا وستعرف لاحقا أنه رياض. وهكذا يوجد الاستباق عند شهلا في رواية سماء قريبة من

بيتنا حيث تقول الساردة عن رقم الدكتور ناصر بأنها لن تحتاج في المستقبل إلا إلى هذا الرقم، وأيضاً ورد الاستباق للإشارة إلى أن مكاناً فلانيا سيصبح حديثة بعد الأعوام. وعند بدرية البشر في رواية هند والعسكر، يوجد الاستباق مع الاسترجاع، حيث وردت أحوال هند مع زوجها عند معرفة حملها أولاً مستبقاً إليها، ثم وردت أحداث التي أدت إلى هذا الزواج عن طريق الاسترجاع. وهذا الأسلوب لا يوجد عند شهلا العجيلي.

تقنيات تسريع زمن الرواية عند الكاتبتين

يوجد اتفاق في تسريع زمن الرواية عن طريق الحذف عند الكاتبتين بالوفرة لأنها تقنية مهمة جداً لحذف معلومات مملّة، أو من الحياة اليومية، أو فترات طويلة للانتقال إلى أحداث مهمة فيحذف مشهد ما، أو بعض ساعات أو يوم، أو أسبوع أو سنة أو سنتين. ولا يوجد اختلاف في استخدام هذه التقنية.

كما يوجد اتفاق عند الكاتبتين في استخدام تقنية تسريع الزمن عن طريق التلخيص عن تجنب الأحداث المتكررة من الحياة اليومية، أو تلخيص مشهد طويل للإشارة إلى خلاصتها. ويتم عندهما تلخيص أحداث ساعات، ويوم، وأيام، وسنوات أيضاً.

تقنيات تبطئ زمن الرواية عند الكاتبتين

استخدمت بدرية البشر تقنية وقفة وصفية لوصف الأشياء مثل أثاث وديكور مكان داخلي، والأماكن المفتوحة، وابتسامه شخص، وحالة ما، ووصف صورة فوتوغرافية. أما شهلا العجيلي فاستخدمت تقنية وقفة وصفية لوصف ديكور مكان داخلي والأماكن المفتوحة.

أما تقنية المشهد لتبطئ الزمن فهي بطريقتين عند الكاتبتين بالاتفاق، أولاً بشكل الحوار بين الشخصيتين أو الحوار الهاتفي، وعن طريق بيان مشهد بكل جزئيات عملية ما مثل مشهد إعداد القهوة في بداية رواية هند والعسكر عند بدرية، ومشهد مجلس الصوفيين وأحوال رقصهم. ولا يوجد الاختلاف بين الكاتبتين في استخدام تقنية المشهد.

٣. أوجه الاتفاق والاختلاف على مستوى المكان:

الأماكن المفتوحة عند الكاتبين:

تتفق الكاتبان في تناول الأماكن المفتوحة مثل المدينة، والأسواق والشوارع والحارات والباحات والبساتين. تصف بدرية مدينة الرياض في جميع الروايات، بالإضافة إلى مدينة جنيف في رواية الأرجوحة، أما شهلا فتصف مدن، الرقة، وحلب، ودمشق، وعمان، وكولونيا (ألمانيا). أما تناول المدينة عند بدرية البشر فيختلف عن تناولها عند شهلا العجيلي. تتناول بدرية مدينة الرياض كأنها مكان يضيق حياة الشخصيات في رواية الأرجوحة كأن هذه المدينة مقبرة بالنسبة لها. بينما تصف مدينة جنيف في رواية الأرجوحة بالمكان بالانفتاح، مع شعور الضيق لكونها الأجنبية. أما شهلا فتصف المدن بالجمال والميزات الحسنة، ولكن تذكر الدمار الذي جلبها الحرب.

أما الأماكن المفتوحة التي وصفتها بدرية البشر دون شهلا العجيلي فهي البر، وجامعة البنات في الرياض. أما الأماكن المفتوحة التي تختص بها شهلا العجيلي غير بدرية البشر فهي عديدة مثل الجسر، والشاطئ والقلعة، والمقبرة، وحدود السورية الأردنية، والطريق إلى البحر الميت التي تذهب إلى فلسطين. نجد دلالة المقبرة عند شهلا العجيلي دلالة إيجابية في رواية صيف مع العدو لأن الأحياء ماتوا ووصلوا هناك إلى أن دمرها القصف وصارت مهجورا.

الأماكن المغلقة عند الكاتبين:

إن الأماكن المغلقة التي وصفتها الكاتبان بالاتفاق من أهمها: البيت، والمسجد والخيمة. أما البيت عند بدرية البشر فهي تصفه بغرفها المختلفة للدلالة على ثقافة نجدية في بيوت الرياض، من الطبقة الوسطى إلى الطبقة البرجوازية باكتشاف النفط مثل بيت عزيزة في غراميات شارع الأعشى، وبيت والد مشاعل أو بيت سلوى في رواية الأرجوحة. أما البيت عند شهلا العجيلي فهو أيضا يدل على الثقافة السورية مثل بيت أيوبة داخل جامع العادلية، والتاريخ السوري والعربي مثل بيت والد جمان حيث أحد جناحيه يمثل الديكور الأثري بجماليات العصر العباسي

بسجاداته وزهرياته، وجدرانه وغيرها، والجناح الآخر يمثل العصر الحديث. كما تصف البيوت الكبيرة والقصور الثرية.

أما وصف المسجد في رواية الأرجوحة عند بدرية فهو مسجد عصري بخدمات حديثة مثل المكيفات وغيرها، وأما جامع العادلية في رواية عين الهر عند شهلا فهو وصف المسجد التقليدي الرائع، أما الاتفاق فيهما في إبعث الراحة وطمأنينة القلب.

أما وصف الخيام عند بدرية البشر فهو رمز للحياة الصحراوية ويضعها الأغنياء في حدائق بيوتهم للترفيه ويضعون فيها المكيفات وشاشات لمشاهدة الأفلام وقضاء وقت فراغ كما في بيت وليد في رواية هند والعسكر. أما وصف الخيام عند شهلا العجيلي فيختلف عن بدرية البشر، فالخيمة عند شهلا العجيلي رمز للبؤس والفقر والفقد واللجوء والحرب، حيث تعيش الأسر السورية النازحة في المخيمات في الأردن إثر الحروب في رواية سماء قريبة من بيتنا، ولذا تشمل هذه الخيم على مستلزمات الحياة دون الأشياء الترفيه.

أما وصف الأماكن التي تنفرد بها بدرية البشر غير شهلا العجيلي فهي المصلى والشاحنة والمطار والمطعم. الشاحنة من الأماكن المتحركة التي تمثل سبب نجاة عطوى من ظلم زوج أمها في البادية إلى الرياض في رواية غراميات شارع الأعشى.

أما وصف الأماكن التي تنفرد بها شهلا العجيلي غير بدرية البشر فمن أهمها: الكنيسة في روايتي سجاد عجمي وصيف مع العدو، ودكان صياغة المجوهرات وصالة معرض المجوهرات في رواية عين الهر. والمستشفى بجناح الطب النووي، وبصالة الانتظار وهذا المكان موحش بالنسبة لجمان وهي تكون بين اليأس والأمل والحياة والموت. شهلا العجيلي أيضا ذكرت مكانا متحركا وهو السفينة في رواية سماء قريبة من بيتنا حيث تقع أخت جمان بحب القبطان الإسباني وهو يتعامل معها بسلوك حسن.

دلالة وصف المكان على حالة نفسية

إن بعض الأماكن وأحوالها تؤثر في نفسية الشخصيات، فتتأثر نفسية الشخصية بهذا المكان إما إيجابيا وإما سلبيا. فالأماكن التي لها علاقة بحالة النفسية عند بدرية البشر مثل شوارع الرياض، التي تنبعث في عزيزة شعور الحزن والكآبة وتناسب حالة عزيزة لأنها تتزوج برجل عجوز لا تحبه، ونفس الشوارع تنبعث فيها السرور والبهجة لأنها حينذاك مع أحمد وهو شخص تحبه. بينما لا توجد دلالة المكان التي تؤثر تأثيرا سلبيا أيضا وتأثيرا إيجابيا أيضا.

أما وصف الأماكن التي تؤثر تأثيرا إيجابيا عند بدرية البشر مثل رؤية هند في رواية هند والعسكر إلى مشهد أشجار مغسولة وطيور ترفرف في صباح طازج من خلال حالة قلبها لأنها تشعر بالإيجابية والصفاء تجاه الحياة والكون. والمطر يغسل حزنها أيضا ويتهج به جميع الناس. وهكذا تستمد هند الإيجابية والسعادة والراحة من خلال طبيعة البر الهادئ الصامت بعيدا عن ضجيج حياة المدينة.

أما وصف الأماكن التي تؤثر تأثيرا سلبيا عند بدرية البشر مثل رهبة أي مكان مغلق مظلم لدى عناب في رواية الأرجوحة لأنها تعرضت للاغتصاب في مكان مظلم مغلق في الطفولة. وفي رواية الأرجوحة شعور مريم عند خروجها من الفندق للعودة إلى الرياض دون العثور على زوجها كأن كل العالم صامت وغائب عن العمل ولا يوجد السعادة في المكان. وتأثير الحرّ في الرياض على الناس سلبيا حيث يتعصب الناس ويصبح الناس أعداء للآخرين وفي الظهيرة الكل يختفي في الغرف المكيفة. أما تأثير الحر والعواصف الرملية في مدينة الرقة عند شهلا العجيلي في رواية سجاد عجمي فيسود جميع الناس والنبات والجماد لباس الحزن والكآبة ويختفي الناس في البيوت ويزداد عمل النساء بسبب العواصف الرملية من تنظيف البيوت، إلى أن ينزل المطر ويعود البهجة إلى المكان وأهله.

بينما يوجد عند شهلا العجيلي تأثير وصف صالة الانتظار وأحوال الممرضات على نفسية جمان التي تشعر مرة باليأس ثم تشعر بالأمل من ألوان مكياج الممرضات وإشارات رؤوسهن. وهكذا في رواية صيف مع العدو يشعر أهل البيوت في الرقة

بالحزن والفقر وهذا الشعور سائد على المكان كله بما فيه الإنس والجمادات والنباتات والحيوانات، ولذا يشعر كل الناس بالألفة في كل مكان، فتشترك مشاعر الحزن والفقر والأنس بين الناس في الرقة. ولا يوجد عند بدرية البشر وصف مكان واحد ينبعث في النفسية نوعين من المشاعر في آن واحد.

٤. أوجه الاتفاق والاختلاف على مستوى الحدث

إن روايات بدرية البشر الأربع هي مرقمة الفصول دون العناوين. أما شهلا العجيلي ففصول روايتها مرقمة وهما: عين الهر، وسجاد عجمي. بينما فصول روايتها الآخرين معنونة، وهما: سماء قريبة من بيتنا وصيف مع العدو.

أما عدد الفصول عند بدرية البشر في رواية هند والعسكر فهو أربعة وعشرون فصلا، بينما تنقسم أحداث رواية غراميات شارع الأعشى إلى تسعة وعشرين فصلا. ويبلغ عدد فصول رواية الأرجوحة إلى خمسة عشر فصلا. كما تنقسم أحداث رواية زائرات الخميس إلى واحد وعشرين فصلا.

بينما تنقسم الأحداث عند شهلا العجيلي في روايتي عين الهر وسجاد عجمي إلى عشرين فصلا وخمسة وثلاثين فصلا على الترتيب. أما رواية سماء قريبة من بيتنا فتتقسم أحداثها إلى عشرة فصول. وترمز عناوينها إلى أحداث رئيسية وشخصيات رئيسية في كل فصل. وتنقسم أحداث رواية صيف مع العدو إلى ثمانية فصول. وعناوينها أيضا ترمز إلى أحداث رئيسية في هذه الفصول وإلى الشخصيات التي تتضح ملامحها خلال الفصول.

أما وظائف تقسيم الأحداث إلى الفصول عند بدرية البشر في روايتي هند والعسكر، وزائرات الخميس فيُصنّف بمراحل مختلفة من حياة شخصية هند، وحياة شخصية مشاعل على الترتيب. وفي زائرات الخميس تبدأ الرواية من نقطة في الفصل الأول ثم يسترجع الأحداث السابقة من خلال حياة مشاعل وحياة أفراد أسرتها، ثم في النهاية تصل الأحداث إلى نقطة البداية ومن هنا تجري الأحداث إلى الأمام إلى أن تنتهي الرواية. وأما وظائف تقسيم الأحداث إلى الفصول في

رواية الأرجوحة فهي تقسيمها بين قصص الصديقات الثلاث بحركة الأحداث إلى الأمام مع استرجاع الذكريات لكل واحدة منهن وأسرهن.

بينما توظف شهلا العجيلي تقسيم الأحداث إلى الفصول في رواية عين الهر في النصف الأول لبيان أحوال الساردة ولقاؤها بأيوبه وتقرر كتابة الرواية عنها، والنصف الآخر من الفصول تتراوح بين قصة أيوبه وبين أحداث الساردة مع حبيبها. أما رواية سجاد عجمي فتتوظف تقسيم الأحداث إلى الفصول لبيان أحوال شخصيات مختلفة في الرواية وتنشي الأحداث إلى الأمام مع ذكريات الشخصيات بالاسترجاع.

أما وظيفة تقسيم الأحداث في رواية سماء قريبة من بيتنا فهي حركة الأحداث إلى الأمام، وبيان تواريخ أسر شخصيات مختلفة عن طريق الاسترجاع. أما توظيف تقسيم الفصول في رواية صيف مع العدو فهو مثل توظيفها في رواية زائرات الخميس عند بدرية.

انفتاح النص نحو البداية والنهاية للأحداث عند الكاتبتين

إن روايات بدرية البشر وشهلا العجيلي تتفق في تقنيات انفتاح النص نحو البداية، فكل الروايات تبدأ بالطريقة الداخلية. في كل رواية يتعرف القارئ على الشخصيات وأسمائها إلا أن رواية عين الهر تخلو تماما عن اسم الساردة. وبالنسبة لانفتاح النص نحو النهاية، فكل الروايات تنتهي بالنهايات المفتوحة أيضا.

توظيف الحلم أو القصة الرمزية لتنبؤ الأحداث عند الكاتبتين

إن بدرية البشر توظف الحلم لتنبؤ الأحداث في رواية هند والعسكر حيث تحلم هند بأنها في السجن مع النساء وكل واحدة تخرج إلا هي، ثم أحد يأتي ويمسك يدها ثم تستيقظ. لاحقا تعرف بأن هذه يد العون هو أخوه فهد الذي يساعدها على الخروج من البلد. ولا يرد توظيف الحلم لتنبؤ الأحداث عند شهلا العجيلي.

أما القصة الرمزية التي تنبئ على الأحداث فهي توجد عند الكاتبتين. فالقصة الرمزية عند بدرية البشر في رواية زائرات الخميس، بينما توظف شهلا العجيلي

القصة الرمزية مرة في رواية عين الهر، ومرتين في رواية سماء قريبة من بيتنا. أما رواية سجاد عجمي فهي كلها رمز من تاريخ العصر العباسي على الأحوال السياسية والدينية والفسادات في تاريخ سوريا المعاصر.

مبتا قصة عند الكاتبين

إن تقنية ميتا قصة وردت عند بدرية البشر في رواية هند والعسكر إشارة إلى صفة الكتابة القصة عند هند وهي صفة الكاتبة، حيث أن هند مولعة بقراءة الروايات وكتابتها وهذا موروث عندها وأيضاً بدأت بكتابة القصص في الصحف باسم مستعار. أما تقنية ميتا قصة عند شهلا العجيلي في رواية عين الهر فهي بوضوح حيث تشير الساردة بأنها تكتب هذه الرواية وتجعل فيها شخصية أيوبة "بطلة"، وتخبر أيوبة عن نواياها أيضاً، وفي نهاية الرواية تخاف على الرواية من السارق.

الوحدة الموضوعية عند الكاتبين:

إن الوحدة الموضوعية هي خيط الذي يمسك الأحداث المتنوعة والشخصيات والعديدة ومن ثم لا تخلو روايات مختارة من الوحدة الموضوعية، فتتفق الكاتبان في هذا المجال.

٥. أوجه الاتفاق والاختلاف على مستوى اللغة والأسلوب:

أوجه الاتفاق والاختلاف في نوعية السارد بين الأدبيين

١. توجد الساردة بضمير المتكلم عند بدرية البشر في رواية هند والعسكر ، ورواية غراميات شارع الأعشى. بينما توجد الساردة بضمير المتكلم عند شهلا العجيلي في عين الهر، وسماء قريبة من بيتنا وصيف مع العدو. وتوجد الساردة بضمير الغائب عند بدرية البشر في رواية الأرجوحة، وزائرات الخميس. بينما توجد الساردة بضمير الغائب عند شهلا العجيلي في رواية سجاد.

٢. الساردة العليمة تكون على علم ببواطن الشخصيات عند الكاتبين، كما تكون في عدة أماكن، ويعرف ما تشعر به الشخصيات وما تفكر فيها، ونواياها،

ومعرفتها عن الأشياء. وهذا النوع من السارد يظهر في روايات الكاتبتين على حد سواء.

٣. الساردة الناقدة تقدم التعليقات على الأحداث مثل أحوال عيش البنات في السكن الجامعي والسكن الخاص، وبيان تلخيص أسلوب سلوى المضحك لحكاية قصة مأساوية، وفوائد الصمت في الطبيعة، في رواية الأرجوحة عند بدرية البشر. وعند شهلا العجيلي تنقد ساردة رواية عين الهر على توقيت غير مناسب للحب، وهو سن متأخر. وأيضا تنقد على بعض تصرفاتها، وفي رواية صيف مع العدو تنقد الساردة لميس على تصرف شخصية أخرى عندما تخرج شعورها بغير قصد.

٤. والسارد بالرؤية مع عند شهلا العجيلي حيث تعرف الساردة ما عرفت من خلال حوار لبانة ومحوبة ولا تزيد على معرفتهما خارج الحوار. وفي رواية صيف مع العدو الساردة لا تعرف كم من المعلومات أخبر نيكولاس أخته. وعند بدرية البشر تقدم الساردة مشهد وضع الفرش على سطح السقف دون الزيادة لما يجري في عقول البنات، وتقدم ثروة النساء دون التعليق عليها.

أوجه الاتفاق والاختلاف على مستوى الأسلوب عند الكاتبتين

إن الأسلوب المباشر شائع في روايات الكاتبتين للكلام والأفكار. معظم الأحيان يكون حوارا متوسط الحجم، وفي بعض الأحيان يبلغ مساحته صفحات عديدة، كما ورد عند بدرية البشر في رواية زائرات الخميس الأسلوب المباشر لبيان قصة طويلة على لسان أم مشاعل الطويلة تبلغ مساحتها إلى أكثر أربع عشرة صفحة. وعند شهلا العجيلي يصل طول بعض الحوارات في رواية سجاد عجمي إلى ثلاث أو أربع صفحات. وفي رواية صيف مع العدو تبلغ مساحة الكلام المباشر على لسان كارمن وهي أيضا تحكي حكايتها- إلى حوالي ثلاثين صفحة لا يقطع كلامها إلا بعض التعليقات المبعثرة من قبل الساردة لميس أو بعض التداخلات من قبلها مخاطبة كارمن.

١. ورد الأسلوب غير المباشر بالندرة عند بدرية البشر وذلك أيضا فقط في روايتي غراميات شارع الأعشى والأرجوحة. وأيضا ورد بالندرة عند شهلا العجيلي ولكن في جميع رواياتها.
٢. الأسلوب المباشر الحر يوجد في روايات شهلا العجيلي بالكثرة، غير أنها ترد عند بدرية البشر موجزة، فلغتها تميل إلى أسلوب سردي أكثر من ميلها إلى الأسلوب الحوارى، ولهذا السبب تقل عندها نماذج الأسلوب المباشر الحر.
٣. ورد الأسلوب غير المباشر الحر بالندرة عند بدرية البشر في روايتي غراميات شارع الأعشى، والأرجوحة، وتوجد بالقلة في رواية زائرات الخميس. خلاف ذلك يوجد هذا الأسلوب بالكثرة نسبيا عند شهلا العجيلي خاصة في رواية عين الهر. بينما يتفق مع بدرية في الندرة في روايتي سماء قريبة من بيتنا وسجاد عجمي.
٤. أما أسلوب التقرير السردى فهو نادر الاستخدام عند الكاتبتين لتلخيص المعلومات الطويلة. غير أنه يكثر نسبيا عند شهلا العجيلي في روايتي سماء قريبة من بيتنا وسجاد عجمي.

أوجه الاتفاق والاختلاف على مستوى اللغة:

لا تكثر الكاتبتان الحوارات بلهجتيهما، بل ترد الحوارات النادرة باللهجة عند الكاتبتين. إلا أن رواية سجاد عجمي بشهلا العجيلي تخلو تماما عن اللهجة لأنها تدور في العصر العباسي. أما الكلمات أو الجمل باللغات الأجنبية فتوجد بالندرة في جميع روايات الكاتبتين غير سجاد عجمي إذ تدور أحداثها في عصر الازدهار لدى المسلمين. ومن ناحية اللغة الأدبية عند الكاتبتين، فيكثر لون الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث والشعر في اللغة الأدبية عند شهلا العجيلي، بينما يكثر لون الصورة الشعرية والتشبيهات في روايات بدرية البشر.

الخاتمة

قبل ذكر النتائج أذكر تلخيص البحث بإيجاز الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا البحث الذي يحمل عنوان: "صورة المرأة في روايات بدرية البشر وشهلا العجيلي: دراسة تحليلية موازنة"، وقد سعيْتُ من خلاله إلى كشف أبعاد الصورة النسوية في نماذج مختارة من أعمال الكاتبتين، وتحليلها تحليلًا نقدياً موازناً يستند إلى المنهج والتحليلي والموازنة، بهدف الوقوف على الرؤية الفكرية والجمالية التي تتجلى في تصوير المرأة من حيث حضورها الاجتماعي، والنفسي، والثقافي، والوجودي.

توزع البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب؛ ففي الباب الأول عُنيْتُ بعرض الروايات المختارة وتحليل السياقات العامة التي تحيط بها، أما الباب الثاني فركزتُ فيه على القضايا النسوية التي تناولتها الكاتبتان، ومنها: الحرية، والهوية، والتمرّد، والعلاقات الأسرية والاجتماعية.

وفي الباب الثالث، أجريْتُ دراسة فنية نقدية للروايات، تناولتُ فيها البناء الفني، والأسلوب، واللغة، وتوظيف الرموز والدلالات، بينما خصصتُ الباب الرابع للموازنة بين الكاتبتين، حيث بيّنتُ أوجه الاتفاق والاختلاف في معالجة الصورة النسوية في روايات كل منهما، مع الوقوف على الخصوصية الأسلوبية لكل كاتبة.

وقد توصلتُ في خاتمة هذا البحث إلى جملة من النتائج المهمة، وقدّمتُ عدداً من التوصيات التي أرى أنها تفتح آفاقاً جديدة لمزيد من الدراسات المستقبلية في مجال الأدب النسوي العربي.

أولاً: النتائج:

- بعد إكمال الدراسة الأدبية لقد توصلت إلى النتائج، أذكر أهم تلك النتائج كالتالية:
١. تتسم رواياتهما بمزايا الرواية النسوية بالاهتمام بصورة المرأة وقضاياها في السعودية وسوريا. فرغم اختلاف البلدان والسياقات الاجتماعية والسياسية أسلوبهما النسوي واحد في تناول صورة المرأة الواقعية.
 ٢. قضايا المرأة المشتركة عند الكاتبتين هي: الزواج، والسلوك مع الإماء، والاغتصاب والاعتداء، وقضية فقدان الأم، والتعامل مع البنات، والفساد الجنسي بين النساء، وتمكين المرأة، والتخلص من سلطة الرجل، والهجرة من البلد، والنظرة السلبية تجاه بعض مهن المرأة.
 ٣. والقضايا التي تنفرد بها شهلا العجيلي هي: مثل قضية المجون، وقضية العنوسة، ومعاناة المرأة النازحة.
 ٤. الأوضاع الاجتماعية والسياسية لها دور بارز في قضايا المرأة ولذا تختلف بعض القضايا عند بدرية عن شهلا، مثل الزواج بالمسيار، وقضية الأماء. وبعض القضايا عند شهلا بسبب الحرب مثل الهجرة القسرية والنزوح، وتهديد القتل، والحجاب القسري خوفا من القتل.
 ٥. ومن نتائج البحث أن المرأة لا تكون مظلومة دائما كما يدعو الأدب النسوي لحقوق المرأة، بل هو تكون ظالمة على نفسها و ظالمة على الرجل أيضا، بالخيانة والفرار والطلاق، ورفض الحب الصادق عند الكاتبتين. فبهذا الشكل تنبه الكاتبتان إلى مشاكل الرجل أيضا.
 ٦. لاحظت في عنصر الشخصية عند الكاتبتين بشكل عام هي امرأة وخاصة في الشخصيات الرئيسة.
 ٧. خلاصة صورة المرأة عند الكاتبتين هي كالأم، والأخت والزوجة، وال بنت، والجددة، والصديقة، والحبيبة، وربة البيت، والتاجرة والموظفة.

٨. ولوحظ أثناء الدراسة عند الكاتبتين أن معظم شخصيات النساء الرئيسية إيجابية متطورة إلى الحياة الفعالة ودورهن فعالة وبناءة للمجتمع والذات، إلا أن بعض شخصيات النساء عند بدرية البشر سلبية شريرة تفسد حياتهن وحياة الآخرين.
٩. كما لوحظ عند الكاتبتين أن الشخصيات الثانوية نساء ورجالا، إيجابية وسلبية أيضا.
١٠. ومن ناحية دراسة التقنيات، استنتجت أن الزمن الخارجي للروايات هو ما عاشته الكاتبتان، أو ما عاشتهما من خلال التاريخ.
١١. ومن جانب الزمن النفسي وجدت زمنا الاسترجاع كثيرا وزمن الاستباق نادرا جدا عند الكاتبتين. فالروايات الواقعية تناسبها تقنية الاسترجاع أكثر من الاستباق.
١٢. ولاحظت عند الكاتبتين أن زمن السرد يتسرع بحذف الزمن الذي يخلو من الأحداث الهامة، وتتلخيص الزمن للأحداث المتكررة الرتيبة.
١٣. كما لاحظت عند الكاتبتين تقنية بطء السرد لصب التركيز على المشهد الحوارى والمشهد التفصيلي، أو عن طريق الوقفة الوصفية.
١٤. أظهرت الكاتبتان اهتماما بوصف الأماكن المفتوحة والمغلقة في الروايات.
١٥. لاحظت أن الأماكن المفتوحة المشتركة بين الكاتبتين هي مثل: المدينة، والأسواق والشوارع والحارات والباحات والبساتين. أما المدن عند بدرية البشر فهي الرياض وجنيف. بينما المدن عند شهلا العجيلي عديدة مثل الرقة وحلب ودمشق وعمّان وكولونيا.
١٦. فلأماكن المفتوحة التي وصفتها بدرية البشر دون شهلا العجيلي فهي البر، وجامعة البنات في الرياض.
١٧. أما الأماكن المفتوحة التي تختص بها شهلا العجيلي غير بدرية البشر فهي عديدة مثل الجسر، والشاطئ والقلعة، والمقبرة، وحدود السورية الأردنية، والطريق إلى البحر الميت التي تذهب إلى فلسطين.
١٨. وأظهرت الدراسة أن الأماكن المغلقة التي وصفتها الكاتبتان بالاتفاق من أهمها: البيت، والمسجد والخيمة.

١٩. أما وصف الأماكن التي تنفرد بها بدرية البشر غير شهلا العجيلي فهي المصلى والشاحنة والمطار والمطعم.

٢٠. أما وصف الأماكن التي تنفرد بها شهلا العجيلي غير بدرية البشر فمن أهمها: الكنيسة، ودكان صياغة المجوهرات وصالة معرض المجوهرات، والمستشفى بجناح الطب النووي، وبصالة الانتظار، والسفينة.

٢١. ولاحظت عند الكاتبتين أن بعض الأماكن وأحوالها تؤثر في نفسية الشخصيات، أو حالة نفسية الشخصية تشعر بالمكان حسب شعورها إما إيجابيا وإما سلبيا.

٢٢. دراسة الحدث في روايات الكاتبتين تشير إلى أن أحداث جميع روايات بدرية البشر مقسمة إلى الفصول المرقمة بدون العناوين. أما أحداث روايتي شهلا العجيلي مقسمة إلى الفصول المرقمة بدون العناوين وهما: عين الهر وسجاد عجمي. وأحداث روايتيها: سماء قريبة من بيتنا وصيف مع العدو مقسمة إلى فصول معنونة.

٢٣. ومن الملاحظ أن روايات الكاتبتين تبدأ بطريقة داخلية مفتوحة، كما تنتهي بنهايات مفتوحة، وتجتمع كل الأحداث والشخصيات في وحدة موضوعية.

٢٤. لاحظت أن بدرية البشر وظفت الحلم لتنبؤ الأحداث في رواية هند والعسكر. وتوظف قصة رمزية لتنبؤ الأحداث في رواية زائرات الخميس، وتوظفها شهلا العجيلي في رواية سماء قريبة من بيتنا.

٢٥. يلاحظ أسلوب ميتا القصة عند بدرية البشر في رواية هند والعسكر، وعند شهلا العجيلي في رواية عين الهر.

٢٦. والساردة عند بدرية البشر بضمير المتكلم في روايتين، والساردة بضمير الغائب في روايتين أخريين. بينما توجد الساردة بضمير المتكلم عند شهلا العجيلي ثلاث روايات، وتوجد الساردة بضمير الغائب في رواية واحدة فقط.

٢٧. ومن الملاحظ عند الكاتبتين أنواع ثلاثة من علم السارد وتعليقاته على الأحداث، وهي: السارد العليم والسارد الناقد والسارد بالرؤية مع.

٢٨. ويلاحظ عند الكاتبتين أن الأسلوب المباشر للأحاديث والأفكار شائع عند الكاتبتين، والأسلوب المباشر الحر شائعة عند شهلا العجيلي فقط، والأسلوب غير المباشر نادر عند الكاتبتين، والأسلوب غير مباشر الحر قليل عند الكاتبتين، بينما يكثر أسلوب التقرير السردى عند شهلا العجيلي نسبياً.
٢٩. والملاحظ أن الكاتبتين لا تكثران من اللهجة السعودية والسورية في الحوارات. أما اللغة الفصيحة وأساليب اللغة الأدبية متنوعة عند الكاتبتين. فتكثر بدرية البشر في التشبيهات والصور الشعرية، بينما كثر الاقتباسات والتضمينات من القرآن والسنة والشعر عند شهلا العجيلي.

ثانياً: التوصيات

- وكل دراسة تكون فاتحة لمجال الدراسات الأخرى في نفس المجال، ومن ثم هناك بعض التوصيات للباحثين:
١. إجراء الدراسات المقارنة بين الروايات النسوية العربية عند بدرية البشر وشهلا العجيلي وبين الروايات الأردنية.
 ٢. إجراء دراسة صورة المرأة في قصص بدرية البشر وشهلا العجيلي.
 ٣. دراسة قضايا المرأة في مقالات بدرية البشر.
- لقد أكملت هذا البحث بتوفيق الله ومنه، فما أصبت فيه فهو من الله، وما أخطأت فيه فهو من نفسي. وأسأل الله أن يوفقني لخدمة اللغة العربية وآدابها والإسلام والمسلمين، وصلى الله على النبي وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس الفنية

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

مسلسل	الآية	السورة	الآية	الصفحة
١	وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ، إِنَّ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِلُهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ	النور	٣٢	١٠٤
٢	فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ	كوثر	٠٣	١٤٥
٣	قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهْشُرُ بِهَا عَلَى غَنَمِي	طه	١٨	٣٠٦
٤	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ	القدر	٥-١	٣١٠
٥	إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ	بقرة	١٥٦	٣١١
٦	إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ	القيامة	١٧	٣١١
٧	يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ	النور	٤٣	٣١١
٨	فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا	النساء	١٩	٣١١
٩	وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ	الزمر	٧٣	٣١٢
١٠	قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ	التوبة	٥١	٣١٢

ثانياً: فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	مسلسل
٩١	لا تُنكح الأيم حتى تُستأمر، ولا تُنكح البكر حتى تستأذن، قالوا يا رسول الله: وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت.	١
١١٠	من كُنَّ له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة.	٢

ثالثاً: فهرس الأبيات

الصفحة	البيت	مسلسل
٦	أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ	١
٢١٣	لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تَرَقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ وَلَا أَرْقَتْ لَذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ	٢
٣٠٦	مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ بَحْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ	٣

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١. القرآن الكريم
٢. الأرجوحة: بدرية البشر، دار الساقى، بيروت، الطبعة الخامسة ٢٠١٣.
٣. زائرات الخميس: بدرية البشر، دار الساقى، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٧م.
٤. سجاد عجمي: شهلا العجيلي، منشورات ضفاف، بيروت، ط: ١ ٢٠١٨م.
٥. سماء قريبة من بيتنا: شهلا العجيلي، منشورات ضفاف، بيروت، ط: ١ ٢٠١٣م.
٦. صيف مع العدو: شهلا العجيلي، منشورات ضفاف، بيروت، ط: ١ ٢٠١٥م.
٧. عين المهر: شهلا العجيلي، منشورات ضفاف، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
٨. غراميات شارع الأعشى: بدرية البشر، دار الساقى، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٣م.
٩. هند والعسكر: بدرية البشر، دار الساقى، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

ثانياً: المراجع:

أ. الكتب:

١٠. بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ: سيزا قاسم، مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة، ٢٠٠٤.
١١. البنية الزمنية في الرواية:
١٢. جماليات المكان في الرواية السعودية: د. حمد البليهد. دار الكفاح للنشر والتوزيع الدمام. الطبعة الأولى ١٤٨٩.
١٣. الحركة النسائية اللبنانية، إميلي فارس إبراهيم، دار الثقافة، بيروت.
١٤. الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط، ليلي أبو لغد، الترجمة: نخبة من المترجمين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٩.
١٥. دراسات في نقد الرواية: طه وادي، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٢.
١٦. ديوان البوصيري، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ١ ١٩٥٥م.
١٧. ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.
١٨. ديوان حافظ إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.

١٩. ديوان طرفة بن العبد، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثالثة ٢٠٠٢.
٢٠. الراوي والنص القصصي: د. عبد الكريم الكردي، مكتبة الآداب القاهرة، ط: ١ ٢٠٠٦ م.
٢١. الرواية السعودية: حوارات وأسئلة وإشكالات، طامي بن محمد السميوي، دار الكفاح للنشر والتوزيع، الدمام، الطبعة الأولى ٢٠٠٩ م.
٢٢. الرواية والمكان: ياسين النصير، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٨٦ م.
٢٣. الزمن في الرواية العربية: مها حسن القصراني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ٢٠٠٤ م.
٢٤. الزمن والرواية: أ. أ. مندلاو، ترجمة: بكر إحسان. دار صادر بيروت، ط: ١ ١٩٩٧.
٢٥. السرد في الرواية المعاصرة: عبد الكريم الكردي، مكتبة الآداب القاهرة، ط: ١ ٢٠٠٦.
٢٦. سيرة المكان في الرواية السعودية، عبد الله ناصر العنزوي، مبادرة المنور للأبحاث الثقافية، الطبعة الأولى ٢٠٢٢.
٢٧. صحيح البخاري: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية ١٩٩٩ م.
٢٨. صحيح مسلم: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية ٢٠٠٠ م.
٢٩. علم السرد: مدخل إلى نظرية السرد، يان مانفريد، ترجمة: أماني أبو الرحمة. دار نينوى للدراسات والنشر سوريا، الطبعة الأولى ٢٠١١ م.
٣٠. عودة الى خطاب الحكاية: جيران جينيت، ترجمة محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء لبنان، ٢٠٠٠.
٣١. قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية: الجزء الأول، دار الملك عبد العزيز، الرياض، الطبعة الأولى ٢٠١٨ م.
٣٢. المصطلح السردى: جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، الطبعة الأولى.
٣٣. معجم أسبار للنساء السعوديات: الجزء الأول، تحت إشراف: فهد العرابي الحارثي، أسبار للدراسات والبحوث والإعلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٧.
٣٤. معجم المصطلحات الأدبية (عرض وتقديم وترجمة): سعيد علوش. دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى. ١٩٨٥.
٣٥. معجم مصطلحات نقد الرواية: د. لطيف زيتوني، دار النهار للنشر لبنان، ٢٠٠٢ م.

ب . الكتب الإنجليزية:

36. Style in Fiction (A Linguistic Introduction to English Fictional Prose), Geoffrey Leech & Mick Short Second edition 2007, Printed in Malaysia.

ج . الدوريات والتقارير:

٣٧. أساليب استحضار الأفكار في رواية الطريق لنجيب محفوظ وفقا لنظرية ليتش وشورت، زهرا أفضلي، فرامرز ميرزائي، جعفر جعفرزاده. مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ٣٧، شتاء ٢٠١٦م.
٣٨. استلهام التراث الأدبي في رواية سجاد عجمي دراسة تحليلية، قياس بهادر، وزين العابدين، مجلة المصباح، إسلام آباد، المجلد ٣، العدد ٤، ٢٠٢٤.
٣٩. أنساق المدينة في الرواية العربية: حنان سالم المالكي، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة الميناء، المجلد ٤٥، العدد ٤، ٢٠٢٢.
٤٠. أنواع الاستهلال في الرواية/ أنواع الكلام (الملفوظية): مها بيار، مجلة السيميائيات، المجلد ١، العدد ١، ٢٠٠٥.
٤١. بناء الشخصية في رواية نجمة أغسطس لصنع الله إبراهيم، خليل برويني، كبرى روشنكفر، علي رضا كاهه. إضاءات نقدية (فصلية محكمة) السنة الرابعة- العدد الرابع عشر، حزيران ٢٠١٤.
٤٢. التأثير الجنساني للنزاع في جمهورية العربية السورية على النساء والفتيات: ورقة غرفة اجتماعات للجنة التحقيق الدولية المستقلة بشأن الجمهورية العربية السورية، مجلس حقوق الإنسان، الأمم المتحدة، الدورة ٥٣، من ١٩ يونيو إلى ١٤ يوليو ٢٠٢٣، البند ٤ من جدول الأعمال. ص: ١٧.
٤٣. التحديات التي تواجه النساء في شمال غرب سوريا: الدفاع المدني السوري، ٢٠٢٢.
٤٤. تحرير الرقيق في المملكة العربية السعودية: حصة جمعان العاللي الزهراني، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٥، العدد ٣، مارس ٢٠٢١.
٤٥. تشكيل الزمن في الرواية النسائية الفلسطينية في مطلع القرن الحادي والعشرين، كمال أحمد غنيم، ووديان محمد ريان، مجلة المجمع، العدد ١٥ (٢٠٢٠).
٤٦. تقرير المرأة السعودية لعام ٢٠٢٢: الهيئة العامة للإحصاء، المملكة العربية السعودية.

٤٧. تمثيلات العنف النسوي في روايات بدرية البشر (هند والعسكر) اختياراً: سهاد ساعد صاحب، مجلة سياقات اللغة والدراسات البيئية، مصر، المجلد ٣، العدد ١، أبريل ٢٠١٨، ص ٢١٣.
٤٨. تمثيلات الذكورة وانعكاساتها في خطاب بدرية البشر القصصي: نصال محمد فتحي الشمالي، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سلطان قابوس، مسقط، المجلد ٧، العدد ٢، أغسطس ٢٠١٦.
٤٩. الخطاب على الخطاب وما وراء القص: دراسة سردية من خلال ثلاث روايات مختارة: زين العابدين، ورثة شاهد، مجلة المصباح، إسلام آباد، المجلد ٣، العدد ٣، ٢٠٢٣.
٥٠. الرواية النسوية السورية في سبعة عقود: جدلية الخاص والعام: إيمان القاضي، مجلة الكلمة، العدد ١٥٦ أبريل ٢٠٢٠.
٥١. الرواية النسوية العربية في ضوء النقد النسوي: إيمان حميد هدرس، مجلة الباحث، المجلد ٤١، العدد ١، ٢٠٢١م، ص: ٦.
٥٢. جماليات المكان في الرواية العربية المعاصرة: عمارة يعقوبيان نموذجاً، زينب فرغلي حافظ. مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم - جامعة المنيا، مصر، المجلد ٤، العدد ٢١، يناير ٢٠١٠.
٥٣. دراسة ملامح الواقعية في رواية "صيف مع العدو" لشَهلا العُجيلي: مريم أكبري موسى آبادي، مجلة إضاءات نقدية، المجلد ١١، العدد ٤٢، حزيران (يونيو) ٢٠٢١م.
٥٤. دور المرأة السعودية: في المجتمع وفي قطاعات الأعمال المختلفة والقطاعات الحكومية: مجلس شؤون الأسرة، المملكة العربية السعودية. الإصدار الثاني ٢٠٢٠م.
٥٥. زواج القاصرات وأثره على الأمن الأسري والمجتمعي (دراسة فقهية مقارنة): إلهام أحمد عبد العزيز السيد، مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، العدد ٣٨، سنة ٢٠٢٣م، الإصدار الأول: ٢/١.
٥٦. زواج المسيار: حقيقته وحكمه، محمد إلياس، مجلة البصيرة، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، المجلد ٢، العدد ٢، ديسمبر ٢٠١٣.
٥٧. صورة المرأة في كتب اللغة العربية للمرحلة الثانوية في الأردن: محمد فياض وسامي هزائمة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) المجلد ٣٢ العدد ١، ٢٠١٨.

٥٨. صورة المرأة في كتب اللغة العربية والمواد الاجتماعية في مرحلتي التعليم الابتدائي والمتوسط في المملكة العربية السعودية: حسن علي الناجي وطلال سليمان الرفاعي، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٧، العدد ١ و ٢، ٢٠١١.
٥٩. نكاح المسير: عبد الله حزام فهيد العجمي. مجلة كلية دار العلوم، القاهرة، المجلد ٣٨، العدد ١٣٣، ٢٠٢١.

د. المقالات الإنجليزية:

60. Metanarrative and Metafictional Commentary. Monika Fludernik. Poetica, Vol. 35, No. 1/2 (2003)

ه. البحوث الجامعية:

٦١. الأبعاد السياسية والاجتماعية في رواية رأس الشيطان لنجيب الكيلاني: مريم قرة، ووفاء سعودي، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر. العام الجامعي ٢٠١٧-٢٠١٨.
٦٢. الأبعاد الفنية والموضوعية للشخصية في رواية وصية المعتوه لإسماعيل يبرير: بوميدونة سعاد. رسالة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي. جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر. ٢٠١٧-٢٠١٨.
٦٣. الاتجاه الاجتماعي بين محمد عبد الحليم وكوشن جندر من خلال الروايات المختارة: زين العابدين، رسالة الدكتوراه، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، ٢٠١٧-٢٠١٩.
٦٤. الاعتداء الجنسي على الأطفال في المجتمع: بوكوش وردة، رسالة ماجستير، جامعة سعد دحلب بالبليدة، الجزائر.
٦٥. تقنيات وأساليب بناء الزمن في رواية "مروان" لبن يحيى محمد سفيان، إيمان زوائية. رسالة لنيل شهادة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، الجزائر. العام الجامعي ٢٠١٦-٢٠١٩.

و. البحوث الجامعية الإنجليزية:

66. Gender and subject choice in higher education in Saudi Arabia, Jawaher Awwad Alwedinani, Doctoral Dissertation, University of York, May 2016.

ز. الروابط الإلكترونية:

67. https://www.goodreads.com/author/show/1061323._
٦٨. صفحة عائلة العجيلي في الوطن والشتات: النشرة بتاريخ: ٢٠١٧/٠٩/٧ م.
<https://www.facebook.com/p/-عائلة-العجيلي-في-الوطن-والشتات->
١٠٠٠٦١٤٨٢٩٩٨١٥٩/
69. <https://hawwasyria.org/?p=1342>
70. <https://kataranovels.com/novelist/شهلا-العجيلي/>
71. <https://www.arabicfiction.org/ar/Shahla-Ujayli>
72. <https://www.goodreads.com/book/show/58663441>
73. <https://arabicfiction.org/ar/Shahla-Ujayli-Interview>
74. <https://culture.gov.jo/AR/ListDetails/92/16/> جوائز الدولة _
التقديرية _ والتشجيعية
<https://www.alqabas.com/article/610162>
- ترجمة - سماء - قرية - من - بيتنا - بترجمة - إنك
75. <https://www.pv.gov.sa/>
٧٦. والروايات النسوية في السعودية: ورقة تتناول تجارب منذ الستينات، ميرزا خويلد، الشرق الأوسط، ٢٠١٤/٤/٤ م.
<https://aawsat.com/home/article/70631>
77. <http://www.alkalimah.net/Articles/Read/21147>
٧٨. جرائم العمالة المنزلية: ضرب وتحرش. رشا عرفة. ٢٠١٤/١١/٨.
<https://www.raya.com/2014/11/08/>
٧٩. سيكولوجية الثروة و كيف تؤثر على الصحة العقلية. كلوديا م. إلسيج. تم النشر:
٢٠٢٢/١٠/٤
<https://caldaclinic.com/ar/the-psychology-of-wealth-and-how-it-affects-mental-health/>